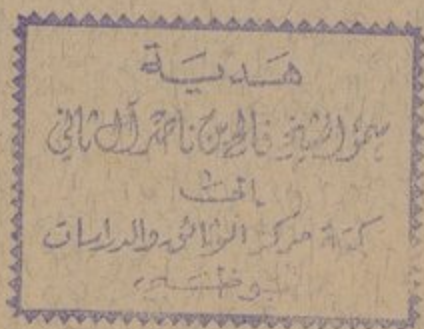




المكتبة التاريخية

مَرْوَرُجُ الْاَزْهَبِ
وَمَعَادُنِ الْجَوْهَرِ

تصنيف الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي
المتوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة

راجع أصوله ، ورقه ، وضبط مبهمه ، وعلق عليه

محيى الدين محمد بن عبد الله

الجزء الثالث

جميع حقوق الطبع محفوظة

يُطْلَبُ مِنَ الدَّكْتِيَّةِ الْعَصْرِيَّةِ فِي بَعْدَادِ

لصاحبها محمود هاشمي

دَارُ الرِّجَالِ لِلطَّبْعِ وَالنِّشْرِ

هــ اُولَٰئِكَ رَجَبُ الْاِمَامِ مُحَمَّدٍ ١٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين]

ذكر أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

وبويع يزيد بن معاوية فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمانى ليال ، وأخذ يزيد لابنه معاوية بن يزيد البيعة على الناس قبل موته ، ففى ذلك يقول عبد الله بن همام السلولى : —

تَلَقَّفَهَا يَزِيدٌ عَنْ أَبِيهِ فَخَذَهَا يَامُعَاوَى عَنْ يَزِيدَا
فَقَدْ عَلِقَتْ بِكُمْ فَتَلَقَّفُوهَا وَلَا تَرْمُوا بِهَا الْفَرَضَ الْبَعِيدَا

وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وفى ذلك يقول رجل من عنزة : —

يَا أَيُّهَا الْقَبْرِ بِحَوَارِينَا ضَمَمْتَ شَرَّ النَّاسِ أَجْمَعِينَا

وقد رثاه الأخطل النصرانى فقال من قصيدة . —

لَعَمْرِي لَقَدْ دَلَّنِي إِلَى الْخُلْدِ خَالِدٌ جَنَازَةٌ لَانْكَسَ الْفَوَادُ وَلَا غَمْرُ
مَقِيمٌ بِحَوَارِينَ لَيْسَ يَرِيْمُهَا سَقَتَهُ الْغَوَاْدَى مِنْ ثَوِيٍّ وَمِنْ قَبْرِ
فِي أَيْبَاتِ

ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب

عليه السلام ، ومن قتل معه من أهل بيته وشيعته

دعوة أهل الكوفة الحسين أتسنا على بيعتك ، ونحن نموت دونك ، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك ، وطوبأ الحسين بالبيعة ليزيد بالمدينة فسام التأخير ، وخرج يتهادى بين مواليه ويقول : -

لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَاقِ الصَّبِّ حَ مَغِيرًا وَلَا دَعَيْتُ يَزِيدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا وَالْمَنَايَا تَرْصَدُنِي أَنْفَ أَحِيدًا

الحسين يرسل لأهل الكوفة مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة ، فأرسل بابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، وقال له : سر إلى أهل الكوفة ، فإن كان حقاً ما كتبوا به عرفني حتى ألحق بك ، فخرج مسلم من مكة في النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال ، والأمير عليها النعمان بن بشير الأنصاري ، فنزل على رجل يقال له عوسجة مستترا ، فلما ذاع خبر قدومه بايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألف رجل ، وقيل : ثمانية عشر ألفاً ، فكتب بالخبر إلى الحسين ، وسأله القدوم إليه ، فلما همَّ الحسين بالخروج إلى العراق أتاه ابن العباس ، فقال له : يا ابن عم ، قد بلغني أنك تريد العراق ، وإنهم أهل غدر ، وإنما يدعونك للحرب ، فلا تعجل ، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص إلى اليمن ؛ فإنها في عزلة ، ولك فيها أنصار وإخوان ، فأقم بها وُبثَّ دعائك ، واكتب إلى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق فيخرجوا أميرهم ، فإن قووا على ذلك ونقوه عنها ولم يكن بها أحد يعاديك أتيهم ، وما أنا لغدرهم بآ من ، وإن لم يفعلوا أقمت بمكانك إلى أن يأتي الله بأمره ؛ فإن فيها حصوناً وشعباً ، فقال الحسين : يا ابن عم ، إني لأعلم أنك

لى ناصح وعلى شفيق ، ولكن مسلم بن عقيل كتب إلى باجتماع أهل مصر على بيعتي ونصرتي ، وقد أجمعت على المسير ، قال : إنهم من جرت وجرت ^(١) ، وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدا مع أميرهم ، إنك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم إليك ، وكان الذين كتبوا إليك أشد من عدوك ، فان عصيتني وأيت إلا الخروج إلى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولداك معك ؛ فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه ، فكان الذي رد عليه لأن أقتل والله بمكان كذا أحب إلى من أن أستحل بمكة ، فيئس ابن عباس منه ، وخرج من عنده ، فمر بعبد الله بن الزبير فقال : قررت عينك يا ابن الزبير ، وأشد : -

يا لك من قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ قَبِيضِي وَاصْفِرِي
وَنَقَرِي مَا شئت أن تُنَقَّرِي

هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز ، وبلغ ابن الزبير أنه يريد الخروج إلى الكوفة وهو أثقل الناس عليه قد غمه مكانه بمكة لأن الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين فلم يكن شيء يؤتاه أحب إليه من شُحُوص الحسين عن مكة ، فأتاه فقال : أبا عبد الله ، ما عندك ؟ فوالله لقد خفت الله في جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلهم الصالحين من عباد الله ، فقال حسين : قد عزمت على إتيان الكوفة ، فقال : وفقك الله !! أما لو أن لي مثل أنصارك ما عدلت عنها ، ثم خاف أن يتهمه فقال : ولو أمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز إلى بيعتك أجبناك ، وكنا إليك سرعا ، وكنت أحق بذلك من يزيد وأبي يزيد .

أبو بكر بن الحرث بن هشام على الحسين فقال : يا ابن عم ، إن الرحم يظايرني عليك ، ولا أدري كيف أنا في النصيحة لك ، فقال : يا أبا بكر ، ما أنت ممن يستغش ، فقال أبو بكر : كان أبوك أشد بأسا ، والناس له أرجى ، ومنه أسمع ، وعليه أجمع ، فسار إلى معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام وهو

(١) كذا ، ولعله « إنهم من جرت وجرت »

نصيحة ابن
عباس للحسين
وعدم قبوله
إياها

أبو بكر بن
الحرث ينصح
الحسين بعدم
الخروج

أعز منه ؛ فخذلوه ، وثأقوا عنه ؛ حرصا على الدنيا ، وضئاً بها ، فجرعوه الغيظ ، وخالفوه ، حتى صار إلى ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه ، ثم صنعوا بأخيكم بعد أبيك ماصنعوا ، وقد شهدت ذلك كله ورأيت ، ثم أنت تريد أن تسير إلى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى ، والناس منه أخوف وله أرجى ، فلو باغهم مسيرك إليهم لاستطعوا الناس بالأموال ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ، ويخذلك من أنت أحب إليه من ينصره ، فاذكر الله في نفسك ، فقال الحسين : جزاك الله خيرا يا ابن عم ، فقد أجهدك رأيك ، ومهما يقض الله يكن ، فقال : وعند الله تحتسب أبا عبد الله ، ثم دخل على الحرث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي وإلى مكة وهو يقول : —

كَمْ تَرَى ناصحا يَقُولُ فَيُغْصَى وَظَنِينَ المَغِيبُ يُلْفَى نَصِيحا

فقال : وما ذاك ؟ فأخبره بما قال للحسين ، فقال : نصحت له ورب الكعبة

يزيد يولى
عبيد الله بن
زياد الكوفة
فيذهب فيظنه
الناس الحسين

واتصل الخبر بيزيد ، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة ، فخرج من البصرة مسرعاً حتى قدم الكوفة على الظهر ، فدخلها في أهله وحشمه ، وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها ، وهو راكب بغلة ، والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون : وعليك السلام يا ابن رسول الله ، قدمت خير مقدم ، حتى انتهى إلى القصر وفيه النعمان بن بشير ، ففتحصن فيه ، ثم أشرف عليه ، فقال : يا ابن رسول الله مالي ولك ؟ وما حلاك على قصد بلدى من بين البلدان ؟ فقال ابن زياد : لقد طال يومك يا نعيم ، وحسر اللثام عن فيه فعرفه ، ففتح له ، وتنادى الناس : ابن مرجانة ، وحصبوه بالحصباء ، فقامهم ودخل القصر ، ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول إلى هانيء بن عروة المرادى ، ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه ، فوجه محمد بن الأشعث بن قيس إلى هانيء ، فجاءه فسأله عن مسلم ، فأنكره ، فأغلظ له ابن زياد القول ،

فقال هانيء : إن لزيد أيبك عندى بلاء حسنا ، وأنا أحب مكافأته به ، فهل لك فى خير ؟ قال ابن زياد : وما هو ؟ قال : تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم ؛ فانه قد جاء حق من هوأحق من حقتك وحق صاحبك ، فقال ابن زياد : أدنوه منى ، فأدنوه منه ، فضرب وجهه بقضيب كان فى يده كسر أنفه وشق حاجبه ونثر لحم وجنته ، وكسر القضيب على وجهه ورأسه ، وضرب هانيء بيده إلى قائم سيف شرطى من تلك الشرط ، فجاذبه الرجل ، ومنعه السيف ، وصاح أصحاب هانيء بالباب : قتل صاحبنا ، فخافهم ابن زياد ، وأمر بحبسه فى بيت إلى جانب مجلسه ، وأخرج إليهم ابن زياد شريحا القاضى ، فشهد عندهم أنه حى لم يقتل ، فانصرفوا ، ولما بلغ مسلما ما فعل ابن زياد بهانيء أمر مناديا فنادى : يامنصور ، وكانت شعارهم ، فتنادى أهل الكوفة بها ، فاجتمع إليه فى وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل ، فسار إلى ابن زياد ، فتحصن منه ، فغصروه فى القصر ، فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل ، فلما نظر إلى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كندة ، فإ بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة ، ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد ، فبقى حائرا لا يدرى أين يذهب ، ولا يجد أحدا يدله على الطريق ، فنزل عن فرسه ومشى متلدا فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يتوجه حتى انتهى إلى باب مولاة للأشعث بن قيس ، فاستسقاها ماء فسقته ، ثم سأله عن حاله ، فأعلمها بقضيته ، فرقته له وآوته ، وجاء ابنها فعلم بموضعه ، فلما أصبح غدا إلى محمد بن الأشعث فأعلمه ، فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه ، فقال : انطلق فأتنى به ، ووجه معه عبد الله بن العباس السلمى فى سبعين رجلا ، فاقتحموا على مسلم الدار ، فثار عليهم بسيفه ، وشد عليهم فأخرجهم من الدار ، ثم حملوا عليه الثانية ، فشد عليهم وأخرجهم أيضا ، فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة ، وجعلوا يلهبون النار بأطراف القصب ، ثم يلقونها عليه من فوق البيوت ، فلما رأى ذلك قال : أكل ما أرى من الأحلاب لقتل مسلم

ابن عقيل ؟ يا نفس اخرجى إلى الموت الذى ليس عنه محيص ، فخرج إليهم مُصَلِّتًا سيفه إلى السكة ، فقاتلهم ، واختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين ؛ فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع فى السفلى ، وضربه مسلم ضربة منكرة فى رأسه ، ثم ضربه أخرى على حبل العاتق فكاد يصل إلى جوفه ، وهو يرتجز ويقول : —

أقسم لا أقتل إلا حرًا وإن رأيت الموت شيئًا مرًا
كل امرئ يومًا ملاق شرًا أخاف أن أكذب أو أغرًا

فلما رأوا ذلك تقدم إليه محمد بن الأشعث فقال له : فانك لا تكذب ولا تغر ، وأعطاه الأمان ، فأمكنهم من نفسه ، وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه الأمان سيفه وسلاحه ، وفى ذلك يقول بعض الشعراء فى كلمة يهجو فيها ابن الأشعث : —

وتركت عمك أن تُقاتلَ دونه فسلًا ولولا أنت كان منيعًا
وقتلَ وافد آل بيت محمد وسلبت أسيفًا له ودروعًا

فلما صار مسلم إلى باب القصر نظر إلى قلة مبردة ، فاستسقام منها ، فمعههم مسلم بن عمر الباهلي — وهو أبو قتيبة بن مسلم — أن يستقوه ، فوجه عمرو بن حريث فأتاه بماء فى قدح ، فلما رفعه إلى فيه امتلأ القدح دما ، فصبه وملاه له الثانية ، فلما رفعه إلى فيه سقطت ثنياه فيه وامتلا دما ، فقال : الحمد لله ، لو كان من الرزق المقسوم لشربته ، ثم أدخل إلى ابن زياد ؛ فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له فى الجواب أمر به فأصعد إلى أعلى القصر ، ثم دعا الأحمري الذى ضربه مسلم فقال : كن أنت الذى تضرب عنقه لتأخذ بشارك من ضربته ، فأصعدوه إلى أعلى القصر فضرب بكير الأحمري عنقه ، فأهوى رأسه إلى الأرض ، ثم أتبعوا رأسه جسده ، ثم أمر بهاني بن عروة فأخرج إلى السوق فضرب عنقه صبرًا ، وهو يصيح : يا آل مراد ، وهو شيخها وزعيمها ، وهو يومئذ يركب

مقتل مسلم بن
عقيل وهاني
ابن عروة

في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل ، وإذا أجابتها أحلافها من كفدة
وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع ، فلم يجد زعيمهم منهم أحدا شللا
وخذلانا ، فقال الشاعر وهو يرثى هانيء بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر
ما نالهما : —

إذا كنت لا تدبرين ما الموت فأنظري إلى هانيء في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوى في طار قتيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا أحاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسدا قد غيّر الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل
أترك أسماء المهاج آمنة وقد طلبته مذحج بدحول
فتى هو أحمى من فتاة حبيبة وأقطع من ذى شفرتين صقيل
ثم دعا ابن زياد بيكير بن حمران الذى ضرب عنق مسلم فقال : أقتلته ؟
قال : نعم ، قال : فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه ؟ قال : كان يكبر
ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله ، فلما أدينناه لنضرب عنقه قال : اللهم احكم بيننا
وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا ، فقلت : الحمد لله الذى أقادنى منك
وضربته ضربة لم تعمل شيئا ، فقال لى : أو ما يكفيك وفى خدش منى وفاء
بدمك أيها العبد ، قال ابن زياد : أو فخرا عند الموت ؟ قال : وضربته الثانية
فقتلته ، ثم أتبعنا رأسه جسده

وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذى الحجة سنة
ستين ، وهو اليوم الذى ارتحل فيه الحسين من مكة إلى الكوفة ، وقيل : يوم
الأربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذى الحجة سنة ستين
ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فصلبت ، وحمل رأسه إلى دمشق ، وهذا أول
قتيل صلبت جثته من بنى هاشم ، وأول رأس حمل من رؤسهم إلى دمشق

فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحرث بن يزيد التيمي فقال له : أين تريد
 يا ابن رسول الله ؟ قال : أريد هذا المصر ، فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ،
 ثم قال : ارجع فاني لم أدع خلفي خيراً أرجوه لك ففهم بالرجوع فقال له أخو
 مسلم : والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل كلنا ، فقال الحسين : لا خير
 في الحياة بعدكم ، ثم سار حتى لقي خيل عبيد الله بن زياد عليها عمرو بن سعد بن
 أبي وقاص فعدل إلى كربلاء - وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته
 وأصحابه ، ونحو مائة راجل - فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص
 له ، فقال : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا ، فلم يزل
 يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه ، وكان الذي تولى قتله رجل من مذحج ؛ واحتز
 رأسه ، وانطلق به إلى ابن زياد وهو يرتجز : -

أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحِبَّاءَ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا
 وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبًا

رأس الحسين فبعث به [ابن] زياد إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس ، فدخل إلى يزيد وعنده
 يرسل به يزيد أبو بردة الأسلمي فوضع الرأس بين يديه ، فأقبل ينكت بالقضيب ويقول : -
 نَفْلَقُ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَحِبَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعْقًا وَأَظْلَمًا
 فقال له أبو بردة : ارفع قضيبك فطال والله ما رأيت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يضعفه على فمه يلثمه ، وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر
 ومحاربيه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة ، لم يحضرهم شامي ، وكان جميع من
 قتل آل الحسين قتل مع الحسين في يوم عاشوراء بكر بلاء سبعة وثمانين ، منهم ابنه علي بن
 الحسين الأكبر ، وكان يرتجز ويقول : -

أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ نَحْنُ وَبَيْتُ اللَّهِ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ
 تَاللَّهِ لَا يَحْكُمُ فِينَا ابْنُ الدَّعِيِّ

وقتل من ولد أخيه الحسن بن علي عبد الله بن الحسن ، والقاسم بن الحسن ،

وأبو بكر بن الحسن ، ومن إخوته العباس بن علي ، وعبد الله بن علي ، وجعفر بن علي ، وعثمان بن علي ، ومحمد بن علي ، وهو الأصغر ، ومن ولد جعفر بن أبي طالب محمد بن عبد الله بن جعفر ، وعون بن عبد الله بن جعفر ، ومن ولد عقيل بن أبي طالب عبد الله بن عقيل ، وعبد الله بن مسلم بن عقيل ، وذلك لعشر خلون من المحرم سنة أربع وستين

وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وقيل : ابن تسع وخمسين سنة ، وقيل غير ذلك

ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة ، وأربع وثلاثون ضربة ، ضرب زرعة بن شريك التميمي كفه اليسرى ، وطعنه سنان بن أنس النخعي ، ثم نزل فاحتز رأسه ، وفي ذلك يقول الشاعر : -

وَأَيُّ رَزِيَّةٍ عَدَلَتْ حُسَيْنًا عَدَاةَ تَبِينُهُ كَفَّاسِنَانِ ؟ !

وقتل معه من الأنصار أربعة ، وباقى من قتل معه من أصحابه — على ما قدمنا من العدة — من سائر العرب ، وفي ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى

بنى هاشم : —

عَيْنُ جُودِي بَعْبَرَةٌ وَعَوِيلُ	وَأَنْدَبِي إِنْ نَدَبْتَ آلَ الرَّسُولِ	مسلم بن قتيبة
وَابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ عَوْنًا أَخَاهُمُ	لَيْسَ فِيمَا يَنْتُوبُ بِالْمُخَدُّولِ	يرى الحسين
وَسَمِيُّ النَّبِيِّ غُودِرَ فَيَهُمُ	قَدْ عَاوَهُ بِصَارِمٍ مَصْقُولِ	ومن قتل معه
وَأَنْدَبِي كَهْلَهُمْ فَلَيْسَ إِذَا مَا	عُدَّ فِي الْخَيْرِ كَهْلَهُمْ كَالْكُهُولِ	
لَعَنَ اللَّهُ حَيْثُ كَانَ زِيَادًا	وَابْنَهُ وَالْعَجُوزَ ذَاتَ الْبُعُولِ	

وأمر عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين ، فانتدب لذلك إسحق بن حياة الحضرمي في نفر معه ، فوطئوه بخيلهم ، ودفن أهل العامرية — وهم قوم من بني عامر من بني أسد — الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم ، وكان عدة من قتل من أصحاب سعد في حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا

ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

الحسن ، والحسين ، ومحسن ، وأم كلثوم الكبرى ، وزينب الكبرى ؛
 أمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد وأمه خولة بنت
 إياس الحنفية ، وقيل ابنة جعفر بن قيس بن مسلة الحنفى ، وعبد الله وأبو بكر
 أمهما ليلي بنت مسعود النهشلى ، وعمرو ورقية أمهما تغلبية ، ويحيى وأمه أسماء
 بنت عميس الخثعمية ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن جعفر الطيار
 استشهد وخلف عليها عوناً ومحمداً وعبد الله ، وأن عقب جعفر منها من عبد الله بن
 جعفر ، وأن أبا بكر الصديق تزوجها بعده ، وخلف عليها محمداً ، ثم تزوجها علي
 فخلف عليها يحيى ، وأنها ابنة العجوز الحرسية التى كانت أكرم الناس أصهاراً ،
 وقد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب تسمية أصهار العجوز الحرسية ، وأن أولهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعفر والعباس وعبد الله أمهم أم البنين بنت
 حرام الوحيدية ، ورملة وأم الحسن أمهما أم سعد بنت عروة بن مسعود الثقفى ،
 وأم كلثوم الصغرى وزينب وحانة وميمونة وخديجة وفاطمة أم السكرام ونفيسة
 وأم سلمة وأم أبيها ، وقد أتينا على أنساب آل أبي طالب ومن أعقب منهم
 ومصارعهم وغير ذلك من أخبارهم فى كتابنا « أخبار الزمان »

والعقب على من خمسة : الحسن ، والحسين ، ومحمد ، وعمرو ، والعباس ، وقد
 استقصى أنسابهم وأتى على ذكر من لأعقب له منهم ومن له عقب وأنساب غيرهم
 من قریش بنى هاشم وغيرهم الزبير بن بكار فى كتابه فى « أنساب قریش »
 وأحسن من هذا الكتاب فى أنساب آل أبي طالب الكتاب الذى سمع من
 طاهر بن يحيى العلوى الحسينى بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد صنف فى
 أنساب آل أبي طالب كتب كثيرة : منها كتاب العباس من ولد العباس بن علي ،

وكتاب أبي على الجعفرى ، وكتاب المهلوى العلوى من ولد موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وفى قتيل الطّف يقول سليمان بن قبة يرثيه على ما ذكره الزبير بن بكار فى كتاب « أنساب قريش » من أبيات : —

فان قتيلَ الطّف من آل هاشم اذَلَّ رقاباً من قريش فَذَلَّتِ
فان يتبعوه عائد البيت يُصْبِحُوا كعاد تَعَمَّتْ عن هُداها فَضَلَّتِ
الم تر ان الأرض أَضَحَّتْ مريضةً بقتل حسين والبلاد اقشعرت
فلا يُبْعِدِ الله الديار وأهلها وإن أَصْبَحَتْ منهم برغمي تَخَلَّتْ

ذكر ملع من أخبار يزيد وسيره

ونوادر من بعض أفعاله

ولما أفضى الأمر إلى يزيد بن معاوية دخل منزله ، فلم يظهر للناس ثلاثاً ، فاجتمع ببابه أشراف العرب ووفود البلدان وأمراء الأجناد لتعزيته بأبيه ومهنته بالأمر ، فلما كان فى اليوم الرابع خرج أشعث أغبر فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن معاوية كان حبلاً من حبال الله مدّه الله ما شاء أن يمدّه ، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه ، وكان دون من قبله ، وخير من بعده ، إن يغفر الله له فهو أهله ، وإن يعذبه فبذنبه ، وقد وليت الأمر بعده ، ولست أعتذر من جهل ، ولا أشتغل بطلب علم ، فعلى رَسَلِكُمْ فان الله إذا أراد شيئاً كان ، اذكروا الله

واستغفروه ، ثم نزل ، ودخل منزله ، ثم أذن للناس ، فدخلوا عايشه لا يدرون تهنئة عصام بن أيمنشونه أم يعزونه ، فقام عصام بن أبى صيفى ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين أبو صيفى ليزيد ورحمة الله وبركاته ، أصبحت قد رزيت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ، ومنحت هبة الله ، قضى معاوية نَحْبَه ، فغفر الله له ذنبه ، وأعطيت بعده الرياسة والعرزاء

فاحتسب عند الله أعظم الرزية ، وأحمد على أفضل العطية ، فقال يزيد : ادن مني يا ابن أبي صيفى ؛ فدنا حتى جلس قريبا منه

عبد الله بن مازن
يمنى يزيد

ثم قام عبد الله بن مازن فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، رزيت خير الآباء ، وسميت خير الأسماء ، ومنحت أفضل الأشياء ، فهناك الله بالعطية ، وأعانك على الرعية ، فقد أصبحت قريش مفجوعة بعد ساستها ، مسرورة بما أحسن الله إليها من الخلافة بك ، والعقبى من بعده ، ثم أنشأ يقول : —
الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد : ادن مني يا ابن مازن ، فدنا حتى جلس قريبا منه

ثم قام عبد الله بن همام فقال : آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية ، وصبرك على المصيبة ، وبارك لك في العطية ، ومنحك محبة الرعية ، مضى معاوية لسبيله غفر الله له ، وأورده موارد السرور ، ووفقك لصالح السياسة ؛ أصبت بأعظم المصائب ، ومنحت أفضل الرغائب ، فاحتسب عند الله أعظم الرزية ، وأشكره على أفضل العطية ، وأحدث لخالقك حمدا ، والله يمتعنا بك ويحفظك ، ويحفظ بك وعليك ، وأنشأ يقول :

عبد الله بن همام
يمنى يزيد

اصبر يزيد قد فارقت ذامقة واشكر حباء الذي بالملك أصفا
أصبحت لارز في الأقوام نعلمه كما رزيت ولا عقبى كعقبا
أعطيت طاعة خلق الله كلهم وأنت ترعاهم والله يرعا
وفي معاوية الباقي لنا خلف إما نعت ولا نسمع بمعنا

فقال له يزيد : ادن مني يا ابن همام ، فدنا حتى جلس قريبا منه

ثم قام الناس يعزونه ويهنئونه بالخلافة ، فلما ارتفع عن مجلسه أمر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه ، ومحله في قومه ، وزاد في عطائهم ، ورفع مراتبهم ، وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » على ما كان من خبر يزيد وغيبته

في حال وفاة أبيه معاوية ، ومسيره من ناحية حمص حتى بلغه ما بأبيه من العلة ،
ووروده على ثنية الغقاب من أرض دمشق ، فأغنى ذلك عن إعادة الخبر في
هذا الكتاب

وذكر عدة من الأخباريين وأهل السير أن عبد الملك بن مروان دخل على
يزيد ، فقال : أَرِيضَةَ لَكَ إِلَى جَانِبِ أَرْضِ لِي ، وَلِي فِيهَا سَعَةٌ ، فَأَقْطَعْنِيهَا ،
فقال : يا عبد الملك ، إنه لا يتعاطى كبير ، ولا أخدع من صغير ، فأخبرني عنها
وإلا سألت غيرك ، فقال : ما بالحجاز أعظم منها قدرا ، قال : قد أقطعتك ، فشكره
عبد الملك ودعاه ، فلما ولي قال يزيد : إن الناس يزعمون أن هذا يصير خليفة ،
فإن صدقوا فقد صانعناه ، وإن كذبوا فقد وصلناه

وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على
الشراب ؛ وجلس ذات يوم على شرابه ، وعن يمينه ابن زياد ؛ وذلك بعد قتل
الحسين فأقبل على ساقيه فقال : —

اسْتَقْنِي شُرْبَةً تَرَوِي مُشَاشِي ثُمَّ صَلِّ قَاسِقِي مِثْلَهَا ابْنَ زِيَادٍ
صَاحِبَ السَّرِّ وَالْأَمَانَةِ عِنْدِي وَلِتَسْدِيدِ مَغْنَمِي وَجِهَادِي
ثُمَّ أَمْرَ الْمُغْنِينَ فَغَنُوا

وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق ، وفي أيامه ظهر
الغناء بمكة والمدينة ، واستعملت الملاحى ، وأظهر الناس شرب الشراب ، وكان
له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته ، ويطرح له متكأ ، وكان قردا
خبثا ، وكان يحمله على أتان وحشية قد ريست وذُلَّتْ لذلك بسرجه ولجام
ويسابق بها الخيل يوم الحَلَبَةِ ، فجاء في بعض الأيام سابقا ، فتناول القصة
ودخل الحجرة قبل الخيل ، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر
مشهر ، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق ، وعلى الأتان سرج

عبد الملك بن
مروان يستقطع
يزيد أرضا
بالحجاز

جلس يزيد
وابن زياد
يشربان

ظهرت الملاحى
بمكة والمدينة
في عهد يزيد

من الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع من الألوان فقال في ذلك بعض شعراء الشام
في ذلك اليوم : —

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان
ألا من رأى القرد الذي سبقت به جياذ أمير المؤمنين آتاف
وفي يزيد وتملكه وتجبره واثقياد الناس إلى ملكه يقول الأخوص : —
ملك تدين له الملوك مبارك كادت لهيبته الجبال تزول
تجبي له بلخ ودجلة كلها وله الفرات وما سقى والنيل
وقيل : إن الأخوص قال هذا في معاوية بعد وفاته يرثيه

ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكر بلاء وحمل رأسه ابن زياد إلى
يزيد خرجت بنت عقيل بن أبي طالب في نساء من قومها حواسر ، لما قد ورد
عليهن من قتال السادات ، وهى تقول : —

ماذا تقولون إن قال النبي لكم : ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم ؟
بعترقي وبأهلى بعد مقتدى نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بشر في ذوي رحمي
وفي فعل ابن زياد بالحسين يقول أبو الأسود الدؤلي من قصيدة : —

أقول وذاك من جزع ووجد أزال الله ملك بني زياد
وأبعدهم ؛ بما غدر وأو خانوا كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله ، وعمهم ظلمه ، وما ظهر من فسقه : من

خروج أهل
المدينة على يزيد
وطردهم لعامله
ولسائر بني أمية
قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره ، وما ظهر من شرب الخمر
وسيره سيرة فرعون ، بل كان فرعون أعدل منه في رعيته ، وأنصف منه لخاصته
وعامته ؛ أخرج أهل المدينة عامله عليهم — وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان —
ومروان بن الحكم وسائر بني أمية ، وذلك عند تنسك ابن الزبير وتأله ،

وإظهار الدعوة لنفسه ، وذلك في سنة ثلاث وستين ، وكان إخراجهم لما ذكرنا من
 بني أمية وعامل يزيد عن إذن ابن الزبير ، فاغتنمها مروان منهم ؛ إذ لم يقبضوا
 عليهم ويحملهم إلى ابن الزبير ، فحشوا السير نحو الشام ، ونمى فعل أهل المدينة
 بني أمية وعامل يزيد إلى يزيد ، فسير إليه الجيوش من أهل الشام عليهم مسلم
 ابن عقبة المرى الذي أخاف المدينة ونهبها ، وقتل أهلها ، وبايعه أهلها على أنهم
 عبيد ليزيد ، وسماها تننة ، وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة ، وقال :
 « من أخاف المدينة أخافه الله » فسمى مسلم هذا لعنه الله بمجرم ومسرف ، لما
 كان فعله ، ويقال : إن يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه أنشاء يقول : -
 أبلغ أبا بكر إذا الأمر أنبرى وأشرف القوم على وادى القرى
 أجمع السكران من قوم ترى

يريد بهذا القول عبد الله بن الزبير ، وكان عبد الله يكنى بأبي بكر ، وكان
 يسمى يزيد السكران الحخير ، وكتب إلى ابن الزبير

أدعو إلهك في السماء فأننى أدعو عليك رجال عكّ وأشعرا
 كيف النجاة أبا خبيب منهم فاحتل لنفسك قبل آتى العسكرا

ولما انتهى الجيش من المدينة إلى الموضع المعروف بالحرّة وعليهم مسرف
 خرج إلى حربه أهلها عليهم عبد الله بن مطيع العدوى وعبد الله بن حنظلة الغسيل
 الأنصارى ، وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم

وسائر قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس فمن قتل من آل أبي طالب اثنان :
 عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وجعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب ؛ ومن
 بني هاشم من غير آل أبي طالب الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن
 عبد المطلب ، وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، والعباس بن

عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب ، وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ،
ومثلهم من الأنصار ، وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء ، دون
من لم يعرف

وباع الناس على أنهم عبيد ليزيد ، ومن أبي ذلك أمره مُسْرِفٌ على
السيف ؛ غير على بن الحسين بن علي بن أبي طالب السجّاد ، وعلى بن عبد الله
ابن العباس بن عبد المطلب ، وفي وقعة الحرة يقول محمد بن أسلم : —

فَإِنْ تَقْتُلُونَا يَوْمَ حَرَّةٍ وَاقِمِ فَنَحْنُ عَلَى الْإِسْلَامِ أَوَّلُ مَنْ قَتَلَ
وَنَحْنُ تَرْكُنَا كَمْ بِيَدَرٍ أَذَلَّةً وَأَبْنَا بِأَسْيَافٍ لَنَا مِنْكُمْ تَقَلُّ

شأن علي بن
الحسين مع
مسلم بن عقبة

ونظر الناس إلى علي بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو ، فأتى به
إلى مُسْرِفٍ وهو مغتاض عليه ، فتهرباً منه ومن آباءه ، فلما رآه وقد أشرف عليه
ارتعد ، وقام له ، وأقعده إلى جانبه ، وقال له : سلى حوائجك ، فلم يسأله في أحد
ممن قدم إلى السيف إلا شفعه فيه ، ثم انصرف عنه ، فقيل لعلي : رأيناك تحرك
شفيتك ، فما الذي قلت ؟ قال : قلت : اللهم ربّ السموات السبع وما أظللن ،
والأرضين السبع وما أظللن ، ربّ العرش العظيم ، ربّ محمد وآله الطاهرين ،
أعوذ بك من شره ، وأدرك بك في نحره ، أسألك أن تؤتيني خيره ، وتكفيني
شره ، وقيل لمسلم : رأيناك تسبّ هذا الغلام وسأله ، فلما أتى به إليك رفعت
منزلته ، فقال : ما كان ذلك لرأى مني ، لقد ملئ قلبي منه رعباً

المعوذ
بشمع

وأما علي بن عبد الله فان أخواله من كندة منعوه منه ، وأناس من ربيعة
كانوا في جيشه ، فقال علي في ذلك : —

شأن علي بن
عبد الله بن
العباس

أَبَا الْعَبَّاسِ قَوْمٍ مِنْ لُؤَيٍّ وَأَخْوَالِي الْمُلُوكِ بَنُو وَلِيْعِهِ
هُمْ مَنَعُوا ذِمَّتِي يَوْمَ جَاءَتْ كِتَابُ مُسْرِفٍ وَبَنِي اللَّكِيْعِهِ
أَرَادَنِي إِلَى لَا عِزٍّ فِيهَا فَحَاكَتْ دُونَهُ أَيْدِي رِبِيْعِهِ

ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبي وغير ذلك

مما عنه أعرضنا من مُسْرِفٍ خرج عنها يريد مكة في جيوشه من أهل الشام ،
ليوقع بآبن الزبير وأهل مكة ، بأمر يزيد ، وذلك في سنة أربع وستين

سير مسلم بن
عمقة إلى مكة
وموته في
الطريق
فلما انتهى إلى الموضع المعروف بقديد مات مسرف لعنه الله ، واستخلف على
الجيش الحَصِين بن نُمَيْرٍ فسار الحصين حتى أتى مكة وأحاط بها ، وعاد ابن الزبير
بالبیت الحرام ، وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت ، وشهر بهذا حتى ذكرته
الشعراء في أشعارها ؛ من ذلك ما قدمنا من قول سليمان بن قبة : -

فان تُتَبِعُوهُ عائِذَ البیتِ تُصْبِحُوا كَعَادِ تَعَمَّتْ عَنْ هُدَاهَا فَضَلَّتْ

ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد
من الجبال والقجاج ، وابن الزبير في المسجد ، ومعه المختار بن أبي عبيد الثقفي :
داخلا في جلته ، منضافا إلى بيعته ، منقادا إلى إمامته ، على شرائط شرطها عليه
لا يخالف له رأيا ولا يعصى له أمرا ، فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على
البيت ، ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من
الحرقات ، وانهدمت الكعبة ، واحترقت البنية ، ووقعت صاعقة فأحرقت من
أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا ، وقيل أكثر من ذلك ، يوم السبت ثلاث
آخون من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوما
واشتد الأمر على أهل مكة وابن الزبير ، واتصل الأذى بالأحجار والنار والسيوف
ففى ذلك يقول أبو حرة المدينى : -

ابن نُمَيْرٍ بَسَّ مَا تَوَلَّى قَدْ أَحْرَقَ الْمَقَامَ وَالْمُصَلَّى

وليزيد وغيره أخبار عجيبة ، ومثالب كثيرة : من شرب الخمر ، وقتل ابن
الرسول ، ولعن الوصى ، وهدم البيت وإحراقه ، وسفك الدماء ، والفسق
والفجور ، وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه ، كوروده فيمن
جحد توحيده وخالف رسله ، وقد أتينا على الغرر من ذلك فيما سلف من كتبنا ،
والله ولى التوفيق

بعض مثالب
يزيد

ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم

والمختار بن أبي عبيد الله ، وعبد الله بن الزبير .

ولمع من أخبارهم وسيرهم ، وبعض ما كان في أيامهم .

قال المسعودي : وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه ، فكانت أيامه أربعين يوما إلى أن مات ، وقيل شهرين ، وقيل غير ذلك ، وكان يكنى بأبي يزيد ، وكني حين ولي الخلافة بأبي ليلي ، وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب ، وفيه يقول الشاعر : —

إِنِّي أَرَى فِتْنَةً هَاجَتْ مَرَّاجِلَهَا وَالْمَلِكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية فقالوا له : اعهد إلى من رأيت من أهل بيتك ، فقال : والله ما دقت حلاوة خلافتكم فكيف أتقصد وزرها ، وتنتحلون أنتم حلاوتها ، وأتعجل مرارتها ، اللهم إني بريء منها ، متمحل عنها ، اللهم إني لأجد نكرا كأهل الشورى فأجعلها إليهم ينصبون من يرونها أهلا لها ، فقالت له أمه : ليت أتي خرقه حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام ، فقال لها : وليتي يا أمه خرقه حيضة ولم أتقصد هذا الأمر ، أتقصد بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها ؟ كلا إني لبريء منها

معاوية بن
يزيد بأبي أن
يعهد بالخلافة
لأحد

وقد تنوزع في سبب وفاته : فمنهم من رأى أنه سقى شربة ، ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ، ومنهم من رأى أنه طعن ، وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، ودفن بدمشق ، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ؛ ليكون الأمر له من بعده ، فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة ، فقدم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان ، فقالوا : نبأ بعلك ؟ قال : على أن لا أحارب ولا أباشر قتالا ، فأبوا ذلك عليه ، فصار إلى مكة ، ودخل في جملة ابن الزبير

وفاة معاوية
ابن يزيد
والوليد بن
عتبة بن أبي
سفيان

وزال الأمر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها ، ولا يتشوف نحوها ،
ولا يرجي أحد منهم لها

أهل العراق
يباعون ابن
الزير

وباع أهل العراق عبد الله بن الزير ؛ فاستعمل على الكوفة عبد الله بن

مطيع العدوي

فقال المختار بن أبي عبيد الثقفي لابن الزير : إني لأعرف قوما لو أن لهم
رجلا له رفق وعلم بما يأتي لاستخرج لك منهم جندا تغلب بهم أهل الشام ، فقال :
من هم ؟ قال : شيعة بني هاشم بالكوفة ، قال : كن أنت ذلك الرجل ، فبعثه إلى
الكوفة ، فنزل ناحية منها ، وجعل يظهر البكاء على الطالبين وشيعتهم ، ويظهر
الحنين والجزع لهم ، ويحث على أخذ الثار لهم ، والمطالبة بدمائهم ، فمالت الشيعة
إليه ، وانضافوا إلى جملته ، وسار إلى قصر الامارة فأخرج مطيعا منه ، وغلب
على الكوفة ، وابتنى لنفسه دارا ، واتخذ بستانا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها
من بيت المال ، وفرق الأموال على الناس بها تفرقة واسعة ، وكتب إلى ابن
الزير يعلمه أنه إنما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها ، ويسوم
ابن الزير أن يحتسب له بما أنفقه من بيت المال ، فأبى ابن الزير ذلك عليه ؛
فخلع المختار طاعته ، وجحد بيعته ، وكتب المختار كتابا إلى علي بن الحسين
السجاد يريد به أن يباع له ، ويقول بامامته ، ويظهر دعوته ، وأنفذ إليه مالا
كثيرا ، فأبى علي أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه ، وسبّه على رؤوس الملاء
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأظهر كذبه وفجوره ، ودخوله على الناس
بأظهار الميل إلى آل أبي طالب ، فلما يئس المختار من علي بن الحسين كتب إلى
عمه محمد بن الحنفية يريد به على مثل ذلك ، فأشار عليه علي بن الحسين أن
لا يجيبه إلى شيء من ذلك ، فإن الذي يحمله على ذلك اجتذابه لقلوب الناس
بهم ، وتقربه إليهم بمحبتهم ، وباطنه يخالف لظاهره في الميل إليهم والتولى لهم
والبراءة من أعدائهم ، بل هو من أعدائهم لامن أوليائهم ، والواجب عليه أن

شأن المختار بن
أبي عبيد
الثقفي

أي عبد الله
مطيع

يشهر أمره ، ويظهر كذبه ، على حسب ما فعل هو وأظهر من القول في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك ، فقال له ابن العباس : لاتفعل ؛ فانك لاتدرى ما أنت عليه من ابن الزبير ، فأتاع ابن عباس ، وسكت عن عيب المختار

واشتد أمر المختار بالكوفة ، وكثر رجاله ، ومال الناس إليه ، وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديهم في أنفسهم وعقولهم ؛ فمنهم من يخاطبه بامامة محمد ابن الحنفية ، ومنهم من يرفعه عن هذا فيخاطبه بأن الملك يأتيه بالوحي ويخبره بالغيب ، وتتبع قتلة الحسين فقتلهم : قتل عمرو بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، وهو الذي تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه ، فزاد ميل أهل الكوفة إليه ومحبتهم له

وأظهر ابن الزبير الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة ، وقال : إنما بطنى شبر ، فما عسى أن تسع ذلك من الدنيا ، وأنا العائد بالبيت ، والمستجير بالرب ، وكثرت أذيتة لبني هاشم مع شحّه بالدنيا على سائر الناس ، ففي ذلك يقول أبو حرة مولى الزبير : —

عبد الله بن الزبير
يظهر الزهد
ويرجو الخلافة

إنّ الموالى أمست وهى عاتبة على الخليفة تشكو الجوع والحرباً

ماذا علينا وماذا كان يرزونا أى الملوك على ما حولنا غلبا

وفيه يقول بعد مفارقتها إياه : —

ما زال فى سورة الأعراف يقرؤها حتى فؤادى مثل الخرز فى اللين

لو كان بطنك شبراً قد شبعبت وقد أفضت فضلاً كبيراً للمساكين

إن امرأ كنت مولاه فضيعنى يرجو الفلاح لعمري حق مغبون

وفيه يقول أيضاً : —

فيا راكباً إمّا عرّضت فبلغن كبير بنى العوام إن قيل : من تعنى

تخبر من لاقيت أنك عائد وتكثر قتلاً بين زمزم والركن

وفيه يقول الضحاك بن فيروز الديلمي : -

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت إذا ما نلت شيئا قضمته كما قضمت نار الغضى حطب السدر
فلو كنت تجزى أو تبیت بنعمة قريبا لردتلك العطوف على عمرو

عبد الله بن
الزبير يقتل
أخاه عمرا

وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة
فسرح منها جيشا إلى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير أخوه ، وكان
عمرو منحرفا عن عبد الله ، فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه ، فظفر
به أخوه عبد الله ، فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا ، ولم يزل يضربه
بالسياط حتى مات

ابن الزبير
يحبس الحسن
ابن محمد بن
الحنفية
فيهرب منه

وحبس عبد الله بن الزبير الحسن بن محمد بن الحنفية في الحبس المعروف
بحبس غارم ، وهو حبس موحش مظلم وأراد قتله ، فعمل الحيلة حتى تخلص من
السجن ، وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية ،
فقال ذلك يقول كثير : -

تخبر من لاقيت أنك عائد بل العائد المظلوم في سجن غارم
ومن بر هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي نبي الله وابن وصيه فكلك أغلال وقاضى مغارم

إيذاء ابن الزبير
لبني هاشم

وقد كان ابن الزبير عمدا إلى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشعب ،
وجمع لهم حطبا عظيما لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد ، وفي القوم
محمد بن الحنفية

وحدث النوفلى على بن سليمان ، عن فضيل بن عبد الوهاب الكولى ، عن
أبي عمران الرازى ، عن قطن بن خليفة ، عن الدبال بن حرمة ، قال : كنت
فيمن استنفره أبو عبد الله الجدلى من الكوفة من قبل المختار ، فففرنا معه في
أربعة آلاف فارس ، فقال أبو عبد الله : هذه خيل عظيمة ، وأخاف أن يبلغ ابن

الزبير الخبر فيعجل على بنى هاشم ، فيأتى عليهم ، فانتدبوا معى ، فانتدبنا معه فى ثمانمائة فارس جريدة خيل ، فما شعر ابن الزبير إلا والرايات تخفق على رأسه ، قال : فجئنا إلى بنى هاشم ؛ فاذا هم فى الشعب ، فاستخرجناهم ، فقال لنا ابن الحنفية : لا تقتلوا إلا من قاتلكم ، فلما رأى ابن الزبير تنمر ناله وإقدامنا عليه ؛ لاذ بأستار الكعبة ، وقال : أنا عائد الله

وحدث النوفلى فى كتابه فى الأخبار ، عن ابن عائشة ، عن أبيه ، عن حماد ابن سلمة ، قال : كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بنى هاشم وحصره إياهم فى الشعب وجمعه الحطب لتعريقهم ، ويقول : إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا فى طاعته ، كما أرب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لاحتراقهم إذا هم أبوا البيعة فيما سلف ، وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا ، وقد أتينا على ذكره فى كتابنا فى مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب « حقائق الأذهان » وخطب ابن الزبير فقال : قد بايعنى الناس ، ولم يتخلف إلا هذا الغلام محمد ابن الحنفية ، والموعد بينى وبينه أن تغرب الشمس ، ثم أضرم داره عليه نارا ، فدخل ابن العباس لابن الحنفية فقال : يا ابن عم ، إني لا آمنه عليك فبايعه ، فقال : سيمنعه عنى حجاب قوى ، فجعل ابن عباس ينظر إلى الشمس ويفكر فى كلام ابن الحنفية ، وقد كادت الشمس أن تغرب ، فوافاهم أبو عبد الله الجدلبي فيما ذكرنا من الخيل ، وقالوا لابن الحنفية : ائذن لنا فيه ، فأبى ، وخرج إلى أيلة فأقام بها سنين ، ثم قتل ابن الزبير ، كذلك حدث عمر بن حبة التميمي ، عن عطاء بن مسلم ، فيما أخبرنا به أبو الحسن المهراني البصرى بمصر ، وأبو إسحق الجوهري بالبصرة ، وغيرهما ، وهؤلاء الذين وردوا إلى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية ، وهم القائلون بإمامة محمد بن الحنفية ، وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بإمامة محمد بن الحنفية : فمنهم من قطع بموته ، ومنهم من زعم أنه لم يمت وأنه حى فى جبال رَصَوَى ، وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضا ، وإنما سموا

بالكيسانية لإضافتهم إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وكان اسمه كيساني ، ويكنى
أبا عمرة ، أو هو غير المختار ، وقد أئينا على أقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من
فرق الشيعة وطوائف الأمة في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » وذكرنا
قول كل فريق منهم ، وما أيد به مذهبه ، وقول من ذكر منهم أن ابن الحنفية
دخل إلى شعب رضى فى جماعة من أصحابه فلم يعرف لهم خبر إلى هذه
الغاية ، وقد ذكر جماعة من الأخباريين أن كثيراً الشاعر كان كيسانياً ،
ويقول : إن محمد بن الحنفية هو المهدي الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً

كثير عزة
كيساني

وحكى الزبير بن بكار فى كتابه « أنساب قریش » فى أنساب آل
أبي طالب وأخبارهم منه قال : أخبرني عمير ، قال : قال كثير أبياتاً له يذكر
ابن الحنفية رضى الله عنه ، وأولها : —

هو المهدي خبرناه كعب
أقر الله عيني إذ دعاني
وأثني في هواي على خيرا
وفيه يقول أيضا كثير : —

أخو الأخبار في الحقب الخوالي
أمين الله يطف في السؤال
وساءل عن بني وكيف حاله
ولا إن الأئمة من قریش
على الثلاثة من بنيه
فسبط سبط إيمان وبر
وسبط لا تراه العين حتى
يغيب لا يرى فيهم زمانا

ولاة الحق أربعة سواء
هم الأسباط ليس بهم خفاء
وسبط غيبته كربلاء
يقود الخيل يتبعها اللواء
برضى غنده غسل وماء

السيد الحميري
كيساني

وفيه يقول السيد الحميري وكان كيسانياً :

ألا قل للوصي فذلك نفسي
أضرب بمعشر والوك منا
أطلت بذلك الجبل المقاماً
وسموك الخليفة والإماما

وعادَ وأفيك أهل الأرض طراً
وماذاق ابن خولة طعم موت
لقد أسمى بمردف شعب رضوى
وفيه يقول السيد أيضاً : -

يا شعب رضوى الملبى بك لا يرى
حتى متى؟ وإلى متى؟ وكى المدى؟
وبنا إليه من الصباية أولق
يا ابن الرسول وأنت حتى ترزق
والسيد فيه أشعار كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا .

وذكر على بن محمد بن سليمان النوفلى فى كتابه الأخبار مما سمعناه من
أبى العباس بن عمار ، قال : حدثنا جعفر بن محمد النوفلى ، قال : حدثنا إسماعيل
الساحر ، وكان راوية السيد الحيرى ، قال : مامات السيد إلا على قوله بالكيسانية ؛
وأنكر قوله فى القصيدة التى أولها :

* تَجَعَّفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ *

قال أبو الحسن على بن محمد النوفلى عقيب هذا الخبر : وليس شبه هذا شعر
السيد ، لأن السيد مع فصاحته وجزالة قوله لا يقول « تَجَعَّفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ »
وذكر عمر بن شبة النيرى ، عن مساور بن السائب ، أن ابن الزبير خطب
أربعين يوماً لا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا يمتنعى أن أصلى
عليه إلا أن تَشْمَخَ رجالُ بآنافها .

وذكر سعيد بن جبیر أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير فقال له
ابن الزبير : أنت الذى تؤنبنى وتبخلىنى ؟ قال ابن عباس : نعم سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول « ليس المسلم الذى يشبع ويجوع جاره » فقال ابن الزبير :
إني لأكتم بفضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة ، وجرى بينهم خطب طويل
فخرج ابن عباس من مكة خوفاً على نفسه ، فنزل الطائف ، فتوفى هنالك ، ذكر

عبد الله بن
العباس
وابن الزبير
x

هذا الخبر عمر بن شبة النيرى ، عن سويد بن سعيد ، يرفعه إلى سعيد بن جبير
فما حدثنا به المهراني بمصر ، والكلابي بالبصرة ، وغيرها ، عن عمر بن شبة

ابن الزبير
ومحمد بن
الحنفية

وحدث النوفلى فى كتابه فى الأخبار عن الوليد بن هشام الحزومى قال :
خطب ابن الزبير فنال من على ، فبلغ ذلك ابنه محمد بن الحنفية حتى وضع له
كرسى قدامه فعلاه ، وقال : يامعشر قرش ، شاهت الوجوه ، أينقص على وأنتم
حضور ؟ إن عليا كان سهما صادقا أحد مرامى الله على أعدائه يقتلهم لكفرهم
ويهوهم ما كلهم ، فتقل عليهم ، فرموه بصرفة الأباطيل ، وإنا معشر له على
نهج من أمره بنو الحسبة من الأنصار ، فإن تكن لنا الأيام دولة تنثر عظامهم
وتحسر عن أجسادهم ، والأبدان يومئذ بالية ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون
فعاد ابن الزبير إلى خطبته ، وقال : عذرت بنى القواطم يتكلمون ، فما بال بنى
الحنفية ؟ فقال محمد : يا ابن أم رومان ، ومالى لا أتكلم ؟ أليست فاطمة بنت محمد
حليمة أبى وأم إخوتى ؟ أليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدتى ؟ أليست
فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة أبى ؟ أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت
فى بنى أسد عظما إلا هشمته ، وإن نالتنى فيه المصائب صبرت .

ابن الزبير
وابن عباس
أيضا

حدثنا ابن عمار ، عن على بن محمد بن سليمان النوفلى ، قال : حدثنى ابن
عائشة والعتبي جميعا عن أبيهما ، وأفاضهما متقاربة ، قالا : خطب ابن الزبير
فقال : ما بال أقوام يفتنون فى المتعة ، وينقصون حوارى الرسول وأم المؤمنين
عائشة ، ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم ، يعرض بابن عباس ، فقال :
يا غلام ، اصمدنى صمده ، فقال : يا ابن الزبير

قد أنصف القارة من رامها إنا إذا ما فتنه نلقاها

ترد أولاهها على آخرها

أما قولك فى المتعة فسل أمك تحبرك ، فإن أول متعة سطع مجرها لجمهر سطع
بين أمك وأبيك ، يريد متعة الحج ، وأما قولك حوارى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقد لقيت أباك في الزحف وأنا مع إمام هدى ، فإن يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا ، وإن يكن على ما تقول فقد كفر بهر به عنا ، فانقطع ابن الزبير ، ودخل على أمه أسماء ، فأخبرها ، فقالت : صدق

قال المسعودي : وفي هذا الخبر زيادات من ذكر البردة والعوسجة ، وقد أتينا على الخبر بتمامه وما قاله الناس في متعة النساء ومتعة الحج ، وتنازعهم في ذلك ، وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه حرما عام خبير ولحوم الحرم الأهلية ، وما ذكر في حديث الربيع بن سبرة عن أبيه وقول عمر « كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تقدمت بالنهي لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا » وما روى عن جابر قال : تمتعنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلافة أبي بكر ، وصدر من خلافة عمر ، وغير ذلك من أقاويلهم في كتابنا المترجم بكتاب « الاستبصار »^(١) وفي كتاب « الصفوة » وفي كتابنا المترجم بالكتاب « الواجب في الفروض الوازم » وما قال الناس في غسل الرجلين ، ومسحهما ، والمسح على الخفين ، وطلاق السنة ، وطلاق العدة ، وطلاق التعدي وغير ذلك

وقد حدث النوفلي ، عن أبي عاصم ، عن ابن جريج ، قال : حدثني منصور ابن شيبه ، عن صفية بنت أبي عبيد ، عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدى أن يحل ، قالت : فأحللت ، فلبست ثيابي ، وتطييت ، وجئت حتى جلست إلى جنب الزبير ، فقال : قومي عني ، فقلت : ما تخاف ؟ أتخاف أن أبت عليك ؟ فهذا الذي أراد ابن عباس

وقد ذكر هذا الحديث عن أبي عاصم غير النوفلي ، وقد تنازع الناس في ذلك : فمنهم من رأى أنه عنى متعة النساء ، ومنهم من رأى أنه أراد متعة الحج ،

(١) وقع اسم هذا الكتاب فيما سبق « الاستبصار » بالنون

لأن الزبير تزوج أسماء بكراً في الإسلام ، وزوجه أبو بكر معلناً ، فكيف تكون
متعة النساء

ولما هلك يزيد ابن معاوية ووليها معاوية بن يزيد نعى ذلك إلى الحصين
ابن نمير ومن معه في الجيش من أهل الشام ، وهو على حرب ابن الزبير ، فها دنوا
ابن الزبير ، ونزلوا مكة ، فلقى الحصين عبد الله في المسجد ، فقال له : هل لك
يا ابن الزبير أن أحملك إلى الشام وأبيع لك بالخلافة ؟ فقال له عبد الله رافعاً صوته :
أبعد قتل أهل الحرّة ، لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام ،
فقال الحصين : من زعم يا ابن الزبير أنك داهية فهو أحق ، أملكك سرا وتكلمني
علانية ، أدعوك أن أستخلفك وترفع الحرب وترزعم أنك تقتاتلنا ، فستعلم أيننا
المقتول ، وانصرف أهل الشام إلى بلادهم مع الحصين ، فلما صاروا إلى المدينة
جعل أهلها يهتفون بهم ، ويتوعدونهم ، ويذكرون قتالهم بالحرّة ، فلما أكثروا
من ذلك وخافوا الفتنة وهيجها سعد روح بن زنباع الجذامي على منبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في ذلك الجيش ، فقال : يا أهل المدينة ، ما هذا
الإيعاد الذي توعدوننا ؟ إنا والله مادعونكم إلى كلب لمبايعة رجل منهم ، ولا إلى
رجل من بلقين ، ولا إلى رجل من لحم أو جذام ، ولا غيرهم من العرب ،
ولكن دعوناكم إلى هذا الحي من قريش ، يعني بنى أمية ، ثم إلى طاعة يزيد بن
معاوية ، وعلى طاعته قاتلناكم ، فأيانا توعدون ؟ أما والله إنا لأبناء الطعن والطاعون ،
وفضلات الموت والمنون ، فما شئتم ، ومضى القوم إلى الشام

وحمل إلى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التي كان بناها أبرهة الحبشي في
كنيسته التي اتخذها هنالك ، ومعها ثلاث أساطين من رخام فيها وثى منقوش ،
قد حشى النقش السندروس وأنواع الألوان من الأصباغ ، فمن رآه ظنه ذهباً ،
وشرع ابن الزبير في بناء الكعبة ، وشهد عنده سبعون شيخاً من قريش أن
قريشاً حين بنت الكعبة عجزت تفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة أذرع من
أساس إبراهيم الخليل الذي أسسه هو وإسماعيل عليهما السلام ، فبناه ابن الزبير

بناء ابن الزبير
للكعبة وهدم
الحجاج لها في
عهد عبد الملك

وزاد فيه الأذرع المذكورة ، وجعل فيه الفسيفساء والأساطين ، وجعل له بايين :
بابا يدخل منه ، وبابا يخرج منه ، فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج
عبد الله بن الزبير ، وكتب إلى عبد الملك يعلمه بما زاده ابن الزبير في البيت ،
فأمره عبد الملك بهدمه ، وردّه إلى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول
صلى الله عليه وسلم ، وأن يجعل له بابا واحدا ، ففعل الحجاج ذلك

واستوثق الأمر لابن الزبير ، وأخذت له البيعة بالشأم ، وخطب له على
سائر منابر الاسلام ، إلا منبر طهرية من بلاد الأردن ؛ فان حسان بن مالك بن
بحدل أبي أن يبايع لابن الزبير ، وأرادها لخالد بن يزيد بن معاوية ، وكان القيم
بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوي ، ففي ذلك يقول قضاة
الأسدی ، وكان بايع لابن الزبير ثم نكث : -

دعا ابن مطيع للبياع فجئته إلى بيعة قلبي لها غير آلف
فناولني حسناء لما لستها بكفى كئست من أكف الخلائف

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير
فخطب الناس ، وأعلمهم بموتها ، وأن الأمر شورى لم ينصب له أحد ، وقال :
لأرض اليوم أوسع من أرضكم ، ولا عدد أكثر من عددكم ، ولا مال أكثر
من مالكم ؛ في بيت مالكم مائة ألف ألف درهم ، عطاء مقاتلكم ستون ألفا ،
وعطاؤهم وعطاء العيال ستون ألف ألف درهم ، فانظروا رجلا ترضونه يقوم بأمركم ،
ويجاهد عدوكم ، وينصف مظلومكم من ظالمكم ، ويوزع بينكم أموالكم ،
فقام إليه أشرف أهلها - ومنهم الأحنف بن قيس التميمي ، وقيس بن الهيثم
السلمي ، ومسمع بن مالك العبدي - فقالوا : ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الأمير ،
وأنت أحق من قام على أمرنا حتى تجتمع الناس على خليفة ، فقال : أما واستعملكم
غيري لسمعت وأطعت .

عبيد الله بن زياد
يعلم أهل
الكوفة بموت
يزيد وابنه
معاوية

وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعي عاملا لعبيد الله بن زياد ،

فكتب إليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ، ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة ، فقام يزيد بن رويم الشيباني فقال : الحمد لله الذي أطلق أيماننا ، لاحتاجة لنا في بني أمية ، ولا في إمارة ابن مرجانة ، وهي أم عبيد الله ، وأم أبيه زياد سمية على ما ذكرنا آتفا ، إنما البيعة لأهل الحجاز - يعني أهل الحجاز - فخلع أهل الكوفة ولاية بني أمية وإمارة ابن زياد ، وأرادوا أن ينصبوا لهم أميراً إلى أن ينظروا في أمرهم ، فقال جماعة : عمرو بن سعد بن أبي وقاص يصلح لها ، فلما هموا بتأميمه أقبل نساء من همدان وغيرهم من نساء كهلان والأنصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات با كيات معولات يندبن الحسين ويقلن : أما رضى عمرو بن سعد بقتل الحسين حتى أراد أن يكون أميراً علينا على الكوفة ، فبكى الناس ، وأعرضوا عن عمرو ، وكان المبرزون في ذلك نساء همدان وقد كان على عليه السلام مائلاً إلى همدان مؤثراً لهم ، وهو القائل : —

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال : * عَبَيْتُ هَمْدَانَ وَعَبَوُا حَمِيرًا *

ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشام إلا ناس كانوا بغوطة دمشق بقرية تعرف بعين برما ، ما فيها منهم قوم إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ إليهم عبد الله بن مطيع العدوى على ما قدمنا آتفا ، فتولى أمرهم حتى وجه المختار في أثره .

ونظر مروان ابن الحكم إطباق الناس على مبايعة ابن الزبير وإجابتهم له فأراد أن يلحق به وينضاف إلى جملته ؛ فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشام ، وقال له : إنك شيخ بني عبد مناف فلا تعجل ، فصار مروان إلى الجابية من أرض الجولان بين دمشق والأردن ، واستمال الضحاك بن قيس القهري الناس ، ورأسهم ، وانحاز عن مروان ، وأراد دمشق ، فسبقه إليها الأشدق عمرو

مروان بن الحكم
باليعة لابن
الزبير فيمنعه
عبيد الله
ابن زياد

ابن سعيد بن العاص ؛ فدخلها ، وصار الضحاك إلى حوران والبثنة ، وأظهر الدعوة لابن الزبير ، والتقى الأشدق ومروان ، فقال الأشدق لمروان : هل لك فيما أقوله لك فهو خير لي ولك ؟ قال مروان : وما هو ؟ قال : أدعو الناس إليك وأخذها لك على أن تكون لي من بعدك ، فقال مروان : لا ، بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية ، فرضى الأشدق بذلك . ودعا الناس إلىبيعة مروان ، فأجابوا ، ومضى الأشدق إلى حسان بن مالك بالأردن فأرغبه فيبيعة مروان ، فجنح لها

البيعة لمروان

وبويع مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ويكنى أبا عبد الملك ، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان ، وذلك بالأردن وكان أول من بايعه أهلها ، وتمت بيعته

وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرها على ما قيل بغير رضا من عصابة من الناس بل كل خوفه إلا عددا يسيرا حملوه على وثوبه عليها ، وقد كان غيره ممن سلف أخذها بعدد وأعوان ، إلا مروان فانه أخذها على ما وصفنا

مروان يبايع من بعده لخالد ابن يزيد

وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ، ولهمرو بن سعيد الأشدق بعد خالد ، وكان مروان يلقب بخيط باطل ، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم : -
لخا الله قوما أمروا خيطَ باطل على الناس يعطى ما يشاء ويمنع واشترط حسان بن مالك - وكان رئيس قحطان وسيدها بالشام - على

اشترط أهل الشام على مروان

مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية بن يزيد : منها أن يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين ، وإن مات ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى أن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأى منهم ومشورة ؛ فرضى مروان بذلك ، واتقاد إليه ، وقال له مالك بن هبيرة اليشكري : إنه ليست لك في أعناقنا بيعة ، وليس تقاتل عن عرض دنيا ، فان

تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك ، وإن تكن الأخرى فوالله ما قرش عندنا إلا سواء ، فأجابه مروان إلى ما سأل

وسار مروان نحو الضحاك بن قيس القهري ، وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار إلى الضحاك ، ومعه أناس من قضاة عليهم وائل بن عمر العدوي ، وكانت معه راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيه ، وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير ، والتقى مروان والضحاك ومن معهم بمرج راهط على أميال من دمشق ؛ فكانت بينهم الحروب سجالا ، وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان فقتل الضحاك بن قيس رئيس جيش ابن الزبير ، قتله رجل من تيم اللات وقتل معه نزار وأكثرهم من قيس مقتلة عظيمة لم ير مثلاً قط ، وفي ذلك يقول مروان بن الحكم : —

لما رأيت الناس صاروا حزبا والمال لا يؤخذ إلا غصبا
دعوت غسانا لهم وكلبنا والسكسكيين رجلا غلبا
والقين تمشى في الحديد نكبا والأعوجيات يثبن وثبا
يحملن سروات وديننا صلبا

وفي ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم : —

أرى أحاديث أهل الجحد قد بلغت أهل الفرات وأهل الفيض والنيل
وكان زفر بن الحرث العامري ثم الكلابي مع الضحاك ، فلما أمعن السيف في قومه ولى ومعه رجالان من بني سليم فقص فرساها وغشيتها اليمانية من خيل مروان ، فقال له : انج بنفسك فانا مقتولان ، فولى راكضا ، ولحق الرجلان فقتلا ، وفي هذا اليوم يقول زفر بن الحرث الكلابي من أبيات كثيرة : —

لعمري لقد أبقت وقية راهط لمروان صدعا بيننا متناثيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كاهيا

أرئني سلاحى لا أبالك إننى
أتذهب كلبٌ لم تنلها رماحنا
فلم يرمنى نبوة بعد هذه
عشية أغدو فى الفريقين لا أرى
أينذهب يوم واحد إن أسأته
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا
أرى الحرب لا تزداد إلا تماذا
وتترك قتلى راعط هى ماهيا
فرارى وتركى صاحبي ورائيا
من القوم إلا من على ولايا
بصالح أيامى وحسن بلايا
ومقتل همهم أمتى الأمانيا

النعمان بن
بشير

وتلاحق الناس ممن حضر الواقعة من أجنادهم بأرض الشام ، وكان النعمان
ابن بشير واليا على حمص قد خطب لابن الزبير ممائلا للضحاك ، فلما بلغه قتله
وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا ، فسار ليلته جمعا متحيرا لا يدرى أن
يأخذ ، فأتبعه خالد بن عدى الكلاعى فيمن خف معه من أهل حمص ، فلحقه
وقتله ، وبعث برأسه إلى مروان ، وانتهى زفر بن الحرث الكلابى فى هزيمته
إلى قرقيسيا ، فغلب عليها ، واستقام الشام لمروان ، وبث فيه رجاله وعماله

مسير مروان
إلى مصر

وسار مروان فى جنوده من الشام إلى أهل مصر ؛ فحاصرها وخندق عليها
خندق مما يلي المقبرة ، وكانوا زبيرية : عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن
جحدم ، وسيد القسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشدين كريب بن أبرهة بن الصباح
فكان بينهم وبين مروان قتال يسير ، وتوافقوا على الصلح ، وقتل مروان أكدر
ابن الحمام صبرا ، وكان فارس مصر ، فقال أبو رشدين لمروان : إن شئت والله
أعدناها جذعة ، يعنى يوم الدار بالمدينة ، فقال مروان : ما أشاء من ذلك شيئا ،
وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز .

بيعة مروان
لابنائه

وقدم مروان الشام فنزل الصبرة على مياين من طبرية من بلاد الأردن ،
فأحضر حسان بن مالك ، وأرغبه وأرهبه ، فقام حسان فى الناس خطيبا ، ودعاهم
إلى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان ، وبيعة عبد العزيز بن مروان بعد
عبد الملك ، فلم يخالفه فى ذلك أحد .

وهلك مروان بدمشق في هذه السنة ، وهى سنة خمس وستين ، وقد تنازع أهل التواريخ وأصحاب السير ومن عني بأخبارهم في سبب وفاته : فمنهم من رأى أنه مات مطعونا ، ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ، ومنهم من رأى أن فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة أم خالد بن يزيد بن معاوية هى التى قتلتها ، وذلك أن مروان - حين أخذ البيعة لنفسه وخالد بن يزيد بعده وعمرو بن سعيد بن خالد ، ثم بدا له غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز بعد عبد الملك ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له ، فغضب من ذلك وقال : أتكلمنى يا ابن الرطبة ؟ وكان مروان قد تزوج بأمه فاختة ليذله بذلك ويضع منه ، فدخل خالد على أمه فقبسح لها تزوجها بمروان ، وشكا إليها ما نزل به منه ، فقالت : لا يعيبك بعدها ؛ فمنهم من رأى أنها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريتها حتى مات ، ومنهم من رأى أنها أعدت له لبنا مسموما فلما دخل عليها ناولته إياه فشرب فلما استقر في جوفه وقع يجمود بنفسه وأمسك لسانه ، فخره عبد الملك وغيره من ولده ، فجعل مروان يشير إلى أم خالد يخبرهم أنها قتلتها ، وأم خالد تقول : بأبى أنت ، حتى عند النزع لم تشتغل عني ، إنه يوصيكم بى ، حتى هلك ، فكانت أيامه تسعة أشهر وأياما قلائل ، وقيل : ثمانية أشهر ، وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا للمدة التى هلكت فيها بنو أمية من الأعوام ، فيما يرد من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقد ذكر غير ذلك في سنه ، أولاد مروان وكان قصيرا أحمر ، ومولده لستين خلتا من الهجرة ، وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر ، وقد ذكر ابن أبي خيثمة في كتابه في التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم توفى ومروان له ثمان سنين ، وكان لمروان عشرون أخا وثمانى أخوات ، وله من الولد أحد عشر ذكرا وثلاث بنات ، وهم : عبد الملك ، وعبد العزيز ، وعبد الله ، وأبان ، وداد ، وعمرو ، وأم عمرو ، وعبد الرحمن ، وأم عثمان ،

موت مروان

ابن الحكم

وعمره ، وأم عمرو ^(١) ، وبشر ، ومحمد ، ومعاوية ، وقد ذكرناه هؤلاء ومن أعقب منهم ومن لم يعقب .

أولاد يزيد
ابن معاوية

وقد كان يزيد بن معاوية خلف من الولد أكثر مما خلف مروان ، وذلك أنه خلف معاوية ، وخالدا ، وعبد الله الأكبر ، وأبا سفيان ، وعبد الله الأصغر ، وعمر ، وعاتكة ، وعبد الرحمن ، وعبد الله الذي لقبه الأصغر ، وعثمان ، وعتبة الأور ، وأبا بكر ، ومحمدا ، ويزيد ، وأم يزيد ، وأم عبد الرحمن ، ورملة ، وصفية .

ذكر أيام عبد الملك بن مروان

وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الأحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ثم بعث الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن الزبير ومن معه من الناس بمكة ، فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر ماضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال ، وسندكر مدة ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا لجامع ملك بن أمية ، ثم هاجت فتنة ابن الأشعث في شعبان من سنة اثنتين وثمانين ، ثم توفي عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لأربع عشرة مضت من شوال سنة ست وثمانين ، وكانت ولايته من منذ بويع إلى أن توفي إحدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا ، وبقي بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال ، وسندكر ما فعله من وقت استقامته من استقامته من الناس ، وقبض وهو ابن ست وستين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وكان يحب الشعر والفخر والتعريض والمدح ، وكان عماله على مثل مذهبه ، فالحجاج بالعراق ، والمهلب بخراسان ، وهشام بن إسماعيل بالمدينة ، وغيرهم بغيرها ، وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء ، وسندكر في هذا الكتاب جوامع من ذكره فيما يلي هذا الباب

مجل تاريخه

ذكر جمل من أفعاله وسيره

ولم يعل ماما كان فى أيامه ، ونوادر من أخباره

ولما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان تأقت نفسه إلى محادثة الرجال والأشراف فى أخبار الناس ، فلم يجد من يصلح لمناذمته غير الشعبي ، فلما حمل إليه وناداه قال له : يا شعبي ، لا تساعدنى على ما قبح ، ولا ترد على الخطأ فى مجلسى ، ولا تكلفنى جواب التشميت والتهنئة ، ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى ، وكلنى بقدر ما أستطعمك ، واجعل بدل المدح لى صواب الاستماع منى ، واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول ، وإذا سمعتنى أتحدث فلا يفوتك منه شىء ، وأرنى فهمك من طرفك وسمعك ، ولا تبجد نفسك فى نظرية صوابى ، ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى ، فإن أسوأ الناس حالا من استكد الملوك بالباطل ، وإن أسوأ الناس حالا منهم من استخف بمحتهم ، واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان ، ويسقط حق الحرمة ؛ فإن الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه ، وعند إصابته وفرصته

وقال عبد الملك للشعبي يوما : من أين يهب الريح ؟ قال : لأعلم لى يأمر المؤمنين ، قال عبد الملك : أما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش ، وأما مهب الصبا فمن مطلع الشمس إلى مطلع سهيل ، وأما الجنوب فمن مطلع سهيل إلى مغرب الشمس ، وأما الدبور فمن مغرب الشمس إلى مطلع بنات نعش

وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة ، وتلاقوا بالتلاوم والتنادم ثورة للشيعة حين قتل الحسين فلم يغثوه ، ورأوا أنهم قد أخطؤا خطأ كبيرا ؛ بدعاء الحسين بإمامه ولم يجيبوه ، ولما قتلته إلى جانبهم فلم ينصروه ، ورأوا أنهم لا يغسل عنهم ذلك

الجرم إلا قتل من قتله أو القتل فيه ، ففرزوا إلى خمسة نفر منهم : سليمان بن صرد ، الخزاعي ، والمسيب بن محمد الفزاري ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي ، وعبد الله بن وال النيمي ، ورفاعه بن شداد البجلي ؛ فمكروا بالنخيلة ، بعد أن كان لهم مع المختار بن عبيد الثقفي خطب طويل بتبسيطه الناس عنهم ممن أراد الخروج معهم ، ففي ذلك يقول عبد الله بن الأحرر يحرض على الخروج والقتال من أبيات : —

صحوت وقد أصحوا الصبي والعواديا وقلت لأصحابي : أجيئوا المناديا
وقولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى وقبل الدعا : لبيك لبيك داعياً
في شعر طويل يحث فيه على الخروج ، ويرثي الحسين ومن قتل معه ،
ويلوم شيعته بتخلفهم عنه ، ويذكر أنهم قد تابوا إلى الله وتابوا إليه من الكبائر
التي ارتكبوها إذ لم ينصروه ، ويقول أيضاً في هذا الشعر : —

ألا وانع خير الناس جدًّا ووالدا حُسَيْنًا لأهل الدين إن كنت ناعياً
لِيَبْكِ حُسَيْنًا مَرْمِلٌ ذُو خَصَاصَةٍ عديم إماماً [قد] تشكى المواليا
فأضحى حسين للرماح دريئة وغودر مسلوباً لدى الطّف ثاويًا
فياليتني إذ ذاك كنت شهادته فضاربت عنه الشائنين الأعاديا
سقى الله قبراً ضُمنَ المجدِّ والتقى بغريبة الطّف الغمامَ الغواديا
فيا أمة تاهت وضلت سفاهةً أنيئوا فأرضوا الواحدَ المتعالياً

ثم ساروا يقدّمهم من سمّينا من الرؤساء وعبد الله بن الأحرر يقول : —

خَرَجْنَ يَلْعَنُ بَنَا أَرْسَالَا عَوَابِسًا تَحْمِلُنَا أَبْطَالَا
تريد أن نلقى بها الأقبالا القاسطين الغدر الضلالا
وقد رفضنا الولدَ والأموالا والخفّرات البيض والحجالا

* نُرْضَى بِهِ ذَا النِّعَمِ الْمَفْضَالَا *

فاتهوا إلى قرقيسياء من شاطئ الفرات وبها زُفر بن الحارث الكلابي ،

فأخرج إليهم الأنزال ، وساروا من قرقيساء ليسبقوا إلى عين الوردة ، وقد كان عبد الله بن زياد توجه من الشام إلى حربهم في ثلاثين ألفا ، وانفصل على مقدمته من الرقة خمسة أمراء ، منهم الحصين بن نمير السلولى ، وشراحيل بن ذى الكلاع الحميرى ، وأدهم بن محرز الباهلى ، وربيعة بن الحارق الغنوى ، وجبله بن عبد الله الخثعمى ، حتى إذا صاروا إلى عين الوردة التقى الأقسام ، وقد كان قبل ذلك لهم مناوشات فى الطلائع ، فاستشهد سليمان ابن صرد الخزاعى ، بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة ، وأبلى وحش وحرص ، ورماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله ، فأخذ الراية المسيب بن محمد الفزارى ، وكان من وجوه أصحاب على رضى الله عنه ، وكر على القوم وهو يقول : -

قد علمت ميالة الذوائب واضحة اللبآت والترائب
أنى غداة الروع والمقائب ^(١) أشجع من ذى لبدة مؤائب

فقاتل حتى قتل ، فاستقتل الترابيون ، وكسروا أجفان السيوف ، وسالت عليهم عساكر أهل الشام كالليل ينادون الجنة الجنة إلى التقية من أصحاب أبى تراب الجنة الجنة إلى الترابية ، وأخذ راية الترابيين عبد الله بن سعيد بن نقييل ، وأتاهم إخوانهم يحشون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن فى نحو من خمسمائة فارس عليهم المتقى بن محرصه وسعيد بن حذيفة ، وهم يقولون : أقلنا ربنا تقريطنا فقد تبنا ، فقتل لعبد الله بن سعيد بن نقييل وهو فى القتال : إن إخواننا قد لحقوا من البصرة والمدائن ، فقال : ذلك لو جاؤا ونحن أحياء ، فكان أول من استشهد فى ذلك الوقت ممن لحقهم من أهل المدائن كثير ابن عمرو المدنى ، وطعن سعيد بن سعيد الحنفى ، وعبد الله بن الخطل الطائى ، وقتل عبد الله بن سعيد بن نقييل

فلما علم من بقى من الترابيين أن لا طاقة لهم بمن بازائهم من أهل الشام انحازوا عنهم ، وارتحلوا وعليهم رفاعة بن شداد البجلي ، وتأخر أبو الحويرث

(١) فى الطبرى وابن كثير « أنى غداة الروع والتغالب »

العبدى فى جابية الناس ، وطلب منهم أهل الشام المسكافة والمتاركة لما رأوا من بأسهم وصبرهم مع قلتهم ، فلحق أهل الكوفة بمصرهم ، وأهل المدائن والبصرة ببلادهم ، وسمع الترابيون فى سيرهم ورجوعهم من عين الوردة قائلاً يقول رافعاً عقيرته : —

يا عين بكى ابن الصرد بكى إذا الليلُ خمدُ
كان إذا البأسُ مكد تخاله فيه أسد
مضى حميداً قد رشدُ فى طاعة الأعلى الصمد

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من أصحاب التواريخ والسير من قتل من الترابيين مع سليمان بن صرد الخزاعى على عين الوردة وأسماءهم قتلهم ، وحكى أبو مخنف فى كتابه فى أخبار الترابيين المترجم بعين الوردة قصيدة عزاهما إلى أعشى همدان طويلة يرثى بها أهل عين وردة من الترابيين ، ويصف ما فعلوه ، منها : —

تَوَجَّهَ مِنْ دُونِ الثَّوِيَّةِ سَائِراً إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فِي الْجُمُوعِ الْكَتَائِبِ
فَسَارُواوَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْتَمِسِ النَّقِى وَآخِرُ مَا جَرَّ بِالْأَمْسِ تَائِبِ
فَلَاقَوْا بَعِينَ الْوَرْدَةِ الْجَدِشَ نَاصِلاً عَلَيْهِمْ فَحَيَّوْهُمْ بِلَيْضِ قَوَاضِبِ
فَجَاءَهُمْ جَمْعٌ مِنَ الشَّامِ بَعْدَهُ جُمُوعٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَمَا بَرُّحُوا حَتَّى أُثِيرَتْ جُمُوعُهُمْ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ مِمَّ غَيْرُ عَصَائِبِ
وَعُودَرُ أَهْلِ الصَّبْرِ صَرَعَى فَأَصْبَحُوا تَعَاوَرُهُمْ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
وَأَضْحَى الْخَزَاعِيُّ الرَّئِيسُ مُجَدَّلاً كَانَ لَمْ يِقَاتِلْ مَرَّةً وَيَحَارِبِ
وَرَأْسُ بَنِي سَمَخٍ وَفَارَسٍ قَوْمَهُ جَمِيعاً مَعَ التَّيْمِيِّ هَادِي الْكَتَائِبِ
وَعَمْرُو بْنُ عَمْرٍو وَابْنُ بَشْرِ وَخَالِدُ وَبَكْرُ وَزَيْدُ وَالْحَلِيسُ بْنُ غَالِبِ
أَبَوْا غَيْرَ ضَرْبِ يَفْلِقِ الْهَامَ ضَرْبُهُ وَطَعْنَ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ صَائِبِ
فِي خَيْرِ جَيْشٍ لِلْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ سَقِيمٌ رَوَايَا كُلِّ أَسْحَمٍ سَاكِبِ

المعنى

فلا تَبْعَدَنَّ فُرْسَانُنَا وَحِمَاتُنَا إِذَا الْبَيْضُ أَبْدَتْ عَنْ خَدَامِ الْكُوعَابِ
فَان تَقْتُلُوا فَالْقَتْلُ أَكْرَمُ مِيتَةٍ وَكُلُّ فَتًى يَوْمًا لِإِحْدَى النُّوَابِ
وَمَا قَتَلُوا حَتَّى أَصَابُوا عَصَابَةَ مُحَلِّينَ نُورًا كَالْبُيُوتِ الضُّوَارِبِ
وقيل : إن وقعة الوردة كانت في سنة ست وستين .

وفاة
الحارث
الأعور

وفي أيام عبد الملك بن مروان توفي الحارث الأعور صاحب على عليه السلام
وهو الذي دخل على علي قتال : يأمر المؤمنين ، ألا ترى إلى الناس قد أقبلوا على
هذه الأحاديث وتركوا كتاب الله ؟ قال : وقد فعلوها ؟ قال : نعم ، قال : أما إنني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ستكون فتنة » قلت : فما المخرج منها
يا رسول الله ؟ قال « كتاب الله : فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم
ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن أراد
الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، وهو الذکر الحَكِيم والصراط
المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ عنه العقول ، ولا تلبس به الألسن ، ولا تنقض
عجائبه ، ولا يعلم علم مثله ، هو الذي لما سمعته الجن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي
إلى الرشاد ، من قال به صدق ، ومن زال عنه عدا ، ومن عمل به أجر ، ومن
تمسك به هدى إلى صراط مستقيم » خذها إليك يا أعور .

مقتل عبيد
الله بن زياد

ولما كان من وقعة عين الوردة ما قدمنا سار عبيد الله بن زياد في عساكر
الشام يؤم العراق ، فلما انتهى إلى الموصل - وذلك في سنة ست وستين - التقى
هو وإبراهيم بن الأشتر النخعي ، وإبراهيم على خيل العراق من قبل الاختار
بالخازر^(١) ، فكانت بينهم وقعة عظيمة قُتل فيها ابن مرجانة عبيد الله بن زياد ،
والحصين بن نمير ، وشرحبيل بن ذي الكلاع ، وابن حوشب ذي ظلم ، وعبدالله
ابن إياس السلمي أبو سدس ، وغالب الباهلي ، وأشرف أهل الشام ، وذلك أن
عمير بن الحباب السلمي كان على ميمنة ابن زياد في ذلك الجيش ، وكان في نفسه
ما فعل بقومه من مضر وغيرهم من زرار يوم مرج راهط ؛ فصاح : يا لثارات قيس
(١) هكذا وقع في تاريخ الطبري (٧ : ١٤٢) وفي الأصل « بالجارد » وهو تصحيف

يا لمضر ، يا نزار ، فزاحمت نزار من مضر وربيعة على من كان معهم في جيشهم من أهل الشام من قحطان ، وقد كان عمير كاتب إبراهيم بن الأشتر سرّاً قبل ذلك ، والتقى ، فتواطأ على ما ذكرنا ، وحمل إبراهيم بن الأشتر رأس ابن زياد وغيره إلى المختار ، فبعث به المختار إلى عبد الله بن الزبير بمكة .

رباطة جاش
عبد الملك

وقد كان عبد الملك بن مروان سار في جيوش أهل الشام فنزل بطنان ينتظر ما يكون من ابن زياد ، فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه وهزيمة الجيش بالليل ، وأتاه في تلك الليلة مقتل جيش ابن دلجة ، وكان على جيش بالمدينة لحرب ابن الزبير ، ثم جاء خبره دخول بابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مصعب بن الزبير من المدينة إلى فلسطين ، ثم جاءه مسير ملك الروم لاوى بن فلقط ونزوله المصيصة يريد الشام ، ثم جاءه خبر دمشق وأن عبيد هاو أو باشها ودعاه فقد خرجوا على أهلها ، ونزلوا الجبل ، ثم أتاه أن من في السجن بدمشق فتحوا السجن وخرجوا منه مكابرة ، وأن خيل الأعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع ، وغير ذلك مما نعى إليه من المنفعات في تلك الليلة ، فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها أشد ضحكاً ، ولا أحسن وجهاً ، ولا أبسط لبناً ، ولا أثبت جناحاً منه تلك الليلة ، تجلداً وسياسة للملوك ، فترك إظهار الفشل ، وبعث بأموال وهدايا إلى ملك الروم ، فشغله وهادنه ، وسار إلى فلسطين وبها بابل بن قيس على جيش ابن الزبير ، فالتقوا بأجنادين ، فقتل بابل بن قيس وعامة أصحابه ، وانهزم الباقون ، ونمى خبر قتله وهزيمة الجيش إلى مصعب بن الزبير وهو في الطريق ، فولى راجعاً إلى المدينة ، ففي ذلك يقول رجل من كلب من الروانية :-

X

قتلنا بأجنادين سعداً وبابلاً قصاصاً بما لاقى خنيساً ومنذر

ورجع عبد الملك إلى دمشق فنزلها ، وسار إبراهيم بن الأشتر فنزل نصيبين ، وتحصن منه أهل الجزيرة ، ثم استخف على نصيبين ، ولحق بالمختار بالكوفة وفي سنة سبع وستين سار مصعب بن الزبير من البصرة ، وقد كان أخوه

عبد الله بن الزبير أنقذه إلى العراق واليا ، فنزل حروراء ، والتقى هو والمختار فكانت بينهم حروب عظيمة ، وقتل زريع ، وانهمزم المختار ، وقد قتل محمد بن الأشعث وابنان له ، ودخل قصر الامارة بالكوفة وتحصن فيه ، وكان يخرج كل يوم لمحاربة مصعب وأصحابه وأهل الكوفة وغيرهم ، والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سُموا الحسينية من الكيسانية وغيرهم ، فخرج إليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء ، فحمل عليه رجل من بني حنيفة يقال له عبد الرحمن ابن أسد ، فقتله واحتز رأسه ، وتنادوا بقتله ، فقطعه أهل الكوفة وأصحاب مصعب أعضاء ، وأبى مصعب أن يعطى الأمان لمن بقى فى القصر من أصحابه ، فحاربوا إلى أن أضرَّ بهم الجهد ، ثم أمنهم وقتلهم بعد ذلك ، فكان ممن قتل مع مصعب عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وله خبر مع المختار فى تخلصه منه ومضيه إلى البصرة وخوفه على نفسه من مصعب إلى أن خرج معه فى جيشه ، وقد أتينا على خبره وسائر ما أومأنا إليه فى كتابنا « أخبار الزمان » فكان جملة من أدركه الإحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل ، كل هؤلاء طالبوا بدم الحسين ، وقتلوا أعداءه ، وقتلهم مصعب ، وسماهم الحسينية ، وتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها ، وأبى بحرم المختار فدعاهنَّ إلى البراءة منه ففعلن إلا حرمتين له إحداهما بنت سمرة بن جندب الفزارى والثانية ابنة النعمان بن بشير الأنصارى ، وقالتا : كيف نتبرا من رجل يقول ربى الله ، كان صائم نهاره قائم ليله ، قد بذل دمه لله ولرسوله فى طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وشيعته ، فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس فكتب مصعب إلى أخيه عبد الله يخبرها وما قالتاه ، فكتب إليه إن رجعتا عماهما عليه وتبرأتا منه وإلا فاقتلها ، فعرضهما مصعب على السيف ؛ فرجعت بنت سمرة واعنته وتبرأت منه ، وقالت : لو دعوتنى إلى الكفر مع السيف لكفرت أشهد أن المختار كافر ، وأبى ابنة النعمان بن بشير ، وقالت : شهادة

قتال مصعب
ابن الزبير
للمختار
بحروراء

أرزقها فأتركها ؟ كلا !! إنها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته ،
والله لا يكون ، آتى مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبي طالب ، اللهم أشهد أني
متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته ، ثم قدمها فقتلت صبرا ، ففي ذلك
يقول الشاعر : -

إن من أعجب الأعاجيب عندي قتلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عَطْبُولِ
قَتَلُوها ظُلْمًا على غير جُرْمِ إِنْ لَهِ دَرَّها من قَتِيلِ
كُتِبَ القَتْلُ والقَتْلُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذِيُولِ

ولم نتعرض في هذا الكتاب لذكر المهلب وقتله لنساع ، وذلك في سنة
خمس وستين ، ونافع هو الذي تنسب إليه الأزارقة من الخوارج ؛ إذ كنا أتينا
في كتابنا « أخبار الزمان » على ذكر حروب الخوارج مع المهلب وغيره من
سلف وخلف ، وذكرنا شأن مرْدَاس بن عمرو بن بلال التميمي ، وعطية بن
الأسود الحنفي ، وأبي فديك ، وسودة الشيباني ، ووقعة ابن الماجور الخارجي مع
المهلب ومقتله ، وظفر المهلب بهم في ذلك اليوم ، وخبر عبد ربه وأخبار خوارج
اليمن كأبي حمزة المختار بن عوف الأزدي ، وبهيس الهيصمي ، مع ما تقدم من
ذكرنا لفرق الخوارج في كتابنا « المقالات في أصول الديانات » من الأباضية
وهم سراة عمان من الأزرد وغيرهم من الأزارقة والنجدات والجرية والصفرية
 وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الأرض ، ومثل بلاد سنجار وتل أعفر
من بلاد ديار ريبة والسن والبوازيج والحديقة مما يلي بلاد الموصل ، ثم من
سكن من الأكراد بلاد أذربيجان وهم المعروفون بالسراة منهم ، وأسلم المعروف
بابن سادلويه ، وقد كان ملك على أعمال ابن أبي الساج من بلاد أذربيجان
واران والبيلقان وأرمينية ، ومن سكن منهم بلاد سجستان وجمال هرة وهشتانه
وبوشنج من بلاد خراسان ومن بلاد سكران على ساحل البحر بين بلاد السند
وكرمان ، وأكثرهم صفرية وجرية ، ومنهم ببلاد حمران إصطخر وصاهد بين

كرمان وفارس ، ومنهم ببلاد تهرت المغرب ، ومنهم ببلاد حضرموت وغيرها
من بقاع الأرض

وفى سلطنة عبد الملك مات أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
وفاته عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
في سنة ثمان وستين ، وقيل : في سنة تسع وستين ، بالطائف ، وأمه لبابة بنت
الحارث بن حزن ، من ولد عامر بن صعصعة ، وله إحدى وسبعون سنة ، وقيل :
إنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقد ذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
أنه قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين ، وصلى عليه
محمد بن الحنفية ، وكان قد ذهب بصره لبكائه على على والحسن والحسين ،
وكانت له وفرة طويلة يخضب شيبه بالحناء ، وهو الذي يقول : —

إن يأخذ الله من عَيْنَيَّ نُورَهُمَا ففى لسانى وقلبي منهما نور
قلبي ذكى وعقلى غير مدخل وفى فمى صارم كالسيف مأثور

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له حين وضع له الماء للطهر فى بيت
خالته ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فقال « اللهم فقهه فى الدين ،
وعلمه التأويل »

وقيل لابن عباس رضى الله عنه : ما منع عليا رضى الله عنه أن يبعثك
مكان أبى موسى فى يوم الحكيم ؟ فقال : منعه من ذلك جائل القدر ، وقصر
المدة ، ومحنة الابتلاء ، أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت مدارج نفسه ، ناقضا
مكان أبى موسى
لما أبرم ومبرما لما نقض ، أسف إذا طار ، وأطير إذا أسف ، ولكن مضى قدر ،
وبقى أسف ، ومع اليوم غدا ، ولا آخرة خير للمتقين

وكان لابن عباس من الولد على ، وهو أبو الخلفاء من بنى العباس ، والعباس
ابن العباس
ومحمد ، والفضل ، وعبد الرحمن وعبيد الله ولبابة ، وأمههم رعية بنت مسرح
الكندية ؛ فأما عبيد الله ومحمد والفضل فلا أعقاب لهم

مقتل عمرو بن سعيد ابن العاص الأشدق

وفي سنة سبعين قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام ، وكان بينه وبين عبد الملك محادثات وكتابات وخطب طويلة طلبا للملك ، وكان فيما كتب إليه عبد الملك : إنك لتطعم نفسك بالخلافة ، ولست لها بأهل ، فكتب إليه عمرو : استدرج النعم إياك أفادك البغى ، ورائحة الغدر أورثتك الغفلة ، زجرت عما وافقت عليه ، وندبت إلى ما تركت سبيله ، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس المطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز وعن قريب يتبين من صريع بغى وأسير غفلة

وقد كان عبد الملك سار إلى زفر بن الحارث الكلابي وهو بقرقيسياء وبلاد الرحبة وخلف عمرو بن سعيد بدمشق فباغاه أن عمرا قد دعا إلى بيعته بدمشق ، فسكر راجعا إليها ، فامتنع عمرو فيها ، فناشده عبد الملك الرحم ، وقال له : لا تفسد أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكامة ، وفيما صنعت قوة ، ارجع إلى بيعتك فاني سأجعل لك العهد ، فرضى وصالح ، ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه في نحو خمسمائة يزولون معه حيث زال

وقد تنازع أهل السير في كيفية قتل عبد الملك إياه : فمنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه : ويحك !! أتستطيع إذا دخل عمرو أن تغلق الباب ؟ قال نعم ، قال : فافعل ، وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لأحد عليه فضلا ، ولا يلتفت وراءه إذا مشى إلى أحد ، فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو فأغلق الحاجب الباب دون أصحابه ، ومضى عمرو لا يلتفت ، وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون ، فعاتبه عبد الملك طويلا ، وقد كان وصى صاحب حرسه أبا الزعيزعة بأن يضرب عنقه ، فكلّمه عبد الملك وأغلظ له القول ، فقال : يا عبد الملك ، أتستطيع على كأنك ترى لك على فضلا ؟ إن شئت والله تنقض العهد بيني وبينك ، ثم نصبت لك الحرب ، فقال عبد الملك : قد شئت ذلك ، فقال :

وأنا قد فعلت ، فقال عبد الملك : يا أبا الزعيزعة شأنك ، فالتفت عمرو إلى أصحابه فلم يرهم في الدار ، فدنا من عبد الملك ، فقال : ما يدريك مني ؟ قال : ليمسني رحمك ، وكانت أم عمرو عمة عبد الملك تحت الحكم بن أبي العاص بن وائل ، فلما فضربه أبو الزعيزعة قتلته ، فقال له عبد الملك : ارم برأسه إلى أصحابه ، فلما رأوا رأسه تفرقوا ، ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر وذكر عمرا فوقع فيه ، وذكر خلافه وشقاقه ، ونزل من المنبر وهو يقول : —

أَدْنَيْتُهُ مِنِّي لَتَسْكُنَ نُفْرَةً فَأَصُولَ صَوْلَةٍ حَازِمٌ مُسْتَمَكِنٌ
غَضَبًا وَمَحَمَّةً لَدِينِي إِنَّهُ لَيْسَ الْمَسِيءُ سَبِيلُهُ كَالْحَسَنِ

وقيل : إن عمرا خرج من منزله يريد عبد الملك ، فعثر بالبساط ، فقالت له امرأته نائلة بنت فريض بن مسعود : أنشدك الله أن لا تأتيه ، فقال : دعيني عنك فوالله لو كنت نائما ما أيقظني ، وخرج وهو مكفر بالدرع ، فلما دخل على عبد الملك قام من هناك من بنى أمية ، فقال عبد الملك وقد أخذت الأبواب : إني كنت حاققت أن ملكيتك لأشدنك في جامعة ، فأتي بجامعة فوضعها في عنقه وشدها عليه ، فأيقن عمرو أنه قاتله ، فقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ، فقال له عبد الملك : يا أبا أمية ، مالك جئت في الدرع للقتال ؟ ! فأيقن عمرو بالشر فقال : أنشدك الله أن تخرجني إلى الناس في الجامعة ، فقال له عبد الملك : وتماكرني أيضا وأنا أمكر منك ؟ تريد أن أخرجك إلى الناس فيمنعوك ويستنذوك من يدي ، وخرج عبد الملك إلى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز - وقد كان قدم من مصر في ذلك اليوم - بقتله إذا خرج

وقد قيل : أمر ابنه الوليد بذلك ، فلما دنا منه عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه ، فلما رجع عبد الملك من الصلاة ورآه حيا قال لعبد العزيز : والله ما أردت قتله من أجلكم إلا أن لا يحوزها دونكم ، ثم أضجعه ، فقال له عمرو : أغدر يا ابن الزرقاء ؟ فذبحه ، ووافى أخو عمرو يحيى بن سعيد إلى الباب بمن معه من

رجاله ليكسره ، فخرج إليه الوليد وموالى عبد الملك ، فاقتتلوا ، واختلف الوليد ويحيى فضربه يحيى بالسيف على أليته فانصرع ، وألقى رأس عمرو إلى الناس ، فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقى عليهم من أعلى الدار بدر الدنانير ، فاشتغلوا بها عن القتال ، وقال عبد الملك : وأبيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد أصابوا بئارهم ، وقد كان الوليد فقد حين ضرب ، وذلك أن إبراهيم بن عدى احتمله فأدخله بيت القراطيس في الممعة ، وأتى عبد الملك يبعث يحيى بن سعيد ، واجتمعت الكلمة على عبد الملك ، وانتاد الناس إليه ، وقد قيل في مقتله غير ما ذكرنا ، وقد أتينا على ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » وقد ذكرنا شعر أخته فيه وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المنصور ؛ إذ هو الموضع المستحق له دون هذا الموضع لما تغافل بنا الكلام وتسلسل بنا القول نحوه

خروج مصعب
إلى الشام
لقتال عبد
الملك

وأقام عبد الملك بدمشق بقية سنة سبعين ، وقد كان مصعب بن الزبير خرج حين صفاه العراق بعد قتل المختار وأصحابه ، حتى انتهى إلى الموضع المعروف بباحيراء مما يلي الجزيرة ، يريد الشام لحرب عبد الملك ، فبافه مسير خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد من مكة إلى البصرة في ولده وعدة من مواليه ناكثا لبيعة عبد الله بن الزبير ، فنزل بعض نواحي البصرة ، وأن قوما قد انضافوا إليه من ربيعة ، ومنهم عبد الله بن الوليد ، ومالك بن مسمع البكري ، وصفوان ابن الأيهم التميمي ، وصعصة بن معاوية عم الأحنف ، فكانت لهم بالبصرة حروب كانت آخرًا على خالد بن عبد الله فخرج هاربا بانيه حتى لحقوا بعبد الملك وانصرف مصعب راجعا إلى البصرة ، وذلك في سنة إحدى وسبعين ، ثم عاد من العراق إلى باحيراء ، ففي ذلك يقول الشاعر : —

أَبَيْتَ يامُصْعَبُ إِلَّا سَيْرًا فِي كُلِّ يَوْمٍ لَكَ بِاحْمِيرًا

ونزل عبد الملك بن مروان على قرقيسياء ، فحاصرها زفر بن الحارث العامري

الكلابي ، وكان يدعو إلى ابن الزبير ، فنزل على إمامته وبايعه ، وسار عبد الملك
فنزل على نصيبين ، - وفيها يزيد والحبيشي موليا الحرث في ألقي فارس ممن بقى
من أصحاب المختار يدعون إلى إمامة محمد بن الحنفية - فحاصروهم ، فنزلوا على
إمامته ، وانضافوا إلى جملة

وخرج مصعب في أهل العراق - وذلك في سنة اثنتين وسبعين - يريد
عبد الملك ، ودلّف إليه عبد الملك في عساكر مصر والجزيرة والشام ، فالتقوا
بمسكن قرية من أرض العراق على شاطئ دجلة ، وعلى مقدمة عبد الملك
الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ، وقيل : على ساقته ، وقد حمد أمره في
قيامه بما أهل له ، فكتاب عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هو بعسكر مصعب
وغيرهم ، وصار يرغبهم ويرهبهم ، فكان فيمن كتب إليه إبراهيم بن الأشتر
النخعي ، فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله في رحله ، وأتى مصعبا بالكتاب
قبل أن يفرضه ويعلم مافيه ، فقال له مصعب : أقرأته ؟ فقال : أعوذ بالله أن أقرأه
حتى يقرأه الأمير ، وأتى يوم القيامة غادرا قد نقضت بيعته وخانت طاعته ، فلما
تأمل مصعب مافيه وجده أماناً له وولاية لما شاء من العراق وإقطاع غير ذلك ،
ثم قال إبراهيم لمصعب : هل أذاك أحد من أشراف العساكر بكتاب ؟ فقال
مصعب : لا ، فقال إبراهيم : والله لقد كاتبهم وما كاتبني حتى كاتب غيري ،
ولا امتنعوا من إيصالها إليك إلا للرضا به والغدر بك ، فأطعني وابدأ بهم ،
فأمروهم على السيف ، وأستوثق منهم في الحديد ، والحق هذا الرجل ، فأبى مصعب
ذلك ، وتخيّر ما كان في عسكره من ربيعة لقتله ابن زياد بن ظبيان البكري ،
وكان من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل ، وسار إبراهيم بن الأشتر على
مقدمة مصعب في مشرعة الخيل ، فلقى خيل عبد الملك ومقدمته عليها أخوه محمد
ابن مروان ، وبلغ عبد الملك ورود إبراهيم ومنازلته محمداً أخاه ، فبعث إلى محمد :

عزمت عليك أن لا تتقاتل في هذا اليوم ، وقد كان مع عبد الملك منجمهم مقدّم ،
وقد أشار على عبد الملك أن لا تحارب له خيل في ذلك اليوم فإنه منحوس ،
وإسكن حربه بعد ثلاث فإنه ينصر ، فبعث إليه محمد : وأنا أعزم على نفسي
لأقاتلن ولا ألتفت إلى زخاريف منجمك والمحالات من الكذب ، فقال
عبد الملك للمنجم ولمن حضر : ألا ترون ؟ ثم رفع طرفه إلى السماء ، وقال :
اللهم إن مصعبا أصبح يدعو إلى أخيه وأصبحت أدعو لنفسي ، اللهم فانصر
خيرنا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فالتقى محمد بن مروان وابن الأشتر ، ومحمد
يرتجز ويقول : —

مثلى على مثلك أولى بالسلب مُحَجَّل الرجلين أعرب الذنب

فاقتلوا حتى غشيهم المساء ، فقال عتاب بن ورقاء التميمي وكان مع ابن الأشتر :
يا إبراهيم ، إن الناس قد جهّدوا فمرهم بالانصراف ؛ حسداً له لاشرافه على الفتح ،
فقال إبراهيم : وكيف ينصرفون وعدوهم بازائهم ؟! فقال عتاب : فمر اليمين أن
تنصرف ، فأبى إبراهيم ذلك ، فمضى إليهم عتاب فأمرهم بالانصراف ، فلما زالوا
عن مصافهم أكتبت ميسرة محمد عليهم ، واختلط الرجال وصمدت الفرسان
لإبراهيم ، واشتبكت عليه الأسنة ؛ فبرى منها عدة رماح وأسلمه من كان معه ،
فاقتلع من سرجه ودار به الرجال وازدحموا عليه ، فقتل بعد أن أبلى ونكى فيهم ،
وقد تنوزع في أخذ رأسه : فمنهم من زعم أن ثابت بن يزيد مولى الحصين بن
نمير الكندي هو الذي أخذ رأسه ، ومنهم من ذكر أن عبيد بن ميسرة مولى
بني يشكر ثم من بني رفاعه هو الذي أخذ رأسه ، وأتى عبد الملك بجسد إبراهيم
فألقى بين يديه فأخذه مولى الحصين بن نمير وأخذ حطبا وأحرقه بالنار .

أول خيانة
جيش مصعب
ومقتل ابن
الأشتر ثم
حرقه

وسار عبد الملك في صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق
من أرض السوداء ، وأقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن أبي إلى
رايات ربيعة فأضافوها إلى عسكر عبد الملك ودخلوا في طاعته ، ثم تصاف القوم

فأفرد مصعب وتخلّى عنه من كان معه من مضر واليمن ، وبقى في سبعة نفر منهم
إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله التميمي ، وابنه عيسى بن مصعب ، فقال لابنه عيسى :
يا بني اركب فانج فالحق بمكة بعمك ، فأخبره بما صنع بي أهل العراق ، ودعني
فاني مقتول ، فقال له : لا والله ، لا يتحدث بنا قریش أنى فررت عنك ، ولا
أحدثهم عنك أبدا ؛ فقال له مصعب : أما إذ أبيت فتقدم أمامي حتى أحتسبك
فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل .

وسأل محمد بن مروان أخاه عبد الملك أن يؤمن مصعبا ، فاستشار عبد الملك
من حضره ، فقال له علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : لا تؤمنه ، وقال
خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : بل آمنه ، وارتفع الكلام بين علي وخالد
حتى تسابا على مصافهما ، فأمر عبد الملك أخاه محمدا أن يمضي إلى مصعب فيؤمنه
ويعطيه عنه ما أراد ، فمضى محمد بن مروان وقال : أمنك أمير المؤمنين على نفسك
ومالك وكل ما أحدثت ، وأن تنزل أى البلاد شئت ، ولو أراد بك غير ذلك
لأنزل بك فأبشرك الله في نفسك .

وأقبل رجل من أهل الشام إلى عيسى بن مصعب ليحترز رأسه ، فعطف عليه
مصعب والرجل غافل فناده أهل الشام : ويلك يا فلان الأشدق أقبل نحوك ،
ولحقه مصعب فقتله ، وعرقب فرس مصعب وبقى راجلا فأقبل عليه عبد الله بن
زياد بن ظبيان فاختلعا ضربتين سبق مصعب بالضربة إلى رأسه ، وكان مصعب
قد اثخن بالجراح ، وضربه عبد الله فقتله واحتز رأسه ، وأتى به عبد الملك ،
فسجد عبد الملك ، وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده
حتى أتى على أكثره سلا ليضرب عبد الملك في حال سجوده ، ثم ندم واسترجع ،
فكان يقول بعد ذلك : ذهب القتلك من الناس ؛ إذعممت ولم أفعل فأكون قد
قتلت عبد الملك ومصعبا ملكي العرب في ساعة واحدة ، وتمثل عبيد الله عند مجيئه
برأس مصعب : -

مقتل عيسى
بن مصعب

محمد بن
مروان يأخذ
الامان لمصعب
ابن الزبير

مقتل
مصعب بن
الزبير

نعاطى الملوك الحقَّ ما قَسَطُوا لَنَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمَحْرَمٍ
وقال عبد الملك : متى تغزو قريش مثل مصعب ؟ وكان قد قتل مصعب
يوم الثلاثاء ثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ، وأمر
عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق ، ودعا عبد الملك أهل العراق
إلى بيعته ، فبايعوه .

شأن مسلم بن عمرو الباهلى من صنائع معاوية وابنه يزيد وكان فى ذلك
اليوم فى جيش مصعب فأتى به عبد الملك وقد أخذ له منه الأمان ، فقيل له : أنت
ميت لا ترجو الحياة لما بك من الجراح فما تصنع بالأمان ؟ قال : ليسم مالى ويأمن
ولدى بعدى ، فلما وضع بين يدى عبد الملك قال : قطع الله يد ضاربك كيف
لم يجهز عليك ؟ أكفرت صنائع آل حرب معك ؟ فأمنه على ماله وولده ، ومات
من ساعته

بعض ما قيل فى مقتل مصعب وفى مصرع مصعب بدير الجاثليق من أرض العراق يقول عبدالله بن قيس
الرقيات : —

لقد أَوْرَثَ المصرين عاراً وذلةً قَتِيلُ بَدِيرِ الجاثليق مقيمٌ
فما نَصَحَتْ لَهِ بَكَرُ بْنُ وائِلٍ ولا صَبَرَتْ عِنْدَ اللِّقَاءِ تَمِيمٌ
جَزَى اللَّهُ بَصْرِيًّا بِذَلِكَ مَلَامَةً وَلَوْ فِيهِمْ أَنْ الْمَلِيمُ مَلِيمٌ
وفى ذلك يقول شاعر أهل الشام من أبيات : —

نعمرى لقد أَصْحَرَتْ خَيْلُنَا بِأَكْنافِ دَجَلَةٍ لِلْمُصْعَبِ
يَهْزُونُ كُلَّ طَوِيلِ الْقَنَا عِ مَعْتَدِلِ النَّصْلِ وَالثَّغْلِبِ
إذا ما منافق أهل العرا ق عوتب يوما فلم يعتب
دَلَفْنَا إِلَيْهِ لَدَى مَوْقِفٍ قَلِيلِ التَّفَقُّدِ الْغَيْبِ

وقد كان مصعب ذا حسن وجمال ، وهيئة وكمال فى الصورة ، وفيه يقول

ابن الرقيات من كلمة : —

إِنَّمَا مُصْعَبُ شَهَابٌ مِنَ الْأَهْلِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاتُ
وقد أتينا على أخبار مصعب وسكينة بنت الحسين وزوجه وعائشة بنت طلحة
وليلي من نسائه وغير ذلك من أخباره في الكتاب الأوسط

وحدث المنقري قال : حدثني سويد بن سعيد ، قال : حدثنا مروان بن
معاوية الفزاري ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن أبي مسلم النخعي ، قال : رأيت
رأس الحسين جيء به فوضع في دار الإمارة بالكوفة بين يدي عبيد الله بن زياد ،
ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي
مصعب بن الزبير ، ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير قد جيء به فوضع في ذلك
الموضع بين يدي عبد الملك

وقد قيل في وجه آخر من الروايات : فرأى عبد الملك منى اضطرابا ، فسألني
فقلت : يا أمير المؤمنين ، دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين بين يدي ابن
زياد في هذا الموضع ، ثم دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار فيه ، ثم
دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ، وهذا رأس مصعب بين
يديك ، فوفاك الله يا أمير المؤمنين ، قال : فوثب عبد الملك بن مروان وأمر بهدم
الطاق الذي على المجلس ، ذكر هذا الحديث عن الوليد بن خباب وغيره

وسار عبد الملك من دير الجاثليق حتى نزل النخيلة بظهر الكوفة ، فخرج
إليه أهل الكوفة فبايعوه ، ووافى الناس بما كان وعدهم به في مكاتبتهم إيهم سرا ،
وخلع وأجاز وأقطع ورتب الناس على قدر مراتبهم ، وعهم ترغيبه وترهيبه ،
وولى على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد ، وعلى الكوفة بشر بن
مروان أخاه ، وخلف معه جماعة من أهل الرأي والمشورة من أهل الشام ، منهم
روح بن زنباع الجذامي ، وبعث بالحجاج بن يوسف لحرب ابن الزبير بمكة ،
وسار في بقية أهل الشام إلى دار مملكة دمشق

بيعة الكوفة
لعبد الملك

وكان بشر بن مروان أديبا ظريفا ، يحب الشعر والسمير والسماع والمعاقرة ، بشر بن مروان

وقد كان أخوه عبد الملك قال له : إن روحا عمك الذي لا ينبغي أن تقطع أمرا
دونه ؛ لصدقه وعفافه ومناصحته ومحبته لنا أهل البيت ، فالحشمة بشر منه ، وقال
لندمائمه : أخاف إن انبسطنا أن يكتب روح إلى أمير المؤمنين بذلك ، وإني
لأحب من الأنس والاجتماع ما يحبه مثلي ، فقال له بعض ندمائه من أهل العراق
بحسن مساعدته ولطيف حياته : أنا أكفيك أمره حتى ينصرف عنك إلى أمير
المؤمنين غير شاك ولا لائم ، فسر بشر ، ووعدته الجائزة وحسن المكافأة إن هو
تأتى له ما وعده ، وكان روح شديد الغيرة ، وله جارية إذا خرج من منزله إلى
المسجد أو غيره ختم بابه حتى يعود بعد أن يقفله ، فأخذ الفتى دَوَاةً وآتى منزل
روح عشيا ، وخرج روح للصلاة ، فتوصل الفتى إلى دخول الدهليز في حال
خروج روح ، وكمن تحت الدرجة ، ولم يزل يحتال ليلته حتى توصل إلى بيت
روح ، فكتب على حائط في أقرب المواضع من مرقَد روح : —

يا روح من لِبْنِيَّاتٍ وأرملَةٍ إذا نَعَاكَ لأهل المغرب النعاع
إنَّ ابن مروان قد حانت مَنِيَّتُهُ فاحتلَّ لنفسك يا روح بن زنباع
ولا يغرنك إنكار ومنعمة واسمع هُدَيْتَ مقالَ الناصح الداعي
ورجع إلى مكانه بالدهليز فبات فيه ، فلما أصبح روح خرج إلى الصلاة
فتبعه غلمانُه والفتى متنكر في جملتهم مختلط بهم ، فلما عاد روح وافتتح باب
حجرتِه تبين الكتابة وقرأها ، فراعَه ذلك وأنكره ، وقال : ما هذا ؟ فوالله
ما يدخل حجرتي إنسى سواي ، ولا حظ لي في المقام ، ثم نهض إلى بشر ،
فقال : يا ابن أخي ، أوصني بما أحبيت من حاجة وسبب عند أمير المؤمنين ،
قال : أو تريد الشخوص يا عم ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ هل أنكرت شيئا أو
رأيت قبيحا لا يسعك المقام عليه ؟ قال : لا والله ، بل جزاك الله عن نفسك وعن
سلطانك خيرا ، واسكن أمر حدث ، ولا بد لي من الانصراف إلى أمير المؤمنين
فأقسم عليه أن يخبره ، فقال له : إن أمير المؤمنين قد مات أو هو ميت إلى أيام

قال : ومن أين علمت ذلك ؟ فأخبره بخبر الكتابة ، وقال : ليس يدخل
حجرتي غيري وغير جاريتي فلانة ، وما كتب ذلك إلا الجن أو الملائكة ،
فقال له بشر : أقم فاني أرجو أن لا يكون لهذا حقيقة ، فلم يثنه شيء ، وسار
إلى الشام ، فأقبل بشر على الشراب والطرب ، فلما لقي روح عبد الملك نكّر
أمره وقال : ما إقدامك إلا لحادثة حدثت ، أو لأمر كرهته ، فأثنى على بشر
وحمّد سيرته ، وقال : لا ، بل لأمر لا يمكنني ذكره حتى نخلو ، فقال عبد الملك
لجلسائه : انصرفوا ، وخلا بروح ، فأخبره بقصته وأنشده الأبيات ، فضحك
عبد الملك حتى استغرب ، وقال : ثقلت على بشر وأصحابه حتى احتالوا لك بما
رأيت فلا تُرْعَ

ولما اتصل قتل مصعب بأخيه عبد الله أضرب عن ذكره حتى تحدث بذلك
العبيد والإماء في سكك المدينة ومكة ، فصعد المنبر وجيئته يرشح ، فقال : الحمد
لله ملك الدنيا والآخرة ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك من يشاء ، ويعز من
يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، ألا إنه لن يذل الله
من كان الحق معه ، ولن يعز من كان أولياء الشيطان حزبه ، إنه أتانا خبر من العراق
أحزننا وأفرحنا ، قتل مصعب ، فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لغراق الحميم لذة
يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذلك إلى كريم الصبر وجميل
العزاء ، وأما الذي أفرحنا فإن القتل له شهادة ، ويجعل الله له ولنا في ذلك الخيرة ،
أما والله إنا لا نموت حتفًا كميته آل أبي العاص ، وإنما نموت قعصًا بالرماح ،
وقتلًا تحت ظلال السيوف ، ألا وإن الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول
سلطانه ولا يتبدل ؛ فإن تُقبَل الدنيا على لا آخذها أخذ الأثر البطر ، وإن تُدبّر
عنى لا أبكى عليها بكاء الحزين المهين

الحجاج يحاصر
مكة

فأتى الحجاج الطائف ، فأقام بها شهورا ، ثم زحف إلى مكة ، فحاصر ابن
الزبير بها ، وكتب إلى عبد الملك : إني قد ظفرت بأبي قبيس ، فلما ورد كتابه

على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بأبي قبيس كبر عبد الملك ، فكبر من في داره ، واتصل التكبير بمن في جامع دمشق فكبروا ، واتصل ذلك بأهل الأسواق ، ثم سألوا عن الخبر ، فقيل لهم : إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبي قبيس ، فقالوا : لا نرضى حتى يحمله إلينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا في الأسواق الترابي الملعون ، وكان حصار الحجاج لابن الزبير بمكة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ، وفيها قتل مصعب ، ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت ، ووقف الحجاج بالناس محرما في درع ومغفر ، وهو من أبناء إحدى وثلاثين سنة ، ونحر ابن الزبير بمكة ، ولم يخرج إلى عرفة بسبب الحجاج ، فكانت مدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة

ودخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنه وقد بلغت مائة سنة لم تقع لها سن ، ولا ابيض لها شعر ، ولم ينكر لها عقل ، على حسب ما قدمنا من خبرها في هذا الكتاب ، فقال : يا أمه كيف تجدنيك ؟ قالت : إني لشاكية يا بني ، فقال لها : إن في الموت راحة ، قالت : لعلك تمناهلى ، وما أحب أن أموت حتى يأتى على أحد طرفيك : إما قتلت فأحتسبك ، وإما ظفرت ففرت عيني بك ، وأوصى عبد الله بما يحتاج من أمره وأمر نسائه إذا باغن الواعية عليه أن يضممن أمه أسماء إليهن ، وكان عروة بن الزبير على رأى عمه عبد الملك بن مروان ، وكان كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يأمره بتعاهد عروة وأن لا يسوءه في نفسه وماله ، فخرج عروة إلى الحجاج ، ورجع إلى أخيه فقال : هذا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعمرو بن عثمان بن عفان يعطيانك أمان عبد الملك على ما أحدثت أنت ومن معك وأن تنزل أى البلاد شئت ، لك بذلك عهد الله وميثاقه ، وغير ذلك من الكلام ، فأبى عبد الله قبول ذلك ، وقالت له أمه أسماء : أى بُنى ، لا تقبل خُطة تخاف على نفسك منها مخافة القتل ، مُت كريما ، وإياك أن تؤسر أو تعطى بيديك ، فقال : يا أمه ،

أسماء بنت أبي
بكر الصديق
أم عبد الله
ابن الزبير

إني أخاف أن يُمَثَّلَ بي بعد القتل ، فقالت : يا بني ، وهل تتألم الشاة من السالخ بعد الذبح ؟ ودخلوا على ابن الزبير في المسجد وقت الصلاة وقد التجأ إلى البيت ، وهم ينادون : يا ابن ذات النطاقين ، فقال ابن الزبير متمثلاً : -

وَعَيَّرَهَا الْوَاشُونَ أَنِّي أَحْبَهَا وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرْعَنكَ عَارُهَا
ونظر إلى طائفة منهم قد أقبلوا نحوه بالسيوف ، فقال لأصحابه : من هؤلاء ؟ قالوا : أهل مصر ، قال : قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة ، فحمل عليهم ، فضرب رجلاً منهم به أدمة فقدّه ، وقال : صبرا يا ابن حام ، وتكاثر عليه الرجال من أهل الشام ومصر ، فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد ، ورجع إلى البيت وهو يقول : -

وَأَسْتُ بُمْبَتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبِيَّةٍ وَلَا أُبْتَغِي مِنْ رَهْبَةٍ الْمَوْتَ أَسْلَمَا
فاستلم الحجر ، ثم تكاثروا عليه ، فحمل عليهم وهو يقول : -
قَدْ سَنَّ أَصْحَابُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ
فأتاه حجر فصك جبينه فأدماه وأوضحه ، فقال : -

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْتَابِ تَدْمَى كُلُّوْنَا وَلَسْنَا عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَآ
فكشفهم عن المسجد ، ورجع على من بقي من أصحابه عند البيت فقال لهم : ألقوا أغمد السيوف ، وليصن كل منكم سيفه كما يصون وجهه ، لا ينكسر سيف أحدكم فيقعده كالمراة ، ولا يسأل رجل منكم أين عبد الله ، من يسأل عني فأئنني في الرعيل الأول ، ثم أنشأ يقول : -

يَا رَبِّ إِنْ جُنُودَ الشَّامِ قَدْ كَثُرُوا وَهَتَّكُوا مِنْ حِجَابِ الْبَيْتِ أَسْتَارَا
يَا رَبِّ إِنِّي ضَعِيفُ الرِّكْنِ مُضْطَهَّدُ فَأَبْعَثْ إِلَى جُنُودًا مِنْكَ أَنْصَارَا
وتكاثر أهل الشام عليه ألوفاً من كل باب ، فحمل عليهم ، فشدخ بالحجارة فانصرع ، وأكب عليه مولى كان له وأحدهما يقول : -

* الْعَبْدُ يَحْمِي رَبَّهُ وَيَحْتَمِي *

حتى قتلوا جميعاً ، وتفرق من كان معه من أصحابه ، وأمر به الحجاج
فصلب بمكة ، وكان مقتله يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى
سنة ثلاث وسبعين

وكلت أسماء أمه الحجاج في دفنه فأبى عليها ، فقالت للحجاج : أشهد إني
لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يخرج من ثقيف كذاب ومبير »
فأما الكذاب فهو المختار ، وأما المبير فما أظنك إلا هو .

وسنذكر لمعا من أخبار الحجاج فيما يرد من هذا الكتاب ، وإن كنا قد
أتينا على مبسوطها فيما تقدم من كتبنا

وأقام الحجاج والياً على مكة والمدينة والحجاز واليمن واليامة ثلاث سنين ،
ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة

ومات جابر بن عبد الله الأنصاري في أيام عبد الملك بالمدينة ، وذلك في سنة
ثمان وسبعين ، وقد ذهب بصره ، وهو ابن نيف وتسعين سنة

وقد كان قد قدم إلى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياماً ، فلما أذن له قال :
يا معاوية ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حَجَبَ ذا فاقة
وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته » فغضب معاوية ، وقال له : لقد سمعته يقول
« إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تردوا على الخوض » أفلا صبرت ؟
قال : ذكرتني مانسيت ، وخرج فاستوى على راحلته ومضى ، فوجه إليه معاوية
بستمائة دينار ، فردها وكتب إليه : —

وإني لأختار القنوع على الغنى إذا اجتمع الماء والماء بالبارد الخضم

وأقضى على نفسي إذا الأمر نابني وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضى

وأبلى أثواب الحياء وقد أرى مكان الغنى أن لأهين له عرضي

وقال لرسوله : قل له والله يا ابن آكلة الأكباد لا وجد في صحيفتك حسنة

أنا سببها أبدا

ومات محمد بن الحنفية في سنة إحدى وثمانين في أيامه بالمدينة ، ودفن بالبقع موت محمد بن وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان باذن ابنه أبي هاشم ، وكان محمد يكنى بأبي الحنفية وموضع قبره وأولاده القاسم ، وقبض وهو ابن خمس وستين ، وقيل : إنه خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات بها ، وقيل : إنه مات ببلاد أيلة ، وقد تنوزع في موضع قبره ، وقد قدمنا قول الكيسانى ومن قال منهم إنه بجبل رضى ، وكان له من الولد : الحسن ، وأبو هاشم ، والقاسم ، وإبراهيم

حدثنا نصر بن علي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، عن يونس بن أبي إسحاق ، قال : حدثنا سهيل بن عبيد بن عمر الخابورى ، قال : كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك : إن الحجاج قد قدم بلدنا ، وقد خفته ، فأحب أن لا يجعل له على سلطانا بيد ولا لسان ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج : إن محمد بن علي كتب إلى يستعفينى منك ، وقد أخرجت يدك عنه ، فلم أجعل لك عليه سلطانا بيد ولا لسان ، فلا تعرض له ؛ فلقية في الطواف فعص على شفته ، ثم قال : لم يأذن لى فيك أمير المؤمنين ، فقال له محمد : ويحك أو ماعلت أن لله تبارك وتعالى فى كل يوم وليلة ثمانئة وستين لحظة ، أو قال نظرة ، لعله أن ينظر إلى منها بنظرة ، أو قال بالهظة ، فيرحمنى ، فلا يجعل لك على سلطانا بيد ولا لسان ، قال : فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك ، فكتب بها عبد الملك إلى ملك الروم ، وقد كان توعدده فكتب إليه ملك الروم : ليست هذه من سحيتك ولا من سحبة آبائك ، ما قالها إلا نبى أو رجل من أهل بيت نبى

وذكر الشعبى قال : أنفذنى عبد الملك إلى ملك الروم ، فلما وصلت إليه جعل لا يسألنى عن شىء إلا أجبتة ، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده ، فحبسنى أياما كثيرة ، حتى استعجبت خروجى ، فلما أردت الانصراف قال لى : من أهل بيت الماسكة أنت ؟ قلت : لا ، ولكنى رجل من العرب فى الجملة ، فهمس بشىء ، فدفعته إلى رقعة ، وقيل لى : إذا أديت الرسائل عند وصولك

محمد بن الحنفية
يطلب إلى
عبد الملك أن
يكف عنه
الحجاج

الشعبى رسول
عبد الملك إلى
ملك الروم

إلى صاحبك أوصل إليه هذه الرقعة ، قال : فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك ، ونسيت الرقعة ، فلما صرت في بعض الدار إذ بدأت بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها إليه ، فلما قرأها قال لي : أقال لك شيئا قبل أن يدفعها إليك ؟ قلت : نعم ، قال لي : من أهل بيت المملكة أنت ؟ قلت : لا ولكني رجل من العرب في الجلمة ، ثم خرجت من عنده ، فلما بلغت الباب رُدِدْتُ ، فلما مثلت بين يديه قال لي : أتدرى مافي الرقعة ؟ قلت : لا ، قال : اقرأها ، فلما قرأتها فاذا فيها : عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره ، فقلت له : والله لو علمت ما حملتها ، وإنما قال هذا لأنه لم يرك ، قال : أفترى لم كتبها ؟ قلت : لا ، قال : حسدني عليك وأراد أن يغريني بقتلك ، قال : فتأدى ذلك إلى ملك الروم ، فقال : ما أردت إلا ما قال

وذكر عند معاوية عبد الملك فقال : هو آخذ بثلاث ، وتارك لثلاث ، آخذ

معاوية يصف
عبد الملك
بقلب الناس إذا حدثت ، وبحسن الاستماع إذا حدثت ، وبأيسر الأمرين إذا خولف ، تارك للمهارة ، تارك للغيبة ، تارك لما يعتذر منه

كلام عبد
الملك لمن طلب
الخلوة به
وقال لعبد الملك بعض جلسائه يوما : أريد الخلوة بك ، فلما خلا به قال له عبد الملك : بشرط ثلاث خصال : لا تنظر نفسي عندك فأنا أعلم بها منك ، ولا تغتب عندي أحدا فلست أسمع منك ، ولا تكذبني فلا رأي لمسكذب ، قال : أتأذن في الانصراف ؟ قال : إذا شئت

بلغ عبد الملك
أن عاملا له قبل
الهدية فعزله
وذكر الهيثم وغيره من الأخباريين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل الهدايا ، فأشخصه إليه ، فلما دخل عليه قال له : أقبلت هدية منذوليت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، بلادك عامرة ، وخراجك موفور ، ورعيتك على أفضل حال ، قال : أجب فيما سألتك عنه ، أقبلت هدية منذوليتك ؟ قال : نعم ، قال : إن كنت قبلت ولم تعوض إنك للثيم ، ولئن كنت أنت مهديها من غير مالك

أو استكفيتها لم يكن مثله مستكفاه إنك لخائن جائر ، وفيما أتيت أمر لا تخلو فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع ، وأمر بصرفه عن عمله .

حدث المنقري ، عن الضبي ، قال : قال الوليد بن إسحق : قال ابن عباس : غضبت زوجة عبد الملك كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية - وأما أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر - عليه فاحتال له تحت عبد الملك بن مروان ، فغضبت عليه ، فطلب رضاها بكل شيء ، فأبت رجل فأرضاها فأجزل عطاءه عليه ، وكانت أحب الناس إليه ، فشكا ذلك إلى خاصته ، فقال له عمرو بن بلال رجل من بني أسد كان قد تزوج بنت زنباع الجذامي : مالى عليك إن أرضيتها ؟ قال : أحكمك ، فخرج وجلس بيابها يبيكي ، فقالت خاصتها : مالك أبا حفص ؟ قال : فرزعت إلى ابنة عمي فاستأذنوا لى عليها ، فأذنت له وبينهما ستر ، فقال : قد عرفت حالى مع أمراء المؤمنين معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك ، ولم يكن لى غير ابنين فعدا أحدهما على الآخر فقتله ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتل المتعدى ، قلت له : أنا ولى الدم وقد عفوت ، فأبى على وقال : ما أحب أن أعود رعيى هذا ، وهو قاتله بالغداة ، فأنشدك الله إلا ما طلبته منه ، فقالت : لا أكلمه ، قال : ما أظنك تكسبين شيئا هو أفضل من إحياء نفس ، ولم يزل خواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت : على بثيائى ، فلبست ، وكان بينها وبين عبد الملك باب ، وكانت قد ردمته ، فأمرت بفتحها ، ثم دخلت فأقبل الخصى يشترق فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه عاتكة ، قال : ويحك !! ورأيتها ؟ قال : نعم ، إذ طلعت وعبد الملك على سريره ، فسلمت ، فسكت ، فقالت : أما والله لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك الله أن عدا أحد ابنيه على الآخر فقتله وهو ولى الدم وقد عفا أعزمت لتقتلنه ؟ قال : إى والله وهو راغم ، فأخذت بيده فأعرض عنها ، فأخذت برجله فقبلتها ، فقال : هو لك ، وتراضيا بعد أن نكحها ثلاثا ، وراح عبد الملك فجلس مجلسه للخاصة ، فدخل عمرو بن بلال ، فقال له : يا أبا حفص ، أطلعت الحيلة فى القيادة ولك الحكم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ألف دينار ومزرعة بما فيها من

الآلات والرقيق ، قال : هي لك ، قال : وفرائض لولدى وأهل بيتي ، قال : وذلك كله ، وبلغ عاتكة الخبر فقالت : ويلي على القواد ، إنما خدعني .

وصف الحجاج
الفتنة لعبد
الملك

وكتب عبد الملك إلى الحجاج أن صف لي الفتنة ، فكتب إليه : إن الفتنة ليست بالنجوى ، وتخص بالشكوى ، وتنتج بالخطب ، فكتب إليه : إنك قد أصبت وأحسن الصفة ، فإن أردت أن يستقيم لك من قبلك فخذهم بالجماعة ، وأعظمهم عطاء الفرقة ، وألصق بهم الحاجة .

وحدثنا المنقري ، قال : حدثنا أبو الوليد الصباح بن الوليد قال : حدثنا أبو رياش عتبة بن نعمة ، عن مقلس بن سابق الدمشقي ثم السكسكي ، أن عبد الملك لما بلغه خلع ابن الأشعث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن أهل العراق استعجلوا قدرى قبل انقضاء أجلى ، اللهم لا تسلطنا على من هو خير منا ، ولا تسلط علينا من نحن خير منه ، اللهم سلط سيف أهل الشام على أهل العراق حتى يبلغ رضاك ، فاذا بلغه فلا تجاوز سخطك .

كتب عبد
الملك إلى
الحجاج فلم
يعرف مراده

وكتب عبد الملك إلى الحجاج : أنت سالم ، فلم يعرف ما أراد بذلك ، فكتب إلى قتيبة يسأله عن ذلك ، وبعث الكتاب مع رسول ، فلما ورد إلى قتيبة وتناوله الكتاب شرط الرسول فخبج واستحيا ، فقرأ قتيبة وأراد أن يقول له أقعد ، فقال : اضبط ، قال : قد فعلت ، فاستحيا قتيبة وقال : ما أردت إلا أن أقول لك أقعد فغلطت ، فقال : قد غلطت أنا وغلطت أنت ، قال قتيبة : ولا سواء أغلط أنا من فمي وتغلط أنت من استك أعلم أمير المؤمنين أن سالما كان عبداً لرجل ، وكان عنده أسيرا ، وكان يُسمَّى به إليه كثيرا ، فقال : —

يُديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم فأراد عبد الملك أنك عندى بمنزلة سالم ؛ فلما أتى الحجاج بالرسالة كتب له

عهدا على خراسان

وقد حكى نحو هذا الخبر عن رجل كان في مجلس خالد بن عبد الله

القسرى ، فضرط ، فلما حضر الغداء قام ذلك الرجل ، فقال له خالد : اقمعد ، فأبى ، فقال له : أقسمت عليك لتضرطن ، قال : قد ضرطت ، ففجبل خالد واعتذر إليه وأمر له بمال

وأهدى إلى عبد الملك أترسة مكالة بالدر والياقوت فأعجبته ، وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته ، فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد : اغمز منها ترسا ، وأراد أن يمتحن صلابته ، فقام فغمزه فضرط ، فاستضحك عبد الملك ، فضحك جلساؤه ، فقال : كم دية الضرطة ؟ فقال بعضهم : أربعائة درهم وقطيفة ، فأمر له بذلك ، فانشأ يقول رجل من القوم : —

أيضرط خالد من غمز ترس ويحبوه الأمير بها بدورا
فيالك ضرطة جلبت غناء ويالك ضرطة أغنت فقيرا
يود الناس لو ضرطوا فسالوا من المال الذى أعطى عشيرا
ولو نعلم بأن الضرط يغنى ضرطنا ؛ أصلح الله الأميرا

فقال عبد الملك : أعطوه أربعة آلاف درهم ، ولا حاجة لنا فى ضراطك

وحدث أحمد بن سعيد الدمشقى والطوسى وغيرهما فى كتاب الأخبار المعروف بالموقعيات ، عن الزبير بن بكار ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد ابن عتبة بن أبى لهب ، قال : حج عبد الملك فى بعض أعوامه ، فأمر للناس بالعطاء ، فخرجت بدرة مكتوب عليها « من الصدقة » فأبى أهل المدينة من قبولها وقالوا : إنما كان عطاؤنا من الفىء ، فقال عبد الملك وهو على المنبر : يامعشر قریش ، مثلنا ومثلکم أن أخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين ، فزلا فى ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت إليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته إليهما ، فقالا : إن هذا لمن كنز ، فأقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج إليهما دينارا ، فقال أحدهما لصاحبه : إلى متى ننتظر هذه الحية ؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه ؟ فنجاه أخوه ، وقال : ما ندرى لعلك تعطب ولا تدرك المال ، فأبى عليه ، وأخذ فأسامعه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم

خطبة عبد

الملك وقد

سخط أهل

المدينة عطاءهم

تقتلها ، فثارت الحية فقتلته ، ورجعت إلى جحرها ، فقام أخوه فدفنه ، وأقام حتى إذا كان من الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شيء ، فقال لها : يا هذه ، إني والله ما رضيت ما أصابك ، ولقد نهيت أخى عن ذلك ، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضرينى ولا أضرك وترجعين إلى ما كنت عليه ؟ قالت الحية : لا ، قال : ولم ذلك ؟ قالت : إني لأعلم أن نفسك لا تطيب لى أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسى لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة ، وأنشدتم شعر النابغة فقالت أرى قَبْرًا تَرَاهُ مُقَابِلِي وَضَرْبَةً فَاسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاعْرِهْ

فيا معشر قريش ، وليكم عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مضيقا عليكم ، فسمعتم له وأطعتم ، ثم وليكم عثمان فكان سهلا ، فعدوتم عليه فقتلتموه ، وبعثنا عليكم مسلما يوم الحرة فقتلناكم ، فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدا ، وأنتم تذكرون يوم الحرة ، ونحن لا نحبكم أبدا ونحن نذكر قتل عثمان وحدث المدائني وابن دأب أن روح بن زنباع جالس عبد الملك رأى منه

جفا عبد الملك
روح بن زنباع
فاحتال حتى
أرضاه

إعراضا وجفوة ، فقال للوليد بن عبد الملك : أما ترى ما أنا فيه من أمير المؤمنين باعراضه عنى بوجهه حتى لقد فغرت السباع بأفواها نحوى وأهوت بمخالبها إلى وجهى ؟ فقال له الوليد : احتل له فى حديث تضحكه به كما احتال مرزبان نديم سابور بن ملك فارس ، قال روح : وما كان من خبره مع الملك ؟ قال الوليد : كان مرزبان هذا من سمار سابور ، فظهرت له من سابور جفوة ، فلما علم ذلك تعلم نباح الكلاب ، وعى الذئاب ، ونهيق الحمير ، وزقاء الديوك ، وشحيج البغل ، وصهيل الخيل ، ومثل هذا ، ثم توصل إلى موضع يقرب من مجلس خلوة الملك وفراشه ، وأخفى أثره ؛ فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب ، فلم يشك الملك أنه كلب ، فقال الملك : ما هذا ؟ فعوى عواء^(١) الذئاب ، فنزل الملك عن سريره ، فنهق نهيق الحمير ، فمضى الملك هاربا ، ومضى الغلمان يتبعون الصوت ، فكلما دنوا منه ترك ذلك الصوت وأحدث صوتا آخر من أصوات البهائم ؛ فأحجموا

(١) فى بعض الأصول « عى الذئاب » والذى أثبتناه هو الوجه فى العربية .

عنه ، ثم اجتمعوا فاقترحوا عليه فأخرجوه ، فلما نظروا إليه قالوا للملك : هذا مرزبان المضحك ، فضحك الملك ضحكا شديدا ، وقال له : ويلك ! ! ما حملك على هذا ؟ قال : إن الله مسخى قلبا وحارا وكل خلق لَمَّا غضبت على ، فأمر الملك بالخلع عليه ورده إلى مرتبته التي كان فيها ، وتجدد للملك به سرور ، فقال روح الوليد : إذا اطمأن المجلس بأمر المؤمنين فأسألك عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح أو يسمع مزاحا ؟ قال الوليد : أفعل ، وكان ابن عمر صاحب سلامة لا يمزح ولا يعرف شيئا من المزاح ، فتقدم الوليد وسبقه بالدخول ، فتبعه روح ، فلما اطمأن بهما مجلس عبد الملك قال الوليد : يا أبا زرعة ، هل كان ابن عمر يمزح أو يسمع المزاح ؟ قال روح : حدثني ابن أبي عتيق أن امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن الخزومية هجته فقالت : —

ذَهَبَ إِلَهُهُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ وَقُمِرْتَ عَيْشَكَ أَيْمًا قَمَرٍ
أَنْفَقْتَ مَالَكِ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ فِي كُلِّ زَانِيَةٍ وَفِي خَمَرٍ

وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة ، فأخذ هذين البيتين في رقعة وخرج ، فاذا هو بابن عمر ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، انظري هذه الرقعة وأشر على رأيك فيها ، فلما قرأها عبد الله استرجع ، فقال له : ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر ؟ قال : أرى أن تغفو وتصفح ، قال : والله يا أبا عبد الرحمن لئن لقيته بناحية لأنيكنه نيكاجيدا ، فأخذ [ت] ابن عمر خذلة ورعدة واربد لونه ، وقال : مالك غضب الله عليك ؟ قال : ما هو إلا ما قلت لك ، وافترقا ، فلما كان بعد أيام لقيه فأعرض عنه ابن عمر ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إني لقيت صاحب البيتين ونكته ، فصعق عبد الله بن عمر ، فلما رأى ما حل به دنا منه وقال له في أذنه : إنها امرأتى ، فقبل ما بين عينيه وضحك ، وقال : أحسنت فزدها ، فضحك عبد الملك حتى فخص برجله ، وقال له : قاتلك الله يا روح ، ما أطيّب

حديثك ، ومديده إليه ، فقام إليه روح فأكب عليه وقبل أطرافه ، وقال :
يا أمير المؤمنين ، أالذنب فأعتذر أم لملالة فأصبر وأرجو عاقبتها ؟ قال : لا والله
ما ذاك لشيء تكرهه ، ثم عاد إلى أحسن حالاته

وقد حكى مثل هذا عن عبد الملك بن مهلهل الهمداني ، وكان سميرا سليمان
ابن المنصور ، وكان سليمان قد جفاه ، فأتاه يوما في قائم الظهيرة واحتدام الهجيرة
فاستأذن ، فقال له الحاجب : ليس هذا بوقت إذن على الأمير ، فقال : أعلمه
بمكاني ، فدخل فاستأذن له ، فقال له سليمان : مره يسلم قائما ويخفف ، فخرج
الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف ، فدخل فسلم قائما ثم قال : أصالح الله الأمير ،
إني انصرفت بالأمس إلى نحو منزلي وقد أمسيت ، فبينما أنا في طريقي إذ أذن
مؤذن ، فدنوت ، ثم صعدت إلى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت ،
قال سليمان : فبلغت السماء فكان ماذا ؟ قال : فتقدم إنسان إما كردى أو
طمطاني ، فأمر القوم بكلام ما أفهمه ولغة ما أعرفها ، فقال : ويل لكل ومة رمأ
مالا وعده ، قال : يريد ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعده ، فإذا خلفه
سكران ما يعقل سكرًا ، فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول : أيرعنكي
درليلكي في حرام قارئك ومصليك ، فضحك سليمان حتى تمرغ على فراشه ،
وقال : ادن مني يا أبا محمد فأنت أطيب أمة محمد ، ثم دعا بخلعة وقال : الزم الباب
واغد في كل يوم ، وعاد إلى أحسن حالاته عنده

ذكر [طرف] من أخبار الحجاج وخطبه

وما كان منه في بعض أفعاله

زواج أبي
الحجاج بأمة
الفارعة

كانت أم الحجاج عند الحرث بن كلدة ، فدخل عليها في السحر فوجدها تتخلل ، فبعث إليها بطلاقها ، فقالت : لم بعثت إلى بطلاقي ؟ أليس رابك مني ؟ قال : نعم ، دخلت عليك السحر وأنت تتخللين ، فإن كنت بادرت الغداء فأنت شرهة ، وإن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة ، فقالت : كل ذلك لم يكن ، لكنني تخللت من شطأيا السواك ، فتزوجها بعده يوسف بن عتيل الثقفي أبو الحجاج ، فولدت له الحجاج بن يوسف مشوَّها لا دبر له ، فثقب عن دبره ، وأبى أن يقبل ثدى أمه وغيرها ، فأعياهم أمره ، فيقال : إن الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة ، فقال : ما خبركم ؟ فقالوا : ابن ولد ليوسف من الفارعة ، وكان اسمها ، وقد أبى أن يقبل ثدى أمه ، فقال : اذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه ، فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك ، فإذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ، ثم اذبحوا له أسود ساخا فأولغوه دمه واطلوا به وجهه ؛ فإنه يقبل الثدي في اليوم الرابع ، قال : ففعلوا به ذلك ، فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في بدء أمره ، هذا ، وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكثر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ولا سبق إليها سواه

حدثنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن داود البصري المنقري ، قال : حدثني عبد الملك بن بولي ابن عائشة وغيره ، قال : سمعت أبي يقول : لما غلبت الخوارج على البصرة بعث إليهم عبد الملك جيشا فهزموه ، ثم بعث إليهم آخر فهزموه ، فقال : من للبصرة والخوارج ؟ فقيل له : ليس لهم إلا المهلب بن أبي صفرة ، فبعث إلى المهلب ،

فقال : على أن لي خراج ما أجليتهم عنه ، قال : إذن تشركني في ملكي ، قال :
فتثأه ، قال : لا ، قال : فنصفه ؛ والله لا أنقص منه شيئاً ، على أن تمدني بالرجال
فاذا أخلت فلا حق لك على ، فجعلوا يقولون : ولّى عبد الملك على العراق رجالاً
ضعيفاً ، وجعل يقول : بعث المهلب حتى يحارب الخوارج فركب دجلة ، ثم
كتب المهلب إلى عبد الملك : إنه ليس عندي رجال أقاتل بهم ، فأما بعثت إلى
بالرجال وإما خلعت يديهم وبين البصرة ، فخرج عبد الملك إلى أصحابه فقال :
ويلكم !! من للعراق ؟ فسكت الناس وقام الحجاج وقال : أنا لها ، قال : اجلس ،
ثم قال : ويلكم !! من للعراق ؟ فصمتوا ، وقام الحجاج وقال : أنا لها ، قال :
اجلس ، ثم قال : ويلكم !! من للعراق فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال : والله أنا لها
يا أمير المؤمنين ، قال : أنت زبورها ، فكتب إليه عهده ، فلما بلغ القادسية أمر
الجيش أن يقيموا وأن يروحوا وراءه ، ودعا بجمل عليه قتب فجلس عليه بغير خشبة
ولا وطاء ، وأخذ الكتاب بيده ، ولبس ثياب السفر ، وتعمم بعمامته حتى دخل
الكوفة وحده ، فجعل ينادي : الصلاة جامعة ، وما منهم رجل جالس في مجلسه
إلا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر [من] ذلك من أهله ومواليه ، وصعد المنبر
متلماً متنكباً قوسه ، فجلس واضعاً إبهامه على فيه ، فقال بعضهم لبعض : قوموا
حتى نخصبه ، قال له بعض أهل بيته : أصلحك الله اكفف عن الرجل حتى
نسمع ما يقول ؛ فمن قائل يقول : حضر الرجل فما يقدر على الكلام ، ومن قائل
يقول : أعرابي ما أبصر حجته ، فلما غصّ المجلس بأهله حصر اللثام عن وجهه ،
ثم قام ، ونحى العمامة عن رأسه ، فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه ، ولا صلى على
نبيه ، وكان أول ما بدأهم به أن قال :

أَنَا ابْنُ جَلَّاءٍ وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

إني والله لأرى أبصاراً طامحة ، وأعناقاً متطاولة ، ورءوساً قد أينعت وحن
قطافها ، وإني [أنا] صاحبها ، كما نرى أنظر إلى الدماء تَرَقَّرُقُ بين العائم واللحي

خطة الحجاج
أول ما ولي
العراق

هذا أوانُ الحربِ فاشتدَّى زَيْمٌ قد لَفَّهَا الليلُ بسَوَاقِ حُطَمٍ
ليس براعى إِبِلٍ ولا غنمٍ ولا بجزَّارٍ على ظهرٍ وَصَمٍ
وقال :

قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِمُصْلِيٍّ أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَى
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ

وقال :

قد شمرت عن ساقها فكدوا وجَدَّتْ الحربُ بكم فجدُّوا
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عُرْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كَنَانَتَهُ ، فوجدني أمرها طعمًا وأحدها سنانًا ،
وأقواها قداحا ، فإن تستقيموا تستقيم لكم الأمور ، وإن تأخذوا إلى بَشَنِيَّاتِ
الطريق ، تجدوني لكل مرصد مرصدا ، والله لا أُقِيلُ لكم عَثْرَةَ ، ولا أَقْبِلُ
منكم عِذْرَةَ

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، والله ما أغمر
تغامر التنين ^(١) ولا يقعق لي بالشَّئَانِ ، ولقد فُرِّرت عن ذكاء ، وقُشِّت عن
تجربة ، والله لألحونكم لحو العود ، ولأعصبنكم عصب السلعة ، ولأضربنكم
ضرب غرائب الإبل ^(٢) ، ولأقرعنكم قرع المروة

يا أهل العراق ، طالما سعيتم في الضلالة ، وسلكنم سبيل الغواية ، وسننتم
سنن السوء ، وتماديتم في الجهالة ، ياعبيد العضا وأولاد الإماء ، أنا الحجاج بن
يوسف ، أنا والله لأعدي إلاً وفيت ، ولأحلف لإبريت ، فإياكم وهذه الزرافات
والجماعات ، وقال وقيل ، وما يكون وما هو كائن ، وما أتم وذاك يا بني اللكيعة ،
لينظر الرجل في أمر نفسه ، وليحذر أن يكون من فراسي .

(١) المروى والمحفوظ « ما يغمر جانبي كتغماز التنين »

(٢) في بعض النسخ « عراب الإبل »

يا أهل العراق ، إنما مثلكم كما قال الله عز وجل (كمثل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف - الآية) فأسرعوا واستقيموا ، واعتدلوا ولا تميلوا ، وشايعوا وبايعوا ، واصفحوا ، واعلموا أنه ليس مني إلا كثار والإيذار ، ولا منكم الفرار والنفار ، إنما هو انتضاء السيف ، ثم لا أغمده في شتاء ولا صيف ، حتى يقيم الله لأمر المؤمنين أودكم ، ويذل به صعبكم .

إني نظرت فوجدت الصدق مع البر ، ووجدت البر في الجنة ، ووجدت الكذب مع الفجور ، ووجدت الفجور في النار .

ألا إن أمير المؤمنين أمرني باعطائكم وإشخاصكم إلى محاربة عدوكم مع المهلب وقد أمرتكم بذلك ، وأجلت لكم ثلاثاً ، وأعطيت الله عهداً يؤاخذني به ويستوفيه مني ، أن لا أجد أحداً من بعث المهلب بعدها إلا ضربت عنقه ، وأنهبت ماله ، يا غلام ، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين .

فقال الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمد الله إليكم .

فقال الحجاج : اسكت يا غلام ، ثم قال مغضباً : يا أهل العراق والنفاق والشقاق ومساوى الأخلاق ، يا أهل الفرقة والضلال ، يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام ؟ أما والله لئن بقيت لكم لألحونكم لحو العود ، ولأؤدبنكم أدبا سوى هذا الأدب ، هذا أدب ابن سمية ، وهو صاحب شرطة كان بالعراق ، اقرأ يا غلام الكتاب ، فلما بلغ السلام قال أهل المسجد : وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته

ثم نزل ، وأمر للناس باعطائهم ، والمهلب يومئذ بمهرجان يقاتل الأزارقة . فلما كان اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه يعرض الناس ، فمر به عمير بن

مقتل عمير
ابن ضابي
البرجني

ضابي، البرجني ثم أحد بني الحداية ، وكان من أشرف أهل الكوفة ، وكان من بعث المهلب ، فقال : أصلح الله الأمير ، إني شيخ كبير زَمِنَ عليل ضعيف ، ولي عدة أولاد ، فليختر الأمير أيهم شاء مكاني ، أشدهم ظهرا ، وأكرمهم فرسا ، وأتمهم أداة ، قال الحجاج : لا بأس بشاب مكان شيخ ، فلما ولّى قال له عنبة ابن سعيد ومالك بن أسماء : أصلح الله الأمير ، أتعرف هذا ؟ قال : لا ، قال : هو عمير بن ضابي التميمي الذي وثب على أمير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه ، فقال : إنه كان حبس أبي شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات في سجنه ، فقال الحجاج : أما أمير المؤمنين عثمان فتغزوه بنفسك ، وأما الأزارقة فتبعث إليهم بالبدل ، أوليس أبوك الذي يقول : —

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ وَأُولَيْتُ الْبُكَاءَ حَلَالَهُ^(١)

أما والله إن في قتلك ، أيها الشيخ ، لصالح المصيرين ، ثم أقبل يُصَعِّدُ بصره إليه ويعض على لحيته مرة ويسرحها أخرى ، ثم أقبل عليه فقال : يا عمير سمعت مقاتلي على المنبر ؟ فقال : نعم ، قال : والله إنه لتبيح بمثلي أن يكون كذابا ، قم إليه يا غلام فاضرب عنقه ، ففعل ، فلما قتل ركب الناس كل صَعْبٍ وَذَلُولٍ ، وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب ، فازدحموا على الجسر حتى سقط بعض الناس في الفرات ، فأتاه صاحب الجسر فقال : أصلح الله الأمير ، قد سقط بعض الناس في الفرات ، قال : ويحك !! ولم ذلك ؟ قال : أهل هذا البعث ازدحموا على الجسر حتى ضاق بهم ، قال : انطلق فاعقد لهم جسرين .

وخرج عبد الله بن الزبير الأسدي مذعورا ، حتى إذا كان عند اللجامين لقيه رجل من قومه يقال له إبراهيم فقال له : ما الخبر ؟ فقال ابن الزبير : الشر الشر ، قتل عمير من بعث المهلب ، وأنشأ يقول :

(١) المحفوظ :

هَمَمْتُ ، وَلَمْ أَفْعَلْ ، وَكَدْتُ ، وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبَسُّكَ حَلَالَهُ

أقول لإبراهيم لما لقيته
تجهز فإما أن تزور ابن ضايء
أرى الأمر أمتى مهلكا متصعبا
عميراً وإما أن تزور المهلبا
فهما خطتنا خسف نجاؤك منهما
ركوبك حيرانا من البلج أشهباً
فأضحى ولو كانت خراسان دونه
رأها مكان السوق أو هو أقربا
وإلا فما الحجاج مغمد سيفه
مدى الذر حتى يترك الطفل أشيباً

وخرج الناس هرباً إلى السواد ، وأرسلوا إلى أهاليهم أن زدودونا ونحن بمكاننا
وقال الحجاج لصاحب الجسر : افتح ولا تحمل بين أحد وبين الخروج ، ووجه
العراض إلى المهلب ، فما أتت على المهلب عشرة حتى ازدحموا عليه ، فقال : من
هذا الذى استعمل على العراق ؟ من هذا الذى ذكر الرجال ؟ فويل والله للعدو
إن شاء الله تعالى .

وقد كان الحجاج استعمل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على سجستان
وبست والرخج ، فخارب من هنالك من أمم الترك ، وهم أنواع من الترك يقال لهم
الطغرغر والجلج ، وحارب من يلى تلك البلاد من ملوك الهند ، مثل زنبيل
وغیره ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مراتب ملوك الهند وغيرهم من ملوك
العالم ، وذكرنا مملكة كل واحد منهم ، والصقع الذى هو به وذوى السياسات
منهم ، وبيننا أن كل ملك يلى هذا الصقع من بلاد الهند يقال له زنبيل ؛ فخلع
ابن الأشعث طاعة الحجاج ، وصار إلى بلاد كرمان ، فثنى بخلع عبد الملك ، واتقاد
إلى طاعته أهل الرى والجبال مما بين الكوفة والبصرة وغيرها ، وسار الحجاج إلى
البصرة ، وسار ابن الأشعث إليه ، فكانت له حروب عظيمة ، وفى عبد الرحمن بن
الأشعث يقول : —

الحجاج يولى
ابن الأشعث
سجستان
فيخرج عليه

خلع الملوك وسار تحت لوائه شجر العرى وعراعر الأقدام
وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك يعلمه بخبر ابن الأشعث ، فكتب
إليه عبد الملك : لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه ، وسلطانه بشماله ، وخرج من

الدين عريانا ، وإني لأرجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم في ذلك على يد أمير المؤمنين ، وما جوابه عندي في خلع الطاعة إلا قول القائل : —

أناة وحلما وانتظاراً بهم غداً فما أنا بالقالى ولا الضريع الغمر
أظن صروف الدهر بينى وبينكم ستحملكم منى على مركب وعز
ألم تعلموا أنى تخاف عزائى وأن قناتى لا تالين على الكسر

ودخل ابن الأشعث الكوفة ، وكتب الحجاج كتابا إلى عبد الملك يذكر فيه جيوش ابن الأشعث وكثرتها ، ويستنجد عبد الملك ويسأله الأمداد ، وقال في كتابه : واغوثاه يا الله ، واغوثاه يا الله ، واغوثاه يا الله ، فأمدته بالجيوش ، وكتب إليه : يالبيك ، يالبيك ، يالبيك

وقعة دير
الحجاج ومقتل
ابن الأشعث
وخطبة
الحجاج

فالتقى الحجاج وابن الأشعث بالموضع المعروف بدير الحجاج ، فكانت بينهم وقائع نيف وثمانون وقعة تفانى فيها خلق ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين ، وكانت على ابن الأشعث ، فمضى حتى انتهى إلى ملوك الهند ، ولم يزل الحجاج يحتال في قتله حتى قتل ، وأتى برأسه ، فعلا الحجاج منبر الكوفة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أهل العراق ، إن الشيطان استبطنكم فخالط اللحم منكم والعظم والأطراف والأعضاء ، وجرى منكم مجرى الدم ، وأفضى إلى الأضلاع والأخماج ، فحشى ما هناك شقاقا واختلافا ونفاقا ، ثم أربع فيه فعمش ، وباض فيه ففرخ ، واتخذتموه دليلا تتابعونه ، وقائداتطاوعونه ، ومومرا تستأمرونه ، أستم أصحابي بالأهواز حين سعيتم بالغدر بي فاستجمعتم على ؟ وحيث ظننتم أن الله سيمخذل دينه وخلافته ، وأقسم بالله إني لأراكم بطرفي وأتم تتسللون لو أذا منزهين ، سراعافترقين ، كل امرئ منكم على عنقه السيف رعبا وجبنا ، ويوم الزاوية وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلكم وتخاذلكم ، وبراءة الله منكم ، وتوليكم على أكتافكم السيوف هارين ، لا يسأل الرجل عن بنييه ،

ولا يَكُونُ امرؤ على أخيه ، حين عَضَّ لَكُمْ السلاح ، وقصفتكم الرماح ، ويوم
دير الجماجم ، بها كانت الملاحم ، والمعارك العظام :

ضَرْبًا يُزِيلُ الهام عن مَقِيلِهِ وَيُدْهِلُ الخليل عن خَلِيلِهِ

فما الذي أرجوه منكم يا أهل العراق ؟ أم ما الذي أتوقعه ؟ ولماذا أستبقيكم ؟
ولأى شيء أذخركم ؟ العجرات بعد العدوات ؟ أم للنزوة بعد النزوات ؟ وما الذي
أراقب بكم ؟ وما الذي أنتظر فيكم ؟ إن بعثتم إلى ثغوركم جبتم ، وإن أمنتم أو
خفتم نافقتم ، لا تجزون بحسنة ولا تشكرون نعمة .

يا أهل العراق ، هل استنبحكم نابج ، أو استشلاك عاق ، أو استخفكم ناكث ،
أو استنفركم عاص إلا تابعتموه وبايعتموه ، وآو يتموه وكفتموه ؟ يا أهل العراق ،
هل شغب شاعب أو نعب ناعب أو دبي كاذب إلا كنتم أنصاره وأشياعه ؟
يا أهل العراق ، لم تنفعكم التجارب وتحفظكم المواعظ أو تعظمكم الوقائع ، هل
يجمع في صدوركم ما أوقع الله بكم عند مصادر الأمور ومواردها ؟

يا أهل الشام ، أنا لكم كالظلم الرامح عن فراخه ، ينفي عنهن القذى ،
ويعفهن من المطر ، ويحفظهن من الذباب ، ويحميهن من سائر الدواب ، لا يخلص
إليهن معه قذى ، ولا يفضي إليهن بداء ، ولا يمسهن أذى

يا أهل الشام ، أنتم العدة والعدد ، والجند والحرب ، إن حارب محارب أو
جانب مجانب ، وما أنتم وأهل العراق إلا كما قال نابغة بنى جعدة :

وإنَّ تداعِيَكُمْ حَظَّهُمْ وَلَمْ تُرْزَقُوهُ وَلَمْ نَكْذِبْ
كقول اليهود قَتَلْنَا الْمَسِيحَ وَلَمْ يَقْتُلُوهُ وَلَمْ يُصَلِّبْ

في أبيات

ولما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم وأعطى الأموال بلغ ذلك
عبد الملك ؛ فكتب إليه : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء ،

عبد الملك
يكتب للحجاج
يؤخذه على
قسوته

وتبذيرك في الأموال ، ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء في الخطأ الدية وفي العمد القود ، وفي الأموال ردها إلى مواضعها ، ثم العمل فيها برأيه ، فانما أمير المؤمنين أمين الله ، وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل ، فان كنت أردت الناس له فما أغناهم عنك وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم ، وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران لين وشدة ، فلا يؤنسك إلا الطاعة ، ولا يوحشك إلا المعصية ، وظن بأمرير المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ ، وإذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتل جانحا ولا أسيرا ، وكتب في أسفل كتابه :

إذا أنت لم تطلب أمورا كرهتها وتطلب رضائي بالذي أنت طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلي هاربا إلى الله منه ضيع الدرّ حالبه
فان ترميني غفلة قرشية فياربما قد غصّ بالماء شاربه
وإن ترميني وثبة أموية فهذا وهذا كلّ ذا أنا صاحبه
فلا [لا] تلني والحوادث جمة فانك تجزى بما أنت كاسبه
ولا تعد ما يأتيك مني وإن تعد يقوم بها يوما عليك نواديه
ولا تدفعن للناس حقاً علمته ولا تعطين ما ليس لله جانبه

وهي أبيات من جيد ما اخترناه من قول عبد الملك

فلما قرأ الحجاج كتابه كتب : أما بعد ، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء ، وتبذيري في الأموال ، ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهلهم ، وما قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه ، فان كان قتلى أولئك العصاة سرفاً وإعطائي أولئك المطيعين تبذيراً فليسو غنى أمير المؤمنين ماسلف وليحد لي فيه حداً أنهي إليه إن شاء الله تعالى ، ولا قوة إلا بالله ، والله ماعلى من عقل ولا قود : ما أصبت القوم خطأ فأفديهم ، ولا أعطيتهم إلا لك ، ولا قتلت إلا فيك ، وأما ما أنا منتظره من أمريك فإليهما عدة ، وأعظمها محنة ، فقد عبأت

جواب الحجاج
على كتاب
عبد الملك

للعدة الجلال ، والمحنة الصبر ، وكتب في أسفل كتابه : -

إذا أنا لم أتبع رضاك وأتقي
أذاك فيومي لاتزول كواكبه
وما لامرى بعد الخليفة جنة
تقيه من الأمر الذي هو كاسبه
أسالم من سالمته من ذى قرابة
ومن لم تسالنه فاني محاربه
إذا قارف الحجاج منك خطيئة
فقامت عليه في الصباح نواديه
إذا أنا لم أذن الشفيق لنصحه
وأقصى الذي تسرى إلى عقاربته
فمن ذا الذي يرجونوآلى ويتقي
مصاوتى والدهر جم نوابه
فقفني على حد الرضالا أجوزه
مدى الدهر حتى يرجع الدرّ حالبه
وإلا فدعني والأمور فاني
شفيق رفيق أحكممتني تجاربه

وهي أبيات من جيد ما اخترناه من شعر الحجاج

فلما انتهى كتابه إلى عبد الملك قال : خاف أبو محمد صوتي ، وإن أعود

لشيء يكرهه

وحدث حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة ، فقال للحرسي : ائتني
بمحدث من المسجد ، فاعترض رجلا جسيا عظيما فقال : أجب الأمير ، فانطلق
به حتى أدخله إليه فلم يسلم ولا نطق حتى قال له الحجاج : إيه ما عندك ؟ فقال
له الرجل : إيه ما عندك ؟ فقال للحرسي : أخرجه أخرج الله نفسك ، أمرتك أن
تأتينى بمحدث فأنتيتنى بمرعوب قد ذهب فؤاده ، فخرج الحجاج ومعه صرة
دراهم إلى المسجد ، فجعل يناول الناس فيأخذونها ، حتى انتهى إلى شيخ ،
فأعطاه فنبذها ، فأعادها الحجاج فردّها ، ففعل ذلك الحجاج ثلاثا ، فدنا منه
الحجاج وقال : أنا الحجاج ، ودخل القصر ، وقال للحرسي : الحقني به ،
فدخل فسلم بلسان ذلق وقلب شديد ، فقال له الحجاج : ممن الرجل ؟ فقال :
من بنى شيبان ، قال : ما اسمك ؟ قال : سيرة بن الجعد ، قال : ياسيرة ، هل قرأت
القرآن ؟ قال : جمعته في صدري وإن عملت به فقد حفظته وإن لم أعمل به فقد

الحجاج يعني
محدثا يحدثه
في ليلة سهرها

ضيعته ، قال : فهل تفرض ؟ قال : إني لأفرض الصلب وأعرف الاختلاف في
الجد ، قال : فهل تبصر الفقه ؟ قال : إني لأبصر ما أقوم به أهلي وأرشد ذا العمى
من قومي ، قال : فهل تعرف النجوم ؟ قال : إني لأعرف منازل القمر ، وما أهتدى
به في السفر ، قال : فهل تروى الشعر ؟ قال : إني لأروى المثل والشاهد ، قال :
المثل قد عرفناه فما الشاهد ؟ قال : اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من
الشعر فإني أروى ذلك الشاهد ، فاتخذ الحجاج سميراً ، فلم يك يطلب شيئاً من
الحديث إلا وجد عنده منه علماً ، وكان يرى رأى الخوارج من أصحاب قطرى
ابن الفجاءة التميمي ، والفجاءة أمه ، وكانت من بنى شيبان ، وإنما هو رجل من
تميم ، وكان قطرى يومئذ يحارب المهلب ، فبلغ قطريا مكان سيرة من الحجاج ،
فكتب إليه بأبيات منها : —

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ابْنِ جَعْدٍ وَبَيْنَنَا	إِذَا نَحْنُ رُحْنًا فِي الْحَدِيدِ الْمَظَاهِرِ
نَجَاهِدُ فُرْسَانَ الْمَهَابِ كُلَّنَا	صَبُورٌ عَلَى وَقَعِ السُّيُوفِ الْبَوَاتِرِ
وَرَّاحَ يَجْرُ الْخَزَّ عِنْدَ أَمِيرِهِ	أَمِيرٌ بَتَقْوَى رَبِّهِ غَيْرَ أَمَرِ
أَبَا الْجَعْدِ ، أَيْنَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنَهْيُ	وَمِيرَاثَ آبَاءِ كِرَامِ الْعَنَاصِرِ ؟
أَلَمْ تَرَأِ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلٌ	وَلَا بُدَّ مِنْ بَعَثِ الْأَلَى فِي الْمُنَابِرِ
حُفَاةً عُرَاةً وَالتُّرَابَ لَدَيْهِمْ	فَمَنْ بَيْنَ ذِي رَجَحٍ وَآخِرَ خَاسِرِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ نَلْتَ يَفْنَى وَإِنَّمَا	حَيَاتُكَ فِي الدُّنْيَا كَوَقْعَةِ طَائِرٍ
فَرَّاجِعٌ أَبَا جَعْدٍ وَلَا تَكُ مَغْضَبًا	عَلَى ظُلْمَةٍ أَعَشَتْ جَمِيعَ النَّوَاطِرِ
وَتُبَّ تَوْبَةٍ تَهْدِي إِلَيْكَ شَهَادَةَ	فَإِنَّكَ ذُو ذَنْبٍ وَكَأَنَّكَ بَكَافِرٍ
وَسِرَّ نَحْوِنَا تَلَقَّ الْجِهَادَ غَنِيمَةً	تَقْدُكُ ابْتِغَاءَ رَاجِحٍ غَيْرِ خَاسِرِ
هِيَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى الرَّغِيبُ ثَوَابُهَا	إِذَا نَالَ فِي الدُّنْيَا الْغَنَى كُلُّ تَاجِرٍ

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ، ولحق بقطرى ، وطلبه
الحجاج فلم يقدر عليه ، ولم يرع الحجاج إلا وكتاب قد بدر منه فيه شعر قطرى
الذي كان كتب به إليه ، وفي أسفل الكتاب إلى الحجاج أبيات ، منها : —

فمن مبلغ الحجاج أن سميره
رأى الناس إلامن رأى مثل رأيه
فأقبلت نحو الله بالله واثقاً
إلى عصابة أما النهار فإنهم
وأما إذا ما الليل جن فإنهم
ينادون للتحكيم تالله إنهم
وحكم ابن قيس مثل ذلك فأعصموا
فلا كل دين غير دين الخوارج
ملأعين ترأكين قصد الخارج
وما كرت بى غير الإله فارج
هم الأسد أسد الغيل عند التهايج
قيام بأنواح النساء النواشج
رأوا حكم عمر وكالرياح الهوائج
بجبل شديد المتن ليس بناهج

فطرح الحجاج هذا الكتاب إلى عنبة بن سعيد ، فقال : هذا من سميرنا
الشيبانى وهو من الخوارج ولا نعلم به

ولأبى الجعد سيرة بن الجعد سمير الحجاج هذا أشعار كثيرة ، منها قوله
من أبيات : —

عجبت لحالات البلاء وللدهر
وللناس يأتون الضلالة بعدما
ولله لا يخفى عليه صنيعنا
علاً فوق عرش فوق سبع ودونه
وللحين يأتى المرء من حيث لا يدري
أنهم من الرحمن نور من البدر
حفيظ علينا فى المقام وفى السفر
سما يرى الأرواح من دونها تجرى

وقد قيل : إن هذا الشعر لغيره من الخوارج

ولأصناف الخوارج أخبار حسان من الأزارقة والأباضية وغيرها قد أتينا على
ذكرها فى كتابنا « أخبار الزمان » والأوسط ، وذكرنا ما اتفقت عليه الخوارج
واجتمعت عليه من الأصول : من إكفارهم عثمان وعلياً ، والخروج على الامام
الجالى ، وتكفير من ركب الكبائر ، والبراءة من الحكمين أبى موسى عبد الله
ابن قيس الأشعرى وعمر بن العاص السهمى ، وحكمهما ، والبراءة ممن صوب
حكمهما أوىضى به ، وإكفار معاوية وناصريه ومقلديه ومحبيه ، فهذا ما اتفقت
عليه الخوارج من الشرأة والحرورية ، ثم اختلفوا بعد ذلك فى مواضع العبارة

الخوارج وما
اتفق عليه جميع
فرقهم وما
اختلفوا فيه

عن التوحيد والوعد والوعيد والامامة ، وغير ذلك من آرائهم ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الحكمين أن أول من حكم بصفين عروة ابن أدية التيمي ، وقيل : إن أول من حكم بصفين يزيد بن عاصم المحاربي ، وقيل : إن أول من حكم رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان أول من شرى بصفين من المحكمة رجل من بني يشكر ، وكان من وجوه ربيعة ممن كان مع علي ؛ فإنه في ذلك اليوم قال : لا حكم إلا لله ، ولا طاعة لمن عصى الله ، وخرج عن الصف ، فحمل على أصحاب علي فقتل منهم رجلا ، ثم حمل على أصحاب معاوية فتحاموه ولم يقدر على قتل أحد منهم ، وكر على أصحاب علي فقتله رجل من همدان

وقد أتى الهيثم بن عدي وأبو الحسن المدائني وأبو البختري القاضي وغيرهم على أخبار الخوارج وأصنافهم فيما أفردوه من كتبهم ، وذكر أصحاب المقاتلات في الآراء والديانات ما تنازعوا فيه من مذاهبهم ، وذلك في كتابنا في « المقاتلات في أصول الديانات » وذكرنا من خرج منهم من وقت التحكيم في عصر عصر إلى آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بني حمدان ، وذلك في سنة ثمان عشرة وثلثمائة ، وهو المعروف بعرون ، وخرج ببلاد كفر بيوتى ، وورد إلى نصيبين ، فكانت له مع أهلها حرب أسر فيها وقتل منهم خلق عظيم ، والمعروف بأبي شعيب ، خرج في بني مالك وغيرهم من ربيعة ، وقد كان أدخل على المقتدر بالله ؛ وقد كان بعد العشرين والثلثمائة للأباضية ببلاد عمان مما يلي بلاد بروى وغيرها حروب وتحكيم وخروج وإمام نصبوه فقتل وقتل من كان معه ، وفي سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجي ، وولى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان في أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب ، فدخل الكوفة وتحصن في دار الإمارة ، ودخل شبيب وأمه وزوجته غزاة الكوفة عند الصباح ، وقد كانت غزاة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما

سورة البقرة وآل عمران ، فأتوا الجامع في سبعين رجلا ، فصلوا به الغداة ، وخرجت غزاة مما كانت أوجبته على نفسها ، فقال الناس بالكوفة في تلك

السنة : —

وَقَتِ الْغَزَاةَ نَذَرَهَا يَا رَبِّ لَا تَغْفِرْ لَهَا

وكانت الغزاة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم ، وكذلك أم شبيب وقد كان عبد الملك — حين بلغه خبر هرب الحجاج ، وتحصنه في دار الامارة بالكوفة من شبيب — بعث من الشام بمساكر كثيرة عليها سفيان بن الأبرد الكلبي لقتال شبيب ، فقدم على الحجاج بالكوفة ، فخرجوا إلى شبيب لخاربوه ، فانهزم شبيب وقتلت الغزاة وأمه ، ومضى شبيب في فوارس من أصحابه ، وأتبعه سفيان من أهل الشام ، فاحقه بالأهواز ، فولى شبيب ، فلما حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر فألقاه في الماء ، فقال له بعض أصحابه : أغرقا يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذلك تقدير العزيز العليم ، فألقاه دجيل ميتا بشطه ، فحمل على البريد إلى الحجاج ، فأمر الحجاج بشق بطنه واستخراج قلبه ، فاستخرج فاذا هو كالحجر إذا ضربت به الأرض نبا عنها ، فشق فاذا في داخله قلب صغير كالكرة ، فشق فأصيب علقمة الدم في داخله

موت شبيب
الخارجي

مقتل ابن القرية
وسببه

وفي سنة اثنتين وثمانين قتل الحجاج ابن القرية لخروجه مع ابن الأشعث ، وإنشائه الكتب له ، ووضع الصدور والخطب ، وكان ابن القرية من البلاغة والعلم والفصاحة بالموضع الموصوف ، وقد أتينا على خبر مقتله وما كان من كلامه مع الحجاج ، وقد كان قتله صبرا ، في الكتاب الأوسط ، وأن قتله إياه كان بالسيف ، وقيل : بل قدم إليه فضربه الحجاج بحربة في نحره فأتى عليه ، وابن القرية القاتل : الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر ؛ فأما العاقل فان الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والرأي الحسن سمعته ؛ إن نطق أصاب ، وإن كُلم

أجاب ، وإن سمع العلم وعى ، وإن سمع الفقه رَوَى ؛ وأما الأحق فان تسكلم
عَجَل ، وإن حَدَّثْ ذُهل ، وإن حمل على القبيح حَمِل ؛ وأما الفاجر فان استأمنته
خانك ، وإن صاحبتة شانك ، وإن استسكتم لم يكتم ، وإن علّم لم يعلم ، وإن
حدث لم يصدق ، وإن فقه لم يفقه

وذكر المدائني أن الحجاج لم يكن يظهر لندمائمه منه بشاشة ولا سماحة في الحجاج وليلى
الأخيلية
الخلق إلا في يوم دخلت عليه ليلي الأخيلية فقال لها : بلغني أنك مررت بقبر
توبة بن الحمير وعدلت عنه ، فوالله ما وفيت له ، ولو كان هو بمكانك وأنت
بمكانه ما عدل عنك ، قالت : أصلح الله الأمير ! إلى عذر ، قال : وما هو ؟
قالت : سمعته وهو يقول : —

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت على وفوق جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا إليها صدّي من جانب القبر صائح
وكان معي نسوة قد سمعن قوله ، فكرهت أن أكذبه ، فاستحسن الحجاج
قولها وقضى حوائجها ، وانبسط في محادثتها ، فلم ير منه بشاشة وأريحية داخلته مثل
ذلك اليوم

وذكر حماد الراوية غير هذا الوجه ، وهو أن زوج ليلي حلف عليها — ليلي الأخيلية
على قبر توبة
وقد اجتاز بقبر توبة ليلا — أن تنزل وتأتى وتسلم عليه وتكذبه حيث يقول ،
وذكر البيهقي المتقدمين ، قال : وأبت أن تفعل ، فأقسم عليها زوجها ، فنزلت
حتى جاءت إلى القبر ودموعها على صدرها كغمر السحاب ، فقالت : السلام
عليك يا توبة ، فلم تستم النداء حتى انفرج القبر عن طائر كالحمامة البيضاء ،
فضربت صدرها ، فوقعت ميتة ، فأخذوا في جهازها وكفنها ، ودفنت إلى
جانب قبره

والعرب فيما ذكرنا كلام كثير — على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا رأى العرب في
الصدى والتعليق (٦ — ٣)

الكتاب في آرائهم ومذاهبهم في الهام والصدى والصفر — وقد كانت العرب تعقل إلى جانب قبر الميت إذا دفن ناقةً ، وتجعل عليه برذعة وخشبة يُسمونها البلية ، وقد ضربوا بذلك أمثالهم ، وذكره خطبائهم في خطبهم ، فقالوا : البلاء على الولايا ، وقد كان بعضهم يتطير بالسائح ، ويتيامن بالبارح ، وبعضهم يضاد هذا ؛ فيتطير بالبارح ، ويتيامن بالسائح ، فأهل نجد يتيامنون بالسائح ، وأهل التهامم بالضد من ذلك ، على حسب ما قدمنا من قول عبید الراعى فيما سلف من هذا الكتاب

بسر بن أرطاة
يغلب على اليمن
وخطبة على
في ذلك

حدثنا المنقرى قال : حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفي ، قال : حدثنا فضيل بن مرزوق ، قال : لما غلب بسر بن أرطاة على النين ، وكان من قتله لابنى عبد الله بن العباس وأهل مكة والمدينة ما كان ؛ قام على بن أبى طالب رضى الله عنه خطيبا حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن بسر بن أرطاة قد غلب على النين ، والله ما أرى هؤلاء القوم إلا سيفعلون على ما فى أيديهم ، وما ذلك بحق فى أيديهم ، ولكن بطاعتهم واستقامتهم ، ومعصيتكم لى ، وتناصرهم وتخاذلكم ، وإصلاح بلادهم وإفساد بلادكم ، وتالله يا أهل الكوفة لو ددت أنى صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد ، ثم رفع يديه فقال : اللهم إنى قد مللتهم وملونى ، وسممتهم وسممونى ، فأبدلنى بهم خيرا منهم ، وأبدلهم بى شرا منى ، اللهم عجل عليهم بالغلام الثقفى الذى يال الميال ، يا كل خضرىها ، ويلبس فرويها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية ؛ لا يقبل من محسنها ، ولا يتجاوز عن مسيئتها ، قال : وما كان ولد الحجاج يومئذ

سؤال الحجاج
عن النعمة

حدثنا الجوهري ، عن سليمان بن أبى شيخ الواسطى ، عن محمد بن يزيد عن سفيان بن حسين ، قال : سأل الحجاج ^(١) الجوهري : ما النعمة ؟ قال :

(١) قوله سأل الحجاج الجوهري هكذا بالأصول ولعله آخر غير الراوى الأول

اه من هامش بعض النسخ

الآمن ؛ فاني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش ، قال : زدني ، قال : الصحة ؛ فاني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش ، قال : زدني ، قال : الشباب ؛ فاني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش ، قال : زدني ، قال : الفنى ؛ فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش ، قال : زدني ، قال : لا أجد مزيدا

حدثنا الجوهرى ، عن مسلم بن إبراهيم أبى عمرو الفراهيدى ، عن الصلت ^{مرض الحجاج} ابن دينار ، قال : مرض الحجاج فأرجف أهل الكوفة ، فلما تأمل من علته ^{فأشاع أهل الكوفة أنه} سعد المنبر وهو يتننى على أعواده ، فقال : إن أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا : مات الحجاج ، ومات الحجاج ، فمه ؟ والله ما أرجو الخير ^{مات فلما} كله إلا بعد الموت ، وما رضى الله الخلود لأحد من خلقه في الدنيا إلا لأهونهم عليه ، إبليس ، والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود : رب اغفرلى وهبلى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى ، فكان ذلك ، ثم اضمحل فكان لم يكن ؛ يا أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، كأنى بكل حى ميت ، وبكل رطب يابس ، وقد نقل كل امرئ بثياب ظهره إلى حفرة ، فخذ له في الأرض ثلاث أذرع طولاً في ذراعين عرضاً ، فأكلت الأرض لحمه ، وضمت من صديده ودمه ، واقلب الحبيبان يقتسم أحدهما صاحبه : حبيبه من ولده يقتسم حبيبته من ماله ، أما الذين يعلمون فسيعلمون ما أقول والسلام

حدثنا المنقرى ، عن مسلم بن إبراهيم أبى عمرو الفراهيدى ، عن الصلت بن دينار ، قال : سمعت الحجاج يقول : قال الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) فهذه ^{الله} وفيها مثنوية ، وقال (واسمعوا وأطيعوا) وهذه لعبد الله وخليفة الله ونجييب الله عبد الملك ، أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب فدخلوا في غيره لكانت دماؤهم لى حلالاً ، عذيرى من أهل هذه الحميراء ، يلقي أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول : إلى أن يبلغها يكون فرج الله ، لأجعلهم كالرسم الدابر ، وكالأمس الغابر ، عذيرى من عبد هذيل ؛ يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب ، أما

والله لو أدر كته لضربت عنقه ، يعنى عبد الله بن مسعود ، عذيرى من سليمان ابن داود يقول لربه : (رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) كان والله فيما علمت عبدا حسودا بخيلا .

الحجاج وعبد
الله بن هانىء

وحدثنا المنقرى ، عن عبيد بن أبى السرى ، عن محمد بن هشام بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن السائب ، قال : قال الحجاج يوما لعبد الله بن هانىء وهو رجل من أددحى من اليمن ، وكان شريفا فى قومه ، وقد شهد مع الحجاج مشاهد كلها ، وشهد معه تحريق البيت ، وكان من أنصاره وشيعته : والله ما كافأناك بعد ، ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة - وكان من فزارة - أن زوج عبد الله بن هانىء ابنتك ، فقال : لا ، ولا كرامة ، فدعاه بالسياط ، فقال : أنا أزوجه ، فزوجه ، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمامة : أن زوج عبد الله بن هانىء ابنتك ، قال : ومن أدد ؟ والله لا أزوجه ولا كرامة ، قال : هاتوا السيف ، قال : دعنى حتى أشاور أهلى ، فشاورهم فقالوا : زوجة لا يقتلك هذا الفاسق ، فزوجه ، فقال له الحجاج : يا عبد الله ، قد زوجتك بنت سيد فزارة ، وابنة سيد همدان وعظيم كهلان ، وما أدد هنالك ، فقال : لا تنقل أصلح الله الأمير ذلك ، فإن لنا مناقب ما هى لأحد من العرب ، قال : وما هذه المناقب ؟ قال : ما سب أمير المؤمنين عثمان فى نادٍ لنا قط ، قال : هذه والله منقبة ، قال : وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا ، وما شهد مع أبى تراب منا إلا رجل واحد ، كان والله ما علمته امرأ سوء ، قال : وهذه والله منقبة ، قال : وما منا أحد تزوج امرأة تحت أبى تراب ولا تولاه ، قال : وهذه والله منقبة ، قال : وما منا امرأة إلا نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشرين رجلا ، ففعلت ، قال : وهذه والله منقبة ، قال : وما منا رجل علم من أبيه شتم أبى تراب ولعنه إلا فعل ، وقال : وأزيدكم ابنى الحسن والحسين وأمهما ، قال : وهذه والله منقبة ، قال : وما أحد من العرب له من الملاحاة والصباحاة مالنا ، وضحك ، وكان دميا شديدا الأدمة

مجدورا في رأسه عجر مائل الشدق أحول قبيح الوجه مائل الحولة .

المنقرى ، عن جعفر بن عمرو الحرصى ، عن مجدى بن رجاء ، قال : سمعت
عمران بن مسلم بن أبى بكر الهذلى يقول : سمعت الشعبي يقول : أتى بى الحجاج
موثقا ، فلما دخلت عليه استقبلنى يزيد بن مسلم فقال : إنا لله يا شعبي ، على
ما بين دفتيك من العلم ، وليس بيوم شفاعة ، يؤ الأُمير بالشرك وبالنفاق على
نفسك ، فبالحرى أن تنجو منها ؛ فلما دخلت استقبلنى محمد بن الحجاج فقال لى
مثل مقالة يزيد ، فلما مثلت بين يدى الحجاج قال : وأنت يا شعبي فيمن خرج
علينا وكشر ؟ قلت : نعم أصلح الله الأُمير ، أحرَنَ بنا المبرك ، وأجذب الجنب ،
وضاق المسلك ، واكتحلنا السهاد ، واستحلنا الخوف ، ووقعنا فى فتنة لم نكن
فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء ، قال : صدق والله ما برَّوا بخروجهم علينا ، ولا
قوَّوا إذا فجرُوا ، أطلقوا عنه ، قال الشعبي : ثم احتاج إلى فريضة ، فقال :
ما تقول فى أخت وأُم وجد ؟ قلت : اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : عبدالله ، وزيد ، وعلى ، وعثمان ، وابن عباس ، قال : فإذا
قال فيها ابن عباس فلقد كان معنيا ؟ قلت : جعل الجد أبا ، وأعطى الأُم الثلث
ولم يعط الأخت شيئا ، قال : فما قال فيها عبد الله ؟ قلت : جعلها من ستة ؛
فأعطى الأخت النصف ، وأعطى الأُم السدس ، وأعطى الجد الثلث ، قال :
فما قال فيها زيد ؟ قلت : جعلها تسعة ؛ فأعطى الأُم ثلاثة ، وأعطى الأخت
سهمين ، وأعطى الجد أربعة ، قال : فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان ؟ قلت :
جعلها أثلاثا ، قال : فما قال فيها أبو تراب ؟ قلت : جعلها ستة ، أعطى الأخت
النصف ، وأعطى الأُم الثلث ، وأعطى الجد السدس ، قال : فضرب بيده على
أفقه ، وقال : إنه المرء يرغب عن قوله

الحجاج
والشعبي

المنقرى ، عن أبى عبد الرحمن العتبى ، عن أبيه ، قال : أراد الحجاج الحج
فخطب الناس وقال : يا أهل العراق ، إني قد استعملت عليكم محمدا وبه الرغبة
أراد الحجاج
الحج فخطب
أهل العراق

عنكم ، أما إنكم لا تستأهلونه ، وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنصار ؛ فانه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، أما إنى إذا وليت عنكم [أعلم] أنكم تقولون : لا أحسن الله له الصحابة ، وما منعكم من تعجيله إلا الفراق ، وأنا أعجل لكم الجواب ؛ لا أحسن الله عليكم الخلافة ، ثم نزل

الحجاج بن عبد العتي ، عن عبد الغنى بن محمد بن جعفر ، عن الهيثم بن عدى ، عن أبى عبد الرحمن الكنانى ، عن ابن عباس الهمداني ، عن عبيد بن أبى الخارق ، قال : استعملنى الحجاج على الفلوجة فقلت : أهنا دهقان يستعان برأيه ؟ فقالوا : جميل بن صهيب ، فأرسلت إليه ، فجاءنى شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه ، فقال : أرعجتنى وأنا شيخ كبير ، قلت : أردت يمينك وبركتك ومشورتك ، فأمر بحاجبيه فرفعا بخرقه حرير ، وقال : ما حاجتك ؟ قلت : استعملنى الحجاج على الفلوجة وهو ممن لا يؤمن شره ، فأشر على ، قال : أيما أحب إليك : رضا الحجاج أو رضا بيت المال ، أو رضا نفسك ؟ قلت : أن أرضى كل هؤلاء وأخاف الحجاج فانه جبار عنيد ، قال : فاحفظ عني أربع خلال : افتح بابك ولا يكن لك حاجب فيأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك ، وهو أجدر أن يخافك عمالك ، وأطل الجلوس لأهل عملك ؛ فانه قلما أطل عامل الجلوس إلا هيب مكانه ، ولا تخلف حكمك بين الناس ، وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء ؛ فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك ، ولا تقبل من أهل عملك هدية ؛ فإن مهديها لا يرضى من ثوابها إلا بأضعافها ، مع ما فى ذلك من المقالة القبيحة ، ثم اسلخ ما بين أفتيتهم إلى عجب أذناهم ؛ فيرضوا عنك ، ولا يكون للحجاج عليك سبيل

المنقرى ، عن يوسف بن موسى القطان ، عن جرير ، عن المغيرة ، عن

الربيع بن خالد ، قال : سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول : خليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته ؟ فقلت : لله على أن لا أصلى خلك أبدا ، ولئن رأيت قوما يجاهدونك لأقاتلنك معهم ، فقاتل في دير الحجاج حتى قتل

المنقري ، عن العتبي ، عن أبيه ، أن الحجاج وجّه الغضبان بن القبعثري إلى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الأشعث عند خلعهم ، ففصل من عنده ، فلما صار ببلاد كرمان ضرب خباءه ونزل ، فاذا هو بأعرابي قد أقبل عليه ، فقال : السلام عليك ، فقال له الغضبان : كلمة مقولة ، قال له الأعرابي : من أين جئت ؟ قال : من ورائي ، قال : وأين تريد ؟ قال : أمامي ، قال : وعلام جئت ؟ قال : على فرسي ، قال : وفيهم جئت ؟ قال : في ثيابي ، قال : أتأذن لي أن أدنو إليك ؟ قال : وراءك أوسع لك ، قال : والله ما أريد طعامك ولا شرابك ، قال : لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما ، قال : أو ليس عندك إلا ما أرى ؟ قال : بل هراوة من أرزن أضرب بها رأسك ، قال : إن الرضاء قد أحرقت قدمي ، قال : بلّ عليهماء يبردان ، قال : فكيف ترى فرسي هذا ؟ قال : أراه خيرا من شر منه وأرى آخر أفقر منه ، قال : قد علمت هذا ، قال : لو علمته ما سألتني عنه فتركه الأعرابي وولّى ، ثم دخل على عبد الرحمن بن الأشعث فقال : ما وراءك يا غضبان ؟ قال : الشر ، تغدّ بالحجاج قبل أن يتعشى بك ، ثم صعد المنبر فخطب بمعايب الحجاج والبراءة منه ، ودخل [مع] ابن الأشعث في أمره ، فلم يلبث إلا قليلا ثم أسر ابن الأشعث ، فأخذ الغضبان فيمن أسره ، فلما أدخل على الحجاج قال : يا غضبان ، كيف رأيت بلاد كرمان ؟ قال : أصلح الله الأمير ، بلاد ماؤها وشّل ، وثمرها دقل ، ولصها بطل ، والخليل بها ضعاف ، وإن كثر الجند بها جاعوا ، وإن قلوا ضاعوا ، قال : ألسنت صاحب الكلمة الخبيثة تغدّ بالحجاج قبل أن يتعشى بك ، قال : أصلح الله الأمير !! ما نفعت من قيلت له ، ولا ضرت من قيلت فيه ،

الغضبان بن
القبعثري
والحجاج بن
يوسف

قال : لأقطعن يديك ورجليك من خلاف ، ثم لأصلبنيك ، قال : لا أرى الأمير أصلحه الله يفعل ذلك ، فأمر به فقيد وألقي في السجن ، فأقام به حتى بني الحجاج خضراء واسط ، فلما استتم بناؤها جلس في محنها وقال : كيف ترون قبتي هذه ؟ قالوا : ما بنى خلق قبلك مثلها ، قال : فان فيها مع ذلك عيبا فهل فيكم مخبري به ؟ قالوا : والله لا نرى بها عيبا ، فأمر باحضار الغضبان ، فأتى به يرأسف في قيوده ، فلما دخل عليه قال له الحجاج : أراك يا غضبان سميئا ، قال : أيها الأمير القيد والرتعة ومن يكن ضيف الأمور يسمن ، قال : فكيف ترى قبتي هذه ؟ قال : أرى قبة ما بنى لأحد مثلها إلا أن بها عيبا ؛ فان أمني الأمير أخبرته به ، قال : قل آمنا ، قال : بَنَيْتُ في غير بلدك لغير ولدك لا تتمتع به ولا تنعم ، فلما لا يتمتع فيه من طيب ولا لذة ، قال : ردوه فانه صاحب الكلمة الخبيثة ، قال : أصلح الله الأمير إن الحديد قد أكل لحمي وبرى عظمي ، فقال : أحملوه ، فلما استقل به الرجال قال (الحمد لله الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كنا له مقرنين) قال : أنزلوه ، فلما استوى على الأرض قال (اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) قال : جروه ، فلما جروه قال : (بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) قال : أطلقوا عنه

خطبة القبعثرى
في أهل
الكوفة حين
سمع بولاية
الحجاج عليهم

المنقري ، عن عبد الله بن محمد بن حفص التميمي ، عن الحسين بن عيسى الحنفى ، قال : لما هلك بشر بن مروان وولى الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق ، فقام الغضبان بن القبعثرى الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل العراق ويا أهل الكوفة ، إن عبد الملك قد ولى عليكم من لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، الظلوم الغشوم ، الحجاج ، ألا وإن لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مُصْعَب وقتله ، فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه ، فان ذلك لا يعد منكم خلا ، فانه متى يعلمكم على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثم قتلتموه عدَّ خلا ، فأطيعوني

وتعدّوا به قبل أن يتعشى بكم ، فقال له أهل الكوفة : جئت يا غضبان ، بل ننتظر سيرته ؛ فان رأينا منكرا غيرناه ، قال : ستعلمون ، فلما قدم الحجاج الكوفة بلغته مقاتله وأمر به فأقام في حبسه ثلاث سنين ، حتى ورد على الحجاج كتاب من عبد الملك يأمره أن يبعث إليه بثلاثين جارية : عشرةا من النجائب ، وعشرةا من قعد النكاح ، وعشرةا من ذوات الأحلام ، فلما نظر إلى الكتاب لم يدّر ما وصفه من الجوارى ، فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه ، فقال له بعضهم : أصلح الله الأمير !! ينبغي أن يعرف هذا من كان في أوليته بدوياً فله معرفة أهل البدو ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ثم شرب الشراب فله بدء أهل الشراب ، قال : وأين هذا ؟ قيل : في حبسك ، قال : ومن هو ؟ قيل : الغضبان الشيباني ، فأحضر ، فلما مثل بين يديه قال : أنت القائل لأهل الكوفة يتغدون بي قبل أن أتعشى بهم ، قال : أصلح الله الأمير !! ما نفعت من قالمها ولا ضرت من قيلت فيه ، قال : إن أمير المؤمنين كتب إلى كتابا لم أدر ما فيه فهل عندك شيء منه ؟ قال : يقرأ على ، فقرئ عليه ، فقال : هذا بين ، قال : وما هو ؟ قال : أما النجيبة من النساء فآلتى عظمت هامتها ، وطال عنقها ، وبعد ما بين منكبها وثديها ، واتسعت راحتها ، وثخنت ركبتها ، فهذه إذا جاءت بالولد جاءت به كالليث ، وأما قعد النكاح فهن ذوات الأعجاز ، منكسرات الشدى ، كثيرات اللحم ، يقرب بعضهن من بعض ، فأولئك يشفين القرم ، ويروين الظمان ، وأما ذوات الأحلام فبنات خمس وثلاثين إلى الأربعين ، فتلك التى تبسه كما تبس الحالب الناقة فتستخرجه من كل شعر وظفر وعرق ، قال الحجاج : أخبرنى بشر النساء ، قال : أصلح الله الأمير !! شرهن الصغيرة النقة ، الحليدة الركبة ، السريعة الوثبة ، الواسطة فى نساء الحى ، التى إذا غضبت غضبها مائة ، وإذا سمعت كلمة قالت : لا والله لا أنتهى حتى أقرها قرارها ، التى فى بطنها جارية ويتبعها جارية وفى حجرها جارية ، قال الحجاج : على هذه لعنة الله ، ثم قال :

الغضبان يفسر
الحجاج كتاب
عبد الملك
ويبين له شر
النساء والرجال
وخيرها

ويحك ! فأخبرني بخير النساء ، قال : خيرهن القريبة القائمة من السماء ، الكثيرة
الأخذ من الأرض ، الودود الولود ، التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ويتبعها
غلام ، قال : ويحك ! فأخبرني بشر الرجال ، قال : شرهم السبوط الربوط ،
المحمود في حرم الحى ، الذى إذا سقط لاحداهن دلو في بئر انحط عليه حتى يخرج
فهن يجزيه الخير أو يقلن : عافى الله فلانا ، قال : على هذا لعنة الله ، فأخبرني
بخير الرجال ، قال : خيرهم الذى يقول فيه الشماخ التغلبى : —

فَتَى لَيْسَ بِالرَّاضَى بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ وَلَا فِي بَيْوتِ الْحَيِّ بِالْمُتَوَلِّجِ
فَتَى يَمْلَأُ الشَّيْزَى وَيُرْوِي سَنَانَهُ وَيَضْرِبُ فِي رَأْسِ الْكُمَى الْمَدَجَّجِ

فقال له : حسبك ، كم حبسنا عطاءك ؟ قال : ثلاث سنين ، فأمر له بها
وخلى سبيله .

المنقرى ، عن محمد بن السرى ، عن هشام بن محمد بن السائب ، عن أبى
عبد الله النخعى ، قال : لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وقدم على عبد الملك
ومعه أشرف أهل المصرين أدخلهم عليه ، فبينما هم عنده إذ تذاكروا البلدان ،
فقال محمد بن عمير بن عطار : أصلح الله الأمير ! إن الكوفة أرض ارتفعت
عن البصرة وحرها وعمقها ، وسفلت عن الشام ووبأئها ، وجاورها الفرات فعذب
ماؤها وطاب ثمرها ، فقال خالد بن صفوان الأهمى : أصلح الله الأمير ! نحن أوسع منهم
برية ، وأسرع منهم فى السرية ، وأكثر منهم قنءا وعاجا وساجا وأسا ، ماؤنا صفو ،
وخيرنا عفو ، لا يخرج من عندنا إلا قائد وسائق وناقص ، فقال الحجاج : أصلح
الله أمير المؤمنين ! إني بالبلدين خير ، وقد وطئتهما جميعا ، فقال له : قل فأنت
عندنا مصدق ، فقال : أما البصرة فمعجوز شمطاء كفراء بخراء ، أوتيت من كل
حلى وزينة ، وأما الكوفة فشابة حسناء جميلة ، لاحت لها ولا زينة ؛ فقال : عبد الملك
فضلت الكوفة على البصرة

تفضيل
الكوفة على
البصرة بين
يدى عبد الملك

المقرى ، عن عمر بن الحباب الباهلى ، عن إسماعيل بن خالد ، قال : سمعت الشعبي يقول : سمعت الحجاج يقول بكلام ما سبقه إليه أحد ، سمعته يقول : أما بعد ، فإن الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة ، فطول الأمل يقصر الأجل

المقرى ، عن سهل بن تمام بن بزيع ، عن عباد بن [حبيب بن] المهلب ، عن أبيه ، قال : لما قتل المهلب ابن عبد ربه بن الصعتر بكرمان قال : اثنوني برجل له بيان وعقل ومعرفة وأوجه إلى الحجاج برؤوس من قتلنا ، فدأوه على بشر بن مالك الجرشى ، فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟ قال : بشر بن مالك الجرشى ، قال : كيف تركت المهلب ؟ قال : تركته صالحاً نال مارجاً وأمن ما خاف ، قال : فكيف فاتكم قَطَرِي ؟ قال : كادنا من حيث كدناه ، قال : أفلا طلبتموه ؟ قال : كان الحسد أهم علينا من القتل ، قال : أصبتم ، فكيف كان بنو المهلب ؟ قال : كانوا أعداء الببكات حتى يأمنوا ، وأصحاب السرج حتى يردوا ، قال : أجل فأبهم أفضل ؟ قال : ذاك إلى أبيهم أيهم شاء أن يستكفيه أمرا كفاه ، قال : إني أرى لك عقلاً قتل ، قال : هم كالحلقة المستوية لا يدرى أين طرفها ، قال : أين هم من أبيهم ؟ قال : فضله عليهم كفضلهم على سائر الناس ، قال : كيف كان الجند ؟ قال : أرضاهم الحق ، وأشبعهم الفضل ، وكانوا مع والٍ يقاتل بهم مقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك ، فله منهم بر الأولاد ، ولهم منه شفقة الوالد ، قال : هل كنت هيأت ما أرى ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله ، قال : فالتفت الحجاج إلى عنبسة فقال : هذا الكلام الخلق لا الكلام المصنوع

وأخذ الحجاج جرير بن الخطفي ، فأراد قتله ، فمشى إليه قومه من مضر فقالوا : أصلح الله الأمير !! لسان مضر وشاعرها ، هبنا لنا ، فوهبه لهم وكانت هند بنت أسماء زوج الحجاج من طالب به ، فقالت للحجاج :

جرير الشاعر
والحجاج

أَتَأْذَنُ لِحُرَيْرٍ عَلَى يَوْمِ اسْتَنْشَدَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ؟ فَقَالَ لَهَا : نَعَمْ ، فَأَمَرَتْ بِمَجْلَسِ
لَهَا فِيهِ ، فَجَلَسَتْ فِيهِ وَالْحِجَابُ مَعَهَا ، ثُمَّ بَعَثَتْ إِلَى جُرَيْرٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَسْمَعُ
كَلَامَهَا وَلَا يَرَاهَا ، فَقَالَتْ : يَا ابْنَ الْخَطْفَى ، أَتَشْدُنِي مَا شَبَّهْتَ بِهِ فِي النِّسَاءِ ،
فَقَالَ لَهَا : مَا شَبَّهْتَ بِامْرَأَةٍ قَطْ ، وَلَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا هُوَ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنَ النِّسَاءِ ،
قَالَتْ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، وَأَبْنِ قَوْلَكَ :

طَرَفْتُكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ
تُجْرِي السَّوَاكَ عَلَى أَغْرَ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مُتُونِ غَمَامٍ
لَوْ كُنْتُ صَادِقَةً بِمَا حَدَّثْتَنِي لَوَصَلْتُ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ لِمَامٍ
سَرَّتِ الْهَمُومُ فَيَتَنَ غَيْرَ نِيَامٍ وَأَخُو الْهَمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامٍ
قال : مَا قُلْتَ هَذَا ، وَلَكِنِّي أَنَا الَّذِي أَقُولُ :-

لَقَدْ جَرَّدَ الْحِجَابَ لِلْحَقِّ سَيِّفَهُ أَلَا فَاسْتَقِيمُوا لَا يَمِيلَنَّ مَائِلُ
وَمَا يَسْتَوِي دَاعِيَ الضَّلَالَةِ وَالْهَدَى وَلَا حُجَّةَ الْخَصْمَيْنِ حَقٌّ وَبَاطِلُ
قَالَتْ : دَعِ عَنْكَ هَذَا ، فَأَبْنِ قَوْلَكَ :

خَلِيلِي لَا تَسْتَغْرِزِ الدَّمَاعَ فِي هَنْدٍ أَعِزِّدْ كَمَا بِاللَّهِ أَنْ تَجِدَا وَجْدِي
ظَلَمْتُ إِلَى شَرْبِ الشَّرَابِ وَحُسْنِهِ كَذِي فَرِيَةٍ يَرْجُو هَذَا هَا وَمَا يُجِدِي
قال لها : مَا قُلْتَ هَذَا ، وَلَكِنِّي أَنَا الَّذِي أَقُولُ :-

وَمَنْ يَأْمَنُ الْحِجَابَ ؛ أَمَّا عَمَّا بَه فَمُرُّ ، وَأَمَّا عَقْدُهُ فَوَيْقُ
يُسِرُّ لَكَ الْبُغْضَاءَ كُلُّ مَنْافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي بَرٍّ عَلَيْكَ شَفِيقُ

قَالَتْ : دَعِ عَنْكَ هَذَا ، فَأَبْنِ قَوْلَكَ :-

يَا عَاذِلِي دَعَا الْمَلَامَ وَأَقْصِرَا طَالَ الْهُوَى وَأَطْلَمَا التَّفْنِيدَا
إِنِّي وَجَدْتُ ، وَلَوْ أَرَدْتُ زِيَادَةً فِي الْحُبِّ عِنْدِي ، مَا وَجَدْتُ مُزِيدَا
فَقَالَ : بَاطِلُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، وَلَكِنِّي أَنَا الَّذِي أَقُولُ :-

مَنْ سَدَّ مَطْلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْهِمْ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحِجَّاجِ
أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيفَةً إِذْ لَا يَثْقِنَ بَغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ
هَذَا ابْنُ يُوسُفَ فَافْهَمُوا وَتَفَهَّمُوا بَرَحَ الْخَفَاءِ وَلَسَّ حَيْثُ يُفَاجِئُ ^(١)
قَلَرَبَّ نَاكثٍ بَيَعَتَيْنِ تَرَكَتَهُ وَخِصَابُ لَحِيَّتِهِ دَمُ الْأَوْدَاجِ
فَقَالَ الْحِجَّاجُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، تَحْرُضُ عَلَى النِّسَاءِ ؟ فَقَالَ : لَا وَالَّذِي أَكْرَمَكَ
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، مَا فَطَنْتَ لِهَذَا الْبَيْتِ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ ، وَمَا عَلِمْتَ بِمَكَانِكَ ، فَأَقْلَنِي
جَعَلَنِي اللَّهُ فِذَاكَ ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، فَأَمَرْتُ لَهُ هِنْدَ بِجَارِيَةِ وَكِسْوَةَ ، وَأَوْفَدَهُ
الْحِجَّاجُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ

ولما انهزم ابن الأشعث بدير الجماجم حلف الحجاج أن لا يؤتى بأسير إلا
ضرب عنقه ، فأتى بأسرى كثيرة ، وكان أول من أتى به أعشى همدان الشاعر ،
وهو أول من خلع عبد الملك والحجاج بين يدي ابن الأشعث بسجستان ، فقال
له الحجاج : إِيَّاهُ أَنْتَ الْقَائِلُ : —

مَنْ مُبْلِغُ الْحِجَّاجِ أَتَى قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْهِ حَرْبًا
وَصَفَّقْتُ فِي كَفِّ امْرِئٍ جَلَدٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ عَبَى
أَنْتَ الرَّئِيسُ ابْنُ الرَّئِيسِ وَأَنْتَ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبًا
فَابْعَثْ عَطِيَّةً بِالْخِيَمِ لِيَكْبُهَنَّ عَلَيْهِ كَبًا
وَانْهَضْ هُدَيْتَ لَعَلَّهُ يَجْلُو بِكَ الرَّحْمَنُ كَرْبًا
نَبِئْتُ أَبْنَ بَنِي يُو سَفَّ خَرٍّ مِنْ زَلَقٍ فَتَبَّا
وهي أبيات ، وأنت القائل : —

شَطَّتْ نَوَى مِنْ دَارِهِ الْإِيوَانُ إِيوَانُ كِسْرَى ذِي الْقَرَى وَالرَّيْحَانُ
مَنْ عَاشَقَ أُمْسَى بِزَابِلِسْتَانَ إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانُ

(١) كَذَا ، وَهُوَ تَخْلِيطٌ فِي الرِّوَايَةِ وَتَحْرِيفٌ فِي الْكَلَامِ ، وَصَوَابُهُ :
هَذَا ابْنُ يُوسُفَ فَافْهَمُوا وَتَفَهَّمُوا مَاضِيَ الْبَصِيرَةِ وَاضِحَ الْمُهَاجِ
فَاسْتَوْثَقُوا وَتَبَيَّنُوا سَبِيلَ الْهُدَى وَدَعُوا النُّجَى فَلَيْسَ حِينَ تَنَاجِ

كَذَابُهَا الْمَاضِي وَكَذَابُ ثَنَانٍ أَمْكَنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانٍ
* يَوْمًا مِنَ اللَّيْلِ يَسْلَى مَا كَانَ *

وَأَنْتَ الْقَائِلُ : —

وَسَأَلْتَهَا فِي الْمَجْدِ أَيْنَ مَحَلُّهُ فَالْمَجْدُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدِ
بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٍ بَخْجُ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْدُودِ

قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي الَّذِي أَقُولُ : —

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّمَ نُورُهُ وَيُطْفِئَ نُورَ الْفُقْعَتَيْنِ فَيَخْمَدَا
وَيَنْزِلَ ذَلَالًا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ بِمَا نَقَضُوا الْعَهْدَ الْوَثِيقَ الْمَوْكَدَا
وَمَا أَحْدَثُوا مِنْ بِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ مِنَ الْقَوْلِ لَمْ تَصْعَدْ إِلَى اللَّهِ مَصْعَدًا

قَالَ : لَسْنَا نَحْمَدُكَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ، إِنَّمَا قُلْتَهُ تَأْسَفًا عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ
ظَهَرْتَ وَظَهَرْتَ ، وَتَحَرِيضًا لِأَصْحَابِكَ ، وَلَيْسَ عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ ، أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِكَ :

أَمْكَنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانٍ يَوْمًا مِنَ اللَّيْلِ يَسْلَى مَا كَانَ
فَكَيْفَ تَرَى اللَّهُ أَمْكَنَ ثَقِيفًا مِنْ هَمْدَانٍ وَلَمْ يُمْكِنْ هَمْدَانٌ مِنْ ثَقِيفٍ

وَعَنْ قَوْلِكَ :

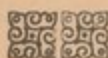
بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٍ بَخْجُ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْدُودِ
وَاللَّهُ لَا تَبْخِخُ لِأَحَدٍ بَعْدَهَا ، وَأَمْرٌ بِهِ فَضَرَبْتَ عُنُقَهُ

وَلَمْ يَزَلْ يُؤْتِي بَرَجًا رَجُلًا حَتَّى آتَى بَرَجًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، وَكَانَ مِنْ فِرْسَانَ الْجُلَاجِمِ
مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَا قَتْلَكَ شَرَّ قَتْلَةٍ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا ذَلِكْ لَكَ ، قَالَ
وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ ،
حَتَّى إِذَا انْخَضْتُمْوهُمْ فَشُدُّوا الرِّبَاقَ ، فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ ، حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)
وَأَنْتَ قَدْ قَتَلْتَ فَانْخَضْتَ ، وَأَسْرْتَ فَانْخَضْتَ ، فَمَا أَنْ تَمُنَ عَلَيْنَا أَوْ تَفْدِينَا عَشَائِرُنَا ،
فَقَالَ لَهُ الْحُجَّاجُ : أَكُفِّرْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَغَيْرَتْ وَبَدَلَتْ ، قَالَ : خَلَا سَبِيلَهُ ،

الحجاج وأسير
بني عامر

ثم أتى برجل من ثقيف فقال له الحجاج : أكفرت ؟ قال : نعم ، قال
الحجاج : لكن هذا الذى خلقتك لم يكفر ، وخلفه رجل من السكون ، قال
السكونى : أعن نفسى تخادعنى ؟ بل والله لو كان شئ أشد من الكفر لبؤت
به ، فخلى سبيلهما

فهذه جمل من أخبار عبد الملك والحجاج ، وقد آتينا على مبسوط هذه
الأخبار مما لم نورد فى هذا الكتاب فى كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط
التالى له الذى كتابنا هذا تاليه ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار
الحجاج لمعاً ، على حسب ما قدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب ،
وبالله العون والقوة



ذكر ايام الوليد بن عبد الملك

بويح الوليد بن عبد الملك بدمشق في اليوم الذي توفي فيه عبد الملك ، وتوفي الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين ، فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليتتين ، وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وكان يكنى بأبي العباس

مجل تاريخه

ذكر لمع من أخباره وسيره

وما كان من الحجاج في أيامه

كان الوليد جبارا عنيدا ، ظلوما غشوما ، وخلف من الولد أربعة عشر ذكرا : منهم يزيد ، وعمر ، ويسر العالم ، والعباس ، وكان يدعى فارس بن مروان لشهامته ، فعزل الوليد بالأمر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك على حسب [ما] رتبها ، وكان نقش خاتمه « يا وليد إنك ميت » فكان كلامهم أن يجعل الأمر في ولده قلب الفص قفرا « إنك ميت » فيقول : لاه الله لا خالفت فيما أمر به إنى لميت

أولاد الوليد

وفي سنة تسع وثمانين ابتداء الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فأنفق عليهما الأموال الجليلة ، وكان المتولى للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

بناء مسجد

دمشق والمسجد النبوي

وحكي عثمان بن مرة الخولاني قال : لما ابتداء الوليد ببناء مسجد دمشق وجد في حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب ، فلم يقدروا على قراءته ، فوجه به إلى وهب بن منبه ، فقال : هذا مكتوب في أيام سليمان بن داود عليهما السلام ، فقرأه فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ابن آدم ، لو عاينت ما بقي من يسير أهلك لزهدت فيما بقي من

لوح حجري وجد بمكان

مسجد دمشق مكتوب في عهد سليمان بن داود

طول أملك ، وقصرت غن رغبتك وحيلك ، وإنما تلقى ندمك إذا زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك ، وانصرف عنك الحبيب ، وودعك القريب ، ثم صرت تدعى فلا تجيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد ، فاغتنم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل القوت ، وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ، ويحال بينك وبين العمل ؛ وكتب زمن سليمان بن داود ؛ فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازور رد في حائط المسجد : ربنا الله لا نعبد إلا الله ، أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين ، وهذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

الحجاج يزور
الوليد بن
عبد الملك

ووفد الحجاج بن يوسف على الوليد ، فوجده في بعض نزهه ، فاستقبله ، فلما رآه ترجل له ، وقبل يده ، وجعل يمشى وعليه درع وكنانة وقوس عربية ، فقال له الوليد : اركب يا أبا محمد ، فقال : دعني يا أمير المؤمنين أستكثر من الجهاد فان ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنك ، فعزم عليه الوليد حتى ركب ، ودخل الوليد داره ، وتفضل في غلالة ، ثم أذن للحجاج فدخل عليه في حاله تلك وأطال الجلوس عنده ، فبينما هو يحادثه إذ جاءت جارية فسارت الوليد ومضت ، ثم عادت فسارته ثم انصرفت ، فقال الوليد للحجاج : أتدرى ما قالت هذه يا أبا محمد ؟ قال : لا والله ، قال : بعثتها إلى ابنة عمي أم البنين بنت عبد العزيز تقول : ما مجاستك لهذا الأعرابي المتسلح في السلاح وأنت في غلالة ؟ فأرسلت إليها إنه الحجاج ، فراعها ذلك ، وقالت : والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق ، فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ، دع عنك مفاكة النساء بزخرف القول ؛ فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانه ، فلا تطلعن على شرك ، ولا مكايده عدوك ، ولا تطلعن في غير أنفسهن ، ولا تشغلن بأكثر من زينتهن ، وإياك ومشاورتهن

في الأمور ؛ فان رأيهن إلى أفني ، وعزمهن إلى وهن ، واكفف عليهن من أبصارهن بحجبتك ، ولا تملك الواحدة منهن من الأمور ما يجاوز نفسها ، ولا تطعمها أن تشفع عندك لغيرها ، ولا تطل الجلوس معهن ؛ فان ذلك أوفر لعلك وأبين لفضلك ، ثم نهض الحجاج فخرج

ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج ، فقالت : يا أمير المؤمنين الحجاج وأم البنين أحب أن تأمره غدا بالتسليم على ، فقال : أفعمل ، فلما غدا الحجاج على الوليد قال له : يا أبا محمد ، سر إلى أم البنين فسلم عليها ، فقال : أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا بد من ذلك ، فمضى الحجاج إليها ، فحجبتة طويلا ، ثم أذنت له ، فأقرته قائما ولم تأذن له في الجلوس ، ثم قالت : إيه يا حجاج ، أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة ، ولا بقتل ابن ذات النطاقين ، وأول مولود ولد في الاسلام ، وأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم ، حتى لُذتَ بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت في أضيق من القرن ، فأظلمت رماحهم ، وأنبجك كفاحهم ، ولولا ذلك لكنت أذل من النقد ، وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فان كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فأحقه بالأخذ عنك والقبول منك ، وإن كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فانه غير قابل منك ، ولا مُصغر إلى نصيحتك ، قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك وسنان غزاة الحرورية بين كتفك حيث يقول : —

أَسَدٌ عَلَيَّ فِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ فِرْعَاءُ تَفْرَعُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ ^(١)

هَلَّا بَرَزْتُ إِلَى غَزَاةِ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ

(١) المحفوظ في الشطر الثاني * فتخاء تنفر من صفير الصافر °

أَخْرَجْنَهُ عَنِّي ، فَدَخَلَ إِلَى الْوَلِيدِ مِنْ قُوْرِهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا كُنْتُ فِيهِ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا سَكَنْتُ حَتَّى كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ ظَاهِرِهَا ، فَضَحِكَ الْوَلِيدُ حَتَّى فَحَصَّ بِرِجْلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّمَا بِنْتُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

وَلَأَمُ الْبَنِينَ هَذِهِ أَخْبَارُ كَثِيرَةٍ فِي الْجُودِ وَغَيْرِهِ ، وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى ذِكْرِهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ

وفاة زين
العابدين على
ابن الحسين

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ قَبِضَ عَلَيَّ بَنُ الْحُسَيْنِ بَنُ عَلِيٍّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَلِكِ الْوَلِيدِ ، وَدُفِنَ بِالْمَدِينَةِ فِي بَقِيعِ الْغُرَقْدِ مَعَ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ بَنِ عَلِيٍّ ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ قَبِضَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ، وَكَانَ عَقِبَ الْحُسَيْنِ مِنْ عَلِيٍّ بَنِ الْحُسَيْنِ ، وَهُوَ السَّجَادُ عَلَيَّ مَا ذَكَرْنَا ، وَذُو الثَّنَاتِ ، وَزَيْنُ الْعَابِدِينَ

مرض عبد
الملك ووفاته
ونصيحته لولده

وَذَكَرَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : دَخَلَ الْوَلِيدُ عَلَى أَبِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ عِنْدَ وَفَاتِهِ ، فَجَمَلَ يَبْكِي عَلَيْهِ ، وَقَالَ : كَيْفَ أَصْبَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : —
وَمُسْتَعْلٍ عَنَّا يَرِيدُ بَنَا الرَّدَى وَمُسْتَعْبِرَاتٍ وَالْعَيُونَ سَوَاجِعُ
أَشَارَ بِالْمَصْرَاعِ الْأَوَّلِ إِلَى الْوَلِيدِ ، ثُمَّ حَوْلَ وَجْهَهُ عَنْهُ وَأَشَارَ بِالْمَصْرَاعِ الثَّانِي إِلَى نِسَائِهِ ، وَهُنَّ الْمُسْتَعْبِرَاتُ

وَذَكَرَ الْعَتَبِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَخْبَارِيِّينَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا سَأَلَهُ الْوَلِيدُ عَنْ خَبَرِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ أَنْشَأَ يَقُولُ : —

كَمْ عَائِدٍ رَجُلًا وَلَيْسَ يَعُودُهُ إِلَّا لِيَنْظُرَ هَلْ يَرَاهُ يَمُوتُ
وَقِيلَ : إِنْ عَبْدُ الْمَلِكِ نَظَرَ إِلَى الْوَلِيدِ وَهُوَ يَبْكِي عَلَيْهِ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ :
يَا هَذَا ، أَحْنَيْنَ الْحَمَامَةَ ؟ إِذَا أَنَامْتَ فَشَمَّرْ وَاتَّرَرْ ، وَالْبَسْ جِلْدَ نَمْرٍ ، وَضَعْ سَيْفَكَ
عَلَى عَاتِقِكَ ، فَمَنْ أَبْدَى ذَاتَ نَفْسِهِ لَكَ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ مَاتَ بِدَائِهِ ،
ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَذُمُ الدُّنْيَا فَقَالَ : إِنْ طَوِيلَكَ لِقَاصِيرُ ، وَإِنْ كَثُرَكَ لِقَلِيلُ ،

وإن كُنَّا منك لفي غرور ، ثم أقبل على جميع ولده فقال : أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية ، وجنة واقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل في المعاد ، وهي أحسن كهف ، وليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير ، مع سلامة الصدور ، والأخذ بحمائل الأمور ، وإياكم والبغى والتحاسد ، فبهما هلك الملوك الماضون ، وذوو العز المسكين ، يا بني ، أخوكم مسامة نأبكم الذي تفرون عنه ، ومجنكم الذي تستجنون به ، اصْدُرُوا عن رأيهِ ، وأَكْرَمُوا الحجاج فانه الذي وطأ لكم هذا الأمر ، كونوا أولادا أبرارا ، وفي الحروب أحرارا ، وللمعروف منارا ، وعليكم السلام

وسأله بعض شيوخ بني أمية — وقد فرغ من وصية أولاده هذه — كيف تجددك يا أمير المؤمنين ؟ قال : كما قال الله عز وجل (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) إلى قوله (ما كنتم ترزعمون) فكان هذا آخر كلام سمع منه

خطبة الوليد
بعد موت أبيه

فلما قضى سَجَّاه الوليد ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : لم أر مثلاً مصيبة ، ولا مثلاً نعمة ، فقدت الخليفة ، وتقلدت الخلافة ، فانا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة ، والحمد لله رب العالمين على النعمة ، ثم دعا الناس إلى بيعته فبايعوا ، ولم يختلف عليه أحد

موت عبيد الله
ابن العباس

ومات في أيام الوليد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وذلك في سنة سبع وثمانين ، وكان جواداً كريماً ، وذكر أن سائلاً وقف عليه فقال : تصدق بما رزقك الله فأنى نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر إليه ، فقال : وأين أنا من عبيد الله ؟ قال له : وأين أنت في الحسب أو في كثرة المال ؟ قال : فيهما جميعاً ، قال : إن الحسب في الرجل مروءته وحسن فعله ، فاذا فعلت ذلك كنت حسيباً ، فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه ، فقال له السائل : إن لم تكن عبيد الله فأنت خير منه ، وإن كنت هو فأنت اليوم

كرم عبيد الله

خير منك أمس ، فأعطاه ألفاً أيضاً ، فقال : لئن كنت عبيد الله إنك لأسمع أهل دهرك ، وما إخالك إلا من رهط فيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسألك بالله أنت هو ؟ قال : نعم ، قال : والله ما أخطأت إلا باعتراض الشك بين جوانحي ، وإلا فهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لا تكون إلا في نبي أو عترة نبي .

وذكر أن معاوية وصله بخمسمائة ألف درهم ، ثم وجه له من يتعرف له خبره أرسل معاوية فانصرف إليه فأعلمه أنه قسمها في سُمّاره وإخوانه حصصاً بالسوية ، وأبقى لنفسه مثل نصيب أحدهم ، فقال معاوية : إن ذلك ليسوءني ويسرنني ؛ فأما الذي يسرنني فان عبد مناف والده ، وأما الذي يسوءني فقرباته من أبي تراب .

قال المسعودي : وقد قدمنا خبر مقتل ابني عبيد الله فيما سلف من هذا الكتاب ، وهما عبد الرحمن وقثم ، وما رثهما به أمهما أم حكيم جويرية بنت فارط ابن خالد الكنانية .

وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوما على معاوية وعنده قاتلها بسر بن أرطاة العامري ، فقال له عبيد الله : أيها الشيخ ، أنت قاتل الصبيين ؟ قال : نعم قال : والله لوددت أن الأرض أنبتني عندك يومئذ ، فقال له بسر : فقد أنبتك الساعة ، فقال عبيد الله : ألا سيف ، فقال بسر : هاك سيفي ، فلما هوى عبيد الله إلى السيف ليتناولوه قبض معاوية ومن حضره على يد عبيد الله قبل أن يقبض على السيف ، ثم أقبل معاوية على بسر فقال : أخراك الله من شيخ !! قد كبرت وذُهل عقلك ، تعمد إلى رجل موتور من بني هاشم فتدفع إليه سيفك ، إنك لغافل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن من السيف لبدأ بنا قبلك ، قال عبيد الله : ذلك والله أردت .

وكان على عليه السلام حين أتاه خبر قتل بسر لابني عبيد الله قثم وعبد الرحمن دعا على بسر ، فقال : اللهم اسلبه دينه وعقله ، فخرّف الشيخ حتى ذهل عقله ،

واشتهر بالسيف فكان لا يفارقه ، فجعل له سيف من خشب ، وجعل في يديه زق منفوخ ، كلما تخرق أبدل ، فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف ، حتى مات ذاهل العقل يلعب بخثره ، وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول : انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد الله ؟ وكان ربما شدت يده إلى وراء منعا من ذلك ، فأتجى ذات يوم في مكانه ، ثم أهوى بفيه فتناول منه ، فبادروا إلى منعه ، فقال : أنتم تمنعوني وعبد الرحمن وقم يطعاني ، ومات بسر في أيام الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين .

موت عبد الله
ابن عتبة

وفيها مات عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، وعتبة مهاجر ، وهو أخو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن مخزوم بن صبح بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ، وكانت الرئاسة في الجاهلية في صبح بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وكان ولد عبد الله بن عتبة عبيد الله من كبار أهل العلم ، ذكر ابن أبي خيثمة قال : سمعت ابن الأصبهاني يقول : قال سفیان : قال الزهري : كنت أظن أني نلت من العلم ، حتى جالست عبيد الله بن عبد الله فكانما هو البحر .

مقتل سعيد
ابن جبير

وفي سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير ، فذكر عون بن أبي راشد العبدي قال : لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير وأوصل إليه قال له : ما اسمك ؟ قال : اسمي سعيد بن جبير ، قال : بل شقي بن كسير ، قال : أبي كان أعلم باسمي منك ، قال : لقد شقيت وشقي أبوك ، قال له : الغيب إنما يعلمه غيرك ، قال : لأبدلنك بالدينار نارا تلظى ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت إلهي غيرك ، قال : فما قولك في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل ، قال : فاختر أي قتلة تريد أن أقتلك ، قال : بل اختر يا شقي لنفسك ، فوالله ما تقتلني اليوم بقتلة إلا قتلتك في الآخرة بمثلها ، فأمر به الحجاج فأخرج ليقتل ، فلما ولى ضحك ، فأمر الحجاج برده ، وسأله عن ضحكه ، فقال : عجبت من جراتك على الله وحلم

الله عنك ، فأمر به فذبح ، فلما كب لوجهه قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الحجاج غير مؤمن بالله ، ثم قال : اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى ، فذبح واحتز رأسه .

ولم يعيش الحجاج بعده إلا خمس عشرة ليلة حتى وقعت في جوفه الأكلة ، وموت الحجاج فمات من ذلك ، ويروى أنه كان يقول بعد قتل سعيد : يا قوم ، مالى وسعيد بن جبير ، كلما عزمتم على النوم أخذ بحلقى

واشتكى الوليد قبله عن أخيه سليمان تَمَنَّيَ لموته لماله من العهد بعده ، فكتب إليه الوليد يعتب عليه الذى بلغه ، وكتب فى كتابه هذه الأبيات :

تَمَنَّيَ رجال أن أموت وإن أمت قَتَلَك سبيل لست فيها بأوحد
أهل الذى يرجو فناءً ويدعى به قبل موتى أن يكون هو الردى
فما موت من قد مات قبل بضائرى ولا عيش من قد عاش بعدى بمخلدى
فقل للذى يرجو خلاف الذى مضى تزود لأخرى غيرها فكان قد
منيته تجرى لوقتٍ وحتفه سيلحقه يوماً على غير موعد

فأجابه سليمان : فهمت ما قال أمير المؤمنين ، ووالله لئن كنت تمنيت ذلك لما يخطر بالبال إني لأول لاحق به ومنعى إلى أهله ، فعلام أتمنى زوال مدة لا يلبث متمنياً إلا بقدر ما يحل السفر بمنزل ثم يظعنون عنه ؟ وقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يظهر من لفظى ، ولا يرى من لخطى ، ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النيمة ومن ليست له روية أوشك أن يسرع فى فساد النيات ، ويقطع بين ذوى الأرحام والقربات ؛ وكتب فى أسفل الكتاب :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهداً كل عثرة يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب
فكتب إليه الوليد : ما أحسن ما اعتذرت به ، وحذوت عليه ، وأنت

الصادق في المقال ، والكامل في الفعل ، وما شئ أشبه بك من اعتذارك ، ولا
أبعد مما قيل فيك ، والسلام

وكان الوليد متحننا على إخوته ، مراعيًا لساثر ما أوصاه به عبد الملك ، وكان
كثير الانشاد لأبيات قالها عبد الملك حين كتب وصيته ، منها : —

نصيحة
عبد الملك
لأولاده

انقوا الضغائن عنكم وعليكم عند المغيب وفي حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم إن مد في عمري وإن لم يمد
فمثل ريب الدهر ألف بينكم بتواصل وترحم وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم بمسود منكم وغير مسود
إن القداح إذا اجتمع من قرأها بالكسر ذو حنق وبطش باليد
عزت فلم تكسر ، وإن هي بددت فالوهن والتكسر للمتبدد

وكان عبد الملك مواظبا على حث أولاده على اصطناع المعروف ، وبعثهم
على مكارم الأخلاق ، وقال لهم : يا بني عبد الملك ، أحسابكم أحسابكم ، صونوها
ببذل أموالكم ، فما يبالي رجل ما قيل فيه من الهجو بعد قول الأعشى : —

تبيتون في المشتى ملأ بطونكم وجاراتكم غرثي يمتن خائفا
وما يبالي قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير : —

على مكثريهم حق من يعترهم وعند المقلين السماحة والبذل

حدث عبد الله بن إسحق بن سلام ، عن محمد بن حبيب ، قال : صعد الوليد
المنبر فسمع صوت ناقوس ، فقال : ما هذا ؟ قيل : البيعة ، فأمر يهدمها ، وتولى
بعض ذلك بيده ، فقتل الناس يهدمون ، فكتب إليه الأحرار ملك الروم : إن
هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك ، فإن يكونوا أصابوا فقد أخطأت ، وإن
تكن أصبت فقد أخطأوا ، فقال : من يجيبه ؟ فقال الفرزدق : يكتب إليه (وداود

عبد الملك يهدم
بيعة للنصارى

وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نقشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ،
فقمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما)

ومات الحجاج في سنة خمس وتسعين ، وهو ابن أربع وخمسين سنة ، بواسط ^{مجل مآسى}
العراق ، وكان تأمره على الناس عشرين سنة ، وأحصى من قتله صبها سوى من ^{الحجاج}
قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفا ، ومات وفي حبسه خمسون
ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، منهن ستة عشر ألفا مجردة ، وكان يحبس النساء
والرجال في موضع واحد ، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف
ولا من المطر والبرد في الشتاء ، وكان له غير ذلك من العذاب ما آتينا على وصفه
في السكتاب الأوسط

وذكر أنه ركب يوما يريد الجمعة ، فسمع ضجة ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له :
المحبسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء ، فالتفت إلى ناحيتهم وقال
(اخسؤا فيها ولا تكلمون) فيقال : إنه مات في تلك الجمعة ، ولم يركب بعد تلك
الركبة .

قال المسعودي : ووجدت في كتاب عنوان البلاغات مما اختير من كلام
الحجاج قوله : ما سلبت نعمة إلا بكفرها ، ولا نمت إلا بشكرها
وقد كان الحجاج تزوج إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، حين أفاق
عبد الله وافتقر ، وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » الخبر في ذلك ، وتهنئة
ابن القرية الحجاج بذلك

وقد كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من الجود بالموضع المعروف ، ولما ^{موت عبد الله}
قل ماله سمع يوم الجمعة في المسجد الجامع وهو يقول : اللهم إنك عودتي عادة ^{ابن جعفر}
فعودتها عبادك ، فان قطعها عني فلا تبقي ، فمات في تلك الجمعة ، وذلك في أيام ^{وحديث جوده}
عبد الملك بن مروان ، وصلى عليه أبان بن عثمان بمكة ؛ وقيل : بالمدينة ، وهي السنة
التي كان بها السيل الجحاف الذي بلغ الركن وذهب بكثير من الحجاج

وفي هذه السنة كان الطاعون العام بالعراق والشام ومصر والجزيرة والحجاز
وهي سنة ثمانين

وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبع وستين ، وولد بالحبشة حين هاجر
جعفر إلى هنالك ، وقيل : إن مولده كان في السنة التي قبض فيها النبي صلى عليه
وسلم ، وقيل غير ذلك

وذكر المبرد والمدايني والعتبي وغيرهم من الأخباريين أن عبد الله عتب
على كثرة إفضاله ؛ فقال : إن الله تعالى عودني أن يفضل علي ؛ وعودته أن أفضّل
على عباده ، فأكره أن أقطع العادة عنهم فيقطع العادة عني

ووفد عبد الله على معاوية بدمشق ، فعلم به عمرو بن العاص قبل دخوله

دمشق ، أخبره بذلك مولى له كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين

إلى دمشق ، فدخل عمرو على معاوية وعنده جماعة من قريش من بني هاشم

وغيرهم منهم عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب ، فقال عمرو : قد أتاكم رجل كثير

الخلوات بالتمنى ، والطرقات بالتغنى ، آخذ للسلف ، منقاد بالسرف ، فغضب عبد الله

ابن الحرث ، وقال لعمرو : كذبت وأهل ذلك أنت ، ليس عبد الله كما ذكرت ،

ولكنه لله ذكُور ، ولبلائه شكور ، وللخناء نفور ، ماجد مذهب كريم سيد

حليم ، إن ابتداء أصاب ، وإن سئل أجاب ، غير حصير ولا هيّاب ، ولا تخاش

ولا سباب ، كالهزبر الضّرغام ، الجري المقدام ، والسيف الصمصام ، والحسيب

القمقام ، وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها ، فغلب عليه جزارها ،

فأصبح ألماها حسبا ، وأدانها منصبا ، يلوذ منها بذليل ، ويأوى إلى قليل ، ليت

شعري بأى حسب تتناول أو بأى قدم تتعرض ؟ غير أنك تملو بغير أركانك ،

وتتكلم بغير لسانك ، ولقد كان أبر في الحكم ، وأبين في الفضل ، أن يكفك

ابن أبي سفيان عن ولوعك بأعراض قريش ، وأن يكعمك كعام الضبع في وجارها ،

فلست لأعراضها بوفى ، ولا لأحسابها بكفى ، وقد أتيتك لك ضيغم شرس ،

عمرو بن
العاص وعبد
الله بن الحرث
عند معاوية

للأقران مختلس ، وللأرواح مفترس ، فهم عمرو أن يتسكلم ، فمنعه معاوية من ذلك ، وقال عبد الله بن الحرث : لا يبق المرء إلا على نفسه ، والله إن لسانى لحديد ، وإن جوابى لعتيد ، وإن قولى لسديد ، وإن أنصارى لشهود ، فقام معاوية وتفرق القوم

ولعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أخبار حسان فى الجود والكرم وغير ذلك من المناقب ، وقد أتينا على مبسوط ذلك فى كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما كان تزوج الحجاج إليه ينتذل بذلك آل أبي طالب

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يغلظ له أمر الخوارج مع قطرى فكتب كتاب من عبد الملك إلى الحجاج إليه : أما بعد ، فإني أحمد إليك السيف ، وأوصيك بما أوصى به البكرى زيدا فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك وقال : من جاء بما أوصى به البكرى زيدا فله عشرة آلاف درهم ، فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله ، فقيل له : أتعلم ما أوصى به البكرى زيدا ؟ قال : نعم ، قال : فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم ، فأتاه فأحضره فقال : أوصاه بأن قال : —

أقول لزيد لاتبر فانهم يرون المنايا دون قتلك أوقتل
فان وضعوا حرباً فضعها وإن أبوا فشب وقود الحرب بالحطب الجزل
وإن عصت الحرب الضروس بنابها فعرضه حد السيف مثلك أو مثلى

فقال الحجاج : صدق أمير المؤمنين وصدق البكرى وكتب إلى المهلب : إن أمير المؤمنين أوصانى بما أوصى به البكرى زيدا ، وأنا أوصيك به وبما أوصى به الحرث بن كعب بنيه ، فأتى المهلب بوصيته فإذا فيها : يا بني ، كونوا جميعا ولا تكونوا شقي فتفرقوا ، وبروا قبل أن تبروا ، فموت فى قوة وعز خير من ذل وعجز ، فقال المهلب : صدق البكرى والحرث ابن كعب

وكتب عبد الملك إلى الحجاج جنبئى دماء آل أبي طالب ؛ فإني رأيت

الموت استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم ، فكان الحجاج يتجنبها خوفا من زوال الملك عنهم ، لاختوفا من الخالق عز وجل

ليلى الأخيلية
عند الحجاج
ودخلت ليلى الأخيلية على الحجاج فقالت : أصلح الله الأمير !! أتيت
لإخلاف النجوم ، وقلة الغيوم ، وكلب البرد ، وشدة الجهد ، قال : فأخبريني
عن الأرض ، قالت : مقشعة ، والفجاج مغبرة ، والمقتل مغل ، وذو الغنى مجل ،
والبائس مقل ، والناس مُسْتَنَتُونَ ، رحمة الله يرجون ، قال : أى النساء تختارين
تنزلين عندها قالت : سَمَّيْنِ لِي ، قال : عُنْدِي هند بنت المهلب ، وهند بنت
أسماء بن خارجة ، فاخترتها فدخلت عليها ، فصبت حلبيها عليها حتى أثقلتها ؛
لاختيارها إياها ودخولها عليها دون من سواها

الحجاج وابن
عمه
حدثنا المنقري قال : حدثنا العتبي ، عن أبيه ، قال : قدم على الحجاج ابن
عم له من البادية ، فنظر إليه يولى الناس ، فقال له : أيها الأمير ، لم لاتولينى بعض
هذا الحضر ؟ فقال الحجاج : هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لاتحسب
ولا تكتب ، فغضب الأعرابي وقال : بلى ، إني والله لأحسب منهم حسبا ،
وأكتب منهم كتباً ، فقال له الحجاج : فإن كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين
أربعة أنفس ، فما زال يقول : ثلاثة دراهم بين أربعة ، ثلاثة بين أربعة ، لكل
واحد منهم درهم يبقى الرابع بلا شيء ، كم هم أيها الأمير ؟ قال : هم أربعة ، قال :
نعم أيها الأمير ، قد وقفت على الحساب ، لكل واحد منهم درهم وأنا أعطى
الرابع منهم درهما من عندى ، وضرب بيده إلى تسكته فاستخرج منها درهما ،
وقال : أيكم الرابع فلاها الله مارأيت كاليوم زورا مثل حساب هؤلاء الحضريين ،
فضحك الحجاج ومن معه ، فذهب بهم الضحك كل مذهب ، ثم قال الحجاج :
إن أهل إصبهان كسروا خراجهم ثلاث سنين ، كلما أتاهم وال أعجزوه ، فلا رمينهم
ببدوية هذا وعنجهيته ، فأخلق به أن ينجب ، فكتب له عهده على إصبهان ،
فلما خرج استقبله أهل إصبهان واستبشروا به ، وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله ،

وقد استغفروه ، وقالوا : أعرابي بدوى ما يكون منه ، فلما أكثروا عليه قال :
أعينوا على أنفسكم وتقبيلكم أطرافى وأخروا عنى هذه الهيات ، أما يشغلکم
ما أخرجنى له الأمير ، فلما استقر فى داره بأصبهان جمع أهلها فقال : مالکم تعصون
ربکم وتغضبون أمیرکم وتنقصون خراجکم ؟ فقال قائلهم : جورٌ من كان قبلك ،
وظلم من ظلم ، قال : فما الأمر الذى فيه صلاحکم ؟ فقالوا : تؤخرنا بالخراج ثمانية
أشهر ونجمعه لك ، قال : لكم عشرة وتأتونى بعشرة ضُمنا يضمنون ، فأتوه بهم ،
فلما توثق منهم أمهلهم ، فلما قرب الوقت رآهم غير مكترئين لما ندبوا من الأجل ،
فقال لهم ، فلم ينتفع بقوله ، فلما طال به ذلك جمع الضمنا وقال لهم : المال ،
فقالوا : أصابنا من الآفة ما نقض ذلك ، فلما رأى ذلك منهم آلى أن لا يفطر —
وكان فى شهر رمضان — حتى يجمع ماله أو يضرب أعناقهم ، ثم قدم أحدهم
فضرب عنقه ، وكتب عليه فلان بن فلان أدى ما عليه ، وجعل رأسه فى بكرة
وختم عليها ، ثم قدم الثانى ففعل به مثل ذلك ، فلما رأى القوم الرؤوس تبذر
وتجعل فى الأكياس بدلا من البدر قالوا : أيها الأمير ، توقف علينا حتى نحضر
لك المال ، ففعل ، فأحضره فى أسرع وقت ، فبلغ ذلك الحجاج ، فقال : إنا
معاشر آل محمد — يعنى جده — ولدنا نجيب ، فكيف رأيتم فراستى فى
الأعرابي ؟ ولم يزل عليها واليا حتى مات الحجاج

إبراهيم
التميمي في
حبس الحجاج

وحبس الحجاج إبراهيم التميمي بواسطة ؛ فلما دخل السجن وقف على مكان
مُسْرَف ونادى بأعلى صوته : يا أهل بلاء الله فى عافيته ، ويا أهل عافية الله فى
بلائه ، اصبروا ، فنادوه جميعا : لبيك ، لبيك ، ومات فى حبس الحجاج ، وإنما
كان الحجاج طلب إبراهيم النخعي فنجبا ووقع إبراهيم التميمي
وحكى عن الأعمش قال : قلت لإبراهيم النخعي : أين كنت حين طلبك
الحجاج ؟ فقال : بحيث يقول الشاعر : —

عَوَى الذَّنْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذَّنْبِ إِذْ عَوَى

وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

حدثنا الدمشقي الأموي أحمد بن سعيد وغيره ، عن الزبير بن بكار ، عن محمد بن سلام الجمحي ، وحدثنا الفضل بن الحباب الجمحي ، عن محمد بن سلام ، قال : سأل الحجاج ابن القرية : أى النساء أحمد ؟ قال : التى فى بطنها غلام ، وفى حجرها غلام ، ويسعى لها مع الغلمان غلام ، قال : فأى النساء شر ؟ قال : الشديدة الأذى ، الكثيرة الشكوى ، المخالفة لما تهوى ، فقال : أى النساء أعجب إليك ؟ قال : الشفاء العطبول ، المنعاج الكسول ، التى لم يشنها قصر ولا طول ، قال : فأى النساء أبغض إليك ؟ قال : الرعينة القصيرة ، الباهق الشريرة ، قال : فأخبرنى عن أفضل النساء ، قال : الغضة البضة ، التى أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، اللعاء الورهاء ، التى لم تذهب طولاً فى انحطاط ، ولا تلتحق قصراً فى إفراط ، الجعدة الغدائر ، الجشعة الضغائر ، الضخمة المآكم ، الطفلة البراجم ، إذا رأيت أناملها شبهتها بالمدارى ، وإذا قامت خلتها سارية من السوارى ، فتلك تهيج المشتاق ، وتحجى العاشق بالعناق

قال المسعودى : ولوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان فى أيامه من الكوائن والحروب ، وكذلك الحجاج ، وقد أتينا على كثير من مبسوطها فى كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما نذكر فى هذا الكتاب ما لم نورد فى ذينك الكتابين ، كما أن ما ذكرناه فى الكتاب الأوسط لم نورد فى كتاب « أخبار الزمان » والله أعلم .

الحجاج يسأل
ابن القرية
عن النساء

ذكر أيام سليمان بن عبد الملك

بوع سليمان بن عبد الملك بدمشق في اليوم الذي كانت فيه وفاة الوليد ،
وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة ،
وتوفي سليمان بمرّج دابق من أعمال جبل قنّسرين يوم الجمعة لعشر بقين من
صفر سنة تسع وتسعين ، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال ،
وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وعهد إلى عمر بن عبد العزيز ، وقيل : إن
وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خَلَوْنَ من صفر سنة تسع وتسعين ، وإن
ولايته سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما ، على حسب ما وجدنا من تباين
ما في كتب التواريخ والسير ، وسند ذكر جل أيامهم في باب نغرده فيما يرد من
هذا الكتاب

وقد تنوزع في مقدار سن سليمان : فذكر بعضهم أنه قبض وهو ابن خمس
وأربعين ، ومنهم من زعم أنه كان ابن ثلاث وخمسين ، وقد قدمنا قول من
قال : إنه قبض وهو ابن تسع وثلاثين ، ووجدت أكثر شيوخ بني مروان من
ولده وولد غيره بدمشق وغيرها يذهبون إلى أنه كان ابن تسع وثلاثين ، والله أعلم

ذكر لمع من أخباره وسيره

لما أفضى الأمر إلى سليمان صعد المنبر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على
رسوله ، ثم قال : الحمد لله الذي ما شاء صنع ، وما شاء أعطى ، وما شاء منع ،
وما شاء رفع ، وما شاء وضع ، أيها الناس ، إن الدنيا غرور وباطل وزينة وتقلب
بأهلها ، تضحك باكيها ، وتبكي ضاحكها ، وتحيف آمنها ، وتؤمن خائفها ،
وتثري فقيرها ، وتفقر مثرها ، ميالة بأهلها ، عباد الله ، اتخذوا كتاب الله
إماما ، وارضوا به حكما ، واجعلوه لكم هاديا ودليلا ، فانه ناسخ ما قبله

أول خطبة
لسليمان

ولا ينسخه ما بعده ، واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه
كما يجلو ضوء الشمس الصبح إذا أسفر ، وإدبار الليل إذا عسعس ، ثم نزل وأذن
للناس بالدخول عليه ، وأقرَّ عمَّال من كان قبله على أعمالهم ، وأقرَّ خالد بن
عبد الله القسري على مكة .

خالد القسري
عامل مكة

وقد كان خالد أحدث بمكة أحداثا : منها أنه أدار الصفوف حول الكعبة ،
وقد كان قبل ذلك صفوف الناس في الصلاة بخلاف ذلك ، وبلغه قول الشاعر :

يَا حَبْدَا الْمَوْسِمِ مِنْ مَوْقِفٍ وَحَبْدَا الْكَعْبَةِ مِنْ مَسْجِدٍ
وَحَبْدَا اللَّاتِي تَزُاحِمُنَا عِنْدَ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ

فقال خالد : أما إنهن لا يزاحمنك بعدها أبدا ، ثم أمر بالتفريق بين الرجال
والنساء في الطواف .

وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار ، وكان يلبس الثياب الرقاق
وثياب الوشي ، وفي أيامه عمل الوشي الجيد باليمن والكوفة والإسكندرية ، ولبس
الناس جميعا الوشي جبابا وأردية وسراويل وعمائم وقلانس ، وكان لا يدخل عليه
رجل من أهل بيته إلا في الوشي ، وكذلك عماله وأصحابه ومن في داره ، وكان
لباسه في ركوبه وجلسه وعلى المنبر ، وكان لا يدخل عليه أحد من خدامه إلا
في الوشي ، حتى الطباخ ، فانه كان يدخل إليه في صدره وشي وعلى رأسه طويلة
وشي ، وأمر أن يكفن في الوشي المثقلة ، وكان شبعه في كل يوم من الطعام مائة رطل
بالعراقي ، وكان ربما أتاه الطباخون بالسفايد التي فيها الدجاج المشوية وعليه الوشي
المثقلة فلهمه وحرصه على الأكل يدخل يده في كمه حتى يقضي على الدجاجة وهي
حارة فيفصلها .

كان سليمان
ابن عبد الملك
شرها

وذكر الأصمعي قال : ذكرت للرشيدهم سليمان وتناوله الفراريج بكمه من
السفايد ، فقال : قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم ، إنه عرضت على جباب بني أمية ،

فنظرت إلى جباب سليمان وإذا كل جبة منها في كمها أثر دهن ، فلم أدر ما ذلك حتى حدثتني بالحديث ، ثم قال : عَلَىَّ بِجَبَابِ سُلَيْمَانَ ، فَأَتَى بِهَا ، فنظرنا فإذا تلك الآثار فيها ظاهرة ، فكسأني منها جبة ، فكان الأصمعي ربما يخرج أحيانا فيها فيقول : هذه جبة سليمان التي كسأنيها الرشيد

وذكر أن سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتد جوعه ، فاستعجل الطعام ، ولم يكن فرغ منه ، فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء ، فقدم إليه عشرون خروفا ، فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة ، ثم قرب بعد ذلك الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيئا .

وحكى أنه كان يتخذ سلال الخلوى ، ويجعل ذلك حول مرقده ، فكان إذا قام من نومه يمدُّ يده فلا تقع إلا على سلة يأكل منها .

حدث المنقري ، عن العتبي ، عن إسحق بن إبراهيم بن الصباح بن مروان - وكان مولى ابني أمية من أرض البلقاء من أعمال دمشق ، وكان حافظا لأخبار بني أمية - قال : لبس سليمان يوم الجمعة في ولايته لباسا شهريه ، وتعطر ، ودعا بتخت فيه عمام ، ويده مرآة ، فلم يزل يعم بواحدة بعد أخرى حتى رضى منها بواحدة ، فأرخصى من سدولها ، وأخذ بيده محصرة ، وعلا المنبر ناظرا في عطفه ، وجمع جمعه ، وخطب خطبته التي أرادها ، فأعجبته نفسه ، فقال : أنا الملك الشاب السيد المهاب ، الكريم الوهاب ، فتمثلت له جارية من بعض جواريه وكان يتحفظها ، فقال لها : كيف ترين أمير المؤمنين ؟ قالت : أراه منى النفس وقرّة العين ، لولا ما قال الشاعر ، قال : وما قال الشاعر ؟ قالت : قال :

أَنْتَ نِعَمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبَقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
أَنْتَ مِنْ لَا يَرِيئُنَا مِنْكَ شَيْءٌ عِلْمُ اللَّهِ غَيْرَ أَنَّكَ فَانٍ
لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ يَا سُلَيْمَانَ غَيْرَ أَنَّكَ فَاثٍ

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكياً ، فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية ، فقال لها : ما دعاك إلى ما قلت لأُمير المؤمنين ؟ قالت : والله ما رأيت أمير المؤمنين اليوم ولا دخلت عليه ، فأكبره ذلك ، ودعا بقيمة جواريه فصدقها في قولها ، فراع ذلك سليمان ، ولم ينتفع بنفسه ، ولم يمكث بعد ذلك إلا مدة حتى توفي

وكان سليمان يقول : قد أكلنا الطيب ، ولبسنا اللين ، وركبنا الفاره ، ولم يبق لذة إلا صديق أطرح معه فيما بيني وبينه مؤنة التحفظ

ودخل عليه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج والمستولى عليه ، وهو مُكَبَّل بالحديد ، فلما رآه ازدراه ، فقال : ما رأيت كاليوم قط ، لعن الله رجلاً أجزأك رَسَنَهُ ، وحكمك في أمره ، فقال له يزيد : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فانك رأيتني والأمر عني مُدْبَر ، وعليك مقبل ، ولو رأيتني والأمر مقبل على لاستعظمت مني ما استصغرت ، ولا استجلت مني ما استحقرت ، قال : صدقت فاجلس لأمر لك ، فلما استقر به المجلس قال له سليمان : عزمت عليك لتخبرني عن الحجاج ما ظنك به أترأه يَهْوِي بعدُ في جهنم أم قد استقر فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لا تقل هذا في الحجاج ، فقد بذل لكم نصحه ، وأحقن دونكم دمه ، وأمن وليكم ، وأخاف عدوكم ، وإنه يوم القيامة لعنَ يمين أبيك عبد الملك ويسار أخيك الوليد ، فأجعله حيث شئت ، فصاح سليمان : اخرج عني إلى اعنة الله ، ثم التفت إلى جلسائه فقال : قبحه الله !! ما كان أحسن ترتيبه لنفسه ولصاحبه ، ولقد أحسن المكافأة أطلقوا سبيله .

سليمان ويزيد
ابن أبي مسلم
كاتب الحجاج

سأل سليمان ودخل عليه أبو حازم الأعرج ، فقال : يا أبا حازم ، مالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم وأخرتم آخرتكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى كراهية الناس للموت الخراب ، قال : فأخبرني كيف القدوم على الله ؟ قال : أما الحسن فكالغائب يأتي أهله مسروراً ، وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه محزوناً ، قال : فأى الأعمال

أفضل؟ قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم ، قال : فأى القول أعدل؟ قال :
كلمة حق عند من تخاف وترجو ، قال : فأى الناس أعقل؟ قال : من عمل بطاعة الله ،
قال : فأى الناس أجهل؟ قال : من باع آخرته بدنيا غيره ، قال : عظمى وأوجز ، قال :
يا أمير المؤمنين ، نَزَّهَ رَبُّكَ وَعَظَّمَهُ بِمِثْرِ أَنْ يَرَاكَ تَجْتَنِبُ مَا نَهَاكَ عَنْهُ وَلَا يَفْقَدُكَ
مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ بِهِ ، فَبِكَيْ سَلِيمَانَ بَكَاءً شَدِيدًا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : أَسْرَفْتَ
وَيَحْكُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حَازِمٍ : اسْكُتْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَذَ
الْمِيثَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ لِيُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ
إِلَيْهِ سَلِيمَانَ بِمَالٍ ، فَرَدَّهُ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَرْضَاهُ لَكَ
فَكَيْفَ أَرْضَاهُ لِنَفْسِي

وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ
النَّهْأَلِيَّةِ ، قَالَ : دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى سَلِيمَانَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ
أَكَلِّكَ بِكَلَامٍ فَافْهَمْهُ ، فَقَالَ لَهُ سَلِيمَانُ : إِنَّا نَجُودُ بِسَعَةِ الْإِحْتِمَالِ عَلَى مَنْ لَا نَرْجُو
نَصِيحَتَهُ ، وَلَا نَأْمَنُ غِيْشَهُ ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ النَّاصِحَ جَيِّدًا ، الْمَأْمُونُ غَيْبًا ، فَهَاتِ ،
قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا إِذَا أَمَنْتُ بِأَدْرَةِ غَضَبِكَ فَسَأَطْلُقُ لِسَانِي بِمَا خَرَسْتُ بِهِ
الْأَلْسُنَ مِنْ عَظَمَتِكَ تَأْدِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَمَانَتِكَ ؛ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ قَدْ
تَكَنَّفَكَ رِجَالُ أَسَاوِئِ الْإِحْسَانِ لِأَنْفُسِهِمْ ، ابْتَعَاوْا دُنْيَاهُمْ بِدِينِهِمْ ، وَرَضَاكَ
بَسْخَطِ رَبِّهِمْ ، خَافُواكَ فِي اللَّهِ وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ ، حَرْبُ الْآخِرَةِ سَلْمٌ لِلدُّنْيَا ،
فَلَا تَأْمَنُهُمْ عَلَى مَا يَأْمَنُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَانْهَمُ لَمْ يَأْتُوا إِلَّا مَا فِيهِ تَضْيِيعٌ وَلِلْأَمَةِ خُسْفٌ
وَعُسْفٌ ، وَأَنْتَ مُسْتَوِلٌ عَمَّا اجْتَرَمُوا ، وَلَيْسُوا مُسْتَوِلِينَ عَمَّا اجْتَرَمْتَ ، فَلَا تَصْلُحُ
دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ ، فَإِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ عَيْبًا بَائِعَ آخِرَتِهِ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ
سَلِيمَانُ : أَمَا أَنْتَ يَا أَعْرَابِيٌّ فَقَدْ سَلَّمْتَ لِسَانَكَ ، وَهُوَ أَقْطَعُ مِنْ سَيْفِكَ ، فَقَالَ :
أَجَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَكَ لَا عَلَيَّكَ ، فَقَالَ سَلِيمَانُ : أَمَا وَأَيُّكَ يَا أَعْرَابِيٌّ لَا تَزَالُ
الْعَرَبُ بِسُلْطَانِنَا لَا كُنَافَ الْعِزِّ مُتَبَوِّئَةً ، وَلَا تَزَالُ أَيَّامُ دَوْلَتِنَا بِكُلِّ خَيْرٍ مُقْبِلَةً ،
وَلَنْ سَاسِكُمْ وَلَا غَيْرِنَا لِيُحْمَدَنَّ مِنَّا مَا أَصْبَحْتُمْ تَذْمُونَ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَمَا إِذَا

نصيحة أعرابي
لسليمان في
شأن بطاقته

رجع الأمر إلى ولد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصنوا أبيه ووارث ما جعله الله له أهلاً فلا ، فتغافل سليمان كأن لم يسمع شيئاً ، وخرج الأعرابي فكان آخر العهد به ، هذا الخبر أخبرني به بعض شيوخ ولد العباس بمدينة السلام مدينة أبي جعفر المنصور ، وهو ابن بريهة المنصوري ، عن أبيه ، عن علي ابن جعفر النوفلي ، عن أبيه ، وذلك في سنة ثمانية

سليمان يصف معاوية

وذكر معاوية بن أبي سفيان في مجلس سليمان ، فصلى على روحه وأرواح من سلف من آبائه ، وقال : كان والله هزلاً جدياً ، وجده علماً ، والله مارؤى مثل معاوية ، كان والله غضبه حلماً ، وحلمه حكماً ، وقيل : إن هذا الكلام لعبد الملك وكتب سليمان إلى خالد بن عبد الله القسري وهو على العراق في رجل استجار به من قريش ، وكان هرب من خالد ، أن لا يعرض له ، فأتاه بالكتاب فلم يقضه حتى ضربه مائة سوط ، ثم قرأه ، فقال : هذه نعمة أراد الله أن ينتقم بها منك لتركي قراءة الكتاب ، ولو كنت قرأته لأتقتت مافيه ، فخرج القرشي راجعاً إلى سليمان ، فسأله الفرزدق وأناس ممن كان بالباب عما صنع خالد ، فأخبرهم ، فقال الفرزدق في ذلك : -

سليمان يرسل إلى خالد القسري في شأن رجل من قريش ألا يسيء إليه فيسيئه

سَلُّوا خَالِدًا لَا قَدَسَ اللَّهُ خَالِدًا
مَتَى وَلَيْتَ قَسْرُ قُرَيْشًا تَدِينُهَا
أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ أَمَ بَعْدَ عَهْدِهِ
فَأَضَحَّتْ قُرَيْشٌ قَدْ أَغْثَ سَمِينُهَا
رَجَوْنَا هُدَاهُ لَا هَدَى اللَّهُ سَعِيَهُ
وَمَا أَمَهُ بِالْأُمِّ يُهْدِي جَنِينُهَا

فلما بلغ سليمان ذلك وجه إلى خالد من ضربه مائة سوط ، فقال الفرزدق في ذلك من أبيات : -

لِعَمْرِي لَقَدْ صَبَّتْ عَلَى ظَهْرِ خَالِدٍ
شَايِبٌ لَيْسَتْ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَطَرٍ
أَتَضْرِبُ فِي الْعَصِيَانِ مِنْ لَيْسَ عَاصِيَا
وَتَعْصِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا قَسْرٍ
فَلَوْلَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَلَقَتْ
بِكُفِّكَ فَتَخَاءَ إِلَى الْفَرْخِ فِي الْوَاكِرِ

لعمرى لقد سار ابن سبية سيرةً أرثك نجوم الليل مظهرةً تجرى

فخذ بيدك الخزي حقا فإنما جزيت قصاصاً بالمرجحة السمر

سليمان وعمر

ابن عبد العزيز

وقال سليمان لعمر بن عبد العزيز يوما وقد أعجبه سلطانه : كيف ترى ما نحن

فيه ؟ قال : سرور لولا أنه غرور ، وحياة لولا أنه موت ، وملك لولا أنه هلك ،

وحسن لولا أنه حزن ، ونعيم لولا أنه عذاب أليم ، فبكى سليمان من كلامه

وكان سليمان بخلاف الوليد ، وعلى الضد منه في الفصاحة والبلاغة ، وقد

خالد بن يزيد

وعبد الملك

ابن مروان

كان الوليد أفسد في أرض عبد الله بن يزيد بن معاوية ، فشكا ذلك أخوه

خالد بن يزيد إلى عبد الملك ، فقال : (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها)

الآية ، فقال له خالد (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها)

الآية ، فقال عبد الملك : أفي عبد الله يتكلم بالأمس دخل على فقير في لسانه ،

ولحن في كلامه ؟ فقال : أفعلی الوليد يقول ؟ قال : إن كان الوليد يلحن فليمان

أخوه ، قال خالد : وإن كان عبد الله لحانا فأخوه خالد ، فقال الوليد : أنتكلم

ولست في العير ولا في النفير ؟ قال خالد : ألم تسمع ما يقول أمير المؤمنين ؟ أنا

والله ابن العير والنفير ، ولو قلت جبيلاًت وغنيماً والطائف ، قلنا : صدقت ،

أراد بذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبي العاص إلى

الطائف فصار راعياً حتى رده عثمان

خالد القسري

يستعطف

سليمان

وغضب سليمان على خالد القسري فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ،

إن القدرة تذهب الحفيظة ، وإنك تجلُّ عن العقوبة ، فان تعف فأهل لذلك

أنت ، وإن تعاقب فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه

سليمان بمدح

أصمت

وذم رجل في مجلس سليمان الكلام ، فقال سليمان : إنه من تكلم فأحسن

قدَّر على أن يصمت فيحسن

ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه [كان] يكنى ، فقال : اللهم إني أرجوك
له ، وأخافك عليه ، فحقق رجائي ، وأمنّ خوفي

قال السعودي : ولما دفن سليمان سمع بعض كتابه وهو يقول أبياتا منها :

وما سالم عما قليل بسالم وإن كثرت أحراسه وكتائبه
ومن يك ذا بأس شديد ومنعة فعما قليل يهجر الباب حاجبه
ويصبح بعد الحجب للناس مقصيا رهينة بيت لا تسير جوانبه
فما كان إلا الدفن حتى تفرقت إلى غيره أحراسه ومواكبه
وأصبح مسرورا به كل كاشح وأسلمه أحبابه وأقاربه
فنفسك أكتبها السعادة جاهدا فكل امرئ رهن بما هو كاسبه

قال السعودي : وسليمان أخبار حسان لما كان في مدة ملكه من الكوائن ،
وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما
نذكر في هذا الكتاب لما طلبا للإيجاز ، وميلا إلى الاختصار ، وبالله التوفيق .

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

مجل تاريخه

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وهو اليوم الذي مات فيه سليمان ، وتوفي بدير سمعان من أعمال حمص مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وقبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وقبره مشهور في هذا الموضع إلى هذه الغاية ، معظم ، يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية ؛ لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بني أمية وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقيل : إنه قبض وهو ابن أربعين سنة ، وقيل : ابن إحدى وأربعين سنة ، وقد تنوزع أيضا في مقدار مدته في الخلافة ، وقد أتينا على المحصل من ذلك في باب مقدار المدة من الزمان وما تملك في بني أمية من الأعوام ، فيما يرد من هذا الكتاب .

ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده

لم تكن خلافة عمر في عهد تقدم ، وكان السبب فيها أن سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق دعا رجاء بن حيوة ومحمد بن شهاب الزهري ومكحولاً وغيرهم من العلماء ممن كان في عسكره غازيا ونافرا ، فكتب وصيته ، وأشهدهم عليها ، وقال : إذا أنا مت فاذنوا بالصلاة جامعة ، ثم اقرؤا هذا الكتاب على الناس ، فلما فرغ من دفنه نودي : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فأشركوا بالخلافة ، وتشوفوا نحوها ، فقام الزهري فقال : أيها الناس ، أَرْضِيتُمْ من سَمَاءِ أمير المؤمنين سليمان في وصيته ؟ فقالوا : نعم ، فقرأ الكتاب فإذا اسم عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فقام مكحول فقال : أين عمر ؟ وكان عمر في أواخر الناس ، فاسترجع حين دعى باسمه مرتين أو ثلاثا ، فأتاه قوم

سبب تولية
عمر الخلافة

فأخذوا بيده وعَضَدِيه ، فأقاموه ، وذهبوا به إلى المنبر ، فصعد وجلس على المرقاة الثانية ، وللمنبر خمس مراقى ، فكان أول من بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك وقام سعيد وهشام فأنصرفا ولم يبايعا ، وبايع الناس جميعا ، ثم بايع سعيد وهشام بعد ذلك بيومين .

وكان عمر في نهاية النسك والتواضع ؛ فصرف عمال من كان قبله من بنى أمية ، واستعمل أصلاح من قدر عليه ، فسلك عماله طريقته ، وترك لعن على عليه السلام على المنابر ، وجعل مكانه (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم) وقيل : بل جعل مكان ذلك (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) الآية ، وقيل : بل جعلهما جميعا ، فاستعمل الناس ذلك في الخطبة إلى هذه الغاية .

ورع عمر ونسكه

ولما استخلف عمر ودخل عليه سالم السدى ، وكان من خاصته ، فقال له عمر : أسرك ما وليت أم ساءك ؟ فقال : سرفى للناس وساءنى لك ، قال : إني أخاف أن أكون أو بقتُ نفسى ، قال : ما أحسن حالك إن كنت تتخاف ، إني أخاف عليك أن لا تتخاف ، قال : عظنى ، قال : أبونا آدم أُخرج من الجنة بخطيئة واحدة .

عمر وسالم السدى

وكتب طاوس إلى عمر : إن أردت أن يكون عمك خيرا كله فاستعمل أهل الخير ، فقال عمر : كفى بها موعظة .

طاوس وعمر

ولما أفضى إليه الأمر كان أول خطبة خطب الناس بها أن قال : أيها الناس إنما نحن من أصول قد مضت فروعها ، فما بقاء فرع بعد أصله ، وإنما الناس في هذه الدنيا أغراضٌ تَنَتَضِلُ فيهم المنايا ، وهم فيها نُصَبُ المصائب ، مع كل جرعة شرقة ، وفي كل أكلة غصص ، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله .

أول خطبة لعمر

وكتب إلى عامله بالمدينة أن أقسم في ولد علي بن أبي طالب عشرة آلاف دينار ، فكتب إليه : إن عليا قد ولد له في عدة قبائل من قريش ، ففي أي ولده ؟ فكتب إليه : لو كتبت إليك في شاة تذبحها لكتبت إلى سوداء أو بيضاء ، إذا أتاك كتابي هذا فاقسم في ولد علي من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار ، فطالما تحفظهم حقوقهم ، والسلام .

وخطب في بعض مقاماته فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه : أيها الناس ، إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا وإني لست بقاض ، ولكني منفذ ، ألا وإني لست بمبتدع ، ولكني متبع ، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم هو العاصي ، ألا لاطاعة لخلق في معصية الخالق .

وبعث عمر وفدا إلى ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين ، وحق يدعوه إليه ، فلما دخلوا إذا ترجمان يفسر عليه ، وهو جالس على سرير ملكه ، والتاج على رأسه ، والبطارقة عن يمينه وشماله ، والناس على مراتبهم بين يديه ، فأدى إليه ما قصدوا له ، فتلقاهم بجميل ، وأجابهم بأحسن الجواب ، وانصرفوا عنه في ذلك اليوم ، فلما كان في غد أتاهم رسوله ، فدخلوا عليه ، فإذا هو قد نزل عن سريره ، ووضع التاج عن رأسه ، وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها كأنه في مصيبة ، فقال : هل تدرون لماذا دعوتكم ؟ قالوا : لا ، قال : إن صاحب مصلحتي التي تلي العرب جاءني كتابه في هذا الوقت أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات ، فما ملكوا أنفسهم أن بكوا ، فقال : لا تبكوا له وابكوا لأنفسكم ما بدا لكم ؛ فإنه خرج إلى خير مما خلف ، قد كان يخاف أن يدع طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة ، لقد بلغني من بره وفضله وصدقته ما لو كان أحد بعد عيسى يحيى الموتى لظننت أنه يحيى الموتى ، ولقد كانت تأتيني أخباره باطنا وظاهرا فلا أجد أمره مع ربه إلا واحدا ، بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه ، ولم أعجب لهذا الراهب الذي قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس

كتاب عمر
إلى عامله
بالمدينة في
أولاد علي

خطبة لعمر

وفد عمر إلى
ملك الروم

وثناؤه على عمر

صومعته ، ولكنى عجبت من هذا الذى صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها ، حتى صار مثل الراهب ، إن أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر إلا قليلا .

أبو حازم
يوصى عمر
وكتب عمر إلى أبي حازم المدنى الأعرج أن أوصنى وأوجز ، فكتب إليه : كأنك يا أمير المؤمنين بالدنيا لم تكن ، وبالأخرة لم تزل ، والسلام .

توقيع عمر
لبعض عماله
ووقع إلى عامل من عماله : قد كثرت شاكوك ، وقل شاكروك ، فإما عدت أو إما اعتزلت ، والسلام .

حال عمر
قبل الخلافة
وبعدها
وذكر المدائنى قال : كان يشتري لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار ، فإذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها ، فلما أنتهت الخلافة كان يشتري له قميص بعشرة دراهم ، فإذا لبسه استلانه .

وقوف عمر
على المقبرة
وخرج مع جماعة من أصحابه فمرَّ بالمقبرة ، فقال لهم : قفوا حتى آتى قبور

الأحبة فأسلم عليهم ، فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف إلى أصحابه فقال :

ألا تسألوننى ماذا قلت لهم وما قيل لى ؟ فقالوا : وماذا قلت يا أمير المؤمنين وما قيل

لك ؟ قال : مررت بقبور الأحبة فسلمت فلم يردوا ، ودعوت فلم يجيبوا ، فبينما

أنا كذلك إذ نوديتُ يا عمر ، أتعرفنى ؟ أنا الذى غيَّرتُ محاسن وجوههم ، ومزَّقتُ الأكفان عن جلودهم ، وقطعت أيديهم ، وأبنت أكفهم من سواعدهم ،

ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفأ ، فوالله ما مضى بعد ذلك إلا أيام حتى لحق بهم

وذكر المدائنى قال : كتب مطرف إلى عمر : أما بعد ، فإن الدنيا دار عقوبة :

لها يجمع من لا عقل له ، وبها يغتر من لا علم له ، فسكن بها كالمداوى جرحه ،

واصبر على شدة الدواء ، لما تخاف من عاقبة الدواء .

عمر وعبد
من عبده
وذكر بعض الأخباريين أن عمر فى عُنْفُوَان حدثته جنى عليه عبد له أسود

جناية فبطحه وهمَّ ليضربه ، فقال له العبد : يا مولاي ، لم تضربنى ؟ قال : لأنك

جنيت كذا وكذا ، قال : فهل جنيت أنت جناية قط غضب بها عليك مولاك ؟

قال عمر : نعم ، قال : فهل عجل عليك العقوبة ؟ قال : اللهم لا ، قال العبد : فلم

تعجل على ولم يعجل عليك ؟ فقال له : قم فأنت حر لوجه الله ، وكان ذلك سبب توبته .

وكان عمر يكثر هذا الكلام في دعائه فيقول : يا حليما لا يعجل على من عصاه وذكر جماعة من الأخباريين أن عمر لما ولي الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز ، فاختار الوفد غلاماً منهم ، فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتداء الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سناً قال عمر : مهلاً يا غلام ليتكلم من هو أسن منك ، فقال : مهلاً يا أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه ، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استجد له الحلية ، يا أمير المؤمنين ، ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الأمة من هو أسن منك ، قال : تكلم يا غلام ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، نحن وفود التهئة لا وفود المرزئة ، قدمنا إليك من بلدنا ، نحمد الله الذي من بك علينا ، لم يخرجنا إليك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فقد أتانا منك إلى بلدنا ، وأما الرهبة فقد أمنتنا الله بعدلك من جورك ، فقال : عظنا يا غلام وأوجز ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن أناساً من الناس غرهم حلم الله عنهم ، وطول أملمهم ، وحسن ثناء الناس عليهم ؛ فلا يغرنك حلم الله عنك ، وطول أملك ، وحسن ثناء الناس عليك ، فتزل قدمك ، فنظر عمر في سن الغلام ، فإذا هو قد أتت عليه بضعة عشرة سنة ، فأنشأ عمر رحمه الله يقول :

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

وقد كان رجل من أهل العراق أتى المدينة في طلب جارية وصفت له قارئة قوالة ، فسأل عنها فوجدها عند قاضي المدينة ، فأتاه وسأله أن يعرضها عليه ، فقال : يا عبد الله ، لقد أبعدت الشمة في طلب هذه الجارية ، فما رغبتك فيها ؟ لما رأى من شدة إعجابه بها ، قال : إنها تغني فتجيد ، فقال القاضي : ما علمت

عمر ووفد
الحجاز وقد
تقدمهم غلام
صغير

عمر وقاضي
الحجاز الذي
هام بجاربه
المغنية

بهذا ، فألح عليه في عرضها ، فعرضت بحضرة مولانا القاضي ، فقال لها الفتى :
هات ، ففنت :

إلى خالدٍ حتى أنحنَ بخالدٍ فنعم الفتى برجى ونعم المؤمل
ففرح القاضي بجاريته ومراً بغنائها ، وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى
أقعدھا على فخذه ، وقال : هات شيئاً بأبي أنت ، ففنت :

أروحُ إلى القصاص كل عشيّة أرجى ثواب الله في عدد الخطا

فزاد الطرب على القاضي ، ولم يدر ما يصنع ، فأخذ نعله فعلقها في أذنه ،
وجثا على ركبتيه ، وجعل يأخذ بطرف أذنه والنعل معلقة فيها ، ويقول : اهدوني
إلى البيت الحرام ، فأني بدنة ، حتى أدمى أذنه ، فلما أمسكت أقبل على الفتى
فقال : يا حبيبي ، انصرف قد كنا فيها راغبين قبل أن نعلم أنها تقول ، فنحن
الآن فيها أرغب ، فانصرف الفتى ، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال : قاتله
الله ، لقد استرقه الطرب ، وأمر بصرفه عن عمله ، فلما صرف قال : نساؤه طوالق
لو سمعها عمر لقال اركبوني فاني مطية ، فبلغ ذلك عمر ، فأشخصه وأشخص الجارية فلما
دخل على عمر قال له : أعذما قلت ، قال : نعم ، فأعاد ما قال ، فقال للجارية :
قولي ، ففنت :

كان لم يكن بين الحَجَّونِ إلى الصفا أنيس ولم يسْمُر بمكة سامر
بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا صروفُ الليالي والحدودُ العَوائرُ

فما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طرباً بيناً ، وأقبل يستعيدها ،
ثلاثاً ، وقد بَلَّتْ دموعه لحيته ، ثم أقبل على القاضي فقال : قد قاربت في يمينك
ارجع إلى عملك راشداً .

حدثنا الطوسي والأموي الدمشقي وغيرهما ، عن الزبير بن بكار ، عن عبد الله
ابن أحمد المديني ، قال : كان بالمدينة فتى من بنى أمية من ولد عثمان ، وكان
ظريفاً ، يختلف إلى قينة لبعض قریش ، وكانت الجارية تحبه ولا يعلم ، ويحبها
عمر و الفتى
الأموي الذي
هام بجارية
مغنية

ولا تعلم ، ولم تكن محبة القوم إذ ذاك لريبة ولا فاحشة ، فأراد يوماً أن يبلو ذلك ، فقال لبعض من عنده : امض بنا إليها ، فانطلقا ووافاهما وجوه أهل المدينة من قریش والأنصار وغيرهما ، وما كان فيهم قى يجِدُ بها وجده ، ولا تجد بواحد منهم وجدها بالأموى ، فلما أخذ الناس مواضعهم قال لها الفتى : أحسنين أن تقولى :

أحبكم حبًّا بكل جوارحى فهل عندكم علم بما لكم عندي
أتجزون بالودِّ المضاعفِ مثله فان كريماً من جزى الودَّ بالودِّ

قالت : نعم وأحسن أحسن منه ، وقالت :

للذى ودَّنا المودَّةُ بالضعفِ وفضلُ البادى به لا يُجَارَى
لو بدا ما بنا لكم ملأ الأَرْضَ ضَ وأقطارَ شامها والحجازا

قال : فعجب الفتى من حدقها مع حسن جوابها وجودة حفظها ، فازداد كلفاً بها ، وقال :

أنتِ عذِرُ الفتى إذا هتك السَّترَ وإن كان يوسفَ المعصوما

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فاشتراها بعشر حدائق ، ووهبها له بما يصلحها فأقامت عنده حولا ثم ماتت ، فرثاها ، وقضى في حاله تلك ، فدفننا معا ، وكان من مريثته لها قوله :

قد تمنيت جنَّة الخلد للخلد يد فأدْخَلْتُهَا بلا استئْهال

ثم أخرجت إذ تطمعتُ بالنعم مة منها ولموت أحمدُ حال

وقال أشعب الطامع : هذا سيد شهيد الهوى ، انحروا على قبره سبعين بدنة ؛ وقال أبو حازم الأعرج المدني : أما محب لله يبلغ هذا .

وقد كان خرج في أيام عمر سودب الخارجي ، وقوى أمره فيمن خرج معه
من المحكمة من ربيعة وغيرها ، فحدث عباد بن عباد المهلبى ، عن محمد بن الزبير
الخنظلى ، قال : أرسلنى عمر إليهم ، وأرسل معى عون بن عبد الله بن عتبة
حجاج عدد مع الخوارج وغلبته عليهم

ابن مسعود ، وكان خروجهم بالجزيرة ، وكتب عمر معنا إليهم كتابا ، فأتيناهم فأبلغناهم كتابه ورسالته ، فبيعوا معنا رجلين منهم أحدهما من بنى شيبان والآخر فيه حبسة وهو أحدهما لسانا وعارضة ، فقدمنا بهما على عمر بن عبد العزيز ، وهو بخصاصة ، فصعدنا إليه إلى غرفة هو فيها ومعه ابنه عبد الملك وكتبه مزاحم ، فذكرنا مكانهما ، فقال : قشوها لئلا يكون معهما حديد ، ففعلنا ، فلما دخلا قالوا : السلام عليك ، ثم جلسا ، فقال لهما عمر : أخبراني ما الذي أخرجكم مخرجكم هذا ؟ وما تقيم علينا ؟ فتكلم الذي فيه حبسة فقال : والله ما نقيمنا عليك في سيرتك وإنك لتجزىء بالعدل والإحسان ، ولكن بيننا وبينك أمر إن أنت أعطيتناه فنحن منك وأنت منا ، وإن منعتناه فلست منا ولسنا منك ، فقال عمر : وما هو ؟ قال : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك ، وسميتهم المظالم ، وسلكت غير سبيلهم ، فان زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم ، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق ، فتكلم عمر فقال : إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لدنيا ، ولكن أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها ، وإني سأسألکم عن أمور فبالله لتصدقنني عنها ، أرايتما أبا بكر وعمر ، أليسا من أسلافكم ومن تتولونهما وتشهدون لهما بالنجاة ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل علمتم أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء وأخذ الأموال وسبي الذراري ؟ قالوا : نعم ، قال : فهل علمتم أن عمر حين قام بعد أبي بكر رد تلك السبايا إلى أصحابها ؟ قالوا : نعم ، قال : فهل برى عمر من أبي بكر ؟ قالوا : لا ، قال : أفرأيت أهل النهر وان ، أليسوا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل علمتم أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم كفوا أيديهم فلم يسفكوا دما ولم يخيفوا آمنا ولم يأخذوا مالا ؟ قالوا : نعم ، قال : فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع الشيباني وعبد الله بن وهب الراسبي وأصحابه استعرضوا الناس يقتلونهم ولقوا عبد الله بن خباب بن الأرت

صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ثم صَبَّحُوا حياً من
أحياء العرب فاستعرضوهم فقتلوا الرجال والنساء والأطفال حتى جعلوا يُلْقُونَ
الصبيان في قدور الأقط وهي تقور؟ قالوا: قد كان ذلك، قال: فهل تبرأ أهل
البصرة من أهل الكوفة وأهل الكوفة من أهل البصرة؟ قالوا: لا، قال:
فهل تبرءون أنتم من إحدى الطائفتين؟ قالوا: لا، قال: أرأيتم الدين واحداً
أم اثنين؟ قالوا: بل واحداً، قال: فهل يسعكم فيه شيء يعجز عنى؟ قالوا: لا،
قال: فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر وتولى أحدهما صاحبه وتوليتم أهل
البصرة وأهل الكوفة وتولى بعضهم بعضاً وقد اختلفوا في أعظم الأشياء في الدماء
والفروج والأموال ولا يسعنى فيما زعمتم إلا لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم؟ أرأيتم
لعل أهل الذنوب فريضة مفروضة لأبد منها؟ فإن كانت كذلك فأخبرني أيها
المتكلم متى عهدك بلعن فرعون؟ قال: ما أذكر متى لعنته، قال: ويحك!! لم لاتعن
فرعون وهو أخبث الخلق ويسعنى فيما زعمت لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم؟ ويحك!!
إنكم قوم جهال، ثم أردتم أمراً فأخطأتموه، فأنتم تردون على الناس ما قبله منهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويأمن عندكم من خاف عنده، ويخاف عندكم
من أمن عنده، قالوا: ما نحن كذلك، قال عمر: بل سوف تقرون بذلك الآن،
هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعِثَ إلى الناس وهم عبدة أوثان؟
فدعاهم إلى خلع الأوثان وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ فمن فعل
ذلك حقن دمه، وأحرز ماله، ووجبت حرمة، وكانت له أسوة المسلمين؟
قالوا: نعم، قال: أفلمستم أنتم تلقون من يخلع الأوثان ويشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله فتستحلون دمه وماله؟ وتلقون من ترك ذلك وأباه من اليهود
والنصارى وسائر الأديان فيأمن عندكم وتحرمون دمه؟ قال الحبسى: ما سمعت
كاليوم قط حجةً أبين وأقرب مأخذاً من حجتك، أما أنا فأشهد أنك على
الحق وأنا برىء ممن برىء منك، فقال عمر للشيباني: فأنت ما تقول؟ قال:

ما أحسن ما قلت ، وأبين ما وصفت ، ولكني لأفتات على المسلمين بأمر حتى
أعرض قولك عليهم فأنظر ما حجتهم ، قال : فأنت أعلم ، فأنصرف ، وأقام
الحبسي ، فأمر له عمر بمطائه ، فمكث خمسة عشر يوماً ثم مات ، ولحق الشيباني
بأصحابه فقتل معهم بعد موت عمر رحمه الله تعالى

ولعمر مع الخوارج أخبار غير ما ذكرنا ، ومراسلات ، ومناظرات ، وكذلك
لمن سلف من بنى أمية وغيرهم من ولادة الأمصار ، وقد أتينا على ذكرها وذكر
كل من سمته الخوارج بأمير المؤمنين وخاطبته بالإمامة من الأزارقة والإباضية
والحرورية والنجدات والخليفة والصفورية وغيرهم من أنواع الحرورية ، وذكرنا
مواضعهم من الأرض في هذا الوقت مثل من سكن منهم من بلاد شهرزور
وسجستان وجوة إصطخر من بلاد فارس وبلاد كرمان وأذربيجان وبلاد
مكران وجبال عمان وهرة من بلاد خراسان والجزيرة وتاهرت السفلى وغيرها
من بقاع الأرض في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وما ذكرنا من الرد
عليهم في التحكيم ، وغير ذلك في كتابنا المترجم بكتاب « الانتصار » المحكم
لفرق الخوارج ، وفي كتاب « الاستبصار »

وقد ذكر جماعة من شعرائهم من سلف من أئمتهم : من ذلك قول مصقلة
ابن عتبان الشيباني ، وكان من غلبة الخوارج : -

بعض شعر
الخوارج في
أمرائهم

وأبلغ أمير المؤمنين رسالةً وذوالنصح إن لم يرع منك قريب
فإنك إن لا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عَصيبُ
فإن يك منهم كان مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنّب ومنا أمير المؤمنين شبيبُ
غزاة ذات البدر مناحيدة لها في سهام المسلمين نصيب
ولا صلح ما دامت منابر أرضنا يقوم عليها من ثَقِيف خطيبُ

وكذلك ذكرنا أخبار أم شبيب ، وما كانت عليه من الاجتهاد في ديانة
الحكمة ، وفيها يقول الشاعر :-

أُمُّ شَبِيبٍ وَلَدَتْ شَبِيبًا هَلْ تَلِدُ الذُّبَّةُ إِلَّا ذَبِيبًا

ذكر بعض
علماء الخوارج
وبعض شأنهم

وأخبار علمائهم كاليمان ، وله كتب مصنفة في مذاهبهم ، وعبد الله بن يزيد
الأباضي ، وأبي مالك الحضرمي ، وقعنّب ، وغير هؤلاء من علمائهم ، وقد كان
اليمان بن رباب من عليّة علماء الخوارج ، وأخوه علي بن رباب من عليّة علماء
الرافضة ، هذا مقدم في أصحابه ، وهذا مقدم في أصحابه ، يجتمعان في كل سنة
ثلاثة أيام يتناظران فيها ثم يفترقان ولا يسلم أحدهما على الآخر ولا يخاطبه ،
وكذلك كان جعفر بن المبشر من علماء المعتزلة وحذاقها وزهادها ، وأخوه حسن بن
المبشر من علماء أصحاب الحديث ورؤسا الحشوية بالضد من أخيه جعفر ، وطالت
بينهما المناظرة والمباغضة والتباين ، وكل واحد منهما لا يخاطب الآخر إلى أن لحق
بخالقه ، وجعفر بن المبشر وجعفر بن حرب من علماء البغداديين من المعتزلة ، وكان
عبد الله بن يزيد الأباضي بالكوفة تختلف إليه أصحابه يأخذون منه ، وكان
خرازا شريكا لهشام بن الحكم ، وكان هشام مقدما في القول بالجسم والقول
بالإمامة على مذهب القطعية يختلف إليه أصحابه من الرافضة يأخذون عنه ،
وكلاهما في حانوت واحد ، على ما ذكرنا من التضاد في المذهب من التشري
والرفض ، لم يجر بينهما مسابّة ، ولا خروج عما يوجب العلم وقضية العقل وموجب
الشرع وأحكام النظر والسير

وذكر أن عبد الله بن يزيد الأباضي قال لهشام بن الحكم في بعض الأيام:
تعلم ما بيننا من المودة ودوام الشركة ، وقد أحببت أن تُنكحني ابنتك فاطمة ،
فقال له هشام : إنها مؤمنة ، فأمسك عبد الله ، ولم يعاوده في شيء من ذلك ،
إلى أن فرق الموت بينهما

وكان من أمر هشام مع الرشيد وابن برمك ما أتينا على ذكره فيما سلف
من كتبنا

وذكر عن عمرو بن عبيد أنه كان يقول : أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة
بغير حقها ، ولا باستحقاق ، ثم استحقها بالعدل حين أخذها

رثاء الفرزدق
لعمر بن عبد
العزيز

وفي وفاة عمر رضي الله تعالى عنه يقول الفرزدق من أبيات يرثيه بها :
أقول كما نعى الناعون لى عمرًا لقد نعيمتم قوام الحق والدين
قد غيب الرامسون اليوم إذ رمسوا بدير سمان قسطاص الموازين
لم يُلِّه عمره عين يفجرها ولا النخيل ولا ركض البراذين
ولعمر رحمة الله عليه خطب وأخبار حسان غير ما ذكرنا في هذا الكتاب ،
وفي الزهد وغيره ، وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا ، والحمد لله رب العالمين

ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان

وملك يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه عمر بن عبد العزيز ، وهو
 يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، ويكنى أبا خالد ، وأمه عاتكة
 بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وتوفي يزيد بن عبد الملك بأربد من أرض
 البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وهو
 ابن سبع وثلاثين سنة ، فكانت ولايته أربع سنين وشهرا ويومين .

ذكر لمع من أخباره وسيره

وما كان في أيامه

كان الغالب على يزيد بن عبد الملك حبّ جارية يقال لها سلامة القس ،
 وكانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، فاشتراها يزيد بثلاثة آلاف
 دينار ، فأعجب بها وغلبت على أمره ، وفيها يقول عبد الله بن قيس الرقيات : -
 لقد فتن الدنيا وسلامة القسا فلم يتركها للقس عقلا ولا نفسا

فاحتالت أم سعيد العمانية جدته بشراء جارية يقال لها حبابة قد كان في نفس
 يزيد بن عبد الملك قديما منها شيء ، فغلبت عليه ، ووهب سلامة لأم سعيد ،
 فعذله مسامة بن عبد الملك لما عم الناس من الظلم والجور ، باحتجابه وإقباله على
 الشرب والاهو ، وقال : إنما مات عمر أمس ، وكان من عدله ما قد علمت ، فينبغي
 أن تظهر للناس العدل ، وترفض هذا الاهو ، فقد اقتدى بك عمالك في سائر
 أفعالك وسيرتك ، فارتدع عما كان عليه ، وأظهر الإقلاع والندم ، وأقام على ذلك
 مدة مديدة ، فغلظ ذلك على حبابة ، فبعثت إلى الأحوص الشاعر ومعبد المغني :
 انظرا ما أنتما صانعان ، فقال الأحوص في أبيات له :

حب يزيد
 سلامة القس

لهو يزيد
 ومجونه

ألا لآلئله اليوم أن يتبدلدا فقد غلب الحزون أن يتجلىدا
 إذا كنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصلْدِ جَلَمَدَا
 فما العيش إلا ما تلذ وتشتهى وإن لام فيه ذو الشَّنانِ وفندَا
 وغناه معبد ، وأخذته حبابه ، فلما دخل عليها يزيد قالت : يا أمير المؤمنين ،
 اسمع مني صوتا واحدا ثم افعَل ما بدالك ، وغنته ، فلما فرغت منه جعل يردد قولها :
 فما العيش إلا ما تلذ وتشتهى وإن لام فيه ذو الشَّنانِ وفندَا
 وعاد بعد ذلك إلى لهوه وقصفه ، ورفض ما كان عليه
 وذكر إسحق بن إبراهيم الموصلي قال : حدثني ابن سلام ، قال : ذكر
 يزيد قول الشاعر :

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وَقُلْنَا : الْقُومَ إِخْوَانُ
 عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعَ نَقُومًا كَالَّذِي كَانُوا ^(١)
 فَمَا صَرَحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ
 مَشِينًا مِثْلَ مِثْيَةِ اللَّيْثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ
 بَضْرِبٍ فِيهِ تَوْهِينُ وَتَخَضِيعُ وَإِقْرَانُ
 وَطَعْنٍ كَفَمِ الرِّقِّ وَهَى وَالزَّقُّ مَلَانُ
 رَفَى الشَّرَّ نَجَاةً حَيَّةً نَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

وهو شعر قديم يقال : إنه للفنْدِ في حرب البسوس ، فقال لحبابه : غنيتني به
 بحياتي ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، هذا شعر لا أعرف أحدا يغني به إلا الأحوال
 المسكى ، فقال : نعم ، قد كنت سمعت ابن عائشة يعمل فيه ويترك ، قالت : إنما
 أخذه عن فلان بن أبي لهب ، وكان حسن الأداء ، فوجه يزيد إلى صاحب مكة
 (١) هذا هو المحفوظ والثابت في ديوان الحماسة ، وفي بعض الأصول وهو
 تحريف ظاهر . عسى الأيام أن يرجع ن قدما كالذي كانوا

إذا أتاك كتابي هذا فادفع إلى فلان ابن أبي لهب ألف دينار لنفقة طريقه واحمله على ما شاء من دواب البريد ، ففعل ، فلما قدم عليه قال : غني بشعر الفند ، فغناه فأجاده وأحسن ، وقال : أعدده ، فأعادته فأجاده وأحسن وأطرب يزيد ، فقال له : ممن أخذت هذا الغناء ؟ فقال : يأمرير المؤمنين ، أخذه عن أبي ، وأخذته أبي عن أبيه ، فقال : لو لم ترث إلا هذا الصوت لكان أبو لهب قد ورثكم خيرا كثيرا ، فقال : يأمرير المؤمنين ، إن أبا لهب مات كافرا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد أعلم ما تقول ، ولكنني دخلتني له رقة إذ كان مجيد الغناء ؛ ووصله وكساه وردده إلى بلده مكرما .

وكان في عهد عمر إلى يزيد : إذا أمكنتك القدرة بالعزة فاذكر قدرة الله عليك ، وقيل : إن هذا الكلام كتب به عمر إلى بعض عماله ، وفيه زيادة على ما ذكره الزبير بن بكار ، وهي : إذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك بما يأتي عليهم ، واعلم أنك لا تأتي عليهم أمرا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك ، وأن الله يأخذ المظالم من الظالم ، ومهما ظلمت من أحد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك إلا بالله تعالى .

واعتلت حبابة فأقام يزيد أياما لا يظهر للناس ، ثم ماتت ، فأقام أياما لا يدفنها جزعا عليها حتى جيفت ، فقيل : إن الناس يتحدثون بجزعك ، وإن الخلافة تجل عن ذلك ، فدفنها وأقام على قبرها فقال :

فان تَسَلْ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدْعُ الْهَوَىٰ فَبِالْيَأْسِ تَسْلُو النَّفْسُ لَا بِالتَّجَلُّدِ
ثم أقام بعدها أياما قلائل ومات .

حدث أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسحق الموصلي ، عن أبي الحويرث الثقفي ، قال : لما ماتت حبابة حزن عليها يزيد بن عبد الملك حزنا شديدا ، وضم إليه جويرة كانت يتحدثها فكانت تخدمه ، فتمثلت الجارية يوما :
كَفَىٰ حَزَنًا لَهَا ثُمَّ الصَّبُّ أَنْ يَرَىٰ مَنَازِلَ مَنْ يَهْوَىٰ مُعْطَلَةً قَفْرًا

ماتت حبابة فلم يدفنها يزيد حتى جيفت

جزع يزيد على حبابة حتى مات

فبكي حتى كاد أن يموت ، ولم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حباية حتى مات

وكان يزيد ذات يوم في مجلسه وقد غنته حباية وسلامة ، فطرب طرباً شديداً ثم قال : أريد أن أطير ، فقالت له حباية : يا مولاي ، فعلى من تدع الأمة وتدعنا؟! وكان أبو حمزة الخارجي إذا ذكر بني مروان وعابهم ذكر يزيد بن عبد الملك عيب أبي حمزة فقال : أقعد حباية عن يمينه وسلامة عن يساره ، ثم قال : أريد أن أطير ، فطار على بني مروان إلى لعنة الله وأليم عذابه . بسبب يزيد

قال المسعودي : وقد كان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة هرب من سجن عمر ابن عبد العزيز ، حين أُنقل ، وذلك في سنة إحدى ومائة ، وصار إلى البصرة وعليها عدى بن أرطاة الفزاري ، فأخذه يزيد بن المهلب ، فأوثقه ، ثم خرج يريد الكوفة مخالفاً على يزيد بن عبد الملك ، وحشدت له الأزد وأحلافها ، وانحاز إليه أهله وخاصته ، وعظم أمره ، واشتدت شوكته ، فبعث إليه أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، في جيش عظيم ، فلما شارفاه رأى يزيد بن المهلب في عسكره اضطراباً فقال : ما هذا الاضطراب؟ قيل : جاء مسلمة والعباس ، [قال :] فوالله ما مسامة إلا جرادة صفراء ، وما العباس إلا بسطوس ابن بسطوس ، وما أهل الشام إلا طغام قد حشدوا ما بين فلاح وزراع ودباغ وسفلة ، فأعيروني أكفكم ساعة تصفعون بها خراطينهم ، فها هي إلا غدوة وروحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين ، على بغرسى ، فأتى بغرس أبلق ، فركب غير متسلح ، فالتقى الجيشان فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وولى أصحاب يزيد عنه ، فقتل يزيد في المعركة ، وصبر إخوته أنفسهم ، فقتلوا جميعاً ، ففي ذلك يقول الشاعر :

كل القبائل بايعوك على الذي تدعو إليه طائعين وساروا
حتى إذا حضر الوغى وجعلتهم نصب الأسد أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك وبعض قتل عار

فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك استبشر ، وأخذ الشعراء جميعاً يهجون
آل المهلب ، إلا كثير فانه امتنع من ذلك ، فقال له يزيد : حركتك الرحم
يا أبا صخر ، لأنهم يمانيون ، ففي ذلك يقول جرير يهجو آل المهلب : —
يارب قوم وقوم حاسدين لكم ما فيهم بـدَل منكم ولا خلفُ
آلُ المهلب جزَّ الله دابرهم أمسوا رماذلاً أصل ولا طرفُ
ما نالت الأزرد من دعوى مضلهم إلا المعاصم ، والأعناق تُختطفُ
والأزرد قد جعلوا المنتوف قاندهم فقتلتهم جنود الله وانسفوا
وهي طويلة ، وفي ذلك يقول جرير أيضاً ليزيد من كلمة : —

لقد تركت فلا نعدمك إذ كفروا آل المهلب عظماً غير مجبور
يا ابن المهلب ، إن الناس قد علموا أن الخلافة للشِّمِّ المغاوير

وبعث يزيد هلال بن أحوز المازني في طلب آل المهلب ، وأمره أن لا يلقى
منهم من بلغ الحلم إلا ضرب عنقه ، فأتبعهم حتى قنديل من أرض السند ، وأتى
هلال بغلامين من آل المهلب ، فقال لأحدهما : أدركت ؟ قال : نعم ، ومد عنقه ،
فكان الآخر أشفق عليه فعضَّ شفته لثلاً يظهر جزعاً ، فضرب عنقه ، وأثنى
القتل في آل المهلب حتى كاد أن يفنيهم ، فذكر أن آل المهلب مكثوا بعد إيقاع
هلال بهم عشرين سنة يولد فيهم الذكور فلا يموت منهم أحد ، وفي مدح هلال
ابن أحوز وما فعل يقول جرير : —

أقول لها من ليلة لَيْسَ طولها كطول الليالي : ليت صُبْحَكَ نوراً
أخاف على نفسي ابن أحوز إنه جلاً كل هم في النفوس فأسفراً
جعلت بقبر للخيار ومالك وقبر عدى في المقابر أقبرا
فلم يبق منهم راية تعرفونها ولم يبق من آل المهلب عسكري
وهي أبيات .

وقد كان يزيد بن عبد الملك — حين ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق ،

بعث يزيد
جيشاً وأمره
بإستئصال آل
المهلب

وأضاف إليه خراسان واستقام أمره هنالك — بعث ابن هبيرة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري وعامر بن شرحبيل الشعبي ومحمد بن سيرين ، وذلك في سنة ثلاث ومائة ، فقال : اللهم إن يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عبادته ، وأخذ ميثاقهم بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولاني ما ترون يكتب إلى بالأمر من أمره فأنفذه ، وأقلده ما يقلده من ذلك ، فما ترون ؟ فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقيّة ، فقال عمر : ما تقول يا حسن ؟ فقال الحسن : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ، ولا تخف يزيد في الله ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك ، يا ابن هبيرة ، إني أحذرك أن تعصى الله ، فانما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده ، فلا تترك دين الله وعباده بسلطان الله ، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وحكى في هذا الخبر أن ابن هبيرة أجازهم ، وأضعف جائزة الحسن ، فقال الشعبي : فسففنا فسفف لنا .

ابن هبيرة
يتولى عملاً
يزيد فيستشير
العلماء
فينصحونه

وذكر أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشام بن عبد الملك ينتقصه ، ويتمنى موته ، ويعيب عليه لهُوَ بِالْقِيَنَاتِ ، فكتب إليه يزيد : أما بعد فقد بلغني استئثالك حياتي ، واستبطاؤك موتي ، وأمرى إنك بعدى لواهي الجناح ، أجدم الكف ، وما استوجبت منك ما بلغني عنك ؛ فأجابه هشام : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين متى قرّع سمعه لقول أهل الشنآن وأعداء النعم يوشك أن يقدح ذلك في فساد ذات البين ، وتقطع الأرحام ، وأمير المؤمنين بفضلته وما جعله الله أهلاً له أولى أن يتعمد ذنوب أهل الذنوب ، فأما أنا فعاد الله أن أستقتل حياتك أو أستبطىء وفاتك ، فكتب إليه : نحن مغفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا عنك ، فاحفظ وصية عبد الملك إيانا ، وقوله لنا في ترك التباغى والتخاذل وما أمر به وحض عليه من صلاح ذات البين ، واجتماع الأهواء ، فهو خير لك ،

بلغ يزيد أن
هشاماً أخاه
ينتقصه
فكتب له
وأجابه هشام

وأَمَلَكْ بكَ ، وإِنِّي لَأَكْتُبُ إِلَيْكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
 وَإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرْيِبُنِي قَدِيمًا لَدَوْ صَفْحٍ عَلَى ذَاكَ مُجْمِلُ
 سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَانْظُرْ أَىَّ كَفٍّ تَبْدَلُ
 وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْثُلُ
 فَلَمَّا أَتَى السِّكِّابَ هَشَامًا ارْتَحَلَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي جَوَارِهِ مَخَافَةَ أَهْلِ الْبَغْيِ
 وَالسَّهَابَةِ حَتَّى مَاتَ يَزِيدُ .

وَمِنْ مَاتَ فِي أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ ، مَوْلَى مَيْمُونَةَ زَوْجِ مَوْتِ عَطَاءِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَكْنَى أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَذَلِكَ ابْنِ يَسَارٍ
 فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ .

وَفِيهَا مَاتَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ ، مَوْلَى قَيْسِ بْنِ السَّائِبِ الْخَزَوَمِيِّ ، وَيَكْنَى مَوْتِ مُجَاهِدِ
 أَبُو الْحَجَّاجِ ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً . ابْنِ جَبْرِ

وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ ، مَوْلَى الْأَزْدِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَيَكْنَى أَبُو الشَّعْثَاءِ
 وَيَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ ، مِنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى مَوْتِ جَمَاعَةِ
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . آخِرِينَ

وَيَحْيَى بْنُ وَثَّابِ الْأَسَدِيِّ ، مَوْلَى بَنِي كِنَانَةَ كَانَ
 وَأَبُو بَرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، وَاسْمُهُ عَامِرٌ ، كُوفِي
 وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ مَاتَ وَهَبُ بْنُ مَنِبْهٍ ، وَيُقَالُ : مَاتَ سَنَةَ عَشْرَةٍ وَمِائَةٍ
 وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ هَذِهِ أَيْضًا مَاتَ طَاوُسُ
 وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ مَاتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جَبْرِ ، مَوْلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ
 وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَوْلَى مَوْلَى الْعَبَّاسِ

وَقِيلَ : إِنْ طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ — وَيَكْنَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ — مَوْلَى بِحَيْرِ
 الْحَمِيرِيِّ مَاتَ بِمَكَّةَ سَنَةَ سِتٍّ وَمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَمِائَةٍ مَاتَ سَلِيمَانُ بْنُ يَسَارٍ ، مَوْلَى مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى

الله عليه وسلم ، وهو أخو عطاء بن يسار ، ويكنى أبا أيوب ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، بالمدينة ، وقيل : إنه مات في سنة مائة .

وفي سنة ثمان ومائة مات القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق .

ومات الحسن بن أبي الحسن البصري ، ويكنى أباسعيد ، في سنة عشر ومائة واسم أبيه يسار مولى لامرأة من الأنصار ، مات وله تسع وثمانون سنة ، وقيل : تسعون سنة ، وكان أكبر من محمد بن سيرين ، ومات محمد بعده بمائة ليلة ، في هذه السنة وهو ابن إحدى وثمانين سنة ، وقيل : ابن ثمانين ، وكان أولاد سيرين خمسة إخوة محمد ، وسعيد ، ويحيى ، وخالد ، وأنس بن سيرين ، وسيرين مولى أنس بن مالك والخمسة قد رووا السنن ، ونقل عنهم .

أبناء ابن
سيرين

ووجدت أصحاب التواريخ متباينين ومختلفين غير متفقين في وفاة وهب بن منبه ، ويكنى أبا عبد الله : فمنهم من ذكر وفاته على حسب ما قدمنا في هذا الباب ومنهم من رأى أنه مات سنة عشر ومائة بصنعاء ، وكان من الأبناء ، وهو ابن تسعين سنة وفي سنة خمس عشرة ومائة مات الحكم بن عتبة الكندي ، وقيل : إنه مات فيها عطاء بن أبي رباح .

وهب بن منبه

الحكم
الكندي
وعطاء

وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة مات أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، وذكر الواقدي أنه مات سنة أربع عشرة ومائة .

الزهري

وليزيد بن عبد الملك أخبار حسان ، ولما كان في أيامه من الكوائن والأحداث وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما ذكرنا وفاة من سمينا من أهل العلم ونقل الآثار وحمل الأخبار ليكون ذلك زيادة في فائدة الكتاب ؛ فتكون فوائده عامة ، إذ كان الناس في أغراضهم متباينين ، وفيما يقيمونه من مأخذ العلم مختلفين : فمنهم طالب خبر ، ومقلد لأثر ، ومنهم ذو بحث ونظر ، ومنهم صاحب حديث ، ومنقّر عن علل ، ومراع لوفاة مثل من ذكرنا فجعلنا فيه لكل رأى نصيبا ، وبالله التوفيق .

ذكر أيام هشام بن عبد الملك بن مروان

وبويع هشام بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه أخوه يزيد بن عبد الملك وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة ، وقبض يزيد وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة ، وقيل : أربعون ، وتوفي هشام بن عبد الملك بالرصافة من أرض قنسرين يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشرة ليلة .

ذكر ملع من أخباره وسيره

وكان هشام أحول خشنا فظا غليظا ، يجمع الأموال ، ويعمر الأرض ، ويستجيد الخيل ، وأقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيله غيره أربعة آلاف فرس ، ولم يعرف ذلك في جاهلية ولا إسلام لأحد من الناس ، وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل ، واستجاد الكسبي والفرش ، وعدد الحرب ولامتها واصطنع الرجال ، وقوى الثغور ، واتخذ القني والبرك بطريق مكة ، وغير ذلك من الآثار التي أتى عليها داود بن علي في صدر الدولة العباسية .

وفي أيامه عمل الخز والمظف الخز ، فسلك الناس جميعا في أيامه مذهبه ، ومنعوا ما في أيديهم ، قتل الأفضال ، وانقطع الرّفْد ، ولم ير زمان أصعب من زمانه .

وفي أيامه استشهد زيد بن علي بن الحسين بن علي كرم الله وجهه ، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل : في سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وقد كان زيد بن علي شاور أخاه أبا جعفر بن علي بن الحسين بن علي فأشار عليه بأن لا يركن إلى أهل الكوفة ؛ إذ كانوا أهل غدر ومكر ، وقال له : بها قتل جدك

مجل تاريخه

بعض أعماله

بخل الناس
في عهده
لبخله

موت زيد
ابن علي
ابن الحسين

على ، وبها طعن عمك الحسن ، وبها قتل أبوك الحسين ، وفيها وفي أعمالها شتمنا أهل البيت ، وأخبره بما كان عنده من العلم في مدة ملك بني مروان ، وما يتعقبهم من الدولة العباسية ، فأبى إلا ما عزم عليه من المطالبة بالحق ، فقال له : إني أخاف عليك يا أخي أن تكون غدا المصلوب بكناسة الكوفة ، وودعه أبو جعفر ، وأعلمه أنهما لا يلتقيان .

وقد كان زيد دخل على هشام بالرصافة فلما مثل بين يديه لم ير موضعاً يجلس فيه ، فجلس حيث انتهى به مجلسه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، ليس أحد يكبر عن تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله ، فقال هشام : أسكت لأمر لك ، أنت الذي تنازعت نفسك في الخلافة ، وأنت ابن أمة ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن لك جواباً إن أحببت أحببتك به ، وإن أحببت أمسكت عنه ، فقال : بل أجب ، قال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحق صلى الله عليهما وسلم ، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً ، وجعله للعرب أباً ، فأخرج من صلبه خير البشر محمداً صلى الله عليه وسلم ، فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي ، وقام وهو يقول :

زيد وهشام
ابن عبد الملك

شرده الخوف وأزرى به كذلك من يكره حر الجلال
منخرق الكفين يشكو الجوى تنكته أطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد
إن يحدث الله له دولة يترك آثار العدا كالرماد

فمضى عليها إلى الكوفة وخرج عنها ، ومعه القراء والأشراف ، فحاربه يوسف بن عمر الثقفي ، فلما قامت الحرب انهزم أصحاب زيد ، وبقي في جماعة سيرة ، فقاتلهم أشد قتال ، وهو يقول متمثلاً :

انهزام
أصحاب
زيد عنه

أذل الحياة وعزّ الممات وكلاً أراه طعماً وبيلاً
فإن كان لا بدّ من واحدٍ فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

وحال المساء بين الفريقين ، فراح زيد مُتَخَنِّجًا بالجراح ، وقد أصابه سهم
 في جبهته ، فطلبوا من ينزع النصل ، فأتى بحجام من بعض القرى ، فاستكنهوه
 أمره ، فاستخرج النصل ، فأت من ساعته ، فدفنوه في ساقية ماء ، وجعلوا على
 قبره التراب والحشيش ، وأجرى المساء على ذلك ، وحضر الحجام مواراته فعرف
 الموضع ، فلما أصبح مضى إلى يوسف متنصحا ، فدلّه على موضع قبره ، فاستخرجه
 يوسف ، وبعث برأسه إلى هشام ، فكتب إليه هشام : أن أصله عريانا ،
 فضلبه يوسف كذلك ، ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أمية يخاطب آل
 أبي طالب وشيعتهم من أبيات :

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى حِذْعٍ نَخْلَةٍ وَلَمْ أَرْ مَهْدِيًّا عَلَى الْجَذْعِ يُصَلَّبُ

وبني تحت خشبته عمودا ، ثم كتب هشام إلى يوسف باحراقه وذروه
 في الرياح .

قال المسعودي : وحكى الهيثم بن عدى الطائي ، عن عمرو بن هانيء ، قال :
 خرجت مع عبد الله بن علي لنش قبور بني أمية في أيام أبي العباس السفاح ،
 فأنهينا إلى قبر هشام ، فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه إلا حشمة أنفه ، فضربه
 عبد الله بن علي ثمانين سوطا ، ثم أحرقه ، واستخرجنا سليمان من أرض دابق ،
 فلم نجد منه شيئا إلا صلبه وأضلاعه ورأسه ، فأحرقناه ، وفعلنا ذلك بغيرهما من
 بني أمية ، وكانت قبورهم بقتسرين ، ثم أنهينا إلى دمشق ، فاستخرجنا الوليد
 ابن عبد الملك ، فما وجدنا في قبره قليلا ولا كثيرا ، واحتفرنا عن عبد الملك فما
 وجدنا إلا شوون رأسه ، ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا فيه إلا عظما
 واحدا ، ووجدنا مع لحده خطا أسود كَأَمَّا خَطُّ بِالرَّمَادِ فِي الطُّولِ فِي لَحْدِهِ ، ثم
 اتبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم .

وإنما ذكرنا هذا الخبر في هذا الموضع لقتل هشام زيد بن علي ، وما نال
 هشاما من المثلة بما فعل بسله من الإحراق كفعله يزيد بن علي

نبشوا قبر
 زيد وأخرجوه
 وصلبوه عريانا

بنو العباس
 ينبشون قبور
 بني أمية

إحراق جثة
زيد

فرق الزيدية
من الشيعة

وقد ذكر أبو بكر بن عياش وجماعة أن زيدا مكث مصلوبا خمسين شهرا
عريانا ، فلم ير له أحد عورة ، سترًا من الله له ، وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان
في أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك وظهر ابنه يحيى بن زيد بخراسان كتب الوليد
إلى عامله بالكوفة : أن احرق زيدا بخشبته ، ففعل به ذلك ، وأذرى في الرياح
على شاطئ الفرات ، وقد أتينا في كتابنا « المقالات في أصول الديانات » على
السبب الذي من أجله سميت الزيدية بهذا الاسم ، وأن ذلك بخروجهم مع زيد
ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم ، هذا ، وقد قيل غير
ذلك مما قد أتينا عليه فيما سلف من كتبنا ، والخلاف في الزيدية والامامية والفرق
بين هذين المذهبين وكذلك غيرهم من فرق الشيعة وغيرهم ، كأبي عيسى محمد بن
هرون الوراق وغيره ، فقلنا : إن الزيدية كانت في عصرهم ثمانية فرق : أولها
الفرقة المعروفة بالجارودية ، وهم أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي ،
وذهبوا إلى أن الإمامة مقصورة في ولد الحسن والحسين دون غيرها ، ثم الفرقة
الثانية المعروفة بالمرئية ، ثم الفرقة الثالثة المعروفة بالأبرقية ، ثم الفرقة الرابعة
المعروفة باليعتموبية ، وهم أصحاب يعقوب بن علي الكوفي ، ثم الفرقة الخامسة
المعروفة بالعتمبية ، ثم الفرقة السادسة المعروفة بالأبترية ، وهم أصحاب كثير الأبر
والحسن بن صالح بن جني ، ثم الفرقة السابعة المعروفة بالجريرية ، وهم أصحاب
سليمان بن جرير ، ثم الفرقة الثامنة المعروفة باليمانية ، وهم أصحاب محمد بن اليمان
السكري ، وقد زاد هؤلاء في المذهب ، وفرعوا مذاهب على ماسلف من أصولهم ،
وكذلك فرق أهل الامامة فكانوا على ذكر من سلف من أصحاب الكتب
ثلاثا وثلاثين فرقة ، وقد ذكرنا تنازع القطيعية بعد مضي الحسن بن علي بن محمد
ابن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضى الله عنه ، وما قالت الكيسانية ، وما تباينت فيه وغيرها من سائر طوائف
الشيعة ، وهم ثلاث وسبعون فرقة ، دون ما تباينوا فيه من التفرع ، وتنازعوا فيه

من التأويل ، والغلاة أيضا ثمان فرق : الحمدية منهم أربع ، والمعتزلة أربع ، وهم العلوية ، ولولا أن كتابنا هذا كتاب خبر لبسطنا من مذاهبهم ووصفنا من آرائهم ما تقدم قبلنا وحدث في وقتنا هذا ، وما قالوه من دلائل ظهور المنتظر الموعود بظهوره ، وما ذهب إليه كل فريق منهم في ذلك من أصحاب الدور والثروة والتشريق ، وغيرهم من أهل الامامة

وعرض هشام يوماً الجند بحمص ، فمر به رجل من أهل حمص وهو على فرس نفور ، فقال له هشام : ما حلتك على أن تربط فرسا نفورا ؟ فقال الحمصي : جنده فيمر به لا والرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين ، ماهو بنفور ، ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار ، فقال له هشام : تنحّ فعليك وعلى فرسك لعنة الله ، وكان غزوان البيطار نصرانياً ببلاد حمص كأنه هشام في حولته وكشفته .

و بينما هشام ذات يوم جالسا خالياً وعنده الأبرش الكلبي إذ طلعت وصيفة لهشام عليها حلة ، فقال للأبرش : مازحها ، فقال لها : هبي لك حلتك ، فقالت له : لأنت أطمع من أشعب ، فقال لها هشام : ومن أشعب ؟ فقالت : كان مضحكا بالمدينة ، وحدثته بعض أحاديثه ، فضحك هشام ، وقال : اكتبوا إلى إبراهيم بن هشام ، وكان عاه له على المدينة ، في حمله إلينا ، فلما ختم الكتاب أطرق هشام طويلا ، ثم قال : يا أبرش ، هشام يكتب إلى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل إليه مضحك ، ؟ لاها الله ، تم تمثل :

إِذَا نَتَ طَاوَعْتَ الْبُورَى قَادَكَ الْهُورَى
إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ
وَأَوْقِفِ الْكِتَابَ .

وذكر أن هشاما أهدى له رجل طائرين ، فأعجب بهما ، فقال له الرجل : بخل هشام جائزتي يا أمير المؤمنين ، قال : وما جائزة طائرين ؟ قال له : ما شئت ، قال : خذ أحدهما ، فقصد الرجل لأحسنهما فأخذه ، فقال له هشام : وتختار أيضا ؟ قال : نعم والله أختار ، فقال : دعه ، وأمر له بدر يهومات .

ودخل هشام بستانا له ومعه ندماءوه ، فطافوا به ، وبه من كل الثمار ، فجعلوا يأكلون ويقولون : بارك الله لأمير المؤمنين ، فقال : وكيف يبارك لى فيه وأنتم تأكلونه ؟ ! ثم قال : ادع قِيَمَه ، فدعا به ، فقال له : اقلع شجره واغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل منه أحد شيئا .

وكتب إليه ابنه سليمان : إن بغاى قد عجزت ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بدابة ، فكتب إليه أمير المؤمنين : قد فهم كتابك ، وما ذكرت من ضعف دابتك ، وقد ظن أن ذلك من قلة تعاهدك لعلفها ، وضياع العلف ، فقم عليها بنفسك ، ولعل أمير المؤمنين يرى رأيه فى حملانك .

ونظر هشام إلى رجل على برذون طخارى ، فقال : من أين لك هذا ؟ قال : حملنى عليه الجنيد بن عبد الرحمن ، قال : وقد كثرت الطخارية حتى ركبها العامة ؟ ! لقد مات عبد الملك وفى مربطه برذون واحد طخارى ، فتنافس فيه ولده ، حتى ظن من فاته أن الخلافة فاتته ، قال الرجل : فحسدنى إياه .

وقد كان أخوه مسلم مازحه قبل أن يلى الأمر ، فقال له : يا هشام ، أتؤمل الخلافة وأنت جبان بخيل ؟ فقال : والله إني عليم حليم .

وذكر الهيثم بن عدى والمدائنى وغيرهما أن السواس من بنى أمية ثلاثة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام ، وختمت أبواب السياسة وحسن السيرة ، وأن المنصور كان فى أكثر أموره وتدييره وسياسته متبعا لهشام فى أفعاله ؛ لكثرة كشفه عن أخبار هشام وسيره .

وقد أتينا على غرر أخباره وسيره وسياسته ، وما حفظ من أشعاره وخطبه ، وما كان فى أيامه فى كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وكذلك ذكرنا بدء الكلام الذى أثار تصنيف الكتاب المعروف بكتاب الواحدة فى مناقب العرب ومثالبها مفردة لا يشار إليها فيها غيرها ، وما أضيف إلى كل حى من العرب من قحطان وغيرهم من نزار ، وما جرى فى مجلس هشام فى أوقات مختلفة بين الأبرش

سواس بنى
أمية

الكلبي والعباس بن الوليد بن عبد الملك وخالد بن مسلمة الخزومي والنضر بن مريم الحميري ، وما أورده الحميري من مناقب قومه من نزار بن معد بن عدنان ، وما ذكره كل واحد منهم من المثالب فيما عدا قومه وبان عن عشيرته ورهطه ، وقد قيل : إن هذا الكتاب ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى آل تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي ، على لسان من ذكرنا ، وعزاه إلى من وصفنا ، أو غيره من الشعبية

ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

وبويع الوليد بن يزيد في اليوم الذي توفي فيه هشام ، وهو يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، تم قتل بالبحراء يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، فكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما ، وقتل وهو ابن أربعين سنة ، والموضع الذي قتل فيه دفن فيه ، وهي قرية من قرى دمشق تعرف بالبحراء على ما ذكرنا ، وقد أتينا على خبر مقتله في كتابنا الأوسط .

ذكر لمع من أخباره وسيره

ظهر في أيام الوليد بن يزيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، بالجوزجان من بلاد خراسان ، منكراً للظلم وما عم الناس من الجور ، فسير إليه نصر بن سيار سلم بن أحوز المازني ، فقتل يحيى في المعركة بقرية يقال لها أرعونة ودفن هنالك ، وقبره مشهور مزور إلى هذه الغاية ، وليحيى وقائع كثيرة ، وقتل في المعركة بسهم أصابه في صدغه ، فولى أصحابه عنه يومئذ واحتز رأسه فحمل إلى الوليد ، وصلب جسده بالجوزجان ، فلم يزل مصلوباً إلى أن (١٠ - ٣)

خروج يحيى
ابن زيد بن
علي ومقتله

خرج أبو مسلم صاحب الدولة العباسية ، فقتل أبو مسلم سلم بن أحوز ، وأنزل جثة يحيى فضلى عليها ودفنت هناك ، وأظهر أهل خراسان النياحة على يحيى بن زيد سبعة أيام فى سائر أعمالها فى حال أمنهم على أنفسهم من سلطان بنى أمية ، ولم يولد فى تلك السنة بخراسان مولود إلا وسمى بيحيى أو يزيد لما داخل أهل خراسان من الجزع والحزن عليه .

وكان ظهور يحيى فى آخر سنة خمس وعشرين ، وقيل : أول سنة ست وعشرين ومائة ، وقد أتينا على أخباره وما كان من حروبه فى الكتاب الأوسط وفى غيره مما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن إعادته .

وكان يحيى يوم قتل يكثر من التمثل بشعر الخنساء : —

نُهَيْنُ النُّفُوسَ وَهَوَلَ النُّفُوسَ يَوْمَ الكَرِيهَةِ أَوْفَى لَهَا

وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب وهو وطرب وسماع للغناء ، وهو أول

من حمل المغنين من البلدان إليه ، وجالس الملهين ، وأظهر الشرب والملاهى

والعرف ، وفى أيامه كان ابن سريج المغنى ، ومعبد ، والغريص ، وابن عائشة ،

وابن محرز ، وطويس ، ودحمان ، وغلبت عليه شهوة الغناء فى أيامه ، وعلى

الخاص والعام ، واتخذ القيان ، وكان متهتكا ماجنا خليعا ، وطرب الوليد لليلتين

خلتا من ملكه وأرق فأنشأ يقول :

طَالَ لَيْلِي وَبَتُ أُسْقَى السَّالِفَةَ وَأَتَانِي نَعْيُ مَنْ بِالرُّصَافَةِ

وَأَتَانِي بِبُرْدَةٍ وَقَضِيبٍ وَأَتَانِي بِخَاتَمٍ لِلْخِلَافَةِ

ومن مجونه قوله عند وفاة هشام وقد أتاه البشير بذلك وسلم عليه بالخلافة :

إِنِّي سَمِعْتُ ، خَلِيلِي ، نَحْوَ الرِّصَافَةِ رَنَّهُ

أَقْبَلْتُ أَسْحَبُ ذَيْلِي أَقُولُ مَا حَالَهُنَّ

إِذَا بَنَاتُ هِشَامٍ يَنْدُبْنَ وَالِدَهُنَّ

لهو الوليد
وجبه للغناء
والطرب

يدعون وَيَلًا وَعَوَلًا والويلُ حلَّ بهِنَّ
أنا المَخْنُثُ حَقًّا إن لم أنيكنَّهِنَّ

وقيل للوليد : ما بقي من لذاتك ؟ قال : محادثة الإخوان في الليالي القمر ،
على الكشبان العفر .

اتخذ الوليد
ندما بعد
ما وصف له
الشراب

وبلغ الوليد عن شراعة بن الزيدورود حسن عشرة وحلاوة مجالسة ، فبعث
في إحضاره ، فلما دخل إليه قال : إني مابعت إليك لأسألك عن كتاب ولاسنة
قال : ولست من أهلها ، قال : إنما أسألك عن القهوة ، قال : سل عن أى ذلك
شدت يا أمير المؤمنين ، قال : ما تقول في الشراب ؟ قال : عن أية تسأل ؟ قال :
ما تقول في الماء ؟ قال : يشاركني فيه البغل والحمار ، قال : فنبذ الزبيب ؟ قال :
خمار وأذى ، قال : فنبذ التمر ؟ قال : ضراط كله ، قال : فالخمر ؟ قال : شقيقة
روحي ، وأليفة نفسي ، قال : فما تقول في السماع ؟ قال : يبعث مع التاني على
ذكر الأشجان ، ويجدد اللهو على مواقع الأحران ، ويؤنس الخل الوحيد ، ويسر
العاشق الفريد ، ويبرد غليل القلوب ، ويشير من خواطر الضمائر خطرة ليست من
الملاهي لغيره ، يسرع ترقيقها في أجزاء الجسد ، فتهيج النفس ، وتقوى الحس ،
قال : فأى المجالس أحب إليك ؟ قال : ما رأيت فيه السماء من غير أن ينالني فيه
أذى ، قال : فما تقول في الطعام ؟ قال : ليس لصاحب الطعام اختيار ما وجده
أكله ، فاتخذ الوليد ندما .

ومن مליح قوله في الشراب من أبيات :

من شعر الوليد
في الشراب

وصَفْرَاءُ في الكأس كالزَعْفَرَان سَبَّأَهَا لَنَا التَّجْرُ من عَسَقَلَانِ
تريك القذاة وعرض الإنا سَتَرُهَا دُونَ مَسِّ البَنَانِ
لها حَبِّ كَلِمَا صَفَقَتْ تراها كَلِمَةً بَرَقَ يَمَانِي

ومن مجونه أيضا على شرايه قوله لساقيه :

اسْقِنِي يَا يَزِيدُ بِالْقَرْقَارَةِ قَدْ طَرَبْنَا وَحَنَّتِ الزَّمَارَةُ
اسْقِنِي اسْقِنِي فَاَنْ ذُنُوبِي قَدْ أَحَاطَتْ فَمَالَهَا كَقَارَةِ

الوليد وابن عائشة المغمي وأخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي القاضي ، عن محمد بن سلام الجمحي ، قال : حدثني رجل من شيوخ أهل الشام ، عن أبيه ، قال : كنت سميرا للوليد بن يزيد ، فرأيت ابن عائشة القرشي عنده وقد قال له غني فغناه :

إِنِّي رَأَيْتُ صَبِيحَةَ النَّحْرِ حُورًا نَعِينَ عَزِيمَةَ الصَّبْرِ (١)

مثل الكواكب في مطالعها عند العشاء أظفن بالبدر

وخرجت أبعي الأجر مُحْتَسِبًا فرجعت مَوْقُورًا مِنَ الْوِزْرِ

فقال له الوليد : أحسنت والله بأمر المؤمنين ، أعد بحق عَبْدِ شمس ، فأعاد ، فقال : أحسنت والله ، بحق أمية أعد ، فأعاد ، فجعل يتخطى من أب إلى أب ويأمره بالاعادة ، حتى بلغ نفسه ، فقال : أعد بحياتي ، فأعاد ، فقام إلى ابن عائشة فأكبَّ عليه ولم يُبْقِ عضوا من أعضائه إلا قبله ، وأهوى إلى أيره ، فجعل ابن عائشة يضم ذكره بين فخذه ، فقال الوليد : والله ، لا زلت حتى أقبله ، فقبل رأسه ، وقال : واطرباه واطرباه ، ونزع ثيابه فألقاها على ابن عائشة ، وبقى مجردا إلى أن أتوه بثياب غيرها ، ودعاه بألف دينار فدفعت إليه ، وحمله على بغلة وقال : اركبها على بساطي وانصرف فقد تركتني على أحر من جمر الغضى .

قال المسعودي : وقد كان ابن عائشة غني بهذا الشعر يزيد بن عبد الملك ورث الوليد أباه فأطربه ، وقيل : إنه ألد وكفر في طربه ، وكان فيما قال لساقيه : اسقنا بالسماء الطرب عن أبيه الرابعة ، فكأن الوليد بن يزيد قد ورث الطرب في هذا الشعر عن أبيه ، والشعر لرجل من قريش ، والغناء لابن سريج ، وقيل : لمالك ، على حسب ما في كتب الأغاني من الخلاف في ذلك مما ذكره إسحق بن إبراهيم الموصلي في كتابه في الأغاني

(١) في بعض النسخ * حورا نعين عزيمة الصبر * ولها وجه

وإبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة في كتابه في الأغاني أيضا ، وغيرهما ممن
صنف في هذا المعنى ، والوليد يدعى خليم بن مروان .

الوليد يمزق
المصحف
ويرميه
بالنشاب

وقرأ ذات يوم (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى
من ماء صديد) فدعا بالمصحف فنصبه غرضا للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول :
أَتُوعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
إِذَا مَا جِئْتُ رَبِّكَ يَوْمَ حَشِيرٍ فَقُلْ يَا رَبِّ خَرَّقَنِي الْوَلِيدُ

الوليد ينكر
الوحي

وذكر محمد بن يزيد المبرد أن الوليد أُلْحِدَ في شعره ذكر فيه النبي صلى الله
عليه وسلم ، وأن الوحي لم يأتَه عن ربه ، كذب أخزاه الله ! ! ومن ذلك الشعر
تَلَعَّبَ بِالْخِلَافَةِ هَاشِمِيٌّ بَلَا وَحْيٍ أَنَاهُ وَلَا كِتَابٍ
فَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي وَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي

فلم يمهل بعد قوله إلا أياما حتى قتل .

أم الوليد

وأم الوليد بن يزيد أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفية ، ويكنى أبا العباس
وقد كان حمل إليه جَفَنَةً من البأور - وقيل : من الحجر المعروف باليشب -
وقد ذهب جماعة من الفلاسفة إلى أن من شرب فيه الخمر لا يسكر ، وقد
ذكرنا خاصية ذلك في كتاب « القضايا والتجارب » وأن من وضع تحت رأسه
منه قطعة أو كان فص خاتمه منه لم ير إلا رؤيا حسنة ، فأمر الوليد فملئت خمر ،
وطلع القمر وهو يشرب وندماؤه معه ، فقال : أين القمر الليلة ؟ فقال بعضهم : في
البرج القلاني ، فقال له آخر منهم : بل هو في الجفنة ، وقد كان القمر تبين
في شعاع الجوهر وصورته في ذلك الشراب ، فقال الوليد : والله ماتعديت ماني
نفسى ، وطرب طربا شديدا ، وقال : لأصطبحن ، هفت هفتة ، وهذا كلام
فارسي تفسيره لأصطبحن سبعة أسابيع ، فدخل عليه بعض حجابيه فقال : يا أمير
المؤمنين ، إن بالباب جمعا من وفود العرب وغيرهم من قريش ، والخلافة تجلُّ

خصائص
اليشب

عن هذه المنزلة ، وتبعد عن هذه الحال ، فقال : استقوه ، فأبى ، فوضع في فمه قمع وجعلوا يسقونه حتى خرَّ ما يعقل سكرًا

وقد كان أبوه أراد أن يعهد إليه ؛ فلاستصغاره لسنه عهد إلى أخيه هشام ، ثم إلى الوليد من بعده

كان الوليد مغرى بالخيـل
وكان الوليد مُغْرَى بِالْخَيْلِ وَحُبِّهَا وَجَمْعُهَا وَإِقَامَةُ الْحَلَبَةِ ، وكان السندی فرسه جواد زمانه ، وكان يسابق به في أيام هشام ، وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد ، وربما ضامه ، وربما جاء مصليًا .

مراتب الخيل في الحلبة
وهالك مراتب السوابق من الخيل إذا جرت ؛ فأولها السابق ، ثم المصلي ، وذلك أن رأسه عند صلاّ السابق ، ثم الثالث والرابع ، وكذلك إلى التاسع ، والعاشر السكيت مسدد ، وما جاء بعد ذلك لم يعتد به ، والفيسكيل الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل .

أجرى الوليد الخيل يومًا
وأجرى الوليد الخيل بالرصافة ، وأقام الحلبة ، وهي يومئذ ألف قارح ، ووقف بها ينتظر الزائد ، ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان له فيها جواد يقال له المصباح ، فلما طلعت الخيل قال الوليد :

خيـلي ورب الكعبة المحرمه سَبَقَنَ أَفْرَاسَ الرِّجَالِ الْيَوْمَ
كما سبقناهم وحزنا المسكرمة

فأقبل فرس ابن الوليد ويقال له الوضاح أمام الخيل ، فلما دنا صرع فارسه وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه ، وهو فيما يرى سعيد يعدّ سابقًا ، فقال سعيد :

نحن سبقنا اليوم خيل اللومه وصرفَ الله إلينا المكرمه
كذلك كنا في الدهور المقدمه أَهْلَ الْعِلا وَالرُّتَبِ الْمُعْظَمِ

فضحك الوليد لما سمعه ، وخشى أن تسبق فرس سعيد ، فركض فرسه حتى

ساوى الوضاح ، فقتذف بنفسه عليه ، ودخل سابقا ، فكان الوليد أول من فعل ذلك وسنّه في الحلبة ، ثم تلاه في الفعل كذلك المهدي في أيام المنصور ، والهادي في أيام المهدي ، ثم عرضت على الوليد الخيل في الحلبة الثانية فر به فرس لسعيد فقال : لانسابقك أبا عنبسة وأنت القائل :

* نحن سبقنا اليوم خيل اللومه *

فقال سعيد : ليس كذا قلت يا أمير المؤمنين ، وإنما قلت :

* نحن سبقنا اليوم خيلا لومه *

فضحك الوليد وضمه إلى نفسه ، وقال : لاعدمت قریش أخا مثلك .

والوليد بن يزيد أخبار حسان في جمعه الخيول في الحلبة ، فإنه اجتمع له في الحلبة ألف قارح ، وجمع بين الفرس المعروف بالزائد والفرس المعروف بالسندی وكانا قد برزا في الجري على خيول زمانهما ، وقد ذكر ذلك جماعة من الأخباريين وأصحاب التواريخ ، مثل ابن عفير والأصمعي وأبي عبيدة وجمعة بن سليمان ، وقد أتينا على الفرر من أخباره في أخبار الخيل وأخبار الحلبات ، وخبر الفرس المعروف بالزائد والسندی وأشقر مروان ، وغير ذلك من أخبار من سلف من الأمويين ومن تأخر في كتابنا المترجم بالأوسط ، وإنما الغرض من هذا الكتاب إيراد جوامع تاريخهم ، ولمع من أخبارهم وسيرهم ، وكذلك أتينا على ذكر ما يستحب من معرفة خلق الخيل وصفاتها من سائر أعضائها وعيونها وخلقها والشاب منها والمهرم ووصف ألوانها ودوائرها ، وما يستحسن من ذلك ، ومقادير أعمارها ، ومنتهى بقائها ، وتنازع الناس في أعداد هذه الدوائر ، والحمودة منها والمذمومة ، ومن رأى أنها ثمانى عشرة أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب ما أدرك من طرق العادات بها والتجارب ، ووصف السوابق من الخيل ، وغير ذلك مما تكلم الناس به في شأنها وأعرافها ، فيما سلف من كتبنا .

اجتمع عند
الوليد ألف
قارح

وفاة محمد
ابن علي بن
الحسين

وفي أيام الوليد بن يزيد كانت وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقد تنوزع في ذلك : فمن الناس من رأى أن وفاته كانت في أيام هشام ، وذلك سنة عشر ومائة ، ومن الناس من رأى أنه مات في أيام يزيد بن عبد الملك ، وهو ابن سبع وخمسين سنة بالمدينة ، ودفن بالبقيع مع أبيه علي بن الحسين وغيره من سلفه عليهم السلام ، مما سنورد ذكرهم فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، والله ولي التوفيق .

ذكر أيام يزيد وإبراهيم ابني الوليد بن عبد الملك بن مروان

مجل تاريخهما
ولي يزيد بن الوليد بدمشق ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة ، فبايعه الناس بعد قتل الوليد بن يزيد ، وتوفي يزيد بن الوليد بدمشق يوم الأحد هلال ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، فكانت ولايته من مقتل الوليد ابن يزيد إلى أن مات خمسة أشهر وليتين ، وقد كان إبراهيم بن الوليد أخوه قام بالأمر من بعده ، فبايعه الناس بدمشق أربعة أشهر ، وقيل : شهرين ، ثم خلع ، وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة المهرج والاختلاط ، واختلاف الكلمة وسقوط الهيبة ، وفيه يقول بعض أهل ذلك العصر :

نبايع إبراهيم في كل جمعة ألا إن أمرا أنت واليه ضائع

ودفن يزيد بن الوليد بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، ويقال : ابن ست وأربعين سنة

ذكر ملع مما كان في أيامهما

الاصول الحسة
للمعتزلة
كان يزيد بن الوليد أحول وكان يلقب بيزيد الناقص ، ولم يكن ناقصا في جسمه ولا عقله ، وإنما نقص بعض الجند من أرزاقهم ، فقالوا : يزيد الناقص ، وكان يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه في الأصول الحسة : من التوحيد ،

والعدل ، والوعد والوعيد ، والأسماء والأحكام ، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

وتفسير قولهم فيما ذهبوا إليه من الباب الأول — وهو باب التوحيد — هو ما اجتمعت عليه المعتزلة من البصريين والبغداديين وغيرهم ، وإن كانوا في غير ذلك من فروعهم متباينين ؛ من أن الله عز وجل لا كالأشياء ، وأنه ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر ، بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر ، وأن شيئاً من الحواس لا يدركه في الدنيا ولا في الآخرة ، وأنه لا يحصره المكان ، ولا تحويه الأقطار ، بل هو الذي لم يزل ولا [له] زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حد ، وأنه الخالق للأشياء المبدع لها لا من شيء ، وأنه القديم ، وأن ما سواه محدث

وأما القول بالعدل — وهو الأصل الثاني — فهو أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدره التي جعلها الله لهم وركبها فيهم ، وأنه لم يأمر إلا بما أراد ، ولم ينه إلا عما كره ، وأنه ولي كل حسنة أمر بها ، برىء من كل سيئة نهى عنها ، لم يكلفهم مالا يطيقونه ، ولا أراد منهم مالا يقدرون عليه ، وأن أحداً لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدره الله التي أعطاهم إياها ، وهو المالك لها دونهم ، يفتيها إذا شاء ويبقيها إذا شاء ، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ، ومنعهم اضطراباً عن معصيته ، ولكن على ذلك قادراً ، غير أنه لا يفعل ، إذ كان في ذلك رفع للمحنة ، وإزالة للبلوى

وأما القول بالوعد والوعيد — وهو الأصل الثالث — فهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة ، وإنه لصادق في وعده ووعيده ، لا مبدل لكلماته وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين — وهو الأصل الرابع — فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر ، بل يسمى فاسقاً ، على حسب ما ورد التوقيف بتسميته ، وأجمع أهل الصلاة على فسوقه

قال المسعودي : وبهذا الباب سميت المعتزلة ، وهو الاعتزال ، وهو الموصوف
بالأسماء والأحكام مع ما تقدم من الوعيد في الفاسق من الخلود في النار
وأما القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وهو الأصل
الخامس - فهو أن ما ذكر على سائر المؤمنين واجب ، على حسب استطاعتهم
في ذلك ، بالسيف فما دونه ، وإن كان كالجهاد ، ولا فرق بين مجاهدة الكافر
والفاسق

فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ، ومن اعتقد ما ذكرنا من هذه الأصول الخمسة
كان معتزليا ، فان اعتقد الأكثر أو الأقل لم يستحق اسم الاعتزال ، فلا
يستحقه إلا باعتقاد هذه الأصول الخمسة ، وقد تنوزع فيما عدا ذلك من فروعهم
وقد أتينا على سائر قولهم في أصولهم وفروعهم وأقاويلهم وأقاويل غيرهم من فرق
الامة من الخوارج والمرجئة والرافضة والزيدية والحشوية وغيرهم في كتابنا
« المقالات في أصول الديانات » وأفردنا بذلك كتابنا المترجم بكتاب « الابانة »
اجتبيناه لأنفسنا ، وذكرنا فيه الفرق بين المعتزلة وأهل الامامة ، وما بان به كل
فريق منهم عن الآخر ، إذ كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب إلى أن
الإمامة اختيار من الامة ، وذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه ، وأن
اختيار ذلك مقوّض إلى الامة تختار رجلا منها ينفذ فيها أحكامه ، سواء كان
قرشيا أو غيره من أهل ملة الاسلام وأهل العدالة والايمان ، ولم يراعوا في ذلك
النسب ولا غيره ، وواجب على أهل كل عصر أن يفعلوا ذلك

الامامة
واختلاف
النحل فيها

والذي ذهب إلى أن الامامة قد تجوز في قریش وغيرهم من الناس هو المعتزلة
بأسرها ، وجماعة من الزيدية مثل الحسن بن صالح بن جني ، ومن قال بقوله ،
على حسب ما قدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار هشام ،
ويوافق من ذكرنا على هذا القول جميع الخوارج من الاباضية وغيرهم ، إلا
النجادات من فرق الخوارج ، فزعموا أن الامامة غير واجب نصبها ، ووافقهم على

هذا القول أناس من المعتزلة ممن تقدم وتأخر ، إلا أنهم قالوا : إن عدلت الأمة ولم يكن فيها فاسق لم يحتج إلى إمام ، وذهب من قال بهذا القول إلى دلائل ذكروها ، منها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو أن سالماً حياً ما داخلى فيه الظنون ، وذلك حين فوض الأمر إلى أهل الشورى ، قالوا : وسالم مولى امرأة من الأنصار ، فلم يعلم عمر أن الإمامة جائرة في سائر المؤمنين لم يطلق هذا القول ، ولم يتأسف على موت سالم مولى أبي حذيفة

قالوا : وقد صح بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة ، منها قوله « اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجذع » وقد قال الله عز وجل (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

وذهب أبو حنيفة ، وأكثر المرجئة ، وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها ، وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية ، إلى أن الإمامة لا تجوز إلا في قريش ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم « الإمامة في قريش » وقوله عليه السلام « قدموا قريشا ولا تَقَدِّمُوها » ولما احتج المهاجرون به على الأنصار يوم سقيفة بنى ساعدة من أن الإمامة في قريش لأنهم إذا وكؤا عدلوا ، ولرجوع كثير من الأنصار إلى ذلك

ولما انفرد به أهل الإمامة من أن الإمامة لا تكون إلا نصا من الله ورسوله على عين الإمام واسمه واشتهاره كذلك ، وفي سائر الأعصار لا تخلو الناس من حجة الله فيهم ظاهرا وباطنا ، على حسب استعماله التقية والخوف على نفسه ، واستدلوا بالنص على أن الإمامة في قريش ، وبدلائل كثيرة من العقول وجوامع من النصوص في وجوبها ، وفي النص عليهم ، وفي عصمتهم ؛ من ذلك قوله عز وجل مخبرا عن إبراهيم (إني جاعلك للناس إماما) ومسئلة إبراهيم بقوله (ومن ذريتي) وإجابة الله له بأنه (لا ينال عهدي الظالمين)

قالوا : فقها تلونا دلائل على أن الإمامة نص من الله ، ولو كان نصها إلى

الناس ما كان لمسئلة إبراهيم رَبِّهِ وَجْهَهُ ، ولما كان الله قد أعلمه أنه اختاره ، وقوله (لا ينال عهدي الظالمين) دلالة على أن عهده يناله من ليس بظالم ووصف هؤلاء الامام فقالوا : نعت الامام في نفسه أن يكون معصوما من الذنوب ، لأنه إن لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب ، فيحتاج أن يقام عليه الحد ، كما يقيمه هو على غيره ، فيحتاج الامام إلى إمام ، إلى غير نهاية ، ولم يؤمن عليه أيضا أن يكون في الباطن فاسقا فاجرا كافرا ؛ وأن يكون أعلم الخليفة ، لأنه إن لم يكن علما لم يؤمن عليه أن يقاب شرائع الله وأحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ، ويحد من يجب عليه القلع ، ويضع الأحكام في غير المواضع التي وضعها الله ، وأن يكون أشجع الخلق ، لأنهم يرجعون إليه في الحرب ، فإن جبنَ وهرب يكون باء بغضب من الله ، وأن يكون أسخى الخلق ، لأنه خازن المسلمين وأمينهم ، فإن لم يكن سخيا تأقت نفسه إلى أموالهم ، وشرهت إلى ما في أيديهم ، وفي ذلك الوعيد بالنار ، وذكروا خلاصا كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد ، وأن ذلك كله وجد في علي بن أبي طالب وولده رضى الله عنهم : في السبق إلى الايمان ، والهجرة ، والقراية ، والحكم بالعدل ، والجهاد في سبيل الله ، والورع ، والزهد ، وأن الله قد أخبر عن بواطنهم وموافقتها لظواهرهم بقوله عز وجل ووصفه لهم فيما صنعوه من الاطعام للمسكين واليتيم والأسير ، وأن ذلك لوجه خالصا ، لا أنهم أبدؤهُ بأستئهم فقط ، وأخبر عن أمرهم في المنقلب ، وحسن المؤئل في الحشر ، ثم في إخباره عز وجل عما أذهب عنهم من الرجس ، وفعل بهم من التطهير ، وفي غير ذلك مما أوردوه دلائل لما قالوه ، وأن عليا نص على ابنه الحسن ثم الحسين ، والحسين على علي بن الحسين ، وكذلك من بعده إلى صاحب الوقت الثاني عشر ، على حسب ما ذكرنا وسمينا في غير هذا الموضع من هذا الكتاب ولأهل الامامة من فرق الشيعة في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين

وثلاثمائة - كلام كثير في الغيبة ، واستعمال التقيّة ، وما يذكرونه من أبواب الأئمة والأوصياء ، لا يسعنا إيرادُه في هذا الكتاب ، إذ كان كتاب خبر ، وإنما تغفل بنا الكلام إلى إيراد لمع من هذه المذاهب والآراء وكذلك ما عليه غير أهل الإمامة من أصحاب دين الهجرة والمشورة ، وما يراعونه من الظهور ، وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا ، وما وصفنا فيها من الأفاويل في الظاهر والباطن والسائر والدائر والوافر ، وغير ذلك من أمورهم وأسرارهم

قال المسعودي : وكان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع سابقة من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمزّة من غوطة دمشق على الوليد بن يزيد ، لما ظهر من فسقه ، وشمل الناس من جوهره ، فكان خبر مقتل الوليد ما قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفصلا ، وذكرناه في هذا الكتاب مجالا

وكان يزيد بن الوليد أول من ولي هذا الأمر وأمه أم ولد ، وكانت أمه سارية بنت فيروز ، وهو الذي يقول في ذلك : -

أنا ابنُ كِسْرَى وأبى مَرْوَانَ وَقَيْصَرُ جَدِّي وَجَدِّي خَاقَانَ

وكان يكنى بأبي خالد ، وأم أخيه إبراهيم أم ولد تدعى بريرة ؛ والمعتزلة تفضل في الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز ، لما ذكرناه من الديانة

وفي سنة سبع وعشرين ومائة أقبل مَرْوَانَ بن محمد بن مروان من الجزيرة ظهور مروان فدخل دمشق ، وخرج إبراهيم بن الوليد هاربا من دمشق ، ثم ظفر به مروان فقتله وصلبه ، وقتل من ماله ووالاه ، وقتل عبد العزيز بن الحجاج ، ويزيد بن خالد القسري ، وبدأ أمر بني أمية يؤول إلى ضعف

وذكر اليحصبي عن الخليل بن إبراهيم السبيعي ، قال : سمعت ابن الحمي مبدأ ظهور يقول : قال لي العلاء ابن بنت ذى الكلاع : إنه كان مؤانسا لسليمان بن عبد الملك الدعوة إلى العباسيين لا يكاد يفارقه ، وكان أمر المسودة بخراسان والمشرق قد بان ، ودنا من الجبل ،

وقرب من العراق ، واشتد إرجاف الناس ، ونطق العدو بما أحب في بنى أمية وأوليائهم ، قال العلاء : فاني لمع سليمان وهو يشرب حذاء رصافة أبيه ، وذلك في آخر أيام يزيد الناقص ، وعنده حكم الوادي ، وهو يغنيه بشعر العرجي :

إِن الْحَيِّبَ تَرَوَّحْتَ أَحْمَالَهُ أَصْلًا فدمعك دائم إسْبَالَهُ
أَقْنِ الْحَيَاءَ ^(١) فَقَدْ بَكَيْتَ بَعْوَالَةَ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ بَاكِيًا إِعْوَالَهُ
يَا حَبْدًا تَلِكُ الْحَمُولُ ، وَحَبْدًا شَخْصٌ هُنَاكَ ، وَحَبْدًا أَمْثَالَهُ

فأجاد بما شاء ، فشرب سليمان بالرطل ، وشربنا معه ، حتى توسدنا أيدينا ، فلم أُنْبَهْ إِلَّا بِتَحْرِيكِ سُلَيْمَانَ إِيَّايَ ، فقممت إليه مسرعا ، فقلت : ماشأن الأمير ؟ فقال لي : على رِسْلِكَ ، رأيتُ كَأَنِّي فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ ، وَكَانَ رَجُلًا فِي يَدِهِ خَنْجَرٌ وَعَلَيْهِ تَاجٌ أَرَى بَصِيصًا مَا فِيهِ مِنْ جَوْهَرٍ ، وَهُوَ رَافِعٌ صَوْتَهُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أَبْنَى أُمِيَّةً قَدْ دَنَا تَشْتِيْتِكُمْ وَذَهَابُ مُلْكِكُمْ وَأَنْ لَا يَرْجِعَ
وَيَنْالَ صَفْوَتَهُ عَدُوٌّ ظَلَمَ لِلْمُحْسِنِينَ إِلَيْهِ ثَمَّةٌ يَفْجَعُ
بَعْدَ الْمَمَاتِ بِكُلِّ ذَكَرٍ صَالِحٍ يَأْوِيْلُهُ مِنْ قُبْحٍ مَا قَدْ يَصْنَعُ

فقلت : بل لا يكون ذلك ، وعجبت من حفظه ، ولم يكن من أصحاب ذلك ، فوجَمَ ساعة ثم قال : يا حميري ، بعيد ما يأتي به الزمان قريب ، قال : فما اجتمعنا على شراب بعد ذلك ،

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان من أمر المسودة ومروان بن محمد الجعدي ما كان

(١) في بعض الاصول « أفن الحياة » بالقاء والنون الموحدين . وما أثبتناه أنسب ، ومعنى « أفن الحياة » الزمه ولا تفارقه ، وتقول : قنى الرجل الحياء يقناه ، مثل رضى الأمر يرضاه ، وتقول أيضا : أفنى الحياء بقنيه ، مثل أولى الجليل بوليه ، والمعنى فيهما واحد .

وذكر المقرئ قال : سئل بعض شيوخ بني أمية ومُحَصِّلُهَا عَقِيبُ زَوَالِ الْمَلِكِ عَنْهُمْ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ : مَا كَانَ سَبَبُ زَوَالِ مَلِكِكُمْ ؟ قَالَ : إِنَّا شَغَلْنَا بِلَادَنَا عَنْ تَقْدِيرِ مَا كَانَ تَقْدِيرُهُ يَلْزِمُنَا ؛ فَظَلَمْنَا رَعِيَّتَنَا فَيَسُّوا مِنْ إِنْصَافِنَا ، وَتَمَنَّوْا الرَّاحَةَ مِنَّا ، وَتَحَوَّلُوا عَلَى أَهْلِ خِرَاجِنَا فَتَخَلَّوْا عَنْهُ ، وَخَرَبَتْ ضِيَاعُنَا ، فَخَلَّتْ بَيُوتُ أَمْوَالِنَا ، وَوُثِّقْنَا بِوُزْرَانَا ، فَأَثَرُوا مِرَاقِقَهُمْ عَلَى مَنَافِعِنَا ، وَأَمْضَوْا أُمُورَنَا دُونَنَا أَخْفَوْا عِلْمَهَا عَنْهُ ، وَتَأَخَّرَ عَطَاءُ جُنْدِنَا ، فَزَالَتْ طَاعَتُهُمْ لَنَا ، وَاسْتَدْعَاهُمْ أَعَادِينَا فَتَظَافَرُوا مَعَهُمْ عَلَى حَرْبِنَا ، وَطَلَبْنَا أَعْدَاؤَنَا فَمَجَزْنَا عَنْهُمْ لِقَلَّةِ أَنْصَارِنَا ، وَكَانَ اسْتِتَارُ الْأَخْبَارِ عَنْهُ مِنْ أَوْكَدِ أَسْبَابِ زَوَالِ مَلِكِنَا

ذكر السبب في العصية بين النزارية واليمانية

ذكر أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، قال : حدثني أبي ، قال : لما قال الكميّ بن زيد الأسدي - من أسد مضر بن نزار - الهاشميات قدم البصرة ، فأتى الفرزدق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، قال : ومن أنت ؟ فانتسب له ، فقال : صدقت فما حاجتك ؟ قال : نفث على لساني وأنت شيخ مضر وشاعرها ، وأحييت أن أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك أمرتني بستره وسرّته علي ، فقال : يا ابن أخي ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، فهات ما قلت راشدا ، فأنشده :

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرِبُ وَلَا لَعِبًا مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ
قال : بلى فالعب ، فقال :

وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنْزِلٍ وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ
قال : فما يطر بك إذا ؟ قال :

وَمَا أَنَا مِنْ يَزْجُرِ الطَّيْرِ هُمُ أَصَاحُ غَرَابٍ أَوْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ

أهم أسباب
ضعف بني أمية
وزوال ملكهم

الكميت بن
زيد والفرزدق
يعرض عليه
الهاشميات

قال : فما أنت ويحك ؟ وإلى من تسمو ؟ فقال :

وَمَا السَّانِحَاتِ الْبَارِحَاتِ عَشِيَّةً أَمْرًا سَلِيمَ الْقَرْنِ أَمْ مَرًّا أَغْضَبُ

قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل وَالنَّهْيِ وَخَيْرِ بَنِي حَوْءٍ ، وَالْخَيْرُ يُطَلَّبُ

قال : من هم ويحك ؟ قال :

إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ

قال : أرحني ويحك !! مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ ؛ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَارًا وَأَغْضَبُ

قال : لله درك يا بني ، أصبت فأحسنت إذ عدلت عن الزعانف والأوباش

إذا لا يصرد سهمك ، ولا يكذب قولك ، ثم مرّ فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر

وكد الأعداء ، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى

فحينئذ قدم المدينة ، فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله

عنه ، فأذن له ليلا وأنشده ، فلما بلغ من الميمية قوله : -

وَقَتِيلَ بِالطَّفِّ غُودِرَ مِنْهُمْ بَيْنَ غَوَاءِ أُمّةٍ وَطَفَاكُم

بكى أبو جعفر ، ثم قال : يا كميّ ، لو كان عندنا مال لأعطيناك ، ولكن

لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، لا زلت مؤيدا بروح

القدس ما ذببت عنا أهل البيت ، فخرج من عنده

فأتى عبد الله بن الحسن بن علي ، فأنشده ، فقال : يا أبا المستهل ، إن لي

ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد أشهدت لك بذلك

شهودا ، وناوله إياها ، فقال : بأبي أنت وأمي ، إني كنت أقول الشعر في غيركم

أريد بذلك الدنيا والمال ، ولا والله ما قلت فيكم إلا الله ، وما كنت لأخذ على

شيء جعلته لله مالا ولا تمنا ، فألح عبد الله عليه ، وأبى من إعفائه ، فأخذ الكميّ

عبد الله بن

الحسن يثيب

الكميّ على

الهاشميات

بضيعة

الكتاب ومضى ، فمكث أياما ثم جاء إلى عبد الله فقال : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ، إن لي حاجة ، قال : وما هي وكل حاجة لك مقضية ، قال : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ، قال : هذا الكتاب تقبله وترجع الضيعة ، ووضع الكتاب بين يديه ، فقبله عبد الله

ونهب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأخذ ثوبا ثواب بنى هاشم للكميت جلدًا فدفعه إلى أربعة من غلمانہ ، ثم جعل يدخل دور بنى هاشم ويقول : يا بنى هاشم ، هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمّت الناس عن فضلكم ، وعرض دمه لبنى أمية ، فأثيروه بما قدرتم ، فيطرح الرجل في الثوب ما قدر عليه من دنانير ودرام ، وأعلم النساء بذلك ، فكانت المرأة تبعث ما أمكنها ، حتى إنها لتتخلع الحلى عن جسدها ، فاجتمع من الدنانير والدرام ما قيمته مائة ألف درهم ، فجاء بها إلى الكميت ، فقال : يا أبا المستهل ، أتيناك بجهد المقل ، ونحن في دولة عدونا ، وقد جمعنا هذا المال وفيه حلى النساء كما ترى ، فاستعن به على دهرك ، فقال : بأبي أنت وأمي ، قد أكثرتم وأطيتم ، وما أردت بمدحى إياكم إلا الله ورسوله ، ولم أك لأخذ لذلك ثمنًا من الدنيا ، فاردده إلى أهله ، فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة ، فأبى ، فقال : إن آيت أن تقبل فأني رأيت أن تقول شيئًا تغضب به بين الناس ، لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يجب ، فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وإياد وأثمار بنى نزار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطلب في وصفهم ، وأنهم أفضل من قحطان ، فغضب بها بين اليمانية والنزارية فيما ذكرناه ، وهى قصيدته التى أولها :

أَلَا حَيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا وَهَلْ نَاسٌ تَقُولُ مُسْلِمِينَ

إلى أن انتهى إلى قوله تصريحا وتعريضا باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم فيها ، وهو قوله :

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ تشير إليه أيدي المهتدين
وَجَدْتُ اللَّهَ إِذْ سَمَّى نَزَارًا وأسكنهم بمكة قاطنين
لَنَا جَعَلَ الْمَكَارِمَ خَالِصَاتٍ وللناس القفا ولنا الجبين
وَمَا ضَرَبْتَ هِجَاتِنِ مِنْ نَزَارٍ فوالخ من فحول الأعجميين
وَمَا حَلَّوْا الْحَيْرَ عَلَى عِتَاقٍ مطهرة فيلقوا مبلغينا
وَمَا وَجَدْتَ نِسَاءَ بَنِي نَزَارٍ حلائل أسودين وأهرينا

وقد نقض دعبل بن علي الخزاعي هذه القصيدة على الكميت وغيرها ، وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرها وصرح وعرض بغيرهم كما فعل الكميت وذلك في قصيدته التي أولها : -

دعبل رد على
الكميت
ويفضل
القحطانية

أَفِيقِي مِنْ مَلَامِكِ يَا طَعْنِينَا كفالك اللوم مر الأرض بعيننا
أَلَمْ تَحْزُنْكِ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي يُشَيِّنُ النَوَائِبِ وَالْقُرُونَا
أَحْيَى الْغُرَمِ مِنْ سُرُوتِ قَوْمِي لقد حييت عنا يا مدينا
فَإِنْ يَكُ آلُ إِسْرَائِيلَ مِنْكُمْ وكنتم بالأعاجم فأخرينا
فَلَا تَنْسَ الْخِزَارِيزَ اللَّوْآئِي مسخن مع القروذ الخاسئينا
بَأَيْلَةَ وَالْخَلِيجِ لَهُمْ رَسُومٌ وآثار قدمن وما محيينا
وَمَا طَلَبُ الْكَمِيتِ طَلَابُ وَتَرٍ ولكننا لنصرتنا هجيننا
لَقَدْ عَلِمْتَ نِزَارُ أَنْ قَوْمِي إلى نصر النبوة فأخرينا

وهي طويلة ، ونمى قول الكميت في النزارية واليمنية ، وافتخرت نزار على اليمن ، وافتخرت اليمن على نزار ، وأدلى كل فريق بماله من المناقب ، وتحزبت الناس ، وثارَت العصبية في البدو والحضر ؛ فنتج بذلك أمر مروان بن

محمد الجعدي ، وتعصبه لقومه من نزار على اليمن ، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية ، وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن ، وقتله أهلها تعصباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار ، وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعة في القدم ، وفعل عتبة بن سالم بعمان والبحرين ، وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة كياداً لمعن وتعصبا من عتبة بن سالم لقومه من قحطان ، وغير ذلك مما تقدم وتأخر مما كان بين نزار وقحطان

ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

وهو الجعدي

بويج مروان بن محمد بن مروان بدمشق يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل : إنما دعا إلى نفسه بمدينة حران من ديار مضر ، وبويج له بها ، وأمه أم ولد يقال لها ريباً ، وقيل طرونة ، كانت لمصعب بن الزبير فصارت بعد مقتله لمحمد بن مروان أبيه ، وكان مروان يكنى أبا عبد الملك ، واجتمع أهل الشام على بيعته ، إلا سليمان بن هشام بن عبد الملك وغيره من بني أمية ، فكانت أيامه منذ بويج بمدينة دمشق من أرض الشام إلى مقتله خمس سنين وعشرة أيام ، وقيل : خمس سنين وثلاثة أشهر ، وكان مقتله في أول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ومنهم من رأى أن ذلك كان في الحرم ، ومنهم من رأى أنه كان في صفر ، وقيل غير ذلك مما تنازع فيه أهل التواريخ والسير على حسب تنازعهم في مقدار ماله : فمنهم من ذهب إلى أن مدته خمس سنين وثلاثة أشهر ، ومنهم من قال خمسا وشهرين وعشرة أيام ، ومنهم من قال خمسا وعشرة أيام ، وكان مقتله ببؤصير قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر ؛

العصبة تجتاح
بني أمية

مجل تاريخه

وقد تنوزع في مقدار سنه كتنازعهم في مقدار ملكه : فمنهم من زعم أنه قتل
وهو ابن سبعين سنة ، ومنهم من قال : ابن تسع وستين ، ومنهم من قال : اثنتين
وستين ، ومنهم من قال : ثمان وخمسين ، وإنما نذكر هذا الخلاف من قولهم
لثلاثين ظان أننا قد أغفلنا ما ذكره أو تركنا شيئاً مما وصفوه ، مما إليه قصدنا
في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملاً من كيفية مقتله وأخباره ، وجوامع
من سيره وحروبه ، وما كان من أمر الدولتين في ذلك من الماضية — وهي
الأموية — والمستقبلية في ذلك الزمان — وهي العباسية — مع أفرادنا باباً نذكر
فيه جوامع تاريخ ملك الأمويين ، وهو الباب المترجم بذكر مقدار المدة من
الزمان ، وما ملكت فيه بنو أمية من الأعوام ، ثم نعقب ذلك بلمع من أخبار
الدولة العباسية ، وأخبار أبي مسلم ، وخلافة أبي العباس السفاح ، ومن تلا
عصره من خلفاء بني العباس ، إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة
أبي إسحق المتقي لله إبراهيم ابن المقتدر بالله ، إن شاء الله تعالى ، والله
ولي التوفيق

ذكر مقدار المدة من الزمان

وما ملكت فيه بنو أمية من الأعوام

كان جميع ملك بنى أمية إلى أن بويع أبو العباس السفاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تنقص ، لأنهم ملكوا تسعين سنة ، وأحد عشر شهرا ، وثلاثة عشر يوما قال المسعودى : والناس متباينون فى تواريخ أيامهم ، والمعول على ما نورده وهو الصحيح عند أهل البحث ومن عنى بأخبار هذا العالم ، وهو أن معاوية بن أبى سفيان ملك عشرين سنة ، ويزيد بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما ، ومعاوية بن يزيد شهرا وأحد عشر يوما ، ومروان بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام ، وعبد الملك بن مروان إحدى وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما ، والوليد بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومين ، وسليمان ابن عبد الملك سنتين وستة أشهر وخمسة عشر يوما ، وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام ، ويزيد بن عبد الملك أربع سنين وثلاثة عشر يوما ، وهشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام ، والوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة وثلاثة أشهر ، ويزيد بن الوليد ابن عبد الملك شهرين وعشرة أيام ، وأسقطنا أيام إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك كاستقاطنا أيام إبراهيم بن المهدي أن يعد فى الخلفاء العباسيين ؛ ومروان بن محمد ابن مروان خمس سنين وشهرين وعشرة أيام ، إلى أن بويع السفاح ، فتكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ، يضاف إلى ذلك الثمانية أشهر التى كان مروان يقاتل فيها بنى العباس إلى أن قتل ، فيصير ملكهم إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما ، يوضع من ذلك أيام الحسن بن على - وهى خمسة أشهر وعشرة أيام - وتوضع أيام عبد الله بن الزبير إلى الوقت الذى قتل

فيه - وهى سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام - فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر ، يكون ذلك ألف شهر سواء

وقد ذكر قوم أن تأويل قوله عز وجل « ليلة القدر خير من ألف شهر » ما ذكرناه من أيامهم ، وقد روى عن ابن عباس أنه قال : والله ليملكن بنو العباس ضعف ما ملكته بنو أمية : باليوم يومين ، وبالشهر شهرين ، وبالسنة سنتين ، وبالخليفة خليفة

قال المسعودى : فملك بنو العباس فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وانقضى ملك بنى أمية ، فبنى العباس من وقت ملكهم إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - مائتا سنة ، وذلك أن أبا العباس السفاح بويع له بالخلافة فى ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وانتهينا فى تصنيفنا من هذا الكتاب إلى هذا الموضع فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى خلافة أبى إسحق التقي لله ، والله أعلم بما يكون من أمرهم فيما يأتى به الزمان المستقبل بعد هذا الوقت من الأيام

وقد أتينا بحمد الله فيما سلف من كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط على الغرر من أخبارهم ، والنفاد من أسمائهم ، والطرائف مما كان فى أيامهم ، وعهودهم ، ووصاياهم ، ومكاتباتهم ، وأخبار الحوادث والخوارج فى أيامهم من الأزارقة والاباضية وغيرهم ، ومن ظهر من الطالبين طالبا بحق ، أو أمرا بمعروف أو ناهيا عن منكر ، فقتل فى أيامهم ، وكذلك من تلاهم من بنى العباس إلى خلافة التقي لله من سنتنا هذه - وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - وما ذكرنا فى هذا الكتاب من جوامع التاريخ قد يخالف ما تقدم بسطه باليوم أو العشرة أو الشهر عند ذكرنا لدولة كل واحد منهم وأيامه ، وهذا هو المعول عليه من تاريخهم وسنهم ، والمفصل من مدتهم ، والله أعلم ومنه التوفيق

ذكر الدولة العباسية

ولع من أخبار مروان ومقتله

وجوامع من حروبه وسيره

قد قدمنا في الكتاب الأوسط ما ذكرته الراوندية - وهم شيعة ولد العباس رأى الراوندية في الامامة ابن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم - من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وأن أحق الناس بالامامة بعده العباس بن عبد المطلب ، لأنه عمه ووارثه وعصبته ، لقول الله عز وجل « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وأن الناس اغتصبوه حقه ، وظلموه أمره ، إلى أن رده الله إليهم ، وتبرؤا من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، وأجازوا بيعة على بن أبي طالب رضى الله عنه باجازه لها ، وذلك لقوله : يا ابن أخى ، هلم إلى أن أبايعك فلا يختلف عليك اثنان ، ولقول داود بن علي على منبر الكوفة يوم بويج لأبي العباس : يا أهل الكوفة ، لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على بن أبي طالب ، وهذا القائم فيكم - يعنى أبا العباس السفاح -

وقد صنف هؤلاء كتباً في هذا المعنى الذى ادعوه هى متداولة فى أيدي أهلها ومنتحليها : منها كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو المترجم بكتاب إمامة ولد العباس ، يحتج فيه لهذا المذهب ، ويذكر فعل أبي بكر فى ذلك وغيرها ، وقصته مع فاطمة رضى الله عنها ، ومطالبتها بارثها من أبيها صلى الله عليه وسلم ، واستشهادها ببعليها وابنيها وأم أيمن ، وما جرى بينها وبين أبي بكر من الخطابة ، وما كثر بينهم من المنازعة ، وما قالت ، وما قيل لها عن أبيها عليه السلام ، من أنه قال : « نحن معاشر الأنبياء نرث ولا نورث » وما احتجبت به من قوله عز وجل : (وورث سليمان داود) على أن النبوة لا تورث ، فلم يبق إلا التوارث ،

الجاحظ يؤلف كتاباً ينصر فيه الراوندية وهى غير مذهبه

وغير ذلك من الخطاب ، ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب ، ولا استقصى فيه الحجاج الراوندي ، وهم شيعة ولد العباس ، لأنه لم يكن مذهبه ، ولا كان يعتقد له فعل ذلك تماجناً وتطرباً ،

كتاب آخر
للجاحظ في
الامامة

وقد صنف أيضاً كتاباً استقصى فيه الحجاج عند نفسه ، وأيده بالبراهين ، وعزّده بالأدلة فيما تصوّر من عقله ، ترجمه بكتاب العمانية ، يحل فيه عند نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ، ويحتج فيه لغيره طلباً لإماتة الحق ، ومضادةً لأهله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ،

له كتاب آخر

ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العمانية حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر في إمامة الروائية وأقوال شيعتهم ، ورأيته مترجماً بكتاب أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ، في الانتصار له من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشيعته الرافضة ، يذكر فيه رجال الروائية ، ويؤيد فيه إمامة بنى أمية وغيرهم ثم صنف كتاباً آخر ترجمه بكتاب مسائل العمانية ، يذكر فيه ما فاته ونقصه عند نفسه ، من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه فيما ذكرنا

الشيعة
ينقصون كتب
الجاحظ

وقد نقصت عليه ما ذكرنا من كتبه ككتاب العمانية وغيره ، وقد نقصها جماعة من متكلمي الشيعة : كآبي عيسى الوراق ، والحسن بن موسى النخعي ، وغيرها من الشيعة ممن ذكر ذلك في كتبه في الامامة مجتمعا ومفترقا

وقد نقص على الجاحظ كتاب العمانية أيضاً رجل من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم ، وأهل الزهد والديانة منهم ، ممن يذهب إلى تفضيل على والقول بامامة المفضول — وهو أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكاف — وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين ، وفيها مات أحمد بن حنبل ، وسنذكر وفاة الجاحظ فيما يرد من هذا الكتاب ، ووفاته غيره من المعتزلة ، وإن كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا

والذى ذهب إنيه من تأخر من الراوندية وانتقل وتجبر عن جملة الكيسانية
القائلة بامامة محمد بن الحنفية - وهم الحريانية أصحاب أبي مسلم عبد الرحمن بن
محمد صاحب الدولة العباسية ، وكان يلقب بحريان - أن محمد بن الحنفية هو الإمام
بعد علي بن أبي طالب ، وأن محمدا أوصى إلى ابنه أبي هاشم ، وأن أبا هاشم أوصى
إلى علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وأن علي بن عبد الله أوصى إلى
ابنه محمد بن علي ، وأن محمدا أوصى إلى ابنه إبراهيم الامام المقتول بحران ، وأن
إبراهيم أوصى إلى أخيه أبي العباس بن عبد الله بن الحارثية المقتول

وقد تنوزع في أمر أبي مسلم : فمن الناس من رأى أنه كان من العرب ،
ومنهم من رأى أنه كان عبدا فأعتق ، وكان من أهل البرس والجامعين من قرية
يقال لها حرطينة وإليها تضاف الثياب البرسية المعروفة بالخرطينية ، وتلك من
أعمال الكوفة وسوادها ، وكان قهر مانا لادريس بن إبراهيم الجعلى ، ثم آل
أمره وتمت به الأقدار إلى أن اتصل بمحمد بن علي ، ثم بإبراهيم بن محمد الامام ،
فأنقذه إبراهيم إلى خراسان ، وأمر أهل الدعوة باطاعته والاقتياد إلى أمره ورأيه
فقوى أمره وظهر سلطانه ، وأظهر السواد ، وصار زينة في اللباس والأعلام والبنود
وكان أول من سود من أهل خراسان وأهل بساند وأظهر ذلك فيهم أسيد بن
عبد الله ، ثم نمى ذلك في الأكثر من المدن والكور بخراسان ، وقوى أمر أبي
مسلم ، وضعف أمر نصر بن سيار صاحب مروان بن محمد الجعدي على بلاد
خراسان ، وكانت له مع أبي مسلم حروب أكثر فيها أبو مسلم الحيل والمكايد
من تفرقه بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به على عدوه ، وقد
كان لنصر بن سيار حروب كثيرة مع الكرمانى إلى أن قتل أثنين على ذكرها
في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وذكرنا بدء أخبار الكرمانى جديع بن
علي ، وما كان بينه وبين سالم بن أحوز صاحب نصر بن سيار ، وما كان من
أمر خالد بن برمك ، وقحطبة بن شبيب ، وغيرها من الدعاة والمقيمين بخراسان

مذهب
الراوندية في
الامامة

أمر أبي مسلم
ومبدؤه

للدعوة العباسية : كسليمان بن كثير ، وأبي داود خالد بن إبراهيم ، ونظرانهم ، وما كان من شعارهم عند إظهار الدعوة ، وندائهم حين الحروب محمد يا منصور ، والسبب الذي له ومن أجله أظهروا استعمال السواد دون سائر الألوان

كتاب من نصر
ابن سيار إلى
مروان الجعدي
يخبره
وطالت مكاتبة نصر بن سيار مروان ، وإعلامه بما هو فيه ، وإظهار أمر
العباسية ، وتزايد في كل وقت ، فكان فيما كتب إليه إعلامه بحال أبي مسلم
وحال من معه ، وأنه كشف عن أمره وبحث عن حاله ، فوجده يدعو إلى إبراهيم
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهي :

أرى بين الرماد وميضَ جمرٍ ويوشك أن يكون له ضرامُ
فان النار بالعودين تذكي وإن الحرب أولها الكلامُ
فان لم تُطفئوها تجن حرباً مُشمرة يشيب لها الغلامُ
أقول من التعجب ليت شعري : أيقاظ أمية أم نيام ؟
فان يك قومنا أضحوأ نياماً قتل : قوموا فقد حان القيامُ
فقرى عن رحالك ثم قولي : على الإسلام والعرب السلامُ

فلما ورد الكتاب على مروان وجده مشغلا بحروب الخوارج بالجزيرة
وغيرها ، وما كان من خبره في حروبه مع الضحاك بن قيس الحروري حتى قتله
مروان بعد وقائع كثيرة بين كفرتوتى ورأس العين ، وكان الضحاك خرج من بلاد
شهر زور ، ونصبت الخوارج بعد قتل الضحاك عليها الحري الشيباني ، فلما قتل
الحري ولت الخوارج عليها أبا الذئفاء شيبان الشيباني ، وما كان من حروب مروان
مع نعيم بن ثابت الجذامي ، وكان خرج عليه ببلاد طبرية والأردن من بلاد
الشام حتى قتله مروان ، وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة ، فلم يدر مروان
كيف يصنع في أمر نصر بن سيار وخراسان وإنجازها لما هو فيه من الحروب
والفتن ، فكتب إليه مروان محبياً عن كتابه : إن الشاهديرى مالا يراه الغائب ،

حروب
الخوارج مع
مروان

فاجشم التولات تملك ، فلما ورد الكتاب على نصر قال لخواص أصحابه : أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لانصر عنده

وأقام مروان أكثر أيامه لا يدنو من النساء إلى أن قتل ، وبرزت له جارية من جواريه ، فقال لها : والله لادنوت منك ، ولا حلت لك عقدة ، وخراسان ترجف وتضرم بنصر بن سيار ، وأبو مجرم قد أخذ منه بالمخنق

وكان مع ماهو فيه يديم قراءة سير الملوك ، وأخبارها في حروبها ، من الفرس وغيرها من ملوك الأمم

وعذله بعض أوليائه ممن كان يأنس إليه في ترك النساء والطيب وغير ذلك من اللذات ، فقال له مروان : يمنعني منهن مامنع أمير المؤمنين عبد الملك ، فقال له الرجل : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : حمل صاحب أفريقية إليه جارية ذات بهاء وكمال تامسة الحاسن ، شبيهة للمتأمل ، فلما وقفت بين يديه تأمل حسنهما ويده كتاب ورد من الحجاج وهو بدير الجاجم مواقعا لابن الأشعث ، فرمى بالكتاب عن يده ، وقال لها : أنت والله منية النفس ، فقالت الجارية : ما يمنعك يا أمير المؤمنين إذ كنت بهذا الوصف ؟ قال : يمنعني والله منك بيت قاله الأخطل :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَازَرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ
أَلْتَذُّ بِالْعَيْشِ وَابْنُ الْأَشْعَثِ مُصَافٍ لِأَبِي مُحَمَّدٍ وَقَدْ هَلَكْتَ زَعَمَاءُ الْعَرَبِ ؟
لَا هَا اللَّهُ إِذَا ، ثُمَّ أَمْرٌ بِصِيَانَتِهَا ، فَلَمَّا قَتَلَ ابْنَ الْأَشْعَثِ كَانَتْ أَوَّلَ جَارِيَةٍ خَلَا بِهَا
ولما يئس نصر بن سيار من إجماد مروان كتب إلى يزيد بن عمرو بن هبيرة

الفزاري عامل مروان على العراق يستمده ، ويسأله النصرة على عدوه ، وضمن نصر يستعد عامل العراق

كتابه أبياتا من الشعر ، وهي : —

أَبْلَغُ يَزِيدَ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَقَدْ تَبَيَّنْتُ أَنَّ لَأَخِيرَ فِي السَّكْدِ
بِأَنَّ أَرْضَ خُرَّاسَانَ رَأَيْتُ بِهَا بِيضًا لَوْ أَفْرَخَ قَدْ حُدَّتْ بِالْعَجَبِ

فراخ عامين إلا أنها كبرت لما يطرُنَ وقد سُربِلنَ بالزَّغَبِ
فان يطرُنَ ولم يُحْتَلْ لهنَّ بها يُلْهِنَنَ نيرانَ حَرْبٍ أيما لَهَبٍ

فلم يجبه يزيد بن عمرو عن كتابه ، وتشاغل بدفع قن العراق

ودخلت خوارج اليمن مكة والمدينة وعليهم أبو حمزة المختار بن عوف

الأزدى ، وبلخ بن عقبة الأزدى ، وهما فيمن معهما يدعون إلى عبد الله بن يحيى

الكندى ، وكان قد سمى نفسه بطالب الحق ، وخطب بأمير المؤمنين ، وكان

أباضي المذهب من رؤساء الخوارج ، وذلك في سنة تسع وعشرين ومائة

وفي سنة ثلاثين ومائة جهز مروان بن محمد جيشا مع عبد الملك بن محمد بن

عطية السعدى ، فلقى الخوارج بوادى القرى ، فقتل بلخ ، وفر أبو حمزة وأكثر

من كان معه من الخوارج ، وسار عبد الملك في جيش مروان من أهل الشام

يريد اليمن ، وخرج عبد الله بن يحيى الكندى الخارجى من صنعاء ، فالتقوا

بناحية الطائف وأرض حرش ، فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله

ابن يحيى وأكثر من كان معه من الاباضية ، ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت ،

فأكثرها أباضية إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة —

ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج في هذا الوقت ، وسار عبد الملك

في جيش مروان فنزل صنعاء ، وذلك في سنة ثلاثين ومائة ، وقد كان سليمان بن

هشام بن عبد الملك اتصل بالخوارج بالجزيرة خوفا من مروان ، واحتوى عبد الله

ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر على بلاد إصطخر وغيرها من أرض فارس ،

إلى أن رفع عنها وصار إلى خراسان ، فقبض عليه أبو مسلم ، وقد ذكرنا من يقول

بإمامته ، وينقاد إلى دعوته ، في كتابنا « المقالات في أصول الديانات » في باب

تفرق الشيعة ومذاهبهم

وقوى أمر أبي سلم ، وغلب على أكثر خراسان ، وضعف نصر بن سيار

خوارج اليمن

جيش مروان

لقتالهم

من عدم النجدة ، فخرج عن خراسان حتى أتى الرى ، وخرج عنها ، فنزل
ساوة بين بلاد همدان والرى ، فمات بها كذا

موت نصر
ابن سيار

وكان نصر بن سيار لما صار بين الرى وخراسان كتب كتابا إلى مروان
يذكر فيه خروجه عن خراسان ، وأن هذا الأمر الذى أزعجه سينمو حتى يملأ
البلاد ، وضمن ذلك أبياتا من الشعر ، وهى :

إنا وما نسكتم من أمرنا كالثور إذ قُرب للناعم
أو كالتى يحسبها أهلها عذراء بكر أو هى فى التاسع
كنا نرقيها فقد مرقت واتسع الخرق على الراقع
كالثوب إذ أنهج فيه البلى أعيا على ذى الحيلة الصانع

وقع مروان
كتاب من أبى
مسلم أرسله إلى
إبراهيم الامام

فلم يستم مروان قراءة هذا الكتاب حتى مثل أصحابه بين يديه من كان قد
وكل بالطرق رسولا من خراسان من أبى مسلم إلى إبراهيم بن محمد الامام يخبره
فيه خبره ، وما آل إليه أمره ، فلما تأمل مروان كتاب أبى مسلم قال للرسول :
لا تُرْع ، كم دفع لك صاحبك ؟ قال : كذا وكذا ، قال : فهذه عشرة آلاف درهم
لك ، وإنما دفع إليك شيئا يسيرا ، وامض بهذا الكتاب إلى إبراهيم ، ولا تعلمه
شيء مما جرى ، وخذ جوابه فائتى به ، ففعل الرسول ذلك ، فتأمل مروان
جواب إبراهيم إلى أبى مسلم بخطه يأمره فيه بالجد والاجتهاد والحيلة على عدوه
وغير ذلك من أمره ونهيه ، فاحتبس مروان الرسول ، وكتب إلى الوليد بن
معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق يأمره أن يكتب إلى عامل البلقاء فيسير إلى
القرية المعروفة بالسكداد والحيمة ليأخذ إبراهيم بن محمد فيشده وثاقا ، ويبعث به
إليه فى خيل كثيفة ، فوجه الوليد إلى عامل البلقاء [فأخذ إبراهيم] وهو جالس
فى مسجد القرية فأخذ وهو ملفف ، وحمل إلى الوليد ، فحمله إلى مروان فحبسه
فى السجن شهرين ، وقد كان جرى بين إبراهيم ومروان خطب طويل حين
سأل إبراهيم وأنكر كل ما ذكره له مروان من أمر أبى مسلم ، فقال له مروان :

يامناق ، أليس هذا كتابك إلى أبي مسلم جوابا عن كتابه إليك ، وأخرج إليه الرسول ، وقال : أتعرف هذا ؟ فلما رأى ذلك إبراهيم أمسك ، وعلم أنه أتى من مأمته

حبس إبراهيم
وشيعته
ومقتاتهم

واشتد أمر أبي مسلم ، وكان في الحبس مع إبراهيم جماعة من بني هاشم وبني أمية : فمن بني أمية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وكان مروان قد خافهما على نفسه وخشى أن يخرجاه عليه ، ومن بني هاشم عيسى بن علي ، وعبد الله بن علي ، وعيسى بن موسى ؛ فذكر أبو عبيدة الثعلبي - وكان معهم في الحبس - أنه هجم عليهم في الحبس وذلك بحران جماعة من موالى مروان من العجم وغيرهم فدخلوا البيت الذي كان فيه إبراهيم والعباس وعبد الله ، فأقاموا عندهم ساعة ، ثم خرجوا وأغلق باب البيت ، فلما أصبحنا دخلنا عليهم فوجدناهم قد أتى عليهم ، ومعهم غلامان صغيران من خدمهم كالموتى ، فلما رأونا أنسوا بنا ، فسألناهم الخبر ، فقالا : أما العباس وعبد الله فجعل على وجوههما محاذ وقعد فوقهما فاضطربا ثم بردا ، وأما إبراهيم فأنهم جعلوا رأسه في جراب كان معهم فيه نورة مسحوقه ، فاضطرب ساعة ثم خمد وكان في الكتاب الذي قرأه مروان من إبراهيم إلى أبي مسلم أبيات من الرجز بعد خطب طويل ، منها :

دُونَكَ أَمْرًا قَدْ بَدَتْ أَشْرَاطُهُ إِنَّ السَّبِيلَ وَاصِّحٌ صِرَاطُهُ

• لم يبق إلا السيف واختِراطُهُ •

وقد ذكر في كيفية قتل إبراهيم الإمام من الوجوه غير ما ذكرنا ، وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الأوسط ، وكذلك ما كان من قحطبة وابن هبيرة على الفرات ، وغرق قحطبة فيه ، ودخول ابنه الحسن بن قحطبة الكوفة .

وسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير ، وعقد عليه الجسر ، وأتاه عبدالله حرب مروان مع شيعة العباسيين بالزاب ابن علي في عساكر أهل خراسان وقوادهم ، وذلك لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فالتقى مروان وعبدالله بن علي ، وقد كُردس مروان خيله كراديس ألفا وألفين ، فكانت على مروان ، فانهزم ، وقتل وغرق من أصحابه خلق عظيم ، فكان فيمن غرق في الزاب من بني أمية ذلك اليوم ثلثمائة رجل ، دون من غرق من سائر الناس ، وكان فيمن غرق في الزاب في ذلك اليوم من بني أمية إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع ، وهو أخو يزيد الناقص ، وقد قيل في رواية أخرى : إن مروان كان قد قتل إبراهيم بن الوليد قبل هذا الوقت وصلبه ، وكانت هزيمة مروان من الزاب في يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

ومضى مروان في هزيمته حتى أتى الموصل ، فمنعه أهلها من الدخول إليها ، وأظهروا السواد لما رأوه من تولية الأمر عنه ، وأتى حران - وكانت داره ، وكان مقامه بها ، وقد كان أهل حران قاتلهم الله تعالى حين أزيل لعن أبي تراب - يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه - عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا من إزالته ، وقالوا : لا صلاة إلا بلعن أبي تراب ، وأقاموا على ذلك سنة حتى كان من أمر المشرق وظهور المسودة ما كان ، وامتنع مروان من ذلك لانحراف الناس عنهم ، وخرج مروان في أهله وسائر بني أمية عن حران ، وعبر الفرات ، ونزل عبدالله بن علي على باب حران ، فهدم قصر مروان ، وقد كان أنفق عليه عشرة آلاف درهم ، واحتوى على خزائن مروان وأمواله ، وسار مروان فيمن معه من خواصه وعياله حتى انتهى إلى نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين والأردن فنزل عليه ، وسار عبيد الله بن علي حتى نزل دمشق فحاصرها وفيها يومئذ الوليد بن معاوية بن عبد الملك في خمسين ألف مقاتل ، فوقعت بينهم العصبية في فضل اليمين على نزار ونزار على اليمين ، فقتل الوليد بن معاوية ، وقد قيل : إن أصحاب عبدالله بن علي

صنيع
أهل الموصل
وحران
مع مروان

قتلوه ، وأتى عبد الله بن علي يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وعبد الجبار ابن يزيد بن عبد الملك بن مروان فحملهما إلى أبي العباس السفاح ، فقتلهما وصلبهما بالحيرة ، وقتل عبد الله بن علي بدمشق خلقا كثيرا ، ولحق مروان بمصر ، ونزل عبد الله بن علي على نهر أبي فطرس فقتل من بني أمية هناك بضعا وثمانين رجلا ، وذلك في يوم الأربعاء للنصف من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقتل بالبقاء سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، وحمل رأسه إلى ابني عبد الله بن علي ، ورحل صالح بن علي في طلب مروان ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد وعامر ابن إسماعيل المذحجي ، فلحقوه بمصر وقد نزل بوصير ، فباتوه ، وهجموا على عسكره ، وضربوا بالطبول ، وكبروا ونادوا : يا ثارات إبراهيم ، فظن من في عسكر مروان ، أن قد أحاط بهم سائر المسودة ، فقتل مروان ، وقد اختلف في كيفية قتله في المعركة في تلك الليلة ، وكان قتله ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

مقتل مروان

ولما قتل عامر بن إسماعيل مروان وأراد الكنيسة التي فيها بنات مروان ونساؤه إذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن ، فأخذوا الخادم ، فسئل عن أمره ، فقال : أمرني مروان إذا هو قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فلا تقتلوني فانكم والله إن قتلتموني ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : انظر ما تقول ، قال : إن كذبت فاقتلوني ، هلموا فاتبعوني ، ففعلوا ، فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل ، فقال : اكشفوا هنا ، فكشفوا ، فاذا البرد والقضب ومخصر قد دفنها مروان لثلاث تصير إلى بني هاشم ، فوجه بها عامر بن إسماعيل إلى عبد الله بن علي ، فوجه بها عبد الله إلى أبي العباس السفاح ، فتداولت ذلك خلفاء بني العباس إلى أيام المقتدر ، فيقال : إن البرد كان عليه في يوم مقتله ، ولست أدري أكل ذلك باقي مع المتقي لله إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - في نزوله الرقة أم قد ضيع ذلك

آثار رسول الله
التي يتداولها
الخلفاء

ثم وجه عامر بنات مروان وجواريه والأسارى إلى صالح بن على ، فلما دخلن عليه تسلمت ابنة مروان الكبرى ؛ فقالت : يا عم أمير المؤمنين ، حفظ الله لك في الدنيا والآخرة ، نحن بناتك وبنات أخيك ، فليسعنا من عفوك ماوسعكم من جورنا ، قال : إذا لانستبقى منكم أحدا رجلا ولا امرأة ، ألم يقتل أبوك بالأمس ابن أخى إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس الامام فى محبسه بخران ؟ ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن على بن الحسين بن على وصلبه فى كناسة الكوفة ، وقتل امرأة زيد بالخيرة على يدى يوسف بن عمرو الثقفى ؟ ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان ؟ ألم يقتل عبيد الله بن زياد الدعى مسلم بن عقيل بن أبى طالب بالكوفة ؟ ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين ابن على بن على بن سعد مع من قتل بين يديه من أهل بيته ؟ ألم يخرج بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حتى ورد بهن على يزيد بن معاوية وقبل مقدمهن بعث إليه برأس الحسين بن على قد نصب دماغه على رأس رمح يطاف به كور الشام ومدائها حتى قدموا به على يزيد بدمشق كأنما بعث إليه برأس رجل من أهل الشرك ؟ ثم أوقف حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف السبي يتصفحهن جنود أهل الشام الجفاة الظغام ، ويطلبون منه أن يهب لهم حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم ، وجراءة على الله عز وجل ، وكفرا لأنعمه ، فما الذى استبقيتم منا أهل البيت ؟ لو عدلتم فيه علينا !! قالت : يا عم أمير المؤمنين ، ليسعنا عفوك إذا ، قال : أما العفو فنعم قد وسعكم ، فان أحببت زوجتك من الفضل بن صالح بن على ، وزوجت أختك من أخيه عبد الله بن صالح ، فقالت : يا عم أمير المؤمنين ، وأى أوان عرس هذا ؟ بل تلحقنا بخران ، قال : فاذا أفعل ذلك بكن إن شاء الله ، فألحقن بخران ، فعلت أصواتهن عند دخولهن بالبكاء على مروان ، وشققن جيوبهن ، وأعلن بالصياح والنحيب ، حتى ارتج العسكر بالبكاء منهن على مروان

فكان ملك مروان إلى أن بويع أبو العباس السفاح خمس سنين وشهرين وعشرة أيام على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب من التنازع في مدة أيامه ، ومن وقت أن بويع أبو العباس السفاح إلى أن قتل ببوصير ثمانية أشهر ، فكانت مدة أيامه إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ، وقد قدمنا تنازعوا فيه من مقدار سنه وغير ذلك من أخباره ، وقد أتينا على مبسوط أخباره فيما سلف من كتبنا

وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل والبلاغات ، وهو أول من أطلال الرسائل ، واستعمل التحييدات في فصول الكتب ، واستعمل الناس ذلك بعده

عبد الحميد
ابن يحيى
الكتاب

وذكر أن مروان قال لكتابه عبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : قد احتجت أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بي ، فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي ، وإلا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي ، فقال له عبد الحميد : إن الذي أشرت به على أنفع الأمرين لك ، وأقبحهما بي ، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله أو أقتل معك ، وقال :

أَسِرُّ وَفَاءٌ ثُمَّ أَظْهَرُ غَدْرَهُ فَمَنْ لِي بِعُدْرِ يَوْسَعِ النَّاسِ ظَاهِرُهُ
وقد أتينا على خبر أبي الورد ومقتله ، وخبر بشر بن عبد الله الواحدى ومقتله ؛ في كتابنا الأوسط ، فأغنى ذلك عن ذكره

وذكر إسماعيل بن عبد الله القشيري قال : دعاني مروان وقد وافي على الهزيمة

إلى حران ، فقال : يا أبا هاشم ، وما كان يكتنني قبلها ، قد ترى ما جاء من الأمر ، وأنت الموثوق به ، ولا مخبأ بعد بؤس ، فما الرأي ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، القشيري فيغشه
الدرب وأميل إلى مدينة من مدن الروم فأزلفها ، وأكاتب صاحبها ، وأستوثق

منه ، فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الأعاجم ، وليس هذا عارا بالملوك ، فلا يزال
يأتيني الخائف والهابط والطامع فيكثر من معي ، ولا أزال على ذلك حتى يكشف
الله أمري وينصرني على عدوي ، فلما رأيت ما أجمع عليه وكان الرأي ، ورأيت
آثاره في قومي من قحطان وبلاءه عندهم ، فقلت : أعيدك بالله يا أمير المؤمنين
من هذا الرأي ، تحكم أهل الشرك في بناتك وحرملك ، وهم الروم ، ولا وفاء لهم ،
ولا تدري ما تأتي به الأيام ، وأنت إن حدث عليك حادث بأرض النصرانية
- ولا يحدث عليك إلا خير - ضاع من بعدك ، ولكن اقطع الفرات ، ثم استنفر
الشام جندا ، فانك في كنف وعزة ، ولك في كل جند صنائع ، يسيرون معك
حتى تأتي مصر ، فانها أكثر أرض الله مالا وخيلا ورجالا ، ثم الشام أمامك
وإفريقية خلفك ، فان رأيت ما تحب انصرف إلى الشام ، وإن كانت الأخرى
مضيت إلى إفريقية ، قال : صدقت ، وأستخير الله ، فقطع الفرات والله ما قطعه
معه من قيس إلا رجلا : ابن جندة السلمي وكان أخاه من الرضاة ، والكوثر بن
الأسود الغنوي ، ولم ينفع مروان تعصبه مع الزارية شيئا ، بل غدروا به وخذلوه ،
فلما اجتاز ببلاد قنسرين والحاضر أوقعت تنوخ القاطنة بقنسرين بساقته ، ووثب
به أهل حمص ، وسار إلى دمشق ، فوثب به الحرث بن عبد الرحمن الحرشي ،
ثم أتى الأردن فوثب به هاشم بن عمر العنسي والمذحجيون جميعا ، ثم مر بفلسطين
فوثب الحسكيم بن صنعان بن روح بن زنباع ؛ لما رأوا من إدار الأمر عنه ، وعلم
مروان أن إسماعيل بن عبد الله القشيري قد غشه في الرأي ، ولم يحضه النصيحة ،
وأنه فرط في مشورته إياه إذ شاور رجلا من قحطان مؤثورا مُتَعَصِّباً من قومه
على أضدادهم من نزار ، وأن الرأي الذي هم بفعله من قطع الدرب ونزول بعض
حصون الروم ومكاتبته ملكها إلى أن يرتئي في أمره كان أولى

وذكر المدائني والعتبي وغيرهما أن مروان حين نزل على الزاب جرد من رجاله
ومن اختاره من سائر جيشه من أهل الشام والجزيرة وغيرهم مائة ألف فارس ،

فلما كان يوم الوقعة وأشرف عبد الله بن علي في المسودة وفي أوائلهم البنود السود يحملها الرجال على الجبال البُحْت ، وقد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف والغرب ، قال مروان لمن قرب منه : أما ترون رماحهم كأنها النخل غلظا ؟ أما ترون إلى أعلامهم فوق هذه الأبل كأنها قطع من الغمام سود ؟ فبينما هو كذلك إذ طار من أترجة هنالك قطعة من الغرايب سود ، فاجتمعت على أول رايات عبد الله بن علي ، واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ، ومروان ينظر ؛ فتطير من ذلك ، فقال : أما ترون السواد قد اتصل بالسواد ؟ وكان الغرايب كالسُحُب سودا ، ثم نظر إلى أصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفشل فقال : إنها لعدة ، وما تنفع العدة إذا انقضت المدة ؟

ولمروان على الزاب أخبار غير هذه قد أتينا على ذكرها في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادة ذكرها ، والله ولي التوفيق



ذكر خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح

بويج أبو العباس السفاح - وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جهمل تاريخه عباس بن عبد المطلب - ليلة الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقيل : في النصف من شهر جمادى الآخرة من هذه السنة ، وأمه رائطة بنت عبيد الله بن عبد المذان الحارثية ، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة ، فخطب على المنبر قائما ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً ، فضجّ الناس وقالوا : أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، ومات بالأندلس في مدينته التي بناها ، وذلك في يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وقيل : ابن تسع وعشرين سنة ، وكانت أمه تحت عبد الملك بن مروان ، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك ، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح ، وعبيد الله ، وداود ، وميمونة

ذكر جهمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ولما حبس إبراهيم الإمام بجران ، وعلم أن لا نجاة له من مروان ، أثبت وصية إبراهيم وصيته وجعلها إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد ، وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وأن لا يكون له بعده بالحكمة لبث ولا عرجة حتى يتوجه إلى السكوفة فان هذا الأمر صائر إليه لا محالة ، وأنه بذلك اتهم الرواية ، وأظهره على أمر الدعاة بخراسان والنقباء ، ورسم له بذلك رسماً أوصاه فيه أن يعمل عليه ولا يتعداه ودفع الوصية بجميع ذلك إلى سابق الخوارزمي مولاه ، وأمره إن حدث به حدث

وصية إبراهيم
الإمام إلى أبي
العباس السفاح

من مروان في ليل أو نهار أن يركب أسرع سابق في السير ، فلما حدث ركب وسار حتى أتى الحميمة فدفع الوصية إلى أبي العباس ونعاه إليه ، فأمره أبو العباس بستر الوصية ، وأن ينعاه ، ثم أظهر أبو العباس أهل بيته على أمره ، ودعا إلى موازرتة ومكاشفتة أخاه أبا جعفر عبد الله بن محمد ، وعيسى بن موسى بن محمد ابن أخيه ، وعبد الله بن علي عمه ، وتوجه أبو العباس إلى الكوفة مسرعا ، وهؤلاء معه في غيرهم ممن خف من أهل بيته ، فلقيتهم أعرابية على بعض مياه العرب في طريقهم إلى الكوفة ، وقد تقدم أبو العباس وأخوه أبو جعفر وعمه عبد الله بن علي فيمن كان معهم إلى الماء ، فقالت الأعرابية : تالله ما رأيت وجوها مثل هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجي ، فقال لها أبو جعفر المنصور : كيف قلت يا أمة الله ؟ قالت : والله ليكنينها هذا ، وأشارت إلى السفاح ، ولتخلفنه أنت ، وليخرجن عليك هذا ، وأشارت إلى عبد الله بن علي ، فلما انتهوا إلى دومة الجندل لقيهم داود بن علي وموسى بن داود ، وهما منصرفان من العراق إلى الحميمة من أرض الشراة ، فسأله داود عن مسيره ، فأخبره بسببه ، وأعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبي مسلم ، وأنه يريد الوثوب بالكوفة ، فقال له داود : يا أبا العباس ، تثبت بالكوفة فمروان شيخ بنى أمية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة مظل على أهل العراق ، وابن هبيرة شيخ العرب وحلية العرب بالعراق ؛ فقال أبو العباس : ياعماء ، من أحب الحياة ذل ، وتمثل بقول الأعشى : —

مسير أبي
العباس السفاح
وأهل بيته
إلى الكوفة

فَمَا مَيِّتَةٌ إِنْ مُتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلَهَا

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال : أي بني ، صدق عمك ، ارجع بنا معه نحيا أعزاء أو نموت كراما ، فعطفا ركبهما معه ، وسار أبو العباس حتى دخل الكوفة .

وقد كان أبو سلمة حفص بن سليمان — حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام — أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية إلى آل أبي طالب

وقدم أبو العباس الكوفة فيمن ذكرنا من أهل بيته سرا ، والمسودة مع أبي سلمة بالكوفة ، فأنزلهم جميعا دار الوليد بن سعد في بني أود حى من اليمن ، وقد ذكرنا مناقب أود وفضائلها فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الحجاج ، وبراءتهم من على والطاهرين من ذريته ، ولم أر إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثمائة - فيا درت من الأرض وتغربت من الممالك رجلا من أود إلا وجدته - اذا استبطنت ما عنده - ناصبيا متوليا لآل مروان وحزبهم ،

وأخفى أبو سلمة أمر أبي العباس ومن معه ، ووكل بهم ، وكان قد وصل أبو سلمة بالكوفة في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس ، وقد كان أبو سلمة لما قتل إبراهيم الإمام خاف انتقاض الأمر وفساده عليه فبعث بمحمد بن عبد الرحمن بن أسلم مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب ، وإلى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبي طالب ، رضى الله عنهم أجمعين ، يدعو كل واحد منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه ، ويجتهد في بيعة أهل خراسان له ، وقال للرسول : **الْعَجَلُ الْعَجَلُ** ، فلا تكونن كوافد عاد ، فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة على أبي عبد الله جعفر بن محمد فلقية ليلا ، فلما وصل إليه أعلمه أنه رسول أبي سلمة ، ودفع إليه كتابه ، فقال له أبو عبد الله : وما أنا وأبو سلمة ؟ وأبو سلمة شيعة لغيري ، قال له : إني رسول ، فقرأ كتابه وتجييه بما رأيت ، فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق ، وقال للرسول : عرف صاحبك بما رأيت ، ثم أنشأ يقول متمثلا بقول الكهيت بن زيد : -

أَيَا مُوقِدًا نَارًا لِغَيْرِكَ ضَوْءُهَا وَيَا حَاطِبًا فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ

فخرج الرسول من عنده ، وأتى عبد الله بن الحسن ، فدفع إليه الكتاب ،

تزل السفاح
الكوفة سرا

أبو سلمة يكتب
إلى العلويين
في أبي جعفر
الصادق

شأن جعفر
وعبد الله بن
الحسن

فقبله وقرأه وابتهج ، فلما كان غد ذلك اليوم الذى وصل إليه فيه الكتاب ركب عبد الله حماراً حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما رآه أبو عبد الله أكبر بحبيته ، وكان أبو عبد الله أسن من عبد الله ، فقال له : يا أبا محمد ، أمر ما أتى بك ، قال : نعم ، هو أجل من أن يوصف ، فقال : وما هو يا أبا محمد ؟ قال : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما أقبله ، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان ، فقال له أبو عبد الله : يا أبا محمد ، ومتى كان أهل خراسان شيعتك لك ؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد ، وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم ، وهل تعرف منهم أحدا ؟ فنارعه عبد الله بن الحسن الكلام ، إلى أن قال : إنما يريد القوم ابني محمد لأنه مهدي هذه الأمة ، فقال أبو عبد الله جعفر : والله ما هو مهدي هذه الأمة ، ولئن شهر سيفه لَيَقْتُلَنَّ ، فنارعه عبد الله القول ، حتى قال له : والله ما يمنعك من ذلك إلا الحسد ، فقال أبو عبد الله : والله ما هذا إلا نصح منى لك ، ولقد كتب إلى أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك ، فلم يجد رسوله عندى ما وجد عندك ، ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه ، فانصرف عبد الله من عند جعفر مُغْضَباً ، ولم ينصرف رسول أبي سلمة إليه إلى أن بويع للسفاح بالخلافة ، وذلك أن أبا حميد الطوسي دخل ذات يوم من العسكر إلى الكوفة فلقى سابقاً الخوارزمي في سوق الكناسة فقال له : سابق ، قال : سابق ، فسأله عن إبراهيم الامام فقال : قتله مروان في الحبس ، وكان مروان يومئذ بحران ، فقال أبو حميد : فالى من الوصية ؟ قال : إلى أخيه أبي العباس ، قال وأين هو ؟ قال : معك بالكوفة هو وأخوه وجماعة من عمومته وأهل بيته ، قال : مُذْمَمَتِي هم هنا ؟ قال : من شهرين ، قال : فتمضى بنا إليهم ، قال : غدا بيني وبينك الموعد في هذا الموضع ، وأراد سابق أن يستأذن أبا العباس في ذلك ، فانصرف إلى أبي العباس ، فأخبره ، فلامه إذ لم يأت به معه إليهم ، ومضى أبو حميد فأخبر جماعة من قواد خراسان في عساكر

البيعة للسفاح

أبى سلمة بذلك منهم الحميم وموسى بن كعب ، وكان زعيمهم ، وغدا سابق إلى
الموضع ، فلقى أبا حميد ، فمضيا حتى دخلا على أبى العباس ومن معه ، فقال : أيكم
الامام ؟ فأشار داود بن على إلى أبى العباس ، وقال : هذا خليفتكم ، فأكب
على أطرافه يقبلها ، وسلم عليه بالخلافة ، وأبو سلمة لا يعلم بذلك ، فبايعه ، ودخلوا
إلى الكوفة فى أحسن زى ، وضربوا له مصافا ، وقدمت الخيول ، فركب أبو العباس
ومن معه حتى أتوا قصر الامارة ، وذلك فى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من
ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب تنازع الناس فى أى شهر يوبع من

هذه السنة

ثم دخل المسجد الجامع من دار الامارة فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر تعظيم خطبة السفاح
الرب ومنته ، وفضل النبى صلى الله عليه وسلم ، وقاد الولاية والوراثه حتى انتهت ودادود بن على
إليه ، ووعد الناس خيرا ، ثم سكت ، فتكلم عمه داود بن على وهو على المنبردون
أبى العباس ، فقال : إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
خليفة إلا على وأمير المؤمنين هذا الذى خلفى ، ثم نزلا

وخرج أبو العباس إلى عسكر أبى سلمة فنزل فى حجرته ، واستخلف على
الكوفة وأرضها عمه داود بن على ، وبعث بعمة عبدالله بن على إلى أبى
عون عبد الملك بن يزيد ، فسارا معا إلى مروان ، فكان من أمرهم ما قدمنا
ذكره من التقاهم على الزاب ، وهزيمة مروان بن محمد

واتصل بأبى العباس السفاح ما كان من عامر بن إسماعيل وقتله لمروان ببوصير
وقيل : إن ابن عم عامر يقال له نافع بن عبد الملك كان قتله فى تلك الليلة فى
المعركة ، وهو لا يعرفه ، وإن عامرا لما احتز رأس مروان واحتوى على عسكره
دخل الكنيسة التى كان فيها مروان ، فقعده على فرشه ، وأكل من طعامه ،
فخرجت إليه ابنة مروان الكبرى ، وتعرف بأمر مروان ، وكانت أسنهن ، فقالت :

ياعامر ، إن دهرنا أنزل مروان عن فرشه حتى أقعدك عليها فأكلت من طعامه واحتويت على أمره وحكمت في مملكته لقادر أن يغير ما بك

وبلغ السفاح فعله وكلامها ، فاغتاظ من ذلك ، وكتب إليه : « ويلك !! أما كان لك في أدب الله عز وجل ما يزرعك غن أن تأكل من طعام مروان ، وتعد على مهاده ، وتمكن من وساده ، أما والله لولا أن أمير المؤمنين تأول ما فعلت على غير اعتقاد منك لذلك ولا شهوة لمسك من غضبه وأليم أده ما يكون لك زاجرا ، وبغيرك واعظا ، فإذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب إلى الله بصدقة تطفئ بها غضبه ، وصلاة تظهر بها الاستكانة ، وصم ثلاثة أيام ، ومر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك »

ولما أتى أبو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فأطال ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذي لم يبق ثأرى قبلك وقبل رهطك ، الحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك ، ثم قال : ما أبالي متى طرقني الموت ، قد قتلت بالحسين وبنى أبيه من بنى أمية مائتين ، وأحرقت شلوهم بآبن عمى زيد بن علي ، وقتلت مروان بأخى إبراهيم ، وتمثل :

رأس مروان
عند السفاح
وصنيعه
ومقالته

لو يَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَرَوْا شَرَّهُمْ وَلَا دِمَاؤُهُمْ لِلْقَيْظِ تَرَوْنِي
ثم حول وجهه إلى القبلة فأطال السجود ، ثم جلس وقد أسفر وجهه ، وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له

أَبِي قَوْمَنَا أَنْ يُنْصِفُونَا فَانْصَفْتُ قَوَاطِعُ فِي أَيْمَانِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَ
تَوُورِثُنْ مِنْ أَشْيَاخِ صِدْقٍ تَقَرَّبُوا بَهَنَ إِلَى يَوْمِ الْوَعَى فَتَقَدَّمَا
إِذَا خَالَطْتَ هَامَ الرِّجَالِ تَرَكْنَاهَا كَبِيعُ نَعَامٍ فِي الْوَعَى مُتَحَطِّمًا

وقالت الشعراء في أمر مروان فأكثر

وذكر أبو الخطاب ، عن أبي جعدة بن هبيرة الخزومي ، وكان أحد وزراء مروان وسماؤه ، وقد كان لما ظهر أمر أبي العباس انضاف إلى جملة وصار في

عَدَادُ أَصْحَابِهِ وَخَوَاصِهِ الَّذِينَ اتَّخَذَهُمْ ، أَنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَاضِرًا لِمَجْلِسِ أَبِي الْعَبَّاسِ
وَرَأْسِ مَرْوَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِالْحَيْرَةِ ، وَأَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ
فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَقُلْتُ : أَنَا أَعْرِفُهُ ، هَذَا رَأْسُ أَبِي عَبْدِ الْمَلِكِ
مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ خَلِيفَتِنَا بِالْأَمْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : فَحَدَّثْتُ إِلَى الشَّيْعَةِ ،
فَأَخَذْتَنِي بِأَبْصَارِهَا ، فَقَالَ لِي أَبُو الْعَبَّاسِ : فِي أَيِّ سَنَةٍ كَانَ مَوْلَاهُ ؟ قُلْتُ : سَنَةُ
سِتٍّ وَسَبْعِينَ ، فَقَامَ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ غِيظًا عَلَى ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ مِنَ الْمَجْلِسِ ،
وَانصَرَفْتُ وَأَنَا نَادِمٌ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي ، وَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ ، وَتَحَدِّثُوا بِهِ ،
فَقُلْتُ : زَلَّةٌ وَاللَّهِ لَا تَسْتَقَالُ وَلَا يَنْسَاهَا الْقَوْمُ أَبَدًا ، فَأَتَيْتُ مَنْزِلِي ، فَلَمْ أَزَلْ بَاقِي
يَوْمِي أَعْبُدُ وَأُوصِي ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ اغْتَسَلْتُ وَتَهَيَّيْتُ لِلصَّلَاةِ ، وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ
قَدْ أَهَمَّ بِأَمْرِ بَعَثَ فِيهِ لَيْلًا ، فَلَمْ أَزَلْ سَاهِرًا حَتَّى أَصْبَحْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ رَكِبْتُ
بَغْلَتِي ، وَاسْتَعْرَضْتُ بِقَبْلِي إِلَى مَنْ أَقْصَدُ فِي أَمْرِي ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا أَوْلَى مِنْ سُلَيْمَانَ
ابْنَ خَالِدٍ مَوْلَى بَنِي زَهْرَةَ ، وَكَانَ لَهُ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَكَانَ مِنْ
شَيْعَةِ الْقَوْمِ ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : أَذْكَرْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْبَارِحَةَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، جَرَى
ذَلِكَ ، فَقَالَ : هُوَ ابْنُ أُخْتِنَا ، وَفِي لِحَاصِبِهِ ، وَنَحْنُ إِنَّا أَوْلِيَانَاهُ خَيْرًا كَانَ لَنَا
أَشْكُرُ ، فَشَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، وَجَزَيْتُهُ خَيْرًا ، وَدَعَوْتُ لَهُ ، وَانصَرَفْتُ ، فَلَمْ أَزَلْ
آتِي أَبَا الْعَبَّاسِ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ لَا أَرَى إِلَّا خَيْرًا ، وَنَمَى الْكَلَامُ الَّذِي كَانَ
فِي مَجْلِسِ أَبِي الْعَبَّاسِ حِينَ أَتَى بِرَأْسِ مَرْوَانَ فَبَلَغَ أَبَا جَعْفَرَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ ،
فَكَتَبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ يَعْلَمُهُ بِمَا بَلَغَهُ مِنْ كَلَامِي ، وَأَنَّهُ لَيْسَ
هَذَا يَحْتَمِلُ ، وَكَتَبَ أَبُو جَعْفَرٍ يُخَبِّرُ بِمَا بَلَغَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيَقُولُ : هُوَ ابْنُ أُخْتِنَا ،
وَنَحْنُ أَوْلَى بِاصْطِنَاعِهِ وَاتِّخَاذِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَهُ ، وَبَلَغَنِي مَا كَانَ مِنْهُمَا فَأَمْسَكْتُ ،
وَضَرَبْتُ الدَّهْرَ ضَرْبَاتِهِ ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ حِينَ وَقَدْ تَزَايَدَتْ
حَالِي عِنْدَهُ وَأَحْظَانِي ، فَهَضَّ النَّاسُ وَنَهَضَتْ ، فَقَالَ لِي أَبُو الْعَبَّاسِ : يَا ابْنَ
هَبِيرَةَ ، اجْلِسْ ، فَجَلَسْتُ ، وَنَهَضَ لِيَدْخُلَ فَقَمَّتْ لِقِيَامِهِ ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَرَفَعَ

وفاء ابن هبيرة
لمروان بن محمد
وتقدير السفاح
ذلك له

الستر ودخل ، وثبت في مجلسي ، فأقام ملكياً ثم رفع الستر فخرج في ثوبي وشي رداء وجبة ، فما رأيت أحسن منه ولا مما عليه قط ، فلما رفع الستر نهضت فقال : اجلس ، فجلست ، فقال : يا ابن هبيرة ، إني ذاكر لك أمرا فلا يخرجن من رأسك إلى أحد من الناس ، ثم قال : قد علمت ما جعلنا من هذا الأمر وولاية العهد لمن قتل مروان ، وعبد الله بن علي عمي هو الذي قتله لأن ذلك كان بجيشه وبأصحابه ، وأخي أبو جعفر - مع فضلة وعلمه وإيثاره لأمر الله - كيف يسوغ إخراجه عنه ؟ قال : فأطال في مديح أبي جعفر ، فقلت : أصلح الله الأمير !! لا أشير عليك ، ولكني أحدثك حديثا تعتبره ، فقال : هاته ، فقلت : كنا مع مسلمة بن عبد الملك عام الخليج بالقسطنطينية إذ ورد عليه كتاب عمر ابن عبد العزيز بنعي سليمان ومصير الأمر إليه ، فبعث إلي ، فدخلت عليه ، فرمى بالكتاب إلى فقراته ، ثم اندفع بيكي ، فقلت : أصلح الله الأمير !! لا تبك على أخيك ، ولكن ابك على خروج الخلافة من ولد أبيك إلى ولد عمك ، فبكى حتى اخضلت لحيته ، قال : فلما فرغت من حديثي قال لي أبو العباس : حسبك قد فهمت عنك ، ثم قال : إذا شئت فانهض ، فما مضيت غير بعيد حتى قال لي : يا ابن هبيرة ، فالتفت راجعا ، فقال لي : امضي ، أما إنك قد كافأت هذا ، وأدركت بشارك من هذا ، قال : فما أدري من أي الأمرين أعجب : أمن فطنته أم من ذكره لما كان

وأبو جعدة بن هبيرة هذا هو من ولد جعدة بن هبيرة الخزومي من فاختة أم هانئ بنت أبي طالب ، وعلى وجعفر وعقيل أخواله ، وقد قدمنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب

زعموا أن أمر انتقال الخلافة كان في كتب عندهم
قال المسعودي : ووجدت في أخبار المدائني ، عن محمد بن الأسود ، قال : بينما عبد الله بن علي يسير أخاه داود بن علي ومعهما عبد الله بن الحسن ، فقال داود لعبد الله : لم لا تأمرا بنيك بالظهور ؟ فقال عبد الله : هيهات لم يأن لهما بعد ،

فالتفت إليه عبد الله بن علي فقال : كأنك تحسب أن ابنك هما قاتلا مروان ،
فقال : إن ذلك كذلك ، فقال عبد الله : هيهات ، وتمثل

سيكفيك المقالة مستميت خفيف اللحم من أولاد حام

أنا والله قاتله

وقيل لعبد الله بن علي : إن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز يذكر أنه قرأ
في بعض الكتب عين بن عين بن عين ، وقد أمل أن يكون هو ، فقال عبد الله
ابن علي : أنا والله ذلك ، ولى عليه فضل ثلاثة أعين ، أنا عبد الله بن علي بن
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، وهو عمرو بن عبد مناف
فلما ضاف مروان عبد الله بن علي أقبل مروان على رجل إلى جنبه فقال :
من الرجل الذي كان يخاصم عندك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الأقي
الحديد البصر الحسن الوجه ؟ فقلت : يرزق الله البيان من يشاء ، قال : إنه لهو ،
قلت : نعم ، قال : من ولد العباس بن عبد المطلب هو ؟ قلت : أجل ، فقال مروان :
إننا لله وإنا إليه راجعون ، ويحك إني ظننت أن الذي يحاربني من ولد أبي طالب ،
وهذا الرجل من ولد العباس واسمه عبد الله أتدرى لم صيرت الأمر بعدى لابن
عبيد الله بعد عبد الله ومحمد أكبر من عبد الله ؟ لأننا خبرنا أن الأمر صائر بعدى
إلى عبد الله وعبيد الله ، فنظرت فإذا عبيد الله أقرب إلى عبد الله من محمد ،
فوليتته دونه

قال : وبعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث إلى عبد الله بن
علي في خفية إن الأمر يا ابن عم صائر إليك فاتق الله في الحرم ، قال : فبعث
إليه عبد الله : إن الحق لنا في دمك ، والحق علينا في حرمك

وذكر مصعب الزبيري قال : كانت أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله
ابن الوليد بن الغيرة المخزومي عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فهلك عنها

أم سلمة زوجة
أبي العباس
الشفاح
وغلبتها عليه

ثم كانت عند هشام فهلك عنها ، فبينما هي ذات يوم إذ مر بها أبو العباس السفاح ، وكان جميلا وسيما ، فسألت عنه ، فنسب لها ، فأرسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها ، وقالت لها : قولى له هذه سبعمائة دينار أوجه بها إليك وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم ، فأنته المولاة فعرضت عليه ذلك ، فقال : أنا ملقى لآمال عندى ، فدفعت إليه المال ، فأنعم لها ، وأقبل إلى أخيها فسأله التزويج فزوجه إياها ، فأصدقها خمسمائة دينار ، وأهدى مائتي دينار ، ودخل عليها من ليلته ، وإذا هي على منصة ، فصعد عليها ، فاذا كل عضو منها مكمل بالجوهر فلم يصل إليها ، فدعت بعض جواريا فنزلت وغيّرت لبسها ولبست ثيابا مصبغة وفرشت له فراشا على الأرض دون ذلك ، فلم يصل إليها ، فقالت : لا يضرك هذا كذلك كان يصيبهم مثل ما أصابك ، فلم تنزل به حتى وصل إليها من ليلته ، وحظيت عنده ، وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى ، فولدت منه محمدا ورابعة ، وغلبت عليه غلبة شديدة ، حتى ما كان لا يقطع أمرا إلا بمشورتها وبتأثيرها حتى أفضت الخلافة إليه ، فلم يكن يدنو إلى النساء غيرها لا إلى حرة ولا إلى أمة ، ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها ، فلما كان ذات يوم فى خلافته خلا به خالد بن صفوان فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى فكرت فى أمرك ، وسعة ملكك ، وقد ملكت نفسك امرأة واحدة ، فإن مرضت مرضت ، وإن غابت غبت ، وحرمت نفسك التلذذ باستطراف الجوارى ومعرفة أخبار حالاتهن والتمتع بما تشتهى منهن فإن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء ، وإن منهن البضة البيضاء ، والعتيقة الأدماء ، والدقيقة السمراء ، والبربرية العجزاء ، من مولدات المدينة ، تقتن بمحادثتها ، وتلد بخلوتهن ، وأين أمير المؤمنين من بنات الأحرار والنظر إلى ما عندهن وحسن الحديث منهن ؟ ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء ، والسمراء اللعساء ، والصفراء العجزاء ، والمولدات من البصريات والكوفيات ، ذات الألسن العذبة ، والقصدود المهفهفة ، والأوساط المحضرة ، والأصداغ المزرفنة ، والعيون

خالد بن
صفوان ينصح
السفاح أن
يتزوج أو
يتسرى

المكحلة ، والثدي المحققة ، وحسن زيهن وزيتهن وشكلهن ، لرأيت شيئا حسنا ؛
وجعل خالد يحمي في الوصف ، ويجد في الإطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه ،
فلما فرغ كلامه قال له أبو العباس : ويحك يا خالد ! ما صكّ مسامعي والله قط
كلام أحسن مما سمعته منك ، فأعد عليّ كلامك فقد وقع مني موقعا ، فأعاد عليه
خالد أحسن مما ابتدأه ، ثم انصرف ، وبقي أبو العباس مفكرا فيما سمع منه ،
فدخلت عليه أم سلمة امرأته ، فلما رأته مفكرا مغموما قالت : إني لأنكر
يا أمير المؤمنين ، فهل حدث أمر تكرهه ، أو أتاك خبر فارتعت له ؟ قال : لم يكن
من ذلك شيء ، قالت : فما قصتك ؟ فجعل ينزوي عنها ، فلم تزل به حتى أخبرها
بمقالة خالد له ، فقالت : فما قلت لابن الفاعلة ؟ قال لها : سبحان الله ينصحنى
وتشتمينه ؟ فخرجت من عنده مغضبة ، وأرسلت إلى خالد من النجارية ومعهم
الكامر كوبات ، وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضوا صحيحا ، قال خالد : فانصرفت
إلى منزلى ، وأنا على السرور بما رأيت من أمير المؤمنين ، وإعجابه بما ألقىته إليه
ولم أشك أن صلته ستأثرنى ، فلم ألبث حتى صار إلى أولئك النجارية وأنا قاعد
على باب دارى ، فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوى أيقنت بالجائزة واصله ، حتى وقفوا
على ، فسألوا عنى ، فقلت : ها أنا ذا خالد ، فسبق إلى أحدهم بهراوة كانت معه
فلما أهوى بها إلى وثبت فدخلت منزلى ، وأغلقت الباب على ، واستترت ،
ومكثت أياما على تلك الحال لا أخرج من منزلى ، ووقع في خلدى أنى أوتيت
من قبل أم سلمة ، وطلبنى أبو العباس طلبا شديدا ، فلم أشعر ذات يوم إلا
بهموم قد هجموا على ، وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأيقنت بالموت ، فركبت
وليس على لحم ولا دم ، فلم أصل إلى الدار ، فأومأ إلى بالجلوس ، ونظرت فإذا
خلف ظهري باب عليه ستور قد أرخيت ، وحركة خلفها ، فقال : يا خالد ، لم أرك
منذ ثلاث ، قلت : كنت عيلا يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك !! إنك وصفت لى
فى آخر دخلة من أمر النساء والجارى ما لم يخرق مسامعى قط كلام أحسن

كلام خالد يبلغ
أم سلمة فتكيدله

منه ، فأعده على ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب اشتقت اسم
الضرة من الضر ، وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلا كان في
جهد ، فقال : ويحك !! لم يكن هذا في الحديث ، قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين
وأخبرت أن الثلاث من النساء كاثا في القدر يغلى عليهن ، قال أبو العباس :
برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت سمعت هذا منك
في حديثك ، قال : وأخبرت أن الأربعة من النساء شر صحيح لصاحبهن يشينه
ويهرمنه ويسقمنه ، قال : ويلك !! والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من
غيرك قبل هذا الوقت ، قال خالد : بلى والله ، قال : ويلك !! وتكذبى ؟ قال :
وتريد أن تقتلى يا أمير المؤمنين ؟ قال : مر في حديثك ، قال : وأخبرت أن
أبكار الجوارى رجال ، ولكن لاخصى لهن ، قال خالد : فسمعت الضحك من
وراء الستر ، قلت : نعم وأخبرت أيضاً أن بنى مخزوم ريحانة قريش ، وأنت عندك
ريحانة من الرياحين ، وأنت تطمح بعينك إلى حرائر النساء وغيرهن من الاماء ،
قال خالد : فتيل لى من وراء الستر : صدقت والله يا عمه وبررت ، بهذا حدثت
أمير المؤمنين ، ولكنه بدل وغير ونطق عن لسانك ، فقال له أبو العباس : مالك
قاتلك الله وأخزأك وفعل بك وفعل ؟ قال : فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة
قال خالد : فما شعرت إلا برسل أم سلمة قد صاروا إلى ومعهم عشرة آلاف درهم
وتخت وبرذون و غلام

كان السفاح
يجب مسامرة
الرجال

ولم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبى العباس السفاح ،
وكان كثيراً ما يقول : إنما العجب ممن يترك أن يزاد علماً ، ويختار أن يزاد
جهلاً ، فقال له أبو بكر الهذلى : ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال :
يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ، ويدخل إلى امرأة أو جارية فلا يزال
يسمع سخفاً ، ويروى نقصاً ، فقال له الهذلى : لذلك فضلكم الله على العالمين
وجعل منكم خاتم النبيين

ودخل عليه أبو بجيلة الشاعر ، فسلم عليه ، وانتسب له ، وقال : عبدك
يا أمير المؤمنين وشاعرك ، أفتأذن لي في إنشادك ؟ فقال له : لعنك الله !! أأنت
القائل في مسلمة بن عبد الملك بن مروان : -

أمسلم ، إني يا ابن كل خليفة ويافارس الهيجاء ويا جبل الأرض
شكرتك إن الشكر حبلٌ من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضى
وأحييت لي ذكرى وما كان خاملا ولكن بعض الذكر أنه من بعض
قال : فأننا يا أمير المؤمنين الذي أقول :

لما رأينا استمسكت يداكا كنّا أناساً نهرب الملاكا
ونركب الأعجاز والأوراكا من كل شيء ما خلا الإشرাকা
فكلما قد قلت في سواكا زورٌ وقد كفرَ هذا ذاكا
إنا انتظرنا قبلها أبাকা ثم انتظرنا بعدها أخاكا
ثم انتظرناك لها إياكا فكنت أنت للرجاء ذاكا
قال : فرضى عنه ووصله وأجازه

وكان أبو العباس إذا حضر طعامه أبسط ما يكون وجهه ، فكان إبراهيم
ابن مخزومة السكندی إذا أراد أن يسأله حاجة أخرى حتى يحضر طعامه ثم يسأله ،
فقال له يوماً : يا إبراهيم ، ما دعاك إلى أن تشغلي عن طعامي بجوائحك ؟ قال :
يدعوني إلى ذلك التماس النجح لما أسأل ، قال أبو العباس : إنك لحقيق بالسؤدد
لحسن هذه الفطنة

وكان إذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته لم يسمع من أحدهما في الآخر
شيئاً ولم يقبله ، وإن كان القائل عدلاً في شهادته ، وإذا اصطالح الرجلان لم يقبل
شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه ، ويقول : إن الضغينة القديمة تولد العداوة
تعاديا وإن اصطالحا بعد

المحنة ، وتحمل على إظهار المسألة ، وتُخْتَمَى الأفعى التى إذا تمكنت لم تبق
 وكان فى أول أيامه يظهر لندمائه ، ثم احتجب عنهم ، وذلك لسنة خلت
 من ملكه ، لأمر قد ذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب فى سيرة أردشير بن
 بابك وأيامه

بعض خصال
 أبى العباس
 السفاح

وكان يطرب من وراء الستر ، ويصيح بالمطرب له من الغنين : أحسنت والله
 فأعد هذا الصوت

وكان لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه إلا بصلة من مال أو
 كسوة ، ويقول : لا يكون سرورنا معجلا ، ومكافأة من سرنا وأطربنا مؤجلا ؛
 وقد سبقه إلى هذا الفعل ملك من الملوك التى للفرس ، وهو بهرام جور

وحضره أبو بكر الهذلى ذات يوم ، والسفاح مقبل عليه يحادثه بحديث
 لأنوشروان فى بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الأمم ، فعصفت الريح
 فأذرت ترابا وقطعا من الآجر من أعلى السطح إلى المجلس ، فجزع من حضر
 المجلس لوقوع ذلك ، وارتاع له ، والهذلى شاخص نحو أبى العباس لم يتغير كما تغير
 غيره ، فقال له أبو العباس : لله أنت يا أبا بكر ، لم أر كاليوم ، أما راعك ما راعنا
 ولا أحسست بما ورد علينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما جعل الله لرجل من قلوبين
 فى جوفه ، وإنما للرجل قلب واحد ، فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم
 يكن فيه لحادث مجال ، والله عز وجل إذا انفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له
 ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبي أو خليفة ، وهذه كرامة خصصت بها فعال
 إليها دمي ، وشغل بها فكري ، فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ،
 ولا وجمت لها ، إلا بما يلزمنى فى نفسى لأمير المؤمنين أعزه الله تعالى ، فقال له السفاح :
 لئن بقيت لك لأرفعن منك وضيعا لا تطيف به السباع ولا ينحط عليه العقاب
 وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وصية عبد الملك للشعبى فى فضل

الانصاف للملوك

وقد حكى عن عبد الله بن عباس المنتوف أنه قال : لم تتقرب العامة إلى
 الملوك بمثل الطاعة ، ولا العبيد بمثل الخدمة ، ولا البطانة بمثل حسن الاستماع
 حسن الاستماع
 إلى حديث
 الملوك
 وقد حكى عن رَوْح بن زَنْبَاع الجُدَامِي أنه كان يقول : إذا أردت أن
 يمكنك الملك من أذنه فأمكن أذنك من الإصغاء إلى حديثه ، ولا يتعتب الرجل
 عندي إذا كان يصغى إلى حديثه ، ولا يقدر ما قيل فيه في قلبي لما تقدم له من
 حسن الاستماع عندي

وقد حكى عن معاوية أنه كان يقول : يغلب الملك حتى يركب لشيثين :
 بالحلم عند سوريته ، والإصغاء إلى حديثه

ووجدت في سير الملوك من الأعاجم أن شيرويه بن أبرويز يباهو في منتزهاته
 بأرض العراق ، وكان لا يسايره أحد من الناس مبتدئا ، وأهل المراتب العالية
 خلف ظهره على مراتبهم ، فإن التفت يمينا دنا منه صاحب الجيش ، وإن التفت
 شمالا دنا منه الموبذان ، فأمره باحضار من أراد مسيرته ، فالتفت في مسيره هذا
 يمينا ، فدنا منه صاحب الجيش ، فقال : أين شداد بن جرثمة ؟ فأحضر ، فسايره
 فقال له شيرويه : أفكرت في حديث حدثنا به أردشير بن بابك حين واقع ملك
 الخزر ، فحدثني به إن كنت تحفظه ، وكان شداد قد سمع هذا الحديث من
 أنوشروان ، وعرف المسكيدة ، وكيف كان أردشير أوقعها بملك الخزر ، فاستعجم
 عليه شداد ، وأوهمه أنه لا يعرفه ، فحدثه شيرويه بالحديث ، فأصغى إليه الرجل
 بجوارحه كلها ، وكان مسيره على شاطئ نهر ، فترك الرجل لاقباله على شيرويه
 النظر إلى موطئ حافر دابته ، فزلت إحدى قوائم الدابة ، فالت بالرجل إلى
 اليمين ، فوقع في الماء ، ونفرت الدابة ، فابتدرها حاشية الملك وغلبانه فأمالوها عن
 الرجل ، وجدلوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه ، فاعثم لذلك ، ونزل عن دابته
 وبسط له هنالك حتى تغدى في موضعه ، ودعا بثياب من خاص كسوته فألقيت
 على شداد وأكل معه ، وقال له : غفلت عن النظر إلى موضع حافر دابتك ،

فقال : أيها الملك ، إن الله إذا أنعم على عبد نعمة قابله بمحنة ، وعارضها ببليية ؛ وعلى قدر النعم تسكون المحن ، وإن الله أنعم على بنعمتين عظيمتين هما إقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الأعظم وهذه القائدة وهي تدبير هذه الحرب حتى حدث بها عن أردشير حتى إنى لو دخلت إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب لكنت رابحا ، فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد قابلهما هذه المحنة ، ولولا أساورة هذا الملك ويمين جدّه لكنت معرض هلكة ، وعلى ذلك فلو غرقت حتى ذهبت عن جديد الأرض لكان قد أبقى لى الملك ذكرا مخلدا مابق الضياء والظلام ، فسر الملك بذلك ، وقال : ما ظننتك بهذا المقدار الذى أنت فيه ، فحشافاه جواهر ودرا رائقا ثمينا ، واستبطننه حتى غلب على أكثر أمره

وإنما ذكرنا هذا الخبر من أخبار من سلف من ملوك الفرس ليعلم أن أبا بكر الهذلى لم يبتدىء بحال لم يسبقه إليها غيره ، ويتقدمه بها سواه وأحسن المواقع من الملوك الاستماع منها ، والأخذ عنها ، وقد كانت حكماء اليونانيين تقول : إن الواجب على من أقبل عليه ملك أو ذورياسة بحديث أن يصرف كله إلى ذلك ، وإن كان يعرف الحديث الذى يسمعه من الملك ، كأنه لم يسمعه قط ، ويظهر السرور من الملك والاستبشار بحديثه ، وإن فى ذلك أمرين : أحدهما ما يظهر من حسن أدبه ، فانه يعطى الملك حقه بحسن الاستماع لحديثه والاستغراب له كأنه لم يسمعه ، وإظهار السرور والاستفادة منه ، فالنفس إلى الفوائد من الملوك والحديث عنهم أشهى وأقرب منها إلى فوائد السوق وما أشبهها

وقد ذكر جماعة من الأخباريين كابن دأب وغيره نحو هذا المعنى عن معاوية بن أبى سفيان ، ويزيد بن سحرة الزهاوى ، وهو أن ابن سحرة كان يسير ذات يوم معاوية وكان آنسا به ، وإلى حديثه تائقا ، ومعاوية

مقبل عليه يحدثه عن جرعان يوم كان لبني مخزوم وغيرهم من قريش ، كان فيه حرب عظيمة ففى فيها خلق من الناس ، وذلك قبل الاسلام ، وقيل : إن ذلك كان قبل الهجرة ، وكان لأبى سفيان فيها مكرمة وسابقة فى الرئاسة ، وهو أنه لما أشرف الفريقان على الفناء صعد على نسر من الأرض ثم صاح بالفريقين ، وأشار بكمه وانصرف الفريقان جميعا انقيادا إلى أمره ، وكان معاوية معجبا بهذا الحديث ، فبينما هو يحدثه به ويزيد بن سحرة مقبل عليه ، وقد استخفهما لذة المحدث والمستمع إذ صكّ جبين يزيد بن سحرة حجر عاثر فأدماه ، فجعلت الدماء تسيل على وجهه ولحيته وثوبه ، وغير ذلك ، ولم يتغير عما كان عليه من الاستماع ، فقال له معاوية : لله أنت يا ابن سحرة ، أما ترى ما نزل بك ؟ قال : وماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا دم يسيل على ثوبك ، فقال : أعتق ما أملك إن لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهانى حتى غمر فكرى وغطى على قلبى ، فما شعرت بشيء مما حدث ، حتى نهبنى عليه أمير المؤمنين ، فقال معاوية : لقد ظلمك من جعلك فى ألف من العطاء ، وأخرجك من عطاء أبناء المهاجرين والجماهير ممن حضر معنا بصفين ، ثم أمر له وهو فى مسيره بخمسمائة ألف درهم ، وزاده فى عطائه ألفا من السراهم ، وجعله بين جلده وثوبه

وقد قال بعض أهل المعرفة والأدب من مصنفى الكتب فى هذا المعنى وغيره فيما حكيناه عن معاوية وابن سحرة : لئن كان ابن سحرة خدع معاوية فى هذا ومعاوية ممن لا يخادع فما مثله إلا كما قال الأول

* من ينك العير ينك نيبا *كا

وإن كان بلغ من بلادة ابن سحرة وقلة حسه ما وصف به نفسه فما كان جديرا بخمسمائة ألف صلة وزيادة ألف فى عطائه ، وما أظن ذلك خفى عن معاوية قال المسعودى : وقد قالت الحكماء فى هذا وأكثر ، وأمرت بحسن الاستماع وأطنبت ، فقالوا : لا تحسن المحادثة إلا بحسن الفهم ، وقالوا : تعلم حسن

الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ، وحسن الاستماع هو إهمال الحديث حتى ينقضى حديثه

بعض آداب
الحديث

ومن أدب الحديث وواجباته أن لا يقتضب اقتضابا ، ولا يهجم عليه ، وأن يتوصل إلى إجرائه بما يشاكله ، ويستنسب له ما يحسن أن يجري في غرضه ، حتى يكون بعض المعاوضة متعلقا ببعض ، على حسب ما قالوا في المثل : إن الحديث ذو شجون ، يريدون بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد إلى وجوه من المعاني كثيرة ، إذ كان العيش كله في الجليس الممتع ، وقال رجل : والله ما أمل الحديث فقال السامع : إنما يمل العتيق لا الحديث

وقد أكرت الشعراء من الاغراق في هذا المعنى ، ومن ذلك قول العباس بن علي الرومي :

وسئمت كل مآربي فكأن أطيبها غثيثُ
إلا الحديث فانه مثل اسمه أبداً حديثُ

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول إبراهيم بن العباس :

إن الزمان وما يبين بمفرقى صرف الغواية فانصرفت كريما
وضجرت إلا من لقاء محدث حسن الحديث يزيدني تعلما

وقد ذكر بعض المحدثين من أهل الأدب أن من الأدب عدم إطالة الحديث من النديم ، وأن أحلى الحديث وأحسنه موقعا أن تجتنب منه الأحاديث الطوال دون المعاني المغالطة الألفاظ الحشوية التي ينقضى باقتصاصها زمان المجلس ، وتعلق بها النفوس ، وتحتسى على أواخرها الكؤوس ، وأن ذلك بمجالس القصص أشبه منه بمجالس الخواص

وقد ذكر هذا المعنى فأجاد فيه عبد الله بن المعتز بالله ، ووصف ذلك بين أصحاب الشراب على المعاقرة فقال :

بَيْنَ أَقْداحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سَحَرٌ وَمَا عَدَاهُ كَلَامٌ
وَكَانَ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى الْفَاتُ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامٌ

وهذه طريقة من ذهب في هذا المعنى إلى استماع الملح

وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس أبو سلمة حفص بن
سليمان الخلال الهمداني ، مولى لسبيع ، وكان في نفس أبي العباس منه شيء لأنه
كان حاول في رد الأمر عنهم إلى غيرهم ، فكتب أبو مسلم إلى السفاح يشير
عليه بقتله ، ويقول له : قد أحل الله لك دمه ؛ لأنه قد نكث وغير وبدل ،
فقال السفاح : ما كنت لأفتتح دولتي بقتل رجل من شيعتي ، لاسيما مثل
أبي سلمة ، وهو صاحب هذه الدعوة ، وقد عرض نفسه ، وبدل مهبته ، وأتقى
ماله ، وناصح إمامه ، وجاهد عدوه ، وكله أبو جعدة أخوه وداود بن علي عمه في
ذلك ، وقد كان أبو مسلم كتب إليهما يسألهما أن يشير علي السفاح بقتله ، فقال
أبو العباس : ما كنت لأفسد كثير إحسانه وعظيم بلائه وصالح أيامه بزلة كانت
منه ، وهي خطرة من خطرات الشيطان ، وغفلة من غفلات الانسان ، فقال له :
فينبغي يا أمير المؤمنين أن تحترس منه ، فانا لا نأمنه عليك ، فقال : كلا إني
لأمنه في ليلي ونهارى وسرى وجهرى ووحدتى وجماعتي ، فلما اتصل هذا القول من
أبي العباس بأبي مسلم أكبره وأعظمه ، وخاف من ناحية أبي سلمة أن يقصده بالمكرهه ،
فوجه جماعة من ثقات أصحابه في إعمال الخيلة في قتل أبي سلمة ، وقد كان
أبو العباس يأنس بأبي سلمة ويسمر عنده ، وكان أبو سلمة فكها ممتعا أدبيا عالما
بالسياسة والتدبير ، فيقال : إن أبا سلمة انصرف ليلة من عند السفاح من مدينته
بالأنبار ، وليس معه أحد ، فوثب عليه أصحاب أبي مسلم فقتلوه ، فلما اتصل
خبره بالسفاح أنشا يقول :

إلى النار فليذهب ، ومن كان مثله على أى شيء فاتنا منه نأسف
وكان أبو مسلم يقال له : أمين آل محمد ، وأبو سلمة حفص بن سليمان يدعى

أول من
استوزر في
دولة العباسيين

أبو سلمة وكيد
أبي مسلم له

وزير آل محمد ، فلما قتل غيلة على ما ذكرنا قال في ذلك الشاعر من أبيات :

إن المساء قد تَسَرَّ ، وربما كان السرور بما كرهت جديرا

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا

وقد أتينا على خبر مقتله وكيفية أمره في الكتاب الأوسط

وكان السفاح يعجبه المحادثة ، ومفاخرات العرب من نزار واليمن ، والمذاكرة

بذلك ، ونخالد بن صفوان وصدر من قحطان أخبار حسان ، ومفاخرات

ومذاكرات ومنادات ومسامرات مع السفاح مشهورة فأغنى ذلك عن ذكرها

ومما ذكر من أخباره واستفاض من أسناره ؛ ما ذكره البهلول بن العباس ،

عن الهيثم بن عدي الطائي ، عن يزيد الرقاشي ، قال : كان السفاح يعجبه مسامرة

الرجال ، وإني سمعت عنده ذات ليلة ، فقال : يا يزيد ، أخبرني بأظرف ما سمعته

من الأحاديث ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، وإن كان في بني هاشم ، قال : ذلك

أعجب إلي ، قلت : يا أمير المؤمنين ، نزل رجل من تنوخ بحى من بني عامر بن

صعصعة ، فجعل لا يحيط شيئا من متاعه إلا تمثل بهذا البيت :

لعمرك ما تبلى سرائر عامر من اللؤم مادامت عليها جلودها

فخرجت إليه جارية من الحى ، لحادثته وآسته ، وسألته حتى أنس بها ،

ثم قالت : ممن أنت متعت بك ؟ فقال : رجل من تميم ، فقالت : أتعرف الذى

يقول :

تميم بطرق اللؤم أهذى من القَطَا ولو سلكت سُبُلَ المسكارم ضلّت

ولو أن برغوثا على ظهر قملة يكر على جمعى تميم لوكت

ذبحنا فسمينا قتم ذبيحنا وما ذبحت يوما تميم فسمت

أرى الليل يحلوه النهار ، ولا أرى عظام الخازى عن تميم تجلت

فقال : لا والله ما أنا منهم ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من عجل ،

قالت : أتعرف الذى يقول :

الرقاشي
يحدث السفاح
حديث الجارية
العامرية التي
ذكرت شعرا
في هجاء كل
قبيلة من قبائل
العرب

أرى الناس يُعْطُونَ الْجَزِيلَ وَإِنَّمَا عطاء بني عجل ثلاث وأربع
إذا مات عجلِيٌّ بأرضٍ فإنما يُشَقُّ له منها ذراعٌ وإصبع
قال : لا والله ما أنا من عجل ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من بني
يشكر ، قالت : أتعرف الذى يقول :

إذا يَشْكُرِيْ مَسَّ ثَوْبِكَ ثوبُهُ فَلَا تَذْكُرَنَّ اللهَ حَتَّى تَطَهَّرَا
قال : لا والله ما أنا من يشكر ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من بني
عبد القيس ، قالت : أتعرف الذى يقول :

رَأَيْتُ عَبْدَ الْقَيْسِ لَاقَتْ ذُلًّا إِذَا أَصَابُوا بَصَلًا وَخَلًّا
وما لحاً مصنعا قد طلا باتوا يَسْلُونَ النساءَ سَلًّا
سل النبيطِ القَصَبَ المُبْتَلَا
قال : لا والله ما أنا من عبد القيس ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من
باهلة ، قالت : أتعرف الذى يقول :

إِذَا ازْدَحَمَ الْكِرَامُ عَلَى الْمَعَالَى تَنَحَّى الْبَاهِلِيُّ عَنِ الزَّحَامِ
فلو كان الخليفة باهليًّا لَقَصَرَ عَنْ مُنَاوَاةِ الْكِرَامِ
وَعَرِضُ الْبَاهِلِيِّ وَإِنْ تَوَقَّى عَلَيْهِ مِثْلُ مَنْدِيلِ الطَّعَامِ
قال : لا والله ما أنا من باهلة ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من بني
فزارة ، قالت : أتعرف الذى يقول :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ وَاسْتَبْهَأَ بِأَسْيَارِ
لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا عَلَى حُمْرٍ بَعْدَ الَّذِي امْتَلَأَ أَيْرَالَهُ فِي النَّارِ
قوم إذا نزل الأضياف ساحتهم قالوا لأهمهم : بُولِي عَلَى النَّارِ
قال : لا والله ما أنا من فزارة ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا رجل من
ثقيف ، قالت : أتعرف الذى يقول :

أهل الناسيون إلى ثقيف فما لهم أبٌ إلا الضلال
فان نسبت أوانسبت ثقيف إلى أحد فذاك هو المحال
خنازير الحشوش فقتلوهما فان دماءهم لكم حلال
قال : لا والله ما أنا من ثقيف ، قالت فممن أنت ؟ قال : رجل من عبس ،
قالت : أتعرف الذى يقول :

إذا عبسيةٌ ولدت غلاما فبشّرهما بلؤم مُستفادٍ
قال : لا والله ما أنا من عبس ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من ثعلبة ،
قالت : أتعرف الذى يقول :

وثعلبة بن قيس شرُّ قومٍ والأهم وأغدرهم بحار
قال : لا والله ما أنا منهم ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بنى مرة ،
قالت : أتعرف الذى يقول :

إذا مربيةٌ خضبت يداها فزوجها ولا تأمن زناها
قال : لا والله ما أنا من بنى مرة ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بنى
ضبة ، قالت : أتعرف الذى يقول :

لقد زرقت عيناك يا ابن معكبر كما كل ضبيٍّ من اللؤم أزرَقُ
قال : لا والله ما أنا من بنى ضبة ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بجيلة
قالت : أتعرف الذى يقول :

سألنا عن بجيلة حين حلت لتخبر أين قرَّبها القرار
فما تدرى بجيلة أين تدعى أخطاف أبوها أم نزار
فقد وقعت بجيلة بين بين وقد خلعت كما خلعت العذار
قال : لا والله ما أنا من بجيلة ، قالت : فممن أنت ويحك ؟ قال : رجل من
بنى الأزد ، قالت : أتعرف الذى يقول :

إذا أزدية ولدت غلاما فبشرها بملاح مجيد
 قال : لا والله ما أنا من الأزد ، قالت : فمن أنت ويلك ؟!! أما تستحي ؟
 قل الحق ، قال : أنا رجل من خزاعة ، قالت : أتعرف الذى يقول :
 إذا افتخرت خزاعة فى كريم وجدنا فخرها شرب الخمر
 وباعت كعبة الرحمن جهراً بزق ، بس مفتخر الفخور
 قال : لا والله ما أنا من خزاعة ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من سليح ؛
 قالت : أتعرف الذى يقول :

فما لسليح شئت الله أمرها تنيك بأيديها وتعيب أيورها
 قال : لا والله ما أنا من سليح ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من لقيط ،
 قالت : أتعرف الذى يقول :

لعمرك ما البحار ولا الفيافي بأوسع من قفاح بنى لقيط
 لقيط شر من ركب المطايا وأنذل من يدب على البسيط
 ألا لعن الإله بنى لقيط بقايا سبية من قوم لوط
 قال : لا والله ما أنا من لقيط ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من كندة ،
 قالت : أتعرف الذى يقول :

إذا ما افتخر الكندى ذو البهجة والطرة
 فبالنسج وبالخف وبالسدل وبالحفرة
 فدع كندة للنسج فأعلى فخرها عرة
 قال : لا والله ما أنا من كندة ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من خثعم ،
 قالت : أتعرف الذى يقول :

وخثعم لو صفرت بها صفيرا لطارت فى البلاد مع الجراد
 قال : لا والله ما أنا من خثعم ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من طيء ؛
 قالت : أتعرف الذى يقول :

وما طيء إلا نبيط تجمعت فقالت طيانا كلة فاستمرت
ولو أن حرّ قوصاً يمدّ جناحه على جبال طيء إذا استظلت
قال : لا والله ما أنا من طيء ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من مزينة ؛
قالت : أتعرف الذى يقول :

وهل مزينة إلا من قبيكة لا يرتجى كرم فيها ولادين
قال : لا والله ما أنا من مزينة ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من النخع ؛
قالت : أتعرف الذى يقول :

إذا النخع اللثام غدوا جميعا تأذى الناس من وفر الزحام
وما يسمو إلى نجد كريم وما هم فى الصميم من الكرام
قال : لا والله ما أنا من النخع ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من أود ،
قالت : أتعرف الذى يقول :

إذا نزلت بأود فى ديارهم فاعلم بأنك منهم لست بالناجى
لا تركزن إلى كهل ولا حدث فليس فى القوم إلا كلّ عجاج
قال : لا والله ما أنا من أود ، قالت : فممن أنت ؟ قال : أنا رجل من نخم ،
قالت : أتعرف الذى يقول :

إذا ما انتمى قوم لفخر قديمهم تباعد فخر القوم من نخم أجمعها
قال : لا والله ما أنا من نخم ، قالت : فممن أنت ؟ قال : أنا رجل من جذام ،
قالت : أتعرف الذى يقول :

إذا كأس المدام أديرَ يوماً لمكرمة تنصى عن جذام
قال : لا والله ما أنا من جذام ، قالت : فممن أنت ويك ؟ !! أما تستحي ؟
أكثر من الكذب !! قال : أنا رجل من تنوخ ، وهو الحق ، قالت : أتعرف
لذى يقول :

إذا تنوخ قطعت منها فى طلب الغارات والثار

آبت بنجزي من إله العلى وشهرة فى الأهل والجار
قال : لا والله ما أنا من تنوخ ، قالت : فممن أنت شكلك أمك ؟ قال :
أنا من حمير ، قالت : أتعرف الذى يقول :

نُبِئْتُ حَمِيرَ تَهْجُونِ فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُمْ كَانُوا وَلَا خُلِقُوا
لأن حمير قوم لانِصَابَ لهم كالعود بالقاع لاماء ولا ورق
لا يكترون وإن طالت حياتهم ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا
قال : لا والله ما أنا من حمير ، قالت : فممن أنت ؟ قال : أنا رجل من
نحائر ، قالت : أتعرف الذى يقول :

ولو مرَّ مِزْمَارٌ بِأَرْضِ نَحَائِرٍ لَمَاتُوا وَأَضْحَوْا فِي التُّرَابِ رَمِيَا
قال : لا والله ما أنا من نحائر ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من قشير ،
قالت : أتعرف الذى يقول :

بني قشير قَتَلْتُ سَيِّدَكُمْ فاليوم لافذية ولا قود
قال : لا والله ما أنا من قشير ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بنى
أمية ، قالت : أتعرف الذى يقول :

وَهَى مِنْ أُمِيَّةَ بَنِيهَا فَهَانَ عَلَى اللَّهِ فَقْدَانُهَا
وكانت أمية فيما مضى جرى على الله سلطانها
فلا آل حرب أطاعوا الرسول ولم يتق الله مروانها

قال : لا والله ما أنا من بنى أمية ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من
بنى هاشم ، قالت : أتعرف الذى يقول :

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم فقد صار هذا التمر صاعاً بدرهم
فان قاتم رهط النبي محمد فان النصرارى رهط عيسى بن مريم
قال : لا والله ما أنا من بنى هاشم ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من
همدان ، قالت : أتعرف الذى يقول :

إِذَا هَمْدَانُ دَارَتْ يَوْمَ حَرْبٍ رَحَاهَا فَوْقَ هَامَاتِ الرِّجَالِ
رَأَيْتَهُمْ يَحْثُونَ الْمَطَايَا سِرَاعًا هَارِبِينَ مِنَ الْقِتَالِ
قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْ هَمْدَانَ ، قَالَتْ : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ قِضَاعَةَ ،

قَالَتْ : أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

لَا يَفْخَرَنَّ قِضَاعِي بِأَسْرَتِهِ فَلَيْسَ مِنْ يَمَنِ مَحْضًا وَلَا مُضَرَّ
مَذْبُذِبِينَ فَلَا قَحْطَانَ وَالدِّهَمَ وَلَا نَزَارَ فَخْلُوهُمْ إِلَى مَقَرِّ
قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْ قِضَاعَةَ ، قَالَتْ : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ شَيْبَانَ ،

قَالَتْ : أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

شَيْبَانُ قَوْمٌ لَهُمْ عَدِيدٌ فَكُلُّهُمْ مُقْرِفٌ لَثِيمٌ
مَا فِيهِمْ مَا جَدُّ حَسِيبٌ وَلَا نَحِيبٌ وَلَا كَرِيمٌ
قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْ شَيْبَانَ ، قَالَتْ : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي

نَمِيرٍ ، قَالَتْ : أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

قُضُضَ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كَلَابَا
فَلَوْ وَضَعْتَ قَفَّاحَ بَنِي نَمِيرٍ عَلَى خَبْثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابَا
قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْ نَمِيرٍ ، قَالَتْ : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ تَغْلَبَ ،

قَالَتْ : أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

لَا تَطْلُبَنَّ خُوُولَةَ مِنْ تَغْلَبَ فَالزَّنَجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالَا
وَالتَّغْلَبِيُّ إِذَا تَنَحَّنَجَ لِلْقَرَى حَكَّ اسْتَهَ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا
قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْ تَغْلَبَ ، قَالَتْ : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ مَجَاشِعَ ،

قَالَتْ : أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

تَبْكِي الْمَصِيئَةَ مِنْ بَنَاتِ مَجَاشِعَ وَلَهَا إِذَا سَمِعَتْ نَهْيَاقَ حِمَارٍ
قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْ مَجَاشِعَ ، قَالَتْ : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ كَلَبَ ،

قَالَتْ : أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

فلا تقرّباً كَلْبًا ولا باب دارها فما يطمع السارى يرى ضوء نارها
قال : لا والله ما أنا من كلب ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا رجل من تيم ،
قالت : أتعرف الذى يقول : ^(١)

قال : لا والله ما أنا من تيم ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من جرم ،
قالت : أتعرف الذى يقول :

تمتنى سويق الكرم جرم وما جرم وما ذاك السويق
فما شربوه لما كان خلا ولا خالوا به فى يوم سوق
فلما أنزل التحريم فيها إذا الجرمى منها لا يفيق

قال : لا والله ما أنا من جرم ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من سليم ،
قالت : أتعرف الذى يقول :

إذا ما سليم جثتها لغدائها رَجَعَتْ كما قد جثت غَرْثَانِ جَاءَا
قال : لا والله ما أنا من سليم ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من الموالى ،
قالت : أتعرف الذى يقول :

ألا من أراد الفحش واللؤم والخنا فعند الموالى الجيدُ والطرفان
قال : أخطأت نسبي ورب الكعبة ، أنا رجل من الحور ، قالت : أتعرف
الذى يقول :

لا بارك الله ربى فيكم أبدا يامعشر الحور إن الحور فى النار
قال : لا والله ما أنا من الحور ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا رجل من
أولاد حام ، قالت : أتعرف الذى يقول :

(١) سقط من الأصول التى بين أيدينا ما قالته الجارية فى بنى تيم ، والحادثة
مذكورة فى كثير من الكتب منها الطبقات الكبرى لتاج الدين السبكي (ج ١ ص
١٤٢) وفيها اختلاف فى الترتيب والشعر ، ولم يذكر فيها تيم .

فلا تنكحن أولاد حام فانهم مشاويه خلق الله حاشا ابن أكرع
 قال : لا والله ما أنا من ولد حام ، لكنى من ولد الشيطان الرجيم ، قالت :
 فلعنك الله ولعن أباك الشيطان معك ، أفتعرف الذى يقول :
 ألا يا عباد الله هذا عدوكم وهذا عدو الله إبليس فاقتلوا
 فقال لها : هذا مقام العائذ بك ، قالت : قم يارجل خاسئا مذموما ، وإذا
 نزلت بقوم فلا تنشد فيهم شعرا حتى تعرف من هم ، ولا تتعرض للمباحث عن
 مساوى الناس ؛ فلكل قوم إساءة وإحسان ، إلا رسول رب العالمين ومن
 اختاره الله على عباده ، وعصمه من عدوه ، وأنت كما قال جرير للفرزدق :
 وكنت إذا حلت بدار قوم رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وتركت عارا
 فقال لها : والله لا أنشدت بيت شعر أبدا ، فقال السفاح : لئن كنت قلت
 هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الأشعار فلقد أحسنت ، وأنت سيد
 الكاذبين ، وإن كان الخبر صدقا وكنت فيما ذكرته محقا فان هذه الجارية
 العامرية لمن أحضر الناس جوابا ، وأبصرهم بمثالب الناس
 قال المسعودى : وللسفاح أخبار غير هذه وأسمار حسان قد أتينا على مبسوطها
 فى أخبار الزمان والأوسط



ذكر خلافة أبي جعفر المنصور

و بويغ أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو بطريق مكة ، أخذ له البيعة عمه عيسى بن علي ، ثم لعيسى بن موسى من بعده ، يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، والمنصور يومئذ ابن إحدى وأربعين سنة ، وكان مولده في ذى الحجة سنة خمس وتسعين ، وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية ، وكانت وفاته يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة إلا تسعة أيام ، وهو حاج عند وصوله إلى مكة في الموضع المعروف ببستان بنى عامر من جادة العراق ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن بمكة مكشوف الوجه لأنه كان محرماً ، وقيل : إنه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ، ودفن بالحجون ، وهو ابن خمس وستين سنة ، والله أعلم

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولع مما كان في أيامه

ذكر عن سلامة أم المنصور أنها قالت : رأيت لما حملت بأبي جعفر كأن أسدا خرج من قبلي فألقى وزار وضرب بذنبه ، فأقبلت إليه الأسد من كل ناحية ، فكلما انتهى إليه أسد منها سجد له .

حدث علي بن محمد المدائني أن المنصور قال : صحبت رجلاً ضريراً إلى الشام وكان يريد مروان بن محمد بشعر قاله فيه ، قال : فسألته أن ينشدني ، فأنشدني :
 ليت شعري أفاح رائحة المسك لك وما إن إخال بالخيف إنسي
 حين غابت بنو أمية عنه والبهاليل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا ن عليها وقالة غير خرس
لا يعاون قائلين وإن قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس
وحلوم إذا الحلوم استخفت ووجوه مثل الدنانير ملس

قال المنصور : فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت أن العمى أدركني ،
وكان والله ممتع الحديث حسن الصعبة .

قال : وحجبت سنة إحدى وأربعين ومائة ، فنزلت على الحجاز في جلي
زرود في الرمل أمشي لنذر كان على ، فاذا أنا بالضرير ، فأومأت إلى من كان
معي تأخروا ، فتأخروا ، ودنوت منه فأخذت بيده فسلمت عليه ، فقال : من
أنت جعلني الله فداك فما أثبتك معرفة ، قلت : رفيقك إلى الشام في أيام بني أمية
وأنت متوجه إلى مروان ، فسلم على وتنفس وأنشأ يقول :

آمت نساء بني أمية منهم وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى المات سلام

فقلت له : كم كان مروان أعطاك ؟ فقال : أغناني فلا أسأل أحدا بعده ،
فقلت : كم ؟ فقال : أربعة آلاف دينار وخلع وحملا ، قلت : وأين ذاك ؟ قال :
بالبصرة ، قلت : أثبتني معرفة ؟ فقال : أما معرفة الصعبة فقد لعمرى وأما معرفة
النسب فلا ، فقلت : أنا أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين ، فوقع عليه الانكاء
وقال : يا أمير المؤمنين أعذر فان ابن عمك محمدا صلى الله عليه وسلم قال « جبلت
النفوس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها » قال أبو جعفر : فهممت
والله به ، ثم تذكرت الحرمة والصعبة ، فقلت للمسيب : أطلقه ، ثم بدا لي في
مسامرته رأى فأمرت بطلبه فكان البيداء أباده .

وحدث الربيع قال : اجتمع عند المنصور عيسى بن علي ، وعيسى بن موسى ،

ومحمد بن علي ، وصالح بن علي ، وقثم بن العباس ، ومحمد بن جعفر ، ومحمد بن إبراهيم ، فذكروا خلفاء بني أمية وسيرهم وتدييرهم ، والسبب الذي به سلبوا عزهم فقال المنصور : أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي ما صنع ، وأما سليمان فكان همته بطنه وفرجه ، وأما عمر فكان أعور بين عميان ، وكان رجل القوم هشام ، ولم تزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ويصرفون ما وهب الله لهم منه مع كسبهم معالي الأمور ورفضهم أدانيها ، حتى أفضى الأمر إلى أبنائهم المترفين ، فكانت همتهم قصد الشهوات ، وركوب اللذات ، من معاصي الله جل وعز ، جهلا منهم باستدراجهم ، وأمنا منهم لمكره ، مع اطراحهم صيانة الخلافة ، واستخفافهم بحق الرياسة ، وضعفهم عن السياسة ، فسلبهم الله العز ، وألبسهم الذل ، ونفى عنهم النعمة ، فقال صالح بن علي : يا أمير المؤمنين ، إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عن حالهم وهيئتهم ، فركب إلى عبد الله ليسأله عن شيء من أمورهم ، والسبب الذي به زالت النعمة عنهم ، وكلمه بكلام سقط عن حفظه ، ثم أشخصه عن بلده ، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به ليحدثه أمره فعل ، فأمر المنصور باحضاره في مجلسه فلما مثل بين يديه قال له : يا عبد الله ، قُصَّ على قصتك وقصة ملك النوبة ، قال : يا أمير المؤمنين ، قدمت إلى النوبة ، فأقمت بها ثلاثا ، فأتاني ملكها ، فقعد على الأرض وقد أعددت له فراشا ، فقلت له : مامنك من القعود على فراشنا ، فقال : لأنني ملك ، وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله عز وجل إذ رفعه الله ، ثم قال : لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم ؟ فقلت : اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا ، قال : فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم ؟ فقلت : فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا لجهلهم ، قال : فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو محرم عليكم في كتابكم ودينكم ؟ فقلت : ذهب منا الملك فانتصرنا بقوم من المعجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا ، فأطرق إلى الأرض

تذاكر
المنصور وأهله
في بني أمية
وسبب زوال
ملكهم

يقلب يده مرة وينكت في الأرض أخرى ، ويقول : عبيدنا وأتباعنا وأعاجم
دخلوا علينا في ديننا ، ثم رفع رأسه فقال : ليس كما ذكرت ، بل أنتم قوم استحلتم
ما حرم الله ، وركبتم ماعنه نهيتهم ، وظلمتم فيما ملكتم ؛ فسلبكم الله العز ، وألبسكم
الذل بذنوبكم ، والله فيكم نعمة لم تبلغ غايتها فيكم ، وأنا خائف أن يحل بكم العذاب
وأنتم ببليدي فينالي معكم ، وإنما الضيافة ثلاث ؛ فتزود ما احتجت إليه وارحل
عن أرضي ، ففعلت ، فتمعجب المنصور وأطرق مليا ، فرق له وهم باطلاقه ، فأعلمه
عيسى بن علي أن في عنقه بيعة له ، فأعاده إلى الحبس .

وفاته محمد بن جعفر العلوي : قال السعودي : ولعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفي أبو عبد الله محمد
ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، سنة
ثمان وأربعين ومائة ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده ، وله خمس وستون سنة ،
وقيل : إنه سم ، وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله مبيد الأمم ، ومحبي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وقبر الحسن بن علي بن
أبي طالب ، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن
محمد ، رضي الله عنهم .

وزراء المنصور : واستوزر أبو جعفر المنصور ابن عطية الباهلي ، ثم استوزر أبا أيوب التوراني
الهوري ، وكان له بأبي جعفر أسباب : منها أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن
المهلب ، وقد كان سليمان ضرب المنصور بالسوط في أيام الأمويين ، وأراد هتكه ،
فخلصه كاتبه أبو أيوب من يده ، فكانت سببه به ، فلما استوزره اتهم بأشياء
منها احتجار الأموال وسوء النية ، فكان على الإيقاع به ، وتطاول ذلك ، فكان
كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ، ثم يخرج سالما ، فقتيل : إنه كان معه دهن قد
عمل فيه شيء من السحر يطلّيه على حاجبيه ، إذا أراد الدخول على المنصور ،

فسار في العامة دهن أبي أيوب لما ذكرنا ، ثم أوقع به ، واستكتب أبان بن صدقة إلى أن مات .

وذكر لأبي جعفر تدير هشام في حرب كانت له فبعث إلى رجل كان ينزل رصافة هشام يسأله عن تلك الحرب ، فقدم عليه رجل فقال له : أنت صاحب هشام ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فأخبرني كيف فعل في حرب دبرها في سنة كذا وكذا ، قال : فعل رضى الله عنه فيها كذا وكذا ، وفعل رحمه الله كذا وكذا ، فأغاظ ذلك المنصور ، فقال له : قم عليك غضب الله تطأ بساطي وترحم على عدوى ، فقام الشيخ وهو يقول : إن لعدوك قلادة في عنقي ، ومنة في رقبتي ، لا ينزعها إلا غاسلي ، فأمر المنصور برده ، وقال : كيف قلت ؟ قال : إنه كفاني الطلب ، وصان وجهي عن السؤال ، فلم أقف على باب عربي ولا عجمي منذ رأيته ، أفلا يجب لي أن أذكره إلا بخير وأتبعه بشئائي ؟ فقال : بلى ، لله أم نهضت عنك ، أشهد أنك نهضت حرة وغراس كريم ، ثم استمع منه ، وأمر له بجائزة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أخذها لحاجة ، وما هو إلا أن أتبعج بحبائك ، وأتشرف بصلتك ، فأخذ الصلة ، فقال له المنصور : مت إذا شئت لله أنت ، لو لم يكن لقومك غيرك كنت قد أبقيت لهم مجدا ، وقال جلسائه بعد خروجه عنه : في مثل هذا تحسن الصنعة ، ويوضع المعروف ، ويجاد بالمصون ، وأنى في عسكرنا مثله

ودخل معن بن زائدة على المنصور فلما نظر إليه قال : هيه يامعن ، تعطى مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان
فقال : كلا يا أمير المؤمنين ، إنما أعطيته على قوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان

المنصور
وصاحب هشام
ابن عبد الملك
الذي وفي له

المنصور ومعن
ابن زائدة

فقال : أحسنت يا معن ، وكان معن من أصحاب عمر بن هبيرة ، وكان مستترا حتى كان يوم الماشمية ، وقد كان سمعت فيه عدة من أهل خراسان ، فانه حضر وهو معتم متائم ، فلما نظر إلى القوم قد وثبوا على المنصور تقدم ، ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه ، فلما أفرجوا وتفرقوا عنه قال : من أنت ؟ فخر عن وجهه ، وقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، فلما انصرف المنصور آمنه وحباه وأكرمه وكساه ورتبه

المنصور يعني
إلى نفسه
وهو جالس
في طاق
خراسان من
مبناه

وذكر أن ابن عياش المتوفى ذكر أن المنصور كان جالسا في مجلسه المبني على طاق باب خراسان من مدينته التي بناها وأضافها إلى اسمه ، وسماها مدينة المنصور ، مشرفا على دجلة ، وكان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة في الأعلى من طاقه المعقود مجلسا يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه ، وكانت أربعة أبواب شوارع مخرقة وطاقت معقودة ، وهي باقية إلى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، فأول أبوابها باب خراسان ، وكان يسمى باب الدولة لاقبال الدولة العباسية من خراسان ، ثم باب الشام ، وهو تلقاء الشام ، ثم باب الكوفة ، وهو تلقاء الكوفة ، ثم باب البصرة ، وهو تلقاء البصرة ، وقد أتينا على كيفية خبر بناء هذه المدينة ، واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات ودجيل والصرافة ، وهذه أنهار تأخذ من الفرات ، وأخبار بغداد وعلة تسميتها بهذا الاسم ، وما قاله الناس في ذلك ، وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر ، وقصة قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسطة العراق وبقاؤها إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، في كتابنا الأوسط الذي كتابنا هذا تال له ، فبينما المنصور جالس في هذا المجلس من أعلى باب خراسان إذ جاء سهم عائر حتى سقط بين يديه ، فذعر المنصور منه ذعرا شديدا ثم أخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الرشتين :

أطمع في الحياة إلى التناد وتحسب أن مالك من نفاذ

ستسأل عن ذنوبك والخطايا
ثم قرأ عند الريشة الأخرى :
أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت
وسالمتك الليالي فاعتبرت بها
ثم قرأ عند الريشة الأخرى :

هي المقادير تجري في أعنتها
فأصبر فليس لها صبر على حال
يوماً تريك خسيس القوم ترفعه
إلى السماء ، ويوماً تخفضُ العالی

وإذا على جانب السهم مكتوب : همدان منها رجل مظلوم في حبسك ،
فبعث من قوره بعده من خاصته ، ففتشوا الحبوس والمطابق ، فوجدوا شيخاً في
بنية من الحبس فيه سراج يسرج على بابه بارية مسبلة ، وإذا الشيخ موثق
بالحديد متوجه نحو القبلة يردده هذه الآية (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)
فسألوه عن بلده ، فقال : همدان ، فحمل ووضع بين يدي المنصور ، فسأله عن حاله
فأخبره أنه رجل من أبناء مدينة همدان ، وأر باب نعمها ، وأن واليك علينا دخل
بلدنا ، ولى ضيعة في بلدنا تساوى ألف ألف درهم ، فأراد أخذها منى ، فامتنعت
فكَبَلَنِي في الحديد ، وحملى وكتب إليك إني عاص ، فطرحت في هذا المكان ؛
فقال : منذ كم ؟ قال : منذ أربعة أعوام ، فأمر بفك الحديد عنه ، والإحسان
إليه ، والإطلاق له ، وأنزله أحسن منزل ، وردّه إليه ، فقال له : يا شيخ قد
رددنا عليك ضيعتك بخراجها ماعشت وعشنا ، وأما مدينتك همدان فقد وليناك
عليها ، وأما الوالى فقد حكمناك فيه ، وجعلنا أمره إليك ، فجزاه خيراً ، ودعاه
بالبقاء ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أما الضيعة فقد قبلتها ، وأما الولاية فلا أصلح لها ،
وأما واليك فقد عَقَوْتُ عنه ، فأمر له المنصور بمال جزيل ، وبر واسع ، واستجله
وحمله إلى بلده مكرماً ، بعد أن صرف الوالى وعاقبه على ماجنى من انحرافه عن
سنة العدل وواضحة الحق ، وسأل الشيخ مكاتبته في مهماته وأخبار بلده ،

المنصور
والشيخ
الهمداني
المظلوم

وإعلامه بما يكون من ولاته على الجريب ، ثم أنشأ المنصور يقول :

من يَصْحَبْ الدهر لا يَأْمَنُ تَصَرُّفَهُ يوما ، وللدَّهْرُ إِحْلَاءٌ وإِمْرَارُ

لكل شئ ، وإن دَامَتْ سلامته إذا انتهى فله لا بدّ إِقْصَارُ

وقال المنصور يوما لسالم بن قتيبة : ما ترى في أمر أبي مسلم ؟ قال : لو كان

فيها آلهة الا الله لفسدنا ، فقال : حسبك يا ابن قتيبة لقد أودعتها أذنا واعية

وذكر ابن دأب وغيره عن عيسى بن علي قال : مازال المنصور يشاورنا في

جميع أموره حتى امتدحه إبراهيم بن هرمة فقال في قصيدة له :

إذا ما أَرَادَ الأمرُ نَاجِي ضَمِيرِهِ فَنَاجِي ضَمِيرٍ غَيْرِ مُخْتَلَفِ الْعَقْلِ

ولم يَشْرِكِ الْأَدْنَيْنِ فِي سِرِّ أَمْرِهِ إِذَا انْتَقَضَتْ بِالأَصْبَعَيْنِ قُوَى الْحَبْلِ

ولما أَرَادَ المنصور قتل أبي مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشورة فيه فأرقه

ذلك فقال :

تَقْسَمُنِي أَمْرَانِ لَمْ أُمْتَحِنْهُمَا بِحَزْمٍ ، وَلَمْ يَعْركِ قَوَايِ الْكِرَاكِرِ

وما سَاورَ الأحْشَاءُ مِثْلَ دَفِينَةٍ مِنْ أَلَمٍ رَدَّتْهَا عَلَيْكَ الْمَصَادِرِ

وقد عَلِمْتَ أَبْنَاءَ عَدَنَانَ أَنَّنِي عَلَى مِثْلِهَا مَقْدَامَةٌ مُتَجَاسِرِ

وقد كان عبد الله بن علي خالف على المنصور ، ودعا إلى نفسه من كان معه

من أهل الشام ، وزعم أن السفاح جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان ،

فلما بلغ المنصور ذلك من فعل عبد الله كتب إليه :

سَأَجْعَلُ نَفْسِي مِنْكَ حَيْثُ جَعَلْتَهَا وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ لَهَا عَوَاقِبُ

ثم بعث إليه بأبي مسلم ، فكانت له معه حروب كثيرة ببلاد نصيبين المعروفة

بدير الأعور ، وصبر الفريقان شهورا على حربها ، واحتفروا الخنادق ، ثم انهزم

عبد الله بن علي فيمن كان معه ، وسار في نقر من خواصه إلى البصرة ، وعليها

أخوه سليمان بن علي عم المنصور ، فظفر أبو مسلم بما كان في عسكر عبد الله ،

كان المنصور

يستشير أصحابه

حتى مدحه ابن

هرمة بأنه

لا يستشير

خروج عبد الله

ابن علي على

المنصور

وحرورهما

فبعث إليه المنصور بيقطين بن موسى لقبض الخزانين ، فلما دخل يقطين على أبي مسلم قال : السلام عليك أيها الأمير ، قال : لا سَلمَ الله عليك يا ابن اللّخْنة أوْ تَمَنُّ على الدماء ولا أوْتَمِن على الأموال ؟ فقال له : ما بدا هذا منك أيها الأمير قال : أرسلك صاحبك لقبض ما في يدي من الخزانين ، فقال له : امرأته طالق ثلاثا إن كان أمير المؤمنين وجهي إليك لغير تهنئتك بالظفر ، فاعتنقه أبو مسلم ، وأجلسه إلى جانبه ، فلما انصرف قال لأصحابه : والله إني لأعلم أنه قد طلق زوجته ، ولكنه وَفَّى لصاحبه

وسار أبو مسلم من الجزيرة وقد أجمع على خلاف المنصور ، واجتاز على طريق خراسان متنكبا للعراق يريد خراسان ، وسار المنصور من الأنبار يريد المدائن فنزل برومية المدائن التي بناها كسرى ، وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب ، وكتب إلى أبي مسلم : إني قد أردت مذاكرتك بأشياء لم يحملها الكتاب ، فأقبل فان مقامك عندنا قليل ، فقرأ الكتاب ومضى على حاله ، فسرَح إليه المنصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي ، وكان واحداً أهل زمانه ، وداهية عصره ، وكانت المعرفة بينه وبين أبي مسلم قديمة بخراسان ، فأتاه فقال : أيها الأمير ، ضربت الناس عن عرض لأهل هذا البيت ، ثم تنصرف على هذه الحالة ؟ ما آمن أن يعيبك من هنالك ومن ههنا ، وأن يقال طلب بثأر قوم ثم تقض بيعتهم ، فيخالفك من يأمن بخالفته إياك ، وإن الأمر لم يبلغ عند خليفتك ما تسكره ، ولا أرى أن ينصرف على هذه الحال ، فأراد أن يجيب إلى الرجوع ، فقال له مالك بن الحيثم : لا تفعل ، فقال للمالك : ويلك !! لقد بليت بالبليس وما بليت بمثل هذا قط ، يعني الجريري ، فلم يزل به حتى أقبل به على المنصور ، وكان أبو مسلم يجد خبره في الكتب السالفة ونعمته ، وأنه يقتل بالروم ، وكان يكثر من قول ذلك ، وأنه يقتل بالروم على حسب ما وجد في الملاحم وأنه يميم دولة ويحيى أخرى ، فلما دخل على المنصور وقد تلقاه الناس رَحَّبَ به ، وقال له : كدت أن تمضي قبل أن أقضي عليك بما

أبو مسلم يزعم
الخروج على
المنصور فيحتال
المنصور
للوبيعة به

تريد ، قال : فقد أتيت يا أمير المؤمنين فأمر بأمرك ، فأمره بالانصراف إلى منزله ،
وانتظر فيه الفرص والغوائل ، فركب أبو مسلم إلى المنصور مرارا ، وقد أظهر له
التجسس ، فسار أبو مسلم إلى عيسى بن موسى ، وكان له فيه رأى جميل ، فسأله
الركوب معه إلى المنصور ليعذله بحضرته ، فأمره أن يتقدمه إلى المنصور فإنه بالأثر ،
فتقدم أبو مسلم إلى مضرب المنصور ، وهو على دجلة برومية المدائن ، فدخل
وجلس تحت الشراع ، وقبل الرواق ، فأخبر أن المنصور يتوضأ للصلاة ، وكان
المنصور قد تقدم إلى صاحب حرّسه عثمان في عدة فيهم شبيب بن رواح المروزي
وأبو حنيفة حرب بن قيس ، وأمرهم أن يقوموا خلف السرير الذي وراء أبي مسلم
وأمرهم أنه إذا عاتبه وظهر صوته لا يظهروا ، فإذا صفق بيد على يد فليظهروا ،
وليضربوا عنقه وما أدركوا منه بسيوفهم ، وجلس المنصور فقام أبو مسلم من
موضعه ودخل فسلم عليه ، فرد عليه ، وأذن له بالجلوس ، وحادثه ساعة ، ثم
أقبل يعاتبه ويقول : فعلت وفعلت ، فقال أبو مسلم : ليس يقال هذا إلى بعد
بلائي وما كان مني ، فقال له : يا ابن الخبيثة ، وإنما فعلت ذلك بحجّتنا وحفظنا
ولو كان مكانك أمة سوداء لأجزت ، ألسنت الكاتب إلى تبدأ بنفسك ، والكاتب
إلى تخطب آسية بنت علي ، وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله ابن العباس ،
لقد ارتقيت لا أم لك مرّتي صعبا ، فأخذ أبو مسلم بيده يركها ويقبها ويعتذر
إليه ، فقال المنصور وهو آخر ما كلمه به : قتلتني الله إن لم أقتلك ، وذكر له قتله
لسليمان بن كثير ، ثم صفق بإحدى يديه على الأخرى ، فخرج إليه القوم ، فبدره
عثمان بن نهيك فضربه ضربة خفيفة بالسيف قطعت نجاد سيف أبي مسلم ،
وضربه شبيب بن رواح فقطع رجله ، واعتورته السيوف ، فخالطت أجزاءه ، وأتى
عليه والمنصور يصيح : اضربوا قطع الله أيديكم ، وقد كان أبو مسلم على أول ضربة
قال : استبقي يا أمير المؤمنين لعدوك ، قال : لا أبقي الله أبدا إن أبقيتك ، وأى
عدو أعدى لي منك

وكان قتله في شعبان سنة ست وثلاثين ومائة ، وفيها كانت بيعة المنصور ، وهزيمة عبد الله بن علي ، وأدرج أبو مسلم في بساط ودخل عيسى بن موسى فقال : يا أمير المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟ فقال : قد كان ههنا آنفا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت طاعته ونصيحته ، ورأى إبراهيم الإمام فيه ، فقال له المنصور : يا أنوكَ خلق الله ، ما أعلم في الأرض عدوا أعدى لك منه ، ها هو ذاك في بساط ، فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ودخل عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور : ما تقول في أمر أبي مسلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم اقتل ، فقال المنصور : وقتك الله ، ها هو في البساط ، فلما نظر إليه قتيلا قال : يا أمير المؤمنين ، عد هذا اليوم أول خلافتك ، وقد كان السفاح هم بقتله برأى المنصور ، ثم رجع عن قتله ، وأقبل المنصور على من حضره وأبو مسلم بين يديه طريحا فقال :

زَعَمْتَ أَنَّ الدِّينَ لَا يَنْقُضِي فَاسْتَوْفِ بِالْكَيْلِ أَبَا مَجْرَمٍ
اشْرَبْ بِكَاسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا أَمْرًا فِي الْحَاقِ مِنَ الْعَلَقَمِ
ودعا المنصور بنصر بن مالك ، وكان على شرطة أبي مسلم ، فقال : استشارك أبو مسلم بالمسير إلى فنيهته ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدث عن أبيه قال : لا يزال المرء يزداد في عقله إذا محض النصيحة لمن شاوره ، فكنت له كذلك ، وأنا الآن لك كذلك واضطرب أصحاب أبي مسلم ففرقت فيهم الأموال ، وعلموا بقتله ، فأمسكوا رغبة ورهبة

خطبة المنصور
بعد مقتل
أبي مسلم
وخطب المنصور الناس بعد قتله أبا مسلم فقال : أيها الناس ، لا تخرجوا عن أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولا تسروا غش الأئمة ، فإن من أسرَّ غش إمامه أظهر الله سريره في فلتات لسانه ، وسقطات أفعاله ، وأبداها الله لامامه

الذى بادر بإعزاز دينه به ، وإعلاء حقه بفلجه ، إنا لم نبخسكم حقوقكم ، ولم نبخس الدين حقه عليكم ، إنه من نازعنا هذا القميص أوطأناه ما فى هذا الغمد ، وإن أبا مسلم بايعنا و بايع لنا على أنه من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا ، ثم نكث بنا هو ، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا ، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه

ولما نمى قتل أبى مسلم إلى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت من الخرمية وهى الطائفة التى تدعى بالمسلمية القائلون بأبى مسلم وإمامته ، وقد تنازعوا فى ذلك بعد وفاته : فمنهم من رأى أنه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فينا عدلا ، وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة ، وهؤلاء يدعون الفاطمية ، وأكثر الخرمية فى هذا الوقت - وهوسنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - السكورية والنورساعية ، وهاتان الفرقتان أعظم الخرمية ، ومنهم كان بابك الخرمى الذى خرج على المأمون والمعتصم بالمدائن من أرض الران وأذر بيجان ، وسنأتى على خبره وخبر مقتله فى أخبار المعتصم فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله ، وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والرى وإصبيان وأذر بيجان وكرخ أبى ذلف والبرج الموضع المعروف بالدو والدرسخان ثم ببلاد الصروان والمصيرة وأدلوخان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الأمصار ، وأكثر هؤلاء فى القرى والضياع ، وسيكون لهم عند أنفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه فى المستقبل من الزمان ، ويعرفون هؤلاء بخراسان وغيرها بالباطنية ، وقد أتينا على مذاهبهم وذكر فرقه فى كتابنا فى « المقاتلات » فاجتمعت الخرمية - حين علمت بقتل أبى مسلم - فسارت فى عسكر عظيم من بلاد خراسان إلى الرى ، فغلب عليها وعلى حرمس وما يليها ، وقبض على ما كان بالرى من خزائن أبى مسلم ، فكبى جمع يستفاد بمن حوله من أهل الجبال وطبرستان ، ولما اتصل خبر مسيره بالمنصور سرح إليه جمهور بن مروان المعجل فى عشرة آلاف رجل ، وتلاه بالعساكر ، فالتقوا بين همدان والرى على

اضطراب
خراسان لموت
أبى مسلم

الخرمية
والباطنية

طرف المفازة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وصبر الفريقان جميعا ، فقتل يستفاد وولى أصحابه فقتل منهم ستون ألفا وسبى منهم سبايا وذرارى كثيرة ، وكان بين خروجه إلى مقتله سبعون ليلة وذلك فى سنة ست وثلاثين ومائة بعد قتل أبى مسلم بأشهر وفى سنة خمس وأربعين كان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم بالمدينة ، وكان قد بويغ له فى الأمصار ، وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه ، وكان مستخفيا من المنصور ، ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعدتهم ، ولما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة دعا المنصور أبا مسلم العقيلي ، وكان شيخا ذا رأى وتجربة ، فقال له : أشر على فى خارجى خرج على ، قال : صف لي الرجل ، قال : رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا علم وزهد وورع ، قال : فمن تبعه ؟ قال : ولد على وولد جعفر وعقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير وسائر قریش وأولاد الأنصار ؛ قال له : صف لي البلد الذى قام به ، قال : بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة ، ففكر ساعة ثم قال : اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال ، فقال المنصور فى نفسه : قد خرف الرجل ، أسأله عن خارجى خرج بالمدينة يقول لي اشحن البصرة بالرجال ، فقال له : انصرف يا شيخ ، ثم لم يكن إلا يسير حتى ورد الخبر أن إبراهيم قد ظهر بالبصرة ، فقال المنصور : على بالعقيلي ، فلما دخل عليه أدناه ثم قال له : إني كنت قد شاورتك فى خارجى خرج بالمدينة فأشرت على أن أشحن البصرة ، أو كان عندك من البصرة علم ؟ قال : لا ، ولكن ذكرت لي خروج رجل إذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد ، ثم ذكرت لي البلد الذى هو فيه فإذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش ، فقلت : إنه رجل سيطلب غير موضعه ، ففكرت فى مصر فوجدتها مضبوطة ، والشام والكوفة كذلك ، وفكرت فى البصرة فحفت عليها منه ، فأشرت بشحنها ، فقال له المنصور : أحسنت ، وقد خرج بها أخوه ، فما

ظهور محمد بن
عبد الله النفس
الزكية

الرأى فى صاحب المدينة ؟ قال : ترميه بمثله ، إذا قال أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا وأنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المنصور لعيسى بن موسى : إما أن تخرج إليه وأقيم أنا أمدك بالجيوش ، وإما أن تكفيني ما أخلف ورائي وأخرج أنا إليه ، فقال عيسى : بل أقيك بنفسى يا أمير المؤمنين وأكون الذى يخرج إليه ، فأخرجه إليه من الكوفة فى أربعة آلاف فارس وألفى راجل ، وأتبعه محمد بن قحطبة فى جيش كثيف ، فقاتلوا محمدا بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ، ولما اتصل إبراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثل

أبالمنازل ياخير الفوارس من ينجع بمثلك فى الدنيا فقد نجعا
الله يعلم أنى لو خشيتهم وأوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخى لهم حتى نموت جميعا أو نعيش معا

وقد كان تفرق إخوة محمد وولده فى البلدان يدعون إلى إمامته ، فكان فيمن توجه ابنه على بن محمد إلى مصر ، فقتل بها ، وسار عبد الله إلى خراسان فهرب لما طلب إلى السند ، فقتل هناك ، وسار ابنه الحسن إلى اليمن ، فحبس فمات فى الحبس ، وسار أخوه موسى إلى الجزيرة ، ومضى أخوه يحيى إلى الرى وطبرستان ، فكان من خبر الرشيد ما سنورده فيما يرد من هذا الكتاب ، ومضى أخوه إدريس بن عبد الله إلى المغرب فأجابه خلق من الناس ، وبعث المنصور من اغتاله فيما احتوى عليه من مدن المغرب ، وقام ولده إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مقامه ، فعرف البلد بهم ، فقتل : بلد إدريس بن إدريس ، وقد اتينا على خبرهم عند ذكرنا لخبر عبد الله صاحب المغرب وبنائه المدينة المعروفة بالمهدية ، وخبر أبى القاسم ، وانتقلهم من مدينة سملية من أرض حصن إلى المغرب ، فى الكتاب الأوسط ، ومضى إبراهيم أخوه إلى البصرة وظهر بها ، فأجابه أهل فارس والأهواز وغيرها من الأمصار فى عساكر كثيرة من

أدارة المغرب
ومنشؤم

الزيدية وجماعة ممن يذهب إلى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ، ومعه عيسى ابن زيد بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فسير إليه المنصور عيسى بن موسى وسعيد بن مسلم في العساكر ، فحارب حتى قتل في الموضع المعروف بباخرى ، وذلك على ستة عشر فرسخا من الكوفة من أرض الطف ، وهو الموضع الذي ذكرته الشعراء ممن رثى إبراهيم ، فمن ذكر ذلك دعبل بن علي في قصيدة أولها

مدارس آيات خلّت من تلاوةٍ ومنزلٍ وحَيٍّ مُقَرَّرٍ العَرَصَاتِ
ومنها قوله فيهم :

قبورٌ بكوفانٍ وأخرى بطَيِّبَةٍ وأخرى بفتحٍ مالها صلوات
وأخرى بأرض الجوزجان محلها وقبر بباخرى لدى القربات
وقتل معه من الزيدية من شيعته أربعمائة رجل ، وقيل : خمسمائة

وروى بعض الأخباريين عن حماد التركي قال : كان المنصور نازلا في دير على شاطئ دجلة في الموضع الذي يسمى اليوم الجلد ، ممر مدينة السلام ، إذ أتى الربيع في وقت الهجرة ، والمنصور في البيت الذي هو فيه ، وحماد قاعد على الباب فقال : يا حماد افتح الباب ، فقلت : الساعة هجع أمير المؤمنين ، فقال : افتح ثكلك أمك ، قال : فسمع المنصور كلامه ، فنهض يفتح الباب بيده وتناول منه الخريطة ، فقرأ ما فيها من الكتب ، وتلا هذه الآية (وأقيمنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) ثم أمر باحضار الناس والقواد والموالي وأهل بيته وأصحابه ، وأمر حماد التركي بإسراج الخيل ، وأمر ابن مجالد بالتقدم ، ثم خرج كلام المنصور في شأن العلويين فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

كلام المنصور
في شأن
العلويين

مالى أكفك عن سعدٍ ويشتمنى وإن شئتُ بنى سعد لقد سكنوا
جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم لبئست الخصلتان الجهل والجبن
أما والله لقد عجزوا عن أمر قمنا له فما شكروا ولا حمدوا الكافى ، ولقد
مهدوا فاستوعروا ، وغبطوا فغمطوا ، فماذا تحاول منى أسقى رتعا على كدر ، كلا
والله ، لأن أموت معرزا أحب إلى أن أحيأ مستذلا ، ولئن لم يرض العفو منى
ليطلبن مالا يوجد عندى ، والسعيد من وعظ بغيره ، ثم نزل ، فقال : يا غلام ، قدم
فركب من فوره إلى معسكره ، وقال : اللهم لاتكنا إلى خلقك فنضيع ، ولا
إلى أنفسنا فنعجز

وذكر أن المنصور هيئت له عجة من مخ وسكر فاستطابها ، فقال : أراد
إبراهيم يحرمنى هذا وأشباهه

وذكر أن المنصور قال يوما لجلسائه بعد قتل محمد وإبراهيم : تالله ما رأيت
رجلا انصح من الحجاج لبنى مروان ، فقام المسيب بن زهرة الضبى فقال :
يا أمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه ، والله ما خلق الله على جديد الأرض
خلقا أعز علينا من نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك ،
وفعلنا ذلك ، فهل نصحنك أم لا ؟ قال له المنصور : اجلس لاجلس

وقد ذكرنا أنه كان قبض على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضى
الله عنه وكثير من أهل بيته وذلك فى سنة أربع وأربعين ومائة فى منصرفه من
الحج ، فحملوا من المدينة إلى الربرة من جادة العراق ، وكان من حمل مع عبد الله
ابن الحسن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ، وأبو بكر بن الحسن بن الحسن ، وعلى
الحبر ، وأخوه العباس ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن ، والحسن بن جعفر بن
الحسن بن الحسن ، ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو
عبد الله بن الحسن بن الحسن لأمه فاطمة ابنة الحسين بن علي وجدتهما فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجرد المنصور بالربرة محمد بن عبد الله بن

قبض على
كثير من
العلوين
وحبسوا

عمرو بن عثمان فضربه ألف سوط ، وسأله عن ابني أخيه محمد وإبراهيم ، فأنكر أن يعرف مكانهما ، فسألت جدته العثماني في ذلك الوقت ، وارتحل المنصور عن الربذة وهو في قبة ، وأوهن القوم بالجهد ، فحملوا على المحامل المكشفة ، فمربهم المنصور في قبته على الحمار فصاح به عبد الله بن الحسن : يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر ، فصيروهم إلى الكوفة ، وحبسوا في سرداب تحت الأرض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل ، وخلي منهم سليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن ابن الحسن وموسى بن عبد الله بن الحسن والحسن بن جعفر ، وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا ، وذلك على شاطئ الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة ، ومواضعهم بالكوفة تزار في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وكان قد هدم عليهم الموضع وكانوا يتوضئون في مواضعهم ، فاشتدت عليهم الرائحة ، فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل إليهم شيئاً من الغالية فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة ، وكان الورم في أقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموت صاحبه ، وذكر أنهم لما حبسوا في هذا الموضع أشكل عليهم أوقات الصلاة فجزوا القرآن خمسة أجزاء ، فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من حربه ، وكان عدد من بقى منهم خمسة ، فمات إسماعيل بن الحسن فترك عندهم فبحيف ، فصعق داود بن الحسن فمات ، وأتى برأس إبراهيم بن عبد الله فوجه به المنصور مع الربيع إليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبد الله يصلي فقال له إدريس أخوه : أسرع في صلاتك يا أبا محمد فالتفت إليه وأخذ الرأس فوضعه في حجره وقال له : أهلاً وسهلاً يا أبا القاسم ، والله لقد كنت من الذين قال الله عز وجل فيهم (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل - إلى آخر الآية) فقال له الربيع : كيف أبو القاسم في نفسه ؟ قال : كما قال الشاعر :

فتى كان يحميه من الذل سيفه ويكفيه أن يأتي الذنوب اجتنابها
(١٥ - ٣)

ثم التفت إلى الربيع فقال : قل لصاحبك قد مضى من يومنا أيام والملتقى
القيامة ، قال الربيع : فما رأيت المنصور قط أشد انكسارا منه في الوقت الذي
بلغته فيه الرسالة ، فأخذ هذا المعنى العباس بن الأحنف فقال :

فان تلحظي حالي وحالك مرةً بنظرة عين عن هوى النفس تحجب

تري كل يوم بين يومين عيشتي تمر بيوم من نعيمك تحسب

قال المسعودي : ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وأهل بيته صعد المنبر

بالحاشمية فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أهل

خراسان ، أنتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دعوتنا ، ولو يايتم غيرنا لم تبايعوا خيرا

منا ، إن ولد ابن أبي طالب تركناهم والذي لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض

لهم لابقيل ولا بكثير ، فقام فيها على بن أبي طالب رضى الله عنه فما أفلح ،

وحكم الحكمين ؛ فاختلفت عليه الأمة ، واقتربت الكلمة ، ثم وثب عليه شيعته

وأنساره وثقاته فقتلوه ، ثم قام بعده الحسن بن علي رضى الله عنه فوالله ما كان

برجل ، عرضت عليه الأموال فقبلها ، ودس إليه معاوية إني أجعلك ولي

عهدي فخلعه وانسأخ له مما كان فيه ، وسلمه إليه ، وأقبل على النساء يتزوج

اليوم واحدة ويطلق غدا أخرى ، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه ، ثم

قام من بعده الحسين بن علي رضى الله عنه فخذعه أهل العراق وأهل الكوفة

أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن إلى هذه المدرة السوء ، وأشار إلى الكوفة ،

فوالله ما هي بحرب فأحاربها ، ولا هي بسلم فأسلمها . فرق الله بيني وبينها ، فخذلوه

وأبرؤا أنفسهم منه ، فأسلموه حتى قتل ، ثم قام بعده زيد بن علي فخذعه أهل

الكوفة وغروه ، فلما أظهروه وأخرجوه أسلموه ، وقد كان أبي محمد بن علي

ناشده الله في الخروج ، وقال له : لا تقبل أقاويل أهل الكوفة فانا نجد في علمنا

أن بعض أهل بيتنا يصاب بالكناسة ، وأخشى أن تكون ذلك المصلوب ،

وناشده الله بذلك عمي داود وتحذره رحمه الله عن زاهد الكوفة ، فلم يقبل ، وتم

على خروجه ، فقتل وصلب بالسكناسة ، ثم وثب بنو أمية علينا فأماوا شرفنا ، وأذهبوا عزنا ، والله ما كان لهم عندنا ترة يطلبونها ، وما كان ذلك كله إلا فيهم وبسبب خروجهم ، فنقونا عن البلاد ، فصرنا مرة بالطائف ، ومرة بالشام ، ومرة بالسراة ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا ، فأحيا الله شرفنا وعزنا بكم ، وأظهر لنا حقنا ، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقر الحق في قراره ، وأظهر الله مناره ، وأعز أنصاره ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله وحكمه العدل وثبوا علينا ، حسداً منهم وبغياً لهم ، بما فضلنا الله به عليهم ، وأكرمنا من خلافته ، ميراثنا من نبيه ، وجبنا من بنى أمية ، وجراءة علينا ، إني والله يا أهل خراسان ما أتيت ما أتيت من هذا الأمر من جهالة ، ولقد كنت يبالغني عنهم بعض السقم ولقد كنت سميت لهم رجلاً قتل : قم أنت يا فلان ، فخذ معك من المال كذا وكذا ، وقم أنت يا فلان فخذ معك من المال كذا وكذا ، وحذوت لهم مثلاً يعملون عليه ، فخرجوا حتى أتوا المدينة فدمسوا ذلك المال ، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير إلا بايعهم لى ، فاستحللت به دماءهم ، وحكمت عند ذلك بنقضهم بيعتى وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج على ، ثم قرأ فى درج المنبر (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل إنهم كانوا فى شك مريب) .

قال المسعودى : وقال المنصور للربيع يوما : اذكر حاجتك ، قال : يا أمير المؤمنين ، حاجتى أن تحب الفضل ، فقال له : ويحك !! إن الحجة إنما تقع بأسباب قال : يا أمير المؤمنين ، قد أمكنك الله من إيقاع السبب ، قال : وما ذاك ؟ قال : تفضل عليه ، فإنك إذا فعلت ذلك أحببك وإذا أحببك أحببته ، وإذا أحببته كبر عندك صغير إحسانه ، وصغر عندك كبير إساءته ، وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان ، وصاحبه إليك الشفيع العريان .

وقال المنصور يوما للربيع : ويحك يا ربيع !! ما أطيب الدنيا لولا الموت ،

الربيع يطلب
الى المنصور أن
يحب الفضل

قال له : ما طابت إلا بالموت ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لولا الموت لم تتعدهمنا ،
قال : صدقت .

عمرو بن عبيد
والمنصور وابنه
المهدي

وذكر إسحق بن الفضل قال : بينا أنا على باب المنصور إذ أتى عمرو بن
عبيد فنزل عن حماره ، وجلس ، فخرج إليه الربيع ، فقال : قم أبا عثمان ، بأبي
أنت وأمي ، فلما دخل على أبي جعفر أمر أن تفرش له لبود بقربه وأجلسه إليه
بعد ما سلم ، ثم قال : يا أبا عثمان ، عطى بموعظة ، فوعظه بمواعظ ، فلما أراد
النهوض قال : أمرنا لك بعشرة آلاف ، قال : لاحاجة لي فيها ، قال أبو جعفر :
والله لتأخذنها ، قال : لا والله لا أخذها ، وكان المهدي حاضرا ، فقال : يحلف
أمير المؤمنين وتحلف ؟ فالتفت عمرو إلى أبي جعفر فقال : من هذا الفتى ؟ قال :
هذا محمد ابني ، وهو المهدي ، وهو ولي عهدي ، قال : أما والله لقد ألبسته لباسا
ما هو من لباس الأبرار ، ولقد سميت به باسم ما استحقته عملا ، ولقد مهدت له أمتع
ما يكون عنه ، ثم أقبل عمرو على المهدي فقال : نعم يا ابن أخي ، إذا حلف أبوك
أحشته عمك ؛ لأن أباك أقوى على الكفارات من عمك ، فقال له المنصور : هل
لك من حاجة يا أبا عثمان ؟ قال : نعم ، قال : ماهي ؟ قال : أن لا تبعث إلي حتى آتيك
قال : لماذا لا تلتقي ، قال : هي حاجتي ، فمضى واتبعه المنصور بطرفه ، ثم قال :
كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدي ، فقال له : يا أبا عثمان
هذا ابن أمير المؤمنين ، وولي عهد المسلمين ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ،
أراك قد وطلدت له الأمور ، وهي تصير إليه ، وأنت عنه مسؤول ، فاستعبر المنصور
وقال له : عطاني يا عمرو ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ،
فاشتر نفسك منه ببعضها ، وإن هذا الذي في يديك لو بقي في يد غيرك لم يصل
إليك ، فاحذر ليلة تمخض بيوم لاليلة بعده ، وأنشد :

يا أيها الذي قد غره الأمل ودون ما يأمل التنغيص والأجل
ألا ترى إنما الدنيا وزينتها كمنزل الركب حأوا نمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد وصفوها كدر وملكها دؤل
تظلّ تفرع بالروعات ساكنها فما يسوغ له لين ولا جدل
كأنه للمنايا والردي غرض تظل فيه بنات الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يرصدها وكل عثرة رحل عندها زلل
والمرء يسعى لما يبقى لوارثه والقبر وارث ما يسعى له الرجل

ومات عمرو بن عبيد في أيام المنصور سنة أربع وأربعين ومائة ، ويكنى
أبا عثمان ، وهو عمرو بن عبيد بن رباب ، مولى بني تميم ، وكان جده رباب من
سبي كابل من رجال السند ، وكان شيخ المعتزلة ومفتيها ، وله خطب ورسائل
وفي سنة إحدى وأربعين ومائة شخص المنصور إلى بيت المقدس فولى فيه
لنذر كان عليه وانصرف

وفي سنة ست وأربعين ومائة مات هشام بن عروة ، وهو ابن خمس وثمانين ،
وكان إذا أسمعته رجل كلاما قال : أنا أرفع نفسي ، ثم نازع ابن الحسين على فأسرع
إليه هشام ، فقال له علي : إني أدعوك إلى ما كنت تدعو إليه ، وفي سنة خمسين
ومائة مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت مولى تيم اللات من بكر بن وائل في أيام
المنصور ببغداد ، توفي وهو ساجد في صلاته ، وهو ابن تسعين سنة ، وفي سنة
سبع وخمسين مات الأوزاعي ، ويكنى أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو من أهل
الشام ، وإنما كان منزله فيهم - أعني الأوزاع - ولم يكن منهم ، وذلك بدمشق
في آخر أيام المنصور ، وله تسعون سنة ، وفي سنة ست وخمسين ومائة مات
سوار بن عبد الله القاضي ، وفي سنة أربع وخمسين ومائة مات أبو عمرو بن العلاء
في أيام المنصور

وطال حبس عبد الله بن علي بأمر المنصور ، وأقام في محبسه تسع سنين ،

وفاة عمرو
ابن عبيد

وفاة هشام
ابن عروة
وأبي حنيفة
الفقيه والمحدث
الأوزاعي وأبي
عمرو بن العلاء

مقتل
عبد الله بن علي

فلما أراد المنصور الحج في سنة تسع وأربعين ومائة حوله من عنده إلى عيسى ابن موسى ، وأمره بقتله وأن لا يعلم بذلك أحدا ، فاستشار عيسى بن موسى ابن شبرمة ، فقال له : لا تفعل ، فأبى أن يقتله ، وأظهر لأبي جعفر أنه قتله ، وشاع ذلك ، فكلم بنو علي عيسى بن موسى في عبد الله بن علي فقال : قد قتلته ، فارجعوا إلى أبي جعفر فقالوا : زعم عيسى أنه قد قتله ، فأظهر أبو جعفر الغضب على عيسى ، وقال : يقتل عمي ، والله لأقتلنه ، وكان أبو جعفر أحب أن يكون عيسى قتله فيقتله به فيستريح منهما جميعا ، قال : فدعا به ، فقال : لم قتلت عمي ؟ قال : أنت أمرتني بقتله ، قال : لم أمرك بذلك ، فقال : هذا كتابك إلى فيه ، قال : لم أكتبه ، فلما رأى الجدمن المنصور وتخوف على نفسه قال : هو عندي لم أقتله ، قال : ادفعه إلى أبي الأزهر المهلب بن أبي عيسى ، فلم يزل عنده محبوسا ، ثم أمره بقتله ، فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ، ثم مده على الفراش ، ثم أخذ الجارية ليخنقها فقات : يا عبد الله ، قتلة غير هذه ، فكان أبو الأزهر يقول : ما رحمت أحدا قتلته غيرها ، فصرفت وجهي عنها ، وأمرت بها فخنقت ، ووضعتها معه على الفراش ، وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنقين ، ثم أمرت بالبيت ، فهدم عليهما ، ثم أحضرنا القاضي ابن علام وغيره فنظروا إلى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ، ثم أمر به فدفن في مقبرة أبي سويد بباب الشام من بغداد في الجانب الغربي قال المسعودي : وذكر عبد الله بن عياش المنتوف قال : قال المنصور يوما ونحن عنده : أتعرفون جبارا أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين ، وجبارا أول اسمه عين ، وجبارا أول اسمه عين ، قال : قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فقال المنصور : أتعرفون خليفة أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين ، وجبارا أول اسمه عين ، وجبارا أول اسمه عين ،

قلت : نعم ، أنت يا أمير المؤمنين قتلت عبد الرحمن بن مسلم ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن ، وعمك عبد الله بن علي سقط عليه البيت ، قال : فإذنبى إن كان سقط عليه البيت ؟ قلت : لا ذنب لك ، فتبسم ثم قال : هل تحفظ الأبيات التى قالتها زوجة الوليد أخت عمرو بن سعيد وهى حاسرة تشد :

أيا عين جودى بالدموع على عمرو عشيّة أوتينا الخلافة بالقهر
غدرتم بعمرو يا بنى خيط باطل وكلكم يبنى البيوت على غدر
وما كان عمرو عاجزاً غير أنه أته المنايا بغتة وهو لا يدري
كان بنى مروان إذ يقتلونه خشاش من الطير اجتمعن على صقر
لحى الله دنيا تعقب الذل أهلها وتهتك ما بين الأقربة من ستر
ألا يلقو مى للوفاء وللغدر وللمفلقين الباب قسراً على عمرو
فرحنا وراح الشامتون عشيّة كأن على أعناقهم فلق الصخر

قال ابن عياش : فقال المنصور : فما الأبيات التى بعث بها عمرو إلى عبد الملك

ابن مروان ؟ قال : قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين كتب إليه :

يريد ابن مروان أموراً أظنها ستحميه منى على مَرَّ كَبْ صَعْبٍ
لينقض عهداً كان مروان شده وأدرك فيه بالقطيعة والكرب
فقدّمته قبلى وقد كنت قبله ولولا انقيادى كان كرب من الكرب
وكان الذى أعطيت مروان هفوة عنفت بها رأيا وخطباً من الخطب
فان تفتدوا الأمر الذى كان بيننا قفلنا جميعاً بالسهولة والرحب
وإن يعطها عبد العزيز ظلامة فأولى بها منا ومنه بنو حرب

وكان مولد المنصور فى السنة التى مات فيها الحجاج بن يوسف ، وهى سنة خمس وتسعين ، وكان يقول : ولدت فى ذى الحجة ، وأعذرت فى ذى الحجة ، ووليت الخلافة من ذى الحجة ، وأحسب الأمر يكون فى ذى الحجة ، فكان كما ذكر

وحدث الفضل بن الربيع قال : كنت مع المنصور في السفر الذي مات فيه وفا المنصور
فنزّل منزلاً من المنازل ، فبعث إلىَّ وهو في قبة ووجهه إلى الحائط ، فقال لي :
ألم أنْهَكَ أن تدع العامة يدخلوا هذه المنازل فيكتبوا فيها ما لا خير فيه ، قلت :
وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : أما ترى على الحائط مكتوباً

أَبَا جَعْفَرٍ ، حانت وفاتك وانْقَضَتْ سِنُوكَ وَأَمَرَ اللَّهُ لَا بُدَّ نَازِلِ

أَبَا جَعْفَرٍ ، هل كاهنٌ أو منجِّمٌ يرد قضاء الله أم أنت جاهل

قال : قلت : والله ما أرى على الحائط شيئاً ، وإنه لنقى أبيض ، قال : الله ؟
قلت : الله ، قال : إنها والله إذا نفسي نعتت إلى الرحيل ، بادرني إلى حرم ربي
وأمنه هارباً من ذنوبي وإسرافي على نفسي ، فرحلنا وقد ثقل ، حتى إذا بلغنا
بئر ميمون ، قلت له : هذه بئر ميمون ، وقد دخلت الحرم ، فتوفى بها

وكان من الخزم وصواب الرأي وحسن السياسة على ما تجاوز كل وصف ،
وكان يعطى الجزيل والخطير ، ما كان عطاؤه حزماً ، ويمنع الحقير اليسير ما كان
حزم المنصور وتركته

إعطاؤه تضييعاً ، وكان كما قال زياد : لو أن عندى ألف بعير وعندى بعير أجرب
لقت عليه قيام من لا يملك غيره ، وخلف ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر
ألف ألف دينار ، وكان مع هذا يرض بماله ، وينظر فيما لا ينظر فيه العوام ،
ووافق صاحب مطبخه على أن له الرؤوس والأكارع والجلود ، وعليه الحطب
والتوابل ، ومن كرمه أنه وصل عمومته وهم عشرة في يوم واحد بعشرة آلاف

درهم ، وأسماؤهم : عبد الله بن علي ، وعبد الصمد بن علي ، وإسماعيل بن علي ،
وعيسى بن علي ، وداود بن علي ، وصالح بن علي ، وسليمان بن علي ، وإسحق

ابن علي ، ومحمد بن علي ، ويحيى بن علي ، وكان يعمل في بناء مدينة بغداد التي
بناها وعرفت به في كل يوم خمسون ألف رجل ، وكان له من الولد : المهدي وجعفر ،
وأُمهما أم موسى الحميرية ، وتوفى جعفر في حياة أبيه المنصور ، وسليمان وعيسى
ويعقوب وجعفر الأصغر ، من كردية ، وصالح الملقب بالمستكين وبنت تسمى عالية

قال المسعودي : وللمنصور أخبار حسان مع الربيع وعبد الله بن عياش وجعفر ابن محمد وعمرو بن عبيد وغيرهم ، ولهم خطب ومواعظ وسير وسياسات في الملك قد أتينا على أكثرها في كتابنا أخبار الزمان ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لما تدلُّك على ما سبق في كتبنا ، والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر خلافة المهدي محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس

ويكنى أبا عبد الله ، وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن أبي سرح ، من ولد ذي رعين من ملوك حمير

أخذ له البيعة بمكة الربيع مولاة يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وأتاه ببيعته منارة مولاة ، فأقام يومين بعد ذلك ، ثم خطب الناس ، وبويع بيعة العامة ، وكان مولده سنة سبع وعشرين ومائة ، وخرج من مدينة السلام في سنة سبع وستين ومائة يريد بلاد قرماسين من بلاد الدينور ، وقد وصف له طيب ماسبذان وادبوحان فعدل إلى الموضع المعروف بأودالدان ، فأت بقرية يقال لها رزين ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم سنة سبع وستين ومائة ، فكانت خلافته عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما ، وقبض وله ثلاث وأربعون سنة ، وصلى عليه هرون الرشيد ، وكان موسى الهادي غائبًا بخرجان ، وقيل : إنه مات مسموما في قطائف أكلها ، وابست حسنة وغيرها من حشمة المسوح والسواد جزعا عليه ، فقال في ذلك أبو العتاهية :

وحسن في الوشى فأصبح ن عليهن المسوح
كل نطّاح وإن عا ش له يوما نطوح
لست بالباقي ولو عُمِّرتَ ما عمر نوح
فعلى نفسك نُحْ إن كنت لأبدُ تنوح

مجلد تاريخه

ونذكر جملا من أخباره ولمعا بما كان في أيامه

شريك القاضي والمهدي ذكّر الفضل بن الربيع قال : دخل شريك على المهدي يوما ، فقال له : لا بد أن يجيئني إلى خصلة من ثلاث ، قال : وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : إما أن تلي القضاء ، أو تحدث ولدي وتعلمهم ، أو تأكل أكلة ، ففكر ثم قال : الأكلة أخفهن على نفسي ، فاحتبس وقدم إلى الطباخ أن يصلح له ألوانا من المنح المقود بالسكر الطبرزد والعسل ، فلما فرغ من غذائه قال له التميمي على المطبخ : يا أمير المؤمنين ، ليس يفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبدا ، قال الفضل بن الربيع : فحدثهم والله شريك بعد ذلك ، وعلم أولادهم ، وولى القضاء لهم ، ولقد كتب بأرزاقه إلى الجيهذ فضايقه في النقص ، فقال له الجيهذ : إنك لم تبع برا ، قال له شريك : بلى والله لقد بعث أكبر من البر ، لقد بعث ديني

المهدي وصاحب المبقلة التي أطعمه البقل والسكرات وقال الفضل بن الربيع : خرج المهدي متنزها ومعه عمرو بن ربيع مولاه ، وكان شاعرا ، فانقطع عن العسكر ، والناس في الصيد ، وأصاب المهدي جوع شديد ، فقال لعمرو : ويحك !! ألا إنسانا عنده ما نأكل ، فما زال عمرو يطوف إلى أن وجد صاحب مبقلة وإلى جانبها كرخ له ، فقعده إليه ، فقال له : هل عندك شيء يؤكل ؟ قال : نعم ، رقاق من خبز شعير وزبيب ، وهذا البقل والسكرات ، فقال له المهدي : إن كان عندك زيت فقد أكملت ، قال : نعم ، عندى فضلة منه فقدم إليهما ذلك ، فأكلا أكلا كثيرا ، وأمعن المهدي حتى لم يبق فيه فضل ، فقال لعمرو : قل شعرا و صِفْ ما نحن فيه ، فقال عمرو :

إنَّ من يطعم الزبيب بالزيت وخبز الشعير بالسكرات
لحقيق بصفعة أو بثنتين لسوء الصنيع أو بثلاث
فقال المهدي : بش والله ما قلت ، ولكن أحسن من ذلك :
لحقيق بيدرة أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث

ووافى العسكر، واحتمته الخزائن والخدم والموكب، فأمر لصاحب البقعة

بثلاث بدر دراهم،

المهدى
والاعرابي
الذي سقاه
النبيذ

قال : وعاربه فرسه مرة أخرى ، وقد خرج للصيد ، فدفع إلى خباء أعرابي وهو جائع ، فقال : يا أعرابي ، هل عندك قرى فاني ضيفك ؟ قال : أراك جسيما عميما ، فان احتمات قربنا لك ما يحضرنا ، قال : هات ما عندك ، فأخرج له فضلةً نبيذ في ركوة ، فشرب الأعرابي واحدا وسقاه ، فلما شرب قال له المهدى : أتدرى من أنا ؟ قال : لا والله ، قال : أنا من خدم الخاصة ، قال : بارك الله في موضعك وحبائك من كنت ، ثم شرب الأعرابي قدحا وسقاه ، فلما شرب قال : يا أعرابي ، أتدرى من أنا ؟ قال : نعم ذكرت أنك من خدم الخاصة ، قال لست كذلك ، قال : فمن أنت ؟ قال : أنا أحد قواد المهدى ، قال : رحب دارك ، وطاب مزارك ، ثم شرب الأعرابي قدحا وسقاه ، فلما شرب الثالث قال : يا أعرابي ، أتدرى من أنا ؟ قال : نعم ، زعمت أنك أحد قواد المهدى ، قال : فلست كذلك ، قال : فمن أنت ؟ قال : أمير المؤمنين ، فأخذ الأعرابي ركوته فوكاها ، فقال له المهدى : اسقنا ، قال : لا والله لا تشرب منها جرعةً فإ فوقها ، قال : ولم ؟ قال : سقيتك قدحا فزعمت أنك من خدم الخاصة ، فاحتملناها لك ، ثم سقيتك آخر فزعمت أنك أحد قواد المهدى ، ثم سقيتك الثالث فزعمت أنك أمير المؤمنين ، ولا والله ما آمن أن أسقيك الرابع فتقول إنك رسول الله ، فضحك المهدى ، وأحاطت به الخيل ، فنزل إليه أبناء الملوك والأشراف ، فطار قلب الأعرابي ، فلم يكن له همه إلا النجاء ، فقال له المهدى : لا بأس عليك ، وأمر له بصيلةٍ وكسوة وبزة وآلة ، فقال : أشهد أنك صادق ، ولو ادعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها ، فضحك المهدى منه حتى كاد أن يقع عن فرسه حين ذكر الرابعة والخامسة ، وجعل له رزقا وألحقه بخواصه

وكان وزيره أبو عبد الله معاوية بن عبد الله الأشعري ، وهو جد محمد بن

عبد الوهاب ، وكان كاتبه قبل الخلافة ، فقتل المهدي ابنا لأبي عبد الله على وزراء المهدي الزندقة ، فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه ، وعاش أبو عبد الله إلى سنة سبعين ومائة ، ثم اختص المهدي يعقوب بن داود السلمي ، وخرج كتابه على الدواوين إن أمير المؤمنين قد آخاه ، وكان يصل إليه في كل وقت دون الناس كلهم ، ثم اتهمه بشيء من أمر الطالبين ، فهم بقتله ، ثم حبسه إلى أيام الرشيد فأطلقه الرشيد ، وقد قيل في أمره : إنه كان يرى الإمامة في الأكبر من ولد العباس ، وإن غير المهدي من عمومته كان أحق بها منه .

وكان المهدي محبباً إلى الخاص والعام ؛ لأنه افتتح أمره بالنظر في المظالم ، والكف عن القتل ، وأمن الخائف ، وإنصاف المظلوم ، وبسط يده في الاعطاء ، فآذنب جميع ما خلفه المنصور ، وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار ، سوى ما جباه في أيامه ، فلما تفرغت بيوت الأموال أتى أبو حارثة الهندي خازن بيوت أمواله فرمى بالمفاتيح بين يديه ، وقال : مامعنى مفاتيح لبيوت فرغ ؟ ففرق المهدي عشرين خادماً في جباية الأموال ، فوردت الأموال بعد أيام قلائل ، فتشاغل أبو حارثة عن الدخول على المهدي ثلاثة أيام ، فلما دخل عليه قال : ما أخرجك ؟ فقال : الشغل بتصحيح الأموال ، فقال : أنت أعراي أحق ، كنت تظن أن الأموال لاتأتينا إذا احتجنا إليها ، قال أبو حارثة : إن الحادثة إذا حدثت لم تنتظرك حتى توجه في استخراج الأموال وحملها ، وقيل : إنه فرق في عشرة أيام من صلب ماله عشرة آلاف درهم ، فعند ذلك قام شبة بن عقال على رأسه خطيباً فقال : وللمهدي أشباه ، فمنها القمر الزاهر ، والربيع الباكر ، والأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، فأما القمر الزاهر فأشبهه منه حسنه وبهاه ، وأما الربيع الباكر فأشبهه منه طيبه وهواه ، وأما الأسد الخادر فأشبهه منه غرته ومضاه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه منه جوده وسخاه .

وكانت الخيزران أم المهدي والرشيد في دارها المعروفة بأساس ، وعندها

أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بنى هاشم ، وهن على بساط أرمنى ، وهى على نمارق أرمنية ، وزينب بنت سليمان بن على أعلاهن مرتبة ، فبينما هى كذلك إذ دخل خادم لها فقال : بالباب امرأة ذات حسن وجمال فى أطوار رثة تأبى أن تخبر باسمها وشأنها غيركم ، وتروم الدخول عليكم ، وقد كان المهدى تقدم إلى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان بن على ، وقال لها : اقتبسى من آدابها ، وخذى من أخلاقها ، فانها تجوز لنا قد أدركت أوائلنا ، فقالت الخيزران للخادم : ائذن لها ، فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال فى أطوار رثة ، فتكلمت فأوضحت عن بيان على لسان ، فقالوا لها : من أنت ؟ قالت : أنا مزينة امرأة مروان بن محمد ، وقد أصرانى الدهر إلى ما ترى ، ووالله ما الأطوار الرثة التى على الإعارية ، وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر وصار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة على ما نحن فيه من الضرر على بادرة إلينا تزيل موضع الشرف ، فقصدناكم لنكون فى حجابكم على أية حالة كانت ، حتى تأتى دعوة من له الدعوة ، فاغرورت عينا الخيزران ، ونظرت إليها زينب بنت سليمان بن على ، فقالت : لاخفف الله عنك يا مزينة أذكركين وقد دخلت إليك بجران وأنت على هذا البساط بعينه ، فكلمتك فى جثة إبراهيم الامام فانهرتينى وأمرت باخراجى ، وقلت : مالى النساء والدخول على الرجال فى آرائهم ؟ فوالله لقد كان مروان أرمى للحق منك ، لقد دخلت إليه فحلف أنه ما قتله ، وهو كاذب ، وخيرنى بين أن يدفنه أو يدفع إلى جثته ، وعرض على مالا فلم أقبله ، فقالت مزينة : والله ما نظن هذه الحالة أدنى إلى ماترينه إلا بالفعال الذى كان منى ، وكأنتك استحسنيتيه فخرّضت الخيزران على فعل مثله ، إنما كان يجب أن تحضيها على فعل الخير وترك المقابلة بالشر ؛ لتحرز بذلك نعيمها ، وتصون بهاديتها ، ثم قالت لزينب : يا بنت عم ، كيف رأيت صنيع الله بنا فى العقوق فأحببت التأسى بنا ؟ ثم ولّت باكية ، فغمزت الخيزران بعض جواربها ، فعدلت بها إلى بعض المقاصير ، وأمرت بتغيير حالها ، والاحسان

مزينة امرأة
مروان بن محمد
والخيزران
وزينب بنت
سليمان بن على

إليها ، فلما دخل المهدي عليها ، وقد انصرفت زينب ، وكان من شأنه الاجتماع مع خواص حرمه في كل عشية ؛ قصّت الخيزران عليه قصتها ، وما أمرت به من تغيير حالها ، فدعا بالجارية التي ردها ، فقال لها : لما رددتها إلى المقصورة ما الذي سمعتها تقول ؟ قالت : لحقتها في الممر الفلاني وهي تبكي في خروجها مؤتسية وهي تقرأ (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) ثم قال للخيزران : والله والله لو لم تفعل بها ما فعلت ما كلمتك أبدا ، وبكي بكاء كثيرا ، وقال : اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة ، وأنكر فعل زينب ، وقال : لولا أنها أكبر نساءنا لحلفت أن لا أكلمها ، ثم بعث إليها بعض الجوارى إلى مقصورتها التي أخلت لها ، وقال للجارية : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها : يا بنت عم ، إن أخواتك قد اجتمعن عندي ، ولولا أني ابن عمك لجئناك ، فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدي ، وقد حضرت زينب بنت سليمان ، فجاءت مزينة تسحب أذيالها ، فأمرها بالجلوس ، ورحّب بها ، ورفع منزلتها فوق منزلة زينب بنت سليمان بن علي ، ثم تفاوضوا أخبار أسلافهم ، وأيام الناس ، والدولة وتنقلها ، فما تركت لأحد في المجلس كلاما ، فقال لها المهدي : يا بنت عم ، والله لولا أني لأحب أن أجعل لقوم أنت منهم في أمرنا شيئا لتزوجتك ، ولكن لا شيء أصون لك من حجابي ، وكونك مع أخواتك في قصرى : لك ما هن ، وعليك ما عليهن ، إلى أن يأتيك أمر من له الأمر فيما حكم به على الخلق ، ثم أقطعها مثل ما هن من الاقطاع ، وأخدمها وأجازها ، فأقامت في قصره إلى أن قضى المهدي وأيام الهادي وصدرا من أيام الرشيد ، وماتت في خلافته ، لا يفرق بينها وبين نساء بنى هاشم ، فلما قبضت جزع الرشيد والخدم جزعا شديدا .

عبد الله بن
عمرو بن عتبة
يعزى المهدي
في المنصور

وحدثنا الرياشي ، عن الأصمعي ، قال : دخل عبد الله بن عمرو بن عتبة على المهدي يعزى بالمنصور ، فقال : آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ،

وبارك الله له فيما خلفه فيه ، ولا مصيبة أعظم من إمام والد ، ولا عقى أجل من خلافة الله على أولياء الله ، فاقبل يا أمير المؤمنين العتية ، واحتسب عند الله أفضل الرزية .

ولما كثر تشييب أبي العتاهية بعتبة جارية الخيزران شكت إلى مولاهما تشييب أبي العتاهية بجارية الخيزران ما يلحقها من الشناعة ، ودخل المهدي وهي تبكي بين يدي الخيزران ، فسألها عن خبرها ، فأخبرته ، فأمر باحضار أبي العتاهية ، فأدخل إليه ، فلما وقف بين يديه قال : أنت القائل في عتبة :

الله بيني وبين مولاتي أبدت لي الصد والملمات

ومتي وصلتك حتى تشكو صدها عنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، فانا الذي أقول :

يا ناق حثي بنا ولا تهني نفسك فيما ترين راحت

حتى تجيئي بنا إلى ملك توجّه الله بالمهابات

يقول للريح كلما عصفت : هل لك ياريح في مباركاتي

عليه تاجان فوق مفرقه تاج جمال وتاج إخبات

قال فنكس رأسه ، ونكت بالقضيب ، ثم رفع رأسه فقال : أنت القائل :

ألا مالسيدي ماله أدلت بأجل إدلالها

وجارية من جوارى الملو لك قد أسكن الحسن سر بالها

ثم سأله عن أشياء ، فأخبره أبو العتاهية ، فأمر المهدي بجلده نحوه من حد ، وأخرج مجلودا ، فلقيته عتبة وهو على تلك الحال ، فقال :

بخ بخ يا عتب من مثلكم قد قتل المهدي فيكم قتيلا

فتغرغرت عينها ، وفاض دمعها ، وصادت المهدي عند الخيزران ، فقال : ما لعتبة تبكي ؟ قالوا : له رأت أبا العتاهية مجلودا ، وقال لها كيت وكيت ، فأمر له

بخمسين ألف درهم ، ففرقها أبو العتاهية على من بالباب ، فكتب صاحب الخبر بذلك ، فوجه إليه : ما حملك على أن أكرمك بكرامة فقسمتها ؟ فقال : ما كنت لآكل ثمن من أحببت ، فوجه إليه بخمسين ألفا أخرى ، وحلف عليه أن لا يفرقها ، فأخذها وانصرف .

قال المبرد : أهدى أبو العتاهية إلى المهدي في يوم نوروز برنية صينية فيها ثوب ممسك ، فيه سطران مكتوبان عليه بالغالية :

نفسى بشئ من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها

إني لأياس منها ثم يطعمني فيها احتقار لك للدنيا وما فيها

فهم أن يدفع إليه عتبة ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ، مع حرمتي وخدمتي تدفعني إلى بائع جرار يكتسب بالشعر ؟ فبعث إليه : أما عتبة فلا سبيل لك إليها وقد أمرنا لك بملء البرنية مالا ، فخرجت عتبة وهو يناظر الكتاب ، ويقول : إنما أمر لي بدنانير ، وهم يقولون بدراهم ، فقالت : أما لو كنت عاشقا لعبتة لما اشتغلت بتمييز العين من الورق

وكان أبو العتاهية بائع جرار ، وكان أقدر الناس على وزن الكلام ، وكان حلو الألفاظ ، حتى إنه يتكلم بالشعر قد جعله شعرا وشارا ، واجتمع أبو نواس وجماعة فدعا أحدهم بماء فشرب ثم قال

* عذب الماء وطابا *

ثم قال لهم : أجيئوا ، فلم يحضر أحدهم ما يجانسه في سهولته وقرب مأخذه ، حتى جاء أبو العتاهية ، فقال : فيم أنتم ؟ فأعلموه وأنشدوه القسم ، فقال :

* حبذا الماء شرابا *

ومن مختار شعره في عتبة :

بالله يا حلوة العينين زوريني قبل الممات ، وإلا فاستزيريني

هذان أمران فاخترى أحبهما إليك أولا فدأى الموت يدعوني
 إن شئت موتاً فأنت الدهر مالكة روحى، وإن شئت أن أحيأ فأحيينى
 يا عتب ما أنت إلا بدعة خلقت من غير طين، وخلق الناس من طين
 إنى لأعجب من حب يقربنى ممن يباعدى عنه ويقصينى
 لو كان ينصفنى مما كلفت به إذا رضيت وكان النصف يرضينى
 يا أهل ودّى إنى قد لطفت بكم فى الحب جهدى ولكن لا تبالونى
 الحمد لله قد كننا نظنكم من أرحم الناس طرا بالمساكين
 أما الكثير فلا أرجوه منك، ولو أطمعتنى فى قليل كان يكفينى
 ومن مختار شعره فيها قوله :

ألا يا عتب يا قمر الرصافه ويا ذات الملاحه والنظافه
 رزقت مودتى ورزقت عطفى ولم أرزق قديتك منك رافه
 وصرت من الهوى دنفاً سقيماً صريعاً كالصريع من السلافه
 أظل إذا رأيتك مستكيناً كأنك قد بعثت على آفه

وحدث المبرد محمد بن يزيد أن ربيعة بنته أوى العباس السفاح وجهت إلى
 عبدالله بن مالك الخزاعى فى شراء رقيق للعتق ، وأمرت جاريتها عتبة ، وكانت
 لها ثم صحبت الخيزران بعدها ، أن تحضر ذلك ، فانها جلأسة إذ جاء أبو العتاهية
 فى زى متنسك فقال : جعأى الله فذاك !! شيخ ضعيف كبير لا يقوى على
 الخدمة ، فان رأيت أعزك الله بشرأى وعتقى فقلت مأجورة ، فأقبلت على عبدالله
 فقالت : إنى لأرى هيئة جميلة ، وضعفا ظاهرا ، ولسانا فصيحاً ، ورجلاً بليغاً ،
 فاشتره وأعتقه ، فقال : نعم ، فقال أبو العتاهية : أناذنين لى أصلحك الله فى
 تقبيل يدك ، فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف ، فضحك عبدالله بن مالك ، وقال

ربطة بنت
 السفاح تبعت
 عتبة لشراء
 رقيق فيحتال
 عليها أبو
 العتاهية حتى
 يقبل يدها

أُتدرين من هذا؟ قالت: لا، قال: هذا أبو العتاهية، وإنما احتال عليك حتى قبل يدك، فلو لم يكن^(١) لأبي العتاهية سوى هذه الأبيات التي أبان فيها عن صدق الإخاء ومحض الوفاء وهي

إن أخاك الصدِّقَ من كان معك ومن يَصُرُّ نفسه لينفك

ومن إذا رَيبُ الزمان صدَّعَكَ شتَّتَ شمل نفسه كي يجمعك

وهذه الصفة في عصرنا معدومة ومستحيل وجودها ومتعذر كونها

وروى ابن عياش أن المنصور كان قد ضم الشرق بن القطامي إلى المهدي؛

حين خلفه بالري، وأمره أن يأخذه بحفظ أيام العرب، ومكارم الأخلاق؛ ودراسة

الأخبار، وقراءة الأشعار؛ فقال له المهدي ذات ليلة: يا شرقي، أريح قلبي بشيء

يليه؛ قال: نعم أصالح الله الأمير، ذكروا أنه كان في ملوك الحيرة ملك يقال كان له

نديمان قد نزل من قلبه منزلة مكينة؛ وكانا لا يفارقانه في لهوه ومنامه ويقظته،

وكان لا يقطع أمراً دونهما، ولا يصدر إلا عن رأيهما، فغبر بذلك دهرًا طويلاً،

فبينما هو ذات ليلة في شربه ولهوه إذ غلب عليه الشراب فأزال عقله، فدعا

بسيفه وانتضاه، وشدَّ عليهما فقتلهما، وغلبته عيناه فنام، فلما أصبح سأل عنهما

فأخبر بما كان منه، فأكب على الأرض عاضاً لها تأسفاً عليهما وجزعاً لفراقهما

وامتنع من الطعام والشراب، ثم حلف لا يشرب شراباً يزعج قلبه ما عاش،

وواراهما؛ وبني على قبريهما قبة، وسماها الغريَّين؛ وسن أن لا يمر بهما أحد

من الملك فمن دونه إلا سجد لهما، وكان إذا سنَّ الملك سنة توارثوها، وأحيوا

ذكرها ولم يميتوها، وجعلوها عليهم حكماً واجباً، وفرضاً لازماً، وأوصى بها

الآباء أعقابهم؛ فغبر الناس بذلك دهرًا طويلاً: لا يمر أحد من صغير ولا كبير

إلا سجد لهما، فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة؛ وحكم فيمن أبي أن

يسجد لهما بالقتل بعد أن يحكم له بنخصلتين يجاب إليهما كائناً ما كان، قال:

(١) سقط جواب «لو» وهو مفهوم، يريد لو لم يكن له إلا هذا الشعر لكفاه

الشرق بن
القطامي يحدث
المهدي حدث
الغريين

فمرَّ يوماً قصر معه كارة ثياب مدقته ، فقال الموكلون بالغريين للقصار : اسجد ، فأبى أن يفعل ، فقالوا له : إنك مقتول إن لم تفعل ؛ فأبى ، فرفعوه إلى الملك ، وأخبروه بقصته ، فقال : ما منعك أن تسجد ؟ قال : سجدت ولكن كذبوا على قال : الباطل قلت فاحتكم في خصلتين فانك محاب إليهما ، وإني قاتلك ، قال : لا بد من قتلى بقول هؤلاء ؟ قال : لا بد من ذلك ، قال : أحتكم أن أضرب رقبة الملك بمدقتي هذه ، قال له الملك : يا جاهل ، لو حكمت على أن أجرى على من تخلف وراءك ما يغنيهم كان أصلح لهم ، قال : ما أحكم إلا بضربة لرقبة الملك ، فقال الملك لوزرائه : ما ترون فيما حكم به هذا الجاهل ؟ قال : نرى أن هذه سنة وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار والنار وعظم الاثم ، وأيضا إنك متى نقضت سنة نقضت أخرى ، ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك ، فتبطل السنن ، قال : فارغبوا إلى القصار أن يحكم بما شاء ويعفيني من هذه ، فإني أجيبه إلى ما شاء ولو بلغ حكمه شطر ملكي ، فرغبوا إليه ، فقال : ما أحكم إلا بضربة في عنق الملك ، قال : فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصار قعد له مقعدا عاما وأحضر القصار فأبدى مدقته وضرب بها عنق الملك فأوهنه وخر مغشيا عليه ، فأقام لما به سنة ، وبلغت به العلة إلى أن كان يُسقى الماء بالقطن فلما أفاق وتكلم وأكل وشرب واستقل سأل عن القصار ، فقيل : إنه محبوبوس ، فأمر بإحضاره ، فحضر ، فقال : لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها فأبى قاتلك لا محالة إقامة للسنة ، قال القصار : فإذا كان لا بد من قتلى فأبى أحكم أن أضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى ، فلما سمع ذلك خر على وجهه من الجزع وقال : ذهبت والله نفسي إذا ، ثم قال للقصار : ويلك !! دع عنك ما لا ينفعك فانه لم ينفعك منه ما مضى ، واحكم بغيره وأنقذه لك كائنا ما كان . قال : ما أرى حتى إلا ضربة أخرى ، فقال الملك لوزرائه : ما ترون ؟ قالوا : تمت على السنة ، قال ويلكم !! إن ضرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبدا لأنى

أعلم ما قد نالني ، قالوا : فما عندنا حيلة ، فلما رأى ما قد أشرف عليه قال للقصار : أخبرني ، ألم أكن قد سمعتك تقول يوم آتى بك الموكلون بالغريين إنك قد سجدت وإنهم كذبوا عليك ، قال : قد كنت قلت ذلك فلم أصدق ، قال : فكنت سجدت؟ قال : نعم ، فوثب من مجلسه وقبل رأسه ، وقال : أشهد أنك صادق ، وأنهم كذبوا عليك ، وقد وليتك موضعهم ، وجعلت إليك بأسهم وأمرهم فضحك المهدي حتى فحص برجليه ، وقال : أحسنت ، ووصله

قال الهيثم بن عدي : كنت في مجلس المهدي ، فأتاه الحاجب فقتل : ابن أبي حفصة بالبواب ، فقال : لا تأذن له فانه منافق كذاب ، فكلمه الحسن بن أبي عطية فيه ، فأدخله ، فقال له المهدي : يا فاسق ألت القائل في معن :

جَبَلٌ تَلُوذُ بِهِ نَزَارٌ كُلُّهَا صَعْبُ الذَّرَى مُتَمَنِّعُ الْأَرْكَانِ

قال : بلى أنا الذي أقول فيك يا أمير المؤمنين :

يا ابن الذي وَرِثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا دُونَ الْأَقَارِبِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ وَأَنْشَدَهُ الْأَبْيَاتَ كُلُّهَا ، فَرَضَى عَنْهُ وَأَجَازَهُ

وقال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدي وآتى سفيان الثوري ، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ، ولم يسلم تسليم الخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئ على سيفه ، فأقبل المهدي بوجه طلق وقال له : يا سفيان ، تفرمنا ههنا وههنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم تقدر عليك ، فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟ قال سفيان : إن تحكم في يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل ، فقال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ ائذن لي أن أضرب عنقه ؛ فقال له : اسكت ويالك ، ما يريد هذا وأمثاله إلا أن تقتلهم فنشقى بسعادتهم ، اكتبوا بعهدته على قضاء الكوفة ، على أن لا يعترض عليه في حكم ، فكتب عهده ودفعه إليه ، فأخذه وخرج ورمى به في الدجلة وهرب ، فطلب في كل بلد فلم يوجد

المهدي
ومروان ابن
أبي حفصة

المهدي
وسفيان
الثوري

وقال على بن يقطين : كنا مع المهدي بما سبذان ، فقال لي يوما : أصبحت جائعا فأنتي بأرغفة ولحم بارد ، ففعلت ، فأكل ثم دخل النهر ونام ، وكنا نحن في الرواق ، فالتبنا لبكائه ، فبادرنا إليه مسرعين ، فقال : أما رأيتم ما رأيتم ؟ قلنا : ما رأينا شيئا ، قال : وقف على رجل لو كان في ألف رجل ما خفي على صوته فقال :

كأنني بهذا القصر قد باد أهله وأوحش منه رُبْعُهُ ومنازله
وصار عميدُ القوم من بعد بَهْجَةٍ ومُلْكٍ إلى قبرٍ عليه جنادُله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه تنادى عليه مُعْوَلَاتٍ حَلَالِلُهُ
قال على : فما أنت على المهدي بعد رؤياه إلا عشرة أيام حتى توفي

قال المسعودي : وكانت وفاة زفر بن الهذيل الفقيه صاحب أبي حنيفة والنعمان بن ثابت سنة ثمان وخمسين ومائة ، وفيها كانت بيعة المهدي كما قدمناه ، ومات سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بالبصرة ، وكان من تميم ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ويكنى أبا عبد الله ، في أيام المهدي ، وذلك في سنة إحدى وستين ومائة ، ومات ابن أبي ذئب ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ، ويكنى أبا الحرث ، بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة ، وذلك في أيام المهدي ، وفي سنة ستين ومائة مات شعبة بن الحجاج ، ويكنى أبا بسطام ، وهو مولى لبني شقرة من الأزد ، وفيها توفي عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي ، وفي سنة ست وستين ومائة مات حماد بن سلمة في أيام المهدي

قال المسعودي : وللمهدي أخبار حسان ، ولما كان في أيامه من الكوائن والحروب وغيرها ، قد أتينا على مبسوطه في الكتاب الأوسط ، وكذلك من مات في سلطانه من الفقهاء وأصحاب الحديث وغيرهم ، وبالله التوفيق

رؤيا المهدي
قبل وفاته
بعشرة أيام

وفاة شعبة
وعبد الرحمن
المسعودي
وحامد بن سلمة

ذكر خلافة موسى الهادي

وبويع موسى بن محمد الهادي لسبع بقين من المحرم ، وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، صبيحة الثلاثاء التي كانت فيها وفاة والده المهدي ، وذلك في سنة تسع وستين ومائة ، وتوفي بفساباذ نحو مدينة السلام سنة سبعين ومائة ، لاثنين عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر ، وكان يكنى أبا جعفر ، وأمه الخيزران بنت عطاء أم ولد حرشية ، وهى أم الرشيد ، وأتته البيعة وهو ببلاد طبرستان وجرجان في حرب كانت هنالك ، فركب البريد وقد أخذه أخوه هرون البيعة ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

مجل تاريخه

لما أتت خير بنى هائم خلافة الله بمجرجان
شمر للحرب سراييله برأى لاغمر ولاوان

ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

كان موسى قاسى القلب ، شرس الأخلاق ، صعب المرام ، كثير الأدب ، محبale ، وكان شديدا شجاعا جوادا سخيا .

أحلافه

حدث يوسف بن إبراهيم الكاتب وكان صاحب المهدي ، عن إبراهيم ، أنه كان واقفا بين يديه وهو على حمار له ببستانه المعروف ببغداد إذ قيل له : قد ظفر برجل من الخسارج ، فأمر بادخاله ، فلما قرب منه الخارجى أخذ سيفا من بعض الحرس ، فأقبل يريد موسى ، فتنحيت وكل من معى عنه ، وإنه لواقف على حماره ما يتخلخل ، فلما أن قرب منه الخارجى صاح موسى : اضربا عنقه وليس وراءه أحد ، فأوممه ، فالتفت الخارجى لينظر ، وجمع موسى نفسه ثم ظهر

الهادي ورجل
خارجى أراد
قتله

عليه فصرعه ، فأخذ السيف من يده ، فضرب عنقه ، قال : فكان خوفنا منه أكثر من الخارجى ، فوالله ما أندر علينا تنحيننا ، ولا عدلنا على ذلك ، ولم يركب حمارا بعد ذلك اليوم ، ولا فارقه سيفه .

وكان عيسى بن دأب يجالسه ، وكان من أهل الحجاز ، وكان أكثر أهل عصره أدبا وعلمًا ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم ، وكان الهادى يدعوله متسكًا ، ولم يكن غيره يطمع منه فى ذلك ، وكان يقول له : يا عيسى ، ما استطلت بك يوما ولا ليلة ولا غبت عني إلا ظننت أنى لا أرى غيرك .

وذكر عيسى بن دأب أنه رفع إلى الهادى أن رجلا من بلاد المنصورة - من رجل من آل بلاد السند من أشrafهم وأهل الرياسة فيهم من آل المهلب بن أبى صفرة - ربى غلاما سنديا أو هنديا ، وأن الغلام هوى مولاته ، فراودها عن نفسها ، فأجابته ، فدخل مولاه فوجدها معه ، فجبَّ ذكر الغلام وخصاه ، ثم عالجته إلى أن برىء فأقام مدة ، وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخريافع ، فغاب الرجل عن منزله وقد أخذ السندى الصبيين فصعد بهما إلى أعلى سور الدار إلى أن دخل مولاه ، فإذا هو بابنيه مع الغلام على السور ، فقال : يا فلان ، عرضت ابنى للهلاك ، فقال : دع ذا عنك ، والله لو لم تجبَّ نفسك بحضرتى لأرمين بهما ، فقال له : الله الله فى وفى ابنى ، قال : دع عنك هذا ، فوالله ما هى إلا نفسى ، وإنى لأسمح بها من شربة ماء ، وأهوى ليرمى بهما ، فأسرع مولاه فأخذ مدية فجبَّ نفسه ، فلما رأى الغلام أنه قد فعل رمى بالصبيين فتقطعا ، وقال : ذاك الذى فعلت لفعلك بى ، وقتل هذين زيادة ؛ فأمر الهادى بقتل الغلام وتعذيبه بأقطع ما يمكن من العذاب وأمر باخراج كل سندي فى مملكته ، فرخص السند فى أيامه حتى كانوا يتداولون بالثمن اليسير .

وكان الهادى قد استوزر الربيع وضمَّ إليه ما كان لعمر بن بزيع من الزمام ثم ولى عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل ، وأفرد الربيع بالزمام ، فمات الربيع

منزلة عيسى
ابن دأب عند
الهادى

رجل من آل
المهلب ولام
له سندي

في هذه السنة ، وقيل : إن الهادي سقاه شربة لأجل جارية كان قد وهبها له المهدي كانت قبل ذلك للربيع ، وقيل غير ذلك .

وظهر في أيامه الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وهو المقتول بفخ ، وذلك على ستة أميال من مكة ، يوم التروية وكان على الجيش الذي حاربه جماعة من بني هاشم : منهم سليمان بن أبي جعفر ، ومحمد بن سليمان بن علي ، وموسى بن علي ، والعباس بن محمد بن علي ، في أربعة آلاف فارس ، فقتل الحسين وأكثر من كان معه ، وأقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلتهم السباع والطير ، وكان معه سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، فأمر في هذا اليوم وضربت رقبتة بمكة صبرا ، وقتل معه عبد الله بن إسحق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ، وأسر الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وضرب عنقه صبرا ، وأخذ لعبد الله بن الحسن بن علي والحسين بن علي الأمان ، فحبسا عند جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، وقتلا بعد ذلك ، فسخط الهادي على موسى بن عيسى لقتل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن وترك المصير به إليه ليحكم فيه بما يرى ، وقبض أموال موسى ، وأظهر الذين أتوا بالرأس الاستبشار ، فبكى الهادي وزجرهم ، وقال : أتيتموني مستبشرين كأنكم أتيتموني برأس رجل من الترك أو الديلم ، إنه رأس رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا إن أقل جزائكم عندي لا أتيبكم شيئا .

خروج بعض
العلويين على
الهادي

وفي الحسين بن علي صاحب فخ يقول بعض شعراء ذلك العصر من أبيات :

فلا بُكَيْنَ على الحسين	بن بعولةٍ وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي	أثووه ليس له كفن
تركوا بفخ عدوة	في غير منزلة الوطن

كانوا كراما قُتِلُوا لا طائشين ولا جُبُنْ
غسلوا المذلة عنهم غسل الثياب من الدَّرَنِ
هُدَى العبادُ بحجدهم فلهم على الناس المِنَّة

وكان الهادى كثير الطاعة لأمه الخيزران ، بحبيها لها فيما تسأل من الحوائج
للناس ، فكانت الموابك لا تخلو من بابها ، فى ذلك يقول أبو المعافى :
ياخيزران هُناك ثم هُناك إن العباد يسوسهم ابنك
الخيزران تسأل الهادى قضاء حوائج الرعية فيمنعها التدخل

فكلمته ذات يوم فى أمر فلم يجد إلى إجابتها فيه سبيلا ، فاعتل عليها بعله ،
فقال : لا بد من إجابتي ، قال : لا أفعل ، قالت : فاني قد ضمنت هذه الحاجة
لعبد الله بن مالك ، فغضب الهادى وقال : ويل لابن الفاعلة ، قد علمت أنه
صاحبها ، لا قضيتها لك ، قالت : إذا والله لأسألك حاجة أبدا ، قال : إذا والله
لا أبالي ، وقامت مغضبة ، فقال : مكانك فاستوعبي كلامي والله وإلا نقيت من
قرباتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن بلغني أنه وقف ببابك أحد من
قوادى أو من خاصتي أو من خدمي لأضربن عنقه ، ولأقبضن ماله ، فمن شاء
فايلزم ذلك ، ماهذه الموابك التي تغدو إلى بابك كل يوم ؟ أما لك مغزل يشغلك
أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك ؟ إياك ثم إياك أن تفتحي فاك في حاجة لمسلم
ولا ذمي ، فانصرفت وما تعقل ما تطأ ، فلم تنطق بحلو ولا مر بعدها .

وذكر ابن دأب قال : دعاني الهادى فى وقت من الليل لم تجر العادة أنه
يدعوني فى مثله ، فدخلت إليه ، فإذا هو جالس فى بيت صغير شتوى ، وقدامه
جزء صغير ينظر فيه ، فقال لى : يا عيسى ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال :
إني أرق فى هذه الليلة ، وتداعت إلى الخواطر ، واشتملت على الهموم ، وهاج لى
ما جرت إليه بنو أمية من بنى حرب و بنى مروان فى سفك دماننا ، فقلت :
يا أمير المؤمنين ، هذا عبد الله بن على قد قتل منهم على نهر أبى فطرس فلانا وفلانا

حتى أتيت على تسمية من قتل منهم ، وهذا عبد الصمد بن علي قد قتل منهم بالحجاز في وقت واحد نحو ما قتل عبد الله بن علي ، وهو القاتل لسفك دماهم :

ولقد شفى نفسى وأبرا سقمها أخذى بثأرى من بنى مروان
ومن آل حرب ليت شيخى شاهد سفكى دماء بنى أبي سفيان

قال ابن دأب : فسر والله الهادى ، وظهرت منه أريحية ، فقال : يا عيسى داود بن علي هو القاتل ما ذكرت بالحجاز ، ولقد أذكرتنيهما حتى كأنى ما سمعتهما ، قلت : يا أمير المؤمنين ، وقد قيل : إنهما لعبد الله بن علي ، قالهما على نهر أبي فطرس ، قال : قد قيل ذلك

قال ابن دأب : ثم تغفل بنا الكلام والحديث إلى أخبار مصر وعيوبها وفضائلها وأخبار نيلها ، فقال لى الهادى : فضائلها أكثر ، قلت : يا أمير المؤمنين هذه دعوى المصريين لها بغير برهان أوردوه ، والبينة على الدعوى ، وأهل العراق يأبون هذه الدعوى ، ويذكرون أن عيوبها أكثر من فضائلها ، قال : مثل ماذا ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، من عيوبها أنها لا تمطر ، وإذا مطرت كرهوا ، وابتهلوا إلى الله بالدعاء ، قال الله عز وجل (وهو الذى يرسل الرياح بُشرا بين يدي رحمته) فهذه رحمة مجللة لهذا الخلق وهم لها كارهون ، وهى لهم ضارة غير موافقة : لا يزكو عليها زرعهم ، ولا تخصب عليها أرضهم ، ومن عيوبها الريح التى يسمونها الرئيسية وذلك أن أهل مصر يسمون أعلى الصعيد إلى بلاد النوبة مريس ، فإذا هبت الريح الرئيسية وهى الجنوبية ثلاثة عشر يوما اشترى أهل مصر الأكفان والخنوط وأيقنوا بالوباء القاتل ، والبلاء الشامل ، ثم من عيوبها اختلاف هوائها ، لأنهم فى يوم واحد يغيرون ملابسهم مرارا كثيرة ، فيلبسون القميص مرة والمبطنات أخرى ، والحشومرة ، وذلك لاختلاف جواهر الساعات بها ، ولتباين مهاب الهواء فيها فى سائر فصول السنة من الليل والنهار ، وهى تميز ولا تتأثر ، فإذا

حديث بين
الهادى وابن
دأب عن مصر
والبصرة
والكوفة

أجذبوا هلكوا ، وأمانيلها فكفالك الذى هو عليه من الخلاف لجميع الانهار من الصغار والكبار ، وليس بالقرات ولا الدجلة ولا نهر بلخ ولا سيجان ولا جيحان شىء من التماسيح ، وهى فى نيل مصر ضارة بلا منفعة ومفسدة غير مصلحة ، وفى ذلك يقول الشاعر :

أظهرت للنيل هجرانا ومَقْلِيَةً إذ قيل لى : إنما التماسيح فى النيل
فمن رأى النيل رأى العين من كَثَبٍ فما أرى النيل إلا فى النواقل
قال : ويحك !! ما النواقل التى ترى النيل فيها ؟ قلت : القلال والكيزان
يسمون بها الاسم ، قال : وما مراد الشاعر فى وصف ؟ قال : لأنه لا يتمتع بالماء
إلا فى الآنية لخوف مباشرة الماء فى النيل من التماسيح لأنه يختطف الناس وسائر
الحيوان ، قال : إن هذا النهر قد منع هذا النوع من الحيوان مصالح الناس منه ،
ولقد كنت متشوقا إلى النظر إليها ، فلقد زهدتني بوصفك لها
قال ابن دأب : ثم سألنى الهادى عن مدينة دقلة ، وهى دار مملكة
النوبة ، كم المسافة بينها وبين أسوان ؟ قلت : قد قيل أربعون يوما على شاطئ
النيل عمائر متصلة

قال ابن دأب : ثم قال الهادى : أيها ابن دأب ، دع عنك ذكر المغرب
وأخباره ، وهلم بنا إلى ذكر فضائل البصرة والكوفة وما زادت به كل واحدة
منهما على الأخرى ، قال قلت : ذكر عن عبد الملك بن عمير أنه قال : قدم علينا
الأحنف بن قيس الكوفة مع مصعب بن الزبير ، فما رأيت شيئا قبيلها إلا ورأيت
فى وجه الأحنف منه شباها ، كان صعل الرأس ، أجشى العين ، أعصف الأذن ،
باخق العين ، ناتئ الوجه ، مائل الشدق ، متراكب الأسنان ، خفيف العارضين ،
أحنف الرجل ، ولكنه كان إذا تكلم جلى عن نفسه ، فجعل يفاخرنا ذات يوم
بالبصرة ونفاخره بالكوفة فقلنا : الكوفة أغذى وأمرأ وأفسح وأطيب ، فقال له
رجل : والله ما أشبه الكوفة إلا بشابة صبيحة الوجه كريمة الحسب ولا مال لها

فاذا ذكرت ذكرت حاجتها فكف عنها طلبها ، وما أشبه البصرة إلا بمجوز
ذات عوارض موسرة ، فاذا ذكرت ذكرت يسارها وذكرت عوارضها فكف
عنها طلبها ، فقال الأحنف : أما البصرة فإن أسفلها قصب ، وأوسطها خشب ،
وأعلىها رطب ، نحن أكثر ساجا وعاجا وديباجا ، ونحن أكثر قنذا ونقدا ،
والله ما آتى البصرة إلا طائعا ، ولا أخرج منها إلا كارها ، قال : فقام إليه شاب
من بكر بن وائل فقال : يا أبا بحر ، بهم بلغت في الناس ما بلغت ؟ فوالله ما أنت
بأجلهم ، ولا بأشرفهم ، ولا بأشجعهم ، قال : يا ابن أخي ، بخلاف ما أنت فيه
قال : وما ذاك ؟ قال : بتركي ما لا يعنيني كما عنك من أمري ما لا ينبغي أن يعينك
قال السعودي : ولابن داب مع الهادي أخبار حسان يطول ذكرها ويتسع
علينا شرحها ، ولا يتأتى لنا إيراد ذلك في هذا الكتاب ، لاشتراطنا فيه على
أنفسنا الاختصار والايجاز بحذف الأسانيد وترك إعادة الألفاظ

ولأهل البصرة وأهل الكوفة ومن شرب من دجلة مناظرات كثيرة في
مياهم ومنافعها ومضارها ؛ منها ما عاب به أهل الكوفة أهل البصرة ، فقالوا :
ماؤكم كدرز هك زفر ، فقال لهم أهل البصرة : من أين يأتي ماؤنا الكدر وماء
البحر صاف وماء البطيخة صاف وهما يمتزجان وسط بلادنا ، قال الكوفيون :
من طباع الماء العذب الصافي إذا خالط ماء البحر صارا جميعا إلى الكدورة ، وقد
يروق الانسان ماء أر بعين ليلة فإن جعل منه شيئا في قارورة أزبد وتكدر
وقد افتخر أهل الكوفة بمائهم - الذي هو الفرات - على ماء دجلة ،
وهو ماء البصرة فقالوا : ماؤنا أعذب المياہ وأغذاها ، وهو أصح للأجسام من ماء
دجلة ، والفرات خير من النيل ؛ فأما دجلة فإن ماءها يقطع شهوة الرجال ، ويذهب
بصهيل الخيل ، ولا يذهب بصهيلها إلا مع ذهاب نشاطها ، ونقصان قواها ،
وإن لم يتدسم النازلون عليها أصابهم قحول في عظامهم ويس في جلودهم ، وسائر
من نزل من العرب على دجلة لا يكادون يسقون خيولهم منها ، ويسقونها من

مناظرة
الكوفة
والبصرة

الآبار والركاء ؛ لاختلاف مياهها واختلاف أنواعها ، ليست بماء واحد لمصب
الأنهار كالزايين وغيرها ، وسبيل المشروب غير الماء كحل ؛ لأن اختلاف الماء كل
غير ضار ، واختلاف الأشربة كالخمر والنبذ وغيره من الأنبذة إذا شربه الانسان
كان ضارا ، وإذا كان فضيلة مائنا على دجلة فما ظنك بفضيلته على ماء البصرة
وهو يختلط بماء البحر ، ومن الماء المستنقع في أصول القصب الهروي ، وقد قال الله
(هذا عذب فرات وهذا ماج أجاج) والفرات أعذب المياه عذوبة ، وإنما اشتق
الفرات لكل ماء عذب من ماء الكوفة

وقد طعن أيضا أهل الكوفة على أهل البصرة فقالوا : البصرة أسرع
الأرض خرابا ، وأخبثها ترابا ، وأبعدها من السماء ، وأسرعها غرقا
وقد أجاب أهل البصرة أهل الكوفة عما سألوا عنه وعابوهم به ، وكذلك
من شرب من دجلة ، وعابوا أهل الكوفة ، وذكروا عيوبها ، وما يؤثر عن
سكانها من الشح على الماء كحل والمشروب والغدر وقلة الوفاء
وقد أتينا على وصف ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » وكذلك أتينا على
خواص الأرض والمياه ، وفصول السنة ، واتقسام الأقاليم والمالحق بهذه المعاني ،
فيما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح ، وذكرنا في هذا الكتاب من جميع
ذلك لمعا

فلنرجع الآن إلى أخبار الهادي وننقل على هذا السائح

وقد كان الهادي أراد أن يخلع أخاه الرشيد من ولاية العهد ، ويجعلها لابنه جعفر
ابن موسى ، وحبس يحيى بن خالد البرمكي وأراد قتله ، فقال له يحيى وكان القيم بأمر
الرشيد : يا أمير المؤمنين ، أرايت إن كان ما أسأل الله أن يعيذنا منه وأن لا يباغتناه
وينسأ في أجل أمير المؤمنين ، أيطن أن الناس يسمون لجعفر بن أمير المؤمنين الأمر ولم
يبلغ الحنث ، ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم ؟ قال : ما أظن ذلك ، قال :
فتأمن أن يسموا إليها جلة أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك إلى غيرهم ، فتكون

حاول الهادي
أن يخلع أخاه
الرشيد

قد حملت الناس على النكث وهونت عليهم أيمانهم ، ولو تركت بيعة أخيك على حالها وبيع لجعفر بعده كان آكد ، فاذا بلغ مبلغ الرجال سألت أخاك أن يقدمه على نفسه ، قال : نهتني والله على أمر لم أكن اتبعت له ، ثم عزم بعد ذلك على خلعه رضى أم كره ، وأمر بالتضييق عليه في الأكثر من أموره ، فأشار عليه يحيى أن يستأذنه في الخروج إلى الصيد ، وأن يطيل التشاغل بذلك ، فان مدة موسى قصيرة على ما أوجبه قضية المولد ، واستأذنه الرشيد ، فأذن له ، فسار إلى شاطئ الفرات من بلاد الأنبار وهيت ، وتوسط البر مما يلي الساوة ، وكتب الهادى إليه يأمره بالقدوم ، فأكثر الرشيد التعلل ، وبسط الهادى لسانه في شتمه وسنح للهادى الخروج نحو بلاد الحديثه ، فمرض هناك وانصرف وقد ثقل في العلة ، فلم يجسر أحد من الناس على الدخول عليه إلا صغار الخدم ، ثم أشار إليهم أن يحضروا الخيزران أمه ، فصارت عند رأسه ، فقال لها : أنا هالك في هذه الليلة ، وفيها يلى أخى هرون ، وأنت تعلمين ما قضى فيه أصل مولدى بالرى وقد كنت أمرتك بأشياء ونهيتك عن أخرى مما أوجبه سياسة الملك ، لا موجبات الشرع من برك ، ولم أكن بك عاقا ، بل كنت لك صائنا وبرا واصلا ؛ ثم قضى قابضا على يدها واضعا لها على صدره ، وكان مولده بالرى ، وكذلك مولد الرشيد ، فكانت تلك الليلة فيها وفاة الهادى وولاية الرشيد ، ومولد المأمون ويقال إن الهادى أوقف بين يديه رجلا من أولياء الدولة ذا أجرام كثيرة فجعل الهادى يذكره ذنوبه ، فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين اعتذارى بما تقرر عني به رد عليك ، وإقرارى بما ذكرت يوجب ذنبا ، ولكنى أقول :

فان كنت ترجو فى العقوبة راحة فلا تزهدن عند المعافاة فى الأجر

فأطلقه ووصله

وحدث عدة من أخباريين من ذوى المعرفة بأخبار الدولة أن موسى قال

لهرون أخيه : كَأَنِّي بَكَ تَحْدِثُ نَفْسَكَ بِتَامِ الرُّؤْيَا ، وَتُؤْمِلُ مَا أَنْتَ عَنْهُ بَعِيدٌ ،
وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ ، فَقَالَ لَهُ هَرُونَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ تَكْبِرُ
وَضَعُ ، وَمَنْ تَوَاضَعُ رَفَعُ ، وَمَنْ ظَلَمَ خَذَلَ ، وَإِنْ أَوْصَلَ الْأَمْرَ إِلَى وَصَاتٍ مِنْ قَطَعْتَ
وَبَرَرْتَ مِنْ حَرَمْتَ ، وَصِيرْتَ أَوْلَادَكَ أَعْلَى مِنْ أَوْلَادِي ، وَزَوَّجْتَهُمْ بَنَاتِي ،
وَقَضَيْتَ بِذَلِكَ حَقَّ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ ، فَانْجَلَى عَنْ مُوسَى الْغَضَبِ ، وَبَانَ السَّرُورُ فِي
وَجْهِهِ ، وَقَالَ : ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، اذْنِ مِنِّي ، فَقَامَ هَرُونَ فَقَبِلَ يَدَهُ ،
ثُمَّ ذَهَبَ لِيَعُودَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَقَالَ مُوسَى : وَالشَّيْخُ الْجَلِيلُ ، وَالْمَلِكُ النَّبِيلُ ، لَا جَلَسْتَ
إِلَّا مَعِيَ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا خَزَانِي ، احْمِلْ إِلَيْهِ السَّاعَةَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ
فَإِذَا فَتَحَ الْخَرَجَ فَاحْمِلْ إِلَيْهِ نَصْفَهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ هَرُونَ الْإِنْصِرَافَ قَدِمَتْ دَابَّتُهُ
إِلَى الْبَسَاطِ

قَالَ عَمْرُو الرَّومِيُّ : فَسَأَلْتُ الرَّشِيدَ عَنِ الرُّؤْيَا ، فَقَالَ : قَالَ الْمَهْدِيُّ : رَأَيْتُ
فِي مَنَامِي كَأَنِّي دَفَعْتُ إِلَى مُوسَى قُضِييَا وَإِلَى هَرُونَ قُضِييَا ، فَأَمَّا قُضِيْبُ مُوسَى
فَأَوْرُقُ أَعْلَاهُ قَلِيلًا ، وَأَمَّا قُضِيْبُ هَرُونَ فَأَوْرُقُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ، فَقَصَّ الرُّؤْيَا
عَلَى الْحَكِيمِ ابْنِ إِسْحَاقِ الصِّمْرِى ، وَكَانَ يَعْبرُهَا ، فَقَالَ لَهُ : يَمْلِكَانِ جَمِيعًا ، فَأَمَّا
مُوسَى فَتَقَتْلُ أَيَّامَهُ ، وَأَمَّا هَرُونَ فَيَبْلُغُ آخِرَ مَا عَاشَ خَلِيفَةً ، وَتَكُونُ أَيَّامُهُ أَحْسَنَ
الْأَيَّامِ ، وَدَهْرُهُ أَحْسَنَ الدَّهْوَرِ

قَالَ عَمْرُو الرَّومِيُّ : فَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى هَرُونَ زَوْجَ حَمْدُونَةَ ابْنَتَهُ مِنْ
جَعْفَرِ بْنِ مُوسَى ، وَفَاطِمَةَ مِنْ إِسْمَاعِيلَ ، وَوَفَّى لَهُ مَا وَعَدَهُ

وَحَدَّثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدَى ، قَالَ : وَهَبَ الْمَهْدِيُّ
لِمُوسَى الْهَادِي سَيْفَ عَمْرُو بْنِ مَعْدِيكَرْبِ الصَّمصَمَةِ ، فَدَعَا بِهِ مُوسَى بَعْدَ مَا وَلِيَ
الْخِلَافَةَ ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَدَعَا بِمَكْتَلٍ ، وَقَالَ لِحَاجِبِهِ : ائْذَنْ لِلشَّعْرَاءِ ، فَلَمَّا
دَخَلُوا أَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا فِي السَّيْفِ ، فَبَدَأَهُمْ ابْنُ يَامِينَ الْبَصْرِيُّ ، فَقَالَ :

حاز صَمَامَةَ الزبيدي عمرو من جميع الأنام موسى الأمين
سَيْفُ عمرو وكان فيما سمعنا خير ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعق نارا ثم شابت فيه الذعاف المنون
وإذا ما شهرته تبهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
وكانَ الفَرِندَ والجوهر الجا رى في صفحتيه ماء معين
ما يبالي إذا الضريبة خانت أشمال نيطت به أم يمين

وهي أبيات كثيرة ، فقال له الهادي : لك السيف والمكتل فخذها ، ففرق
المكتل على الشعراء ، وقال : دخلتم معي وحرمت من أجلى ، وفي السيف عوض ،
ثم بعث إليه الهادي فاشترى منه السيف بخمسين ألفا
وللهادي أخبار حسان وإن كانت أيامه قصرت ، وقد أتينا على ذكرها في
كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وبالله التأييد

ذكر خلافة هرون الرشيد

مجل تاريخه

وبويع هرون الرشيد بن المهدي يوم الجمعة صبيحة الليلة التي مات فيها الهادي ، بمدينة السلام ، وذلك لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، ومات بطوس بقرية يقال لها ساباذ ، يوم السبت لأربع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، فكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر ، وقيل : ثلاثا وعشرين سنة وشهرين ، وولى الخلافة وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ومات وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة شهر

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولما أفضت الخلافة إلى الرشيد دعا يحيى بن خالد فقال له : يا أبت ، أنت أجلسنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك الأمر ، ودفع خاتمه إليه ، فى ذلك يقول الموصلى :

ألم تر أن الشمس كانت سقيمةً فلما ولى هرون أشرقَ نورها
بيمن أمين الله هرون ذى الندى فهُرُونُ واليها ويحيى وزيرها

ومات ربيعة بنت أبي العباس السفاح شهو رخت من أيام الرشيد ، وقيل : فى آخر أيام الهادي ، ومات الخيزران أم الهادي والرشيد فى سنة ثلاث وسبعين ومائة ، ومشى الرشيد أمام جنازتها ، وكانت غلة الخيزران مائة ألف ألف وستين ألف ألف درهم ، وفيها مات محمد بن سليمان ، وقبض الرشيد أمواله بالبصرة وغيرها ، فكان مبلغها نيفا وخمسين ألف ألف درهم سوى الضياع والدور والمستغلات ، وكان محمد بن سليمان يغل كل يوم مائة ألف درهم

وحكى أن محمد بن سليمان ركب يوما بالبصرة وسوار القاضى يسايره فى جنازة
 ابنة عم له ، فاعترضه مجنون كان بالبصرة يعرف برأس النعجة ، فقال له : يا محمد ،
 أمن العدل أن تكون نخلتكم فى كل يوم مائة ألف درهم وأنا أطلب نصف درهم
 فلا أقدر عليه ؟ ثم التفت إلى سوار فقال : إن كان هذا عدلا فأنا أكفر به ،
 فأسرع إليه غلمان محمد ، فكفهم عنه ، وأمر له بمائة درهم ، فلما انصرف محمد
 وسوار معه اعترضه رأس النعجة فقال : لقد كرم الله منصبك ، وشرف أبوتك ،
 وحسن وجهك ، وعظم قدرك ، وأرجو أن يكون ذلك خيرا يريده الله بك ،
 ولأن يجمع الله لك الدارين ، فدنا منه سوار فقال : يا خبيث ، ما كان هذا قولك
 فى البداية ، فقال له : سألتك بحق الله وبحق الأمير إلا ما أخبرتنى فى أى سورة
 هذه الآية (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) قال :
 فى براءة ، قال : صدقت ، فبرىء الله ورسوله منك ، فضحك محمد بن سليمان حتى
 كاد يسقط عن دابته .

ولما بنى محمد بن سليمان قصره بالبصرة على بعض الأنهار دخل إليه عبد الصمد
 ابن شبيب بن شبة ، فقال له محمد : كيف ترى بنائى ؟ قال : بنيت أجل بناء ،
 بأطيب فناء ، وأوسع فضاء ، وأرق هواء ، على أحسن ماء ، بين صرارى وحسان
 وظباء ، فقال محمد : بناء كلامك أحسن من بنائنا ، وقيل : إن صاحب الكلام
 والباني للقصر هو عيسى بن جعفر ، على ما حدث به محمد بن زكريا الغلابى ،
 عن الفضل بن عبد الرحمن بن شبيب بن شبة ، وفى هذا القصر يقول ابن
 أبي عتبة :

زُرْ وادى القصر ، نعم القصر والوادي لا بُدَّ من زَوْرَةٍ من غير ميعاد
 زره فليس له شبه يقاربه من منزل حاضر إن شئت أو باد
 ترقى قراقيره والعس واقفة والضب والنون والملاح والحادى
 وفى سنة خمس وسبعين ومائة مات الليث بن سعد المصرى اليمنى ، ويكنى
 وفاة الليث

أبا الحرث ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وسمع من نافع .

وفي سنة خمس وسبعين ومائة مات شريك بن عبد الله بن سنان النخعي القاضي ، وكان يكنى أبا عبد الله ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، وكان مولده ببخارى ، وليس بشريك بن عبد الله بن أبي نمر اللبتي ؛ لأن ابن نمر مات في سنة أربعين ومائة ، وإنما ذكرنا ذلك لأنهما يتشابهان في الآباء والأمهات ، وبينهما تسع وثلاثون سنة ، وكان شريك بن عبد الله النخعي تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ، ثم عزله موسى الهادي ، وكان شريك مع فهمه وعلمه ذكيا فطنا ، وكان جرى بينه وبين مصعب بن عبد الله كلام بحضرة المهدي ، فقال له مصعب : أنت تنقص أبا بكر وعمر ، فقال : والله ما أنتقص جدك وهو دونهما ، وذكر معاوية عند شريك بالحلم ، فقال : ليس بحليم من سفه الحق وقاتل على بن أبي طالب ، وشتم من شريك رائحة النبذ فقال له أصحاب الحديث : لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا ، فقال : لأنكم أهل الريبة

ومات في أيام الرشيد أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ، وهو ابن تسعين سنة وحمل به ثلاث سنين ، وذلك في ربيع الأول ، وقيل إنه صلى عليه ابن أبي ذئب على ما ذكر من التنازع في وفاة ابن أبي ذئب ، وذكر الواقدي أن مالكا كان يأتي المسجد ، ويشهد الصلوات والجمع والجنائز ، ويعود المرضى ، ويقضى الحقوق ، ثم ترك ذلك كله ، ثم قيل له فيه ، فقال : ليس كل إنسان يقدر أن يتكلم بعذره ، وسعى به إلى جعفر بن سليمان ، وقيل له : إنه لا يرى أيمان بيعتكم شيئا ، فضر به بالسياط ، ومد لذلك حتى انخلع كتفاه

وفي السنة التي مات فيها مالك كانت وفاة حماد بن زيد ، وهي سنة تسع وسبعين ومائة

وفاة شريك
ابن عبد الله
ابن سنان
النخعي

وفاة مالك
ابن أنس

وفاة حماد
ابن زيد

وفاة ابن
المبارك

وفي سنة إحدى وستين ومائة مات عبدالله بن المبارك المروزي الفقيه، بهيت
بعد منصرفه من طرسوس

وفاة
أبي يوسف
القاضي

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة مات أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي
وهو ابن تسع وستين سنة، وهو رجل من الأنصار، وولى القضاء سنة ست
وستين ومائة في أيام خروج الهادي إلى جرجان، وأقام على القضاء إلى أن
مات خمس عشرة سنة

هدية
أم جعفر إلى
أبي يوسف

قال المسعودي: وقد كانت أم جعفر كتبت مسئلة إلى أبي يوسف تستفتيه
فيها، فأفتاها بما وافق مرادها على حسب ما أوجبته الشريعة عنده وأداه اجتهاده
إليه، فبعثت إليه بحق فضة فيه حقان في كل حق لون من الطيب، وجام ذهب
فيه دراهم، وجام فضة فيه دنانير، وغللمان، وتخت من ثياب، وحمار وبقل،
فقال له بعض من حضره: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أهديت له
هدية فجلساؤه شركاؤه فيها» فقال أبو يوسف: تأولت الخبر على ظاهره،
والاستحسان قد منع من إمضائه، ذاك إذ كان هدايا الناس التمر واللبن، لافي
هذا الوقت وهدايا الناس اليوم العين والورق وغيره، وذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء والله ذو الفضل العظيم

موسى بن
عبد الله بن
الحسن العلوي

وذكر الفضل بن الربيع قال: صار إلى عبد الله بن مصعب بن ثابت بن
عبد الله بن الزبير فقال: إن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي قد
أرادني على البيعة له، فجمع الرشيد بينهما، فقال الزبير لموسى: سعيتم علينا
وأردتم تقض دولتنا، فالتفت إليه موسى فقال: ومن أنتم؟ فغلب الرشيد الضحك
حتى رفع رأسه إلى السقف حتى لا يظهر منه، ثم قال موسى: يا أمير المؤمنين،
هذا الذي ترى المشنع على خرج والله مع أخى محمد بن عبد الله بن الحسن بن
الحسن بن علي على جدك المنصور، وهو القائل من أبيات:

قوموا ببيعتمكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني حسن

في شعر طويل ، وليس سعائته يا أمير المؤمنين حبا لك ، ولا مراعاة لدولتك ؛
ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت ، ولو وجد من ينتصر به علينا جميعا لكان معه
وقد قال باطلا ، وأنا مستحلفه فان حلف أنى قلت ذلك فدمى لأمر المؤمنين
حلال ، فقال الرشيد : احلف له يا عبد الله ، فلما أراده موسى على اليمين تلكا
وامتنع ، فقال له الفضل : لم تمتنع وقد زعمت أننا أنه قال لك ما ذكرته ؟ قال
عبد الله : فاني أحلف له ، قال موسى : قل تقلدت الحول والقوة دون حول الله
وقوته إلى حولي وقوتي إن لم يكن ما حكيتته غنى حقا ، خاف له ، فقال موسى :
الله أكبر ، حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جده على عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال « ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل الله له العتوبة
قبل ثلاث » والله ما كذبت ولا كذبت ، وهأنا يا أمير المؤمنين بين يديك وفي
قبضتك ، فتقدم بالتوكيل ؛ فان مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبد الله بن مصعب
حادث فدمى لأمر المؤمنين حلال ، فقال الرشيد للفضل : خذ بيد موسى فليكن
عندك حتى أنظر في أمره .

وفاة عبد الله

ابن مصعب

بعد حلفه كذبا

قال الفضل : فوالله ما صليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من
دار عبد الله بن مصعب ، فأمرت من يتعرف خبره فعرفت أنه أصابه الجذام ،
وأنه قد تورم واسود ، فصرت إليه ، فوالله ما كدت أعرفه لأنه قد صار كالزق
العظيم ، ثم اسود حتى صار كالفتحم ، فصرت إلى الرشيد ، فعرفته خبره ، فما اتقضى
كلامي حتى أتى خبر وفاته ، فبادرت بالخروج ، وأمرت بتعجيل أمره والفراسخ
منه ، وتوليت الصلاة عليه ، فلما دله في حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به ،
وخرجت منه رائحة مفرطة النتن ، فرأيت أحمال شوك تمر في الطريق ، فقلت :
على بالواح ساج ، فطرحته على موضع قبره ، ثم طرح التراب عليها ، وانصرفت
إلى الرشيد فعرفته الخبر ، فأكثر التعجب من ذلك ، وأمرني بتخية موسى بن
عبد الله رضى الله عنه ، وأن أعطيه ألف دينار .

وأحضر الرشيد موسى فقال : لم عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس ؟ قال :

لأننا روينا عن جدنا على رضى الله عنه أنه قال « من حلف بيمين سجد الله فيها
يعاقب من كذب به سريعا استحياء الله من تعجيل عقوبته ، وما من أحد حلف بيمين [كاذبة] نازع الله فيها
حواله وقوته إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث »

وقيل : إن صاحب هذا الخبر هو يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
عبد الله الملوى يحيى بن ابن على ، أخو موسى بن عبد الله ، رضوان الله عليهم

وكان يحيى قد سار إلى الديلم مستنجرا ، فباعه صاحب الديلم من عامل
الرشيد بمائة ألف درهم فقتل اه

وقد روى من وجه آخر على حسب تباين النسخ وطرق الرواية في ذلك في
كتب الانساب والتواريخ ، أن يحيى ألقى في بركة فيها سباع قد جوعت ،
فأمسكت عن أكله ، ولأذت بناحيته ، وهابت الدنومنه ، فبنى عليه ركن
بالجص والحجر ، وهو حى

وقد كان محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على
كرم الله وجهه سار إلى مصر فطاب ، فدخل المغرب ، واتصل ببلاد تاهرت
محمد بن جعفر ابن يحيى العلوى السفلى ، واجتمع إليه خلق من الناس ، فظهر فيهم العدل وحسن استقامة ، فمات
هنالك مسموما ، وقد أتينا على كيفية خبره وما كان من أمره في كتاب
« حقائق الأذهان » في أخبار أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان

وفي سنة ثمانية وثمانين ومائة حج الرشيد ، وهى آخر حجة حجها ، فذكر
عن أبى بكر بن عياش ، وكان من أهل العلم ، أنه قال وقد اجتاز الرشيد بالكوفة
آخر حجة الرشيد فى حال منصرفه من هذه الحجة : لا يعود إلى هذه الطريق ، ولا خليفة من
بنى العباس بعده أبدا ، فقتل له : أضرب من الغيب ؟ قال : نعم ، قيل : بوحى ؟
قال نعم ، قيل : إليك ؟ قال : لا ، إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك خبر

عنه [على] عليه السلام المقتول في هذا الموضع ، وأشار إلى الموضع الذي قتل فيه بالكوفة رضى الله عنه .

وفي سنة تسع وثمانين ومائة - وذلك في أيام الرشيد - مات على بن حمزة وفاته الكسائي
الكسائي صاحب القراءات ، ويكنى أبا الحسن ، وكان قد شخض مع الرشيد
إلى الرى فمات بها ، وكذلك مات محمد بن الحسن الشيباني القاضي ، ويكنى
أبا عبد الله ، ودفن بالرى وهو مع الرشيد ، وتطير من وفاة محمد بن الحسن لرؤيا
كان رآها في نومه ١ هـ .

وفي هذه السنة كانت وفاة يحيى بن خالد بن برمك .

وفي سنة ثمان وثمانين ومائة كان سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح بن سخط الرشيد
على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، فحدث غوث بن المدرع ، عن الرياشي
قال : سمعت الأصمعي يقول : كنت عند الرشيد وأتى بعبد الملك بن صالح يرفل
في قيوده ، فلما نظر إليه قال : هيه يا عبد الله ، كأني أنظر إليك وشؤبوبها قد
همع ، وعارضها قد لمع ، وكأني بالوليد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ، ورءوس
بلا غلاصم ، مهلا مهلا بنى هاشم ، والله والله سهل لكم الوعر ، وصفا لكم الكدر ،
وألقت إليكم الأمور أزمتها ، فخذوا حذركم منى قبل حلول داهية خبوط باليد
والرجل ، فقال له عبد الملك : أفذا أتكلّم أو توأما ؟ فقال : بل توأما ، قال :
فاتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك ، وراقبه في رعاياك التي استرعاك ، قد سهلت لك
والله الوعر ، وجمعت ، على خوفك ورجائك الصدور ، وكنت كما قال أخو كعب
ابن كلاب :

ومقام ضيق فرّجته بلسان أو بيان أو جدل

لويقوم الفيل أو فيّاله زلّ عن مثل مقامى أو رحل

قال : فأراد يحيى بن خالد البرمكي أن يضع من مقام عبد الملك عند الرشيد

فقال له : يا عبد الملك ، بلغنى أنك حقود ، فقال : أصالح الله الوزير !! إن يكن الحقْد هو بقاء الخير والشر عندي إنهما لباقيان في قلبي ، فالتفت الرشيد إلى الأصمعي فقال : يا أصمعي حررها فوالله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ، ثم أمر به فرد إلى محبسه ، ثم التفت إلى الأصمعي فقال : والله يا أصمعي لقد نظرت إلى موضع السيف من عنقه مرارا يمنعني من ذلك إبقائي على قومي في مثله .

احتجاج عبد
الملك للحقد

حدث يوسف بن إبراهيم بن المهدي ، قال : حدثني سليمان الخادم الخراساني مولى الرشيد ، أنه كان واقفا على رأس الرشيد بالحيرة وهو يتغدى إذ دخل عليه عون العبادي ، وكان صاحب الحيرة ، وفي يده صحيفة فيها سمكة منعوتة السمن فوضعها بين يديه ، ومعه محبس قد اتخذ لها ، فحاول الرشيد أكل شيء منها فمنعه جبريل بن بختيشوع ، وأشار جبريل إلى صاحب المائدة أن يشيلها عن المائدة ويعزلها له ، ففطن له الرشيد ، فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده وخرج جبريل أمرني الرشيد باتباعه وأن أكبه في منزله وهو يأكل ، فأرجع إليه بخبره ، ففعلت ما أمرني ، وأحسب أن أمرى لم يخف على جبريل فيما تبينت من تحرزه وأنه صار إلى موضع من دار عون ودعا بالطعام فأحضر له ، وفيه السمكة . فدعا بأقداح ثلاث ؛ فجعل في واحد منها قطعة من السمك وصب عليها من خمر طبريان (وهي قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم وأشجار ونخل ورياض تحرقها الأنهار من كل البقاع من الفرات ، شرابها موصوف بالجودة كوصف القطريلي) فصبه على السمكة وقال : هذا أكل جبريل ، وجعل في قدح آخر قطعة منها ، وصب عليها ماء بثالج شديد البرودة ، وقال : هذا أكل أمير المؤمنين أعزه الله إن لم يخلط السمك بغيره ، وجعل في القدح الثالث قطعة من اللحم من ألوان مختلفة من شواء ، ومن حلوى ومن بوارد وبقول ، ومن سائر ما قدم إليه من الألوان ؛ من كل واحد منها جزءا يسيرا مثل اللقمة واللقمتين ، وصب عليها

جبريل بن
بختيشوع
الطبيب

ماء بثالج ، وقال هذا أكل أمير المؤمنين إن خلط السمك بغيره ، ودفع الثلاثة الأقداح إلى صاحب المائدة وقال : احتفظ بها إلى أن ينتبه أمير المؤمنين أعز الله ، ثم أقبل جبريل على السمكة فأكل منها حتى تضرع ، وكان كلما عطش دعا بقدر من الخمر الصرف فشربه ، ثم قام ، فلما اتبه الرشيد من نومه سأني عما عندى من خمر جبريل ، وهل أكل من السمكة شيئا أم لم يأكل ؟ فأخبرته بالخبر ، فأمر باحضار الأقداح الثلاثة فوجد مافي القدح الأول - وهو الذى ذكر جبريل أنه أكَّله وصب عليه الخمر الصرف - قد تفتت وانماع واختلط ، ووجد مافي القدح الثانى - الذى قال جبريل إنه أكل أمير المؤمنين وصب عليه الماء بالبثالج - قد ربا وصار على النصف ، ما كان ، ونظر إلى القدح الثالث - الذى قال جبريل وهذا أكل أمير المؤمنين إن خلط السمك بغيره - قد تغيرت رائحته وحدثت له سهوكة كاد الرشيد أن يتقيأ حين قرب منه ، فأمر بحمل خمسة آلاف دينار إلى جبريل وقال : من يلومنى على محبة هذا الرجل الذى يدبرنى بهذا التدبير ؟ فأوصلت إليه المال .

وذكر عبد الله بن مالك الخزازى ، وكان على دار الرشيد وشرطته ، قال : رؤيا الرشيد
أتانى رسول الرشيد فى وقت ما جاءنى فيه قط ، فانتزعنى من موضعى ، ومنعنى بشأن موسى
من تغيير ثيابى ، فراغنى ذلك ، فلما صرفت إلى الدار سبقنى الخادم ، فعرف الرشيد ابن جعفر
خبرى ، فأذن لى فى الدخول ، فدخلت ، فوجدته قاعدا على فراشه ، فسلمت ، العاوى وكان
فسكت ساعة فطار عقلى وتضاعف الجزع ، ثم قال لى يا عبد الله ، أتدرى فى محبته
لم طلبتك فى هذا الوقت ؟ قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : إني رأيت الساعة
فى منامى كان حبشيا قد أتانى ومعه حربة فقال : إن لم تخل عن موسى بن جعفر
الساعة وإلا نحررتك بهذه الحربة ، فاذهب فخل عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ،
أطلق موسى بن جعفر ؟ ثلاثا ، قال : نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر
وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقل له : إن أحببت المقام قبلنا فلك عندى ما تحب

وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك ، قال : فمضيت إلى الحبس لأخرجه ، فلما رآني موسى وثب إلى قائما وظن أنني قد أمرت فيه بمكروه ، فقلت : لا تخف ، قد أمرني أمير المؤمنين باطلاقك ، وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم ، وهو يقول لك : إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب ، وإن أحببت الانصراف فالأمر في ذلك مطلق إليك ، وأعطيته الثلاثين ألف درهم ، وخليت سبيله ، وقلت : لقد رأيت من أمرك عجبا ، قال : فاني أخبرك بينما أنا نائم إذ أتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال : موسى ، حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لا تبیت هذه الليلة في الحبس ، فقلت : بأبي وأمي ما أقول ؟ فقال : قل ياسامع كل صوت ، وياسابق القوت ، ويا كاسي العظام لحما ، ومُنشِرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر الحزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليما ذا أناة لا يقوى على أناته ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصى عددا ، فرج غي ؛ فكان ما ترى

وذكر حماد بن إسحق بن إبراهيم الموصلي ، قال : قال إبراهيم بن المهدي : حججت مع الرشيد ، فبينما نحن في الطريق وقد انفردت أسير وحدي وأنا على دابتي ؛ إذ حملتني عيناى ، فسلكت بي الدابة غير الطريق ، فانتبهت وأنا على غير الجادة ، فاشتد بي الحر ، فعطشت عطشا شديدا ، فارتفع لى خباء ، فقصدته ، فاذا بقبة وبجنبها بئرماء بقرب مزرعة ، وذلك بين مكة والمدينة ، ولم أربها إنسيا ، فاطلعت في القبة فاذا أنا بأسود نائم ، فأحس بي ففتح عينيه كأنهما إجاننا دم ، فاستوى جالسا ، وإذا هو عظيم الصورة ، فقلت : يا أسود اسقني من هذا الماء ، فقال : يا أسود اسقني من هذا الماء ، محاكيا لى ، وقال : إن كنت عطشانا فانزل واشرب ، وكان تحتي برذون خبيث نفور ، فخشيت أن أنزل عنه فينفر ، فضربت رأس البرذون ، وما نفعني الغناء قط إلا في ذلك اليوم ، وذلك أنى رفعت عقيرتى وأنا أغنى :

إبراهيم بن
المهدي والعبد
الذى كان مولعا
بجارية من
جوارى
العلويين

كفنونى إن مت فى درع أروى واستقوالى من بئر عُرْوَة ماء
 فلها مربع بجانب أجاج ومصيف بالقصر قصر قباء
 فرفع الأسود رأسه إلى وقال : أيما أحب إليك : أن أستقيك ماء وحده ،
 أو ماء وسويقاً ؟ قلت : الماء والسويق ، فأخرج قعباً له فصب السويق فى القدح
 فسقانى ، وأقبل يضرب بيده على رأسه وصدره ، ويقول : واحر صدره ،
 وَأَنَارَاتِ اللَّهَبِ فى فؤادى ، يامولاي زدنى وأنا أزيدك ، وشربت السويق ،
 ثم قال لى : يامولاي ، إن بينك وبين الطريق أميالا ولست أشك أنك تعطش ،
 لكن أملأ قربى هذه وأحملها قدامك ، فقلت : افعل ، قال : فملاً قربته وسار
 قدامى وهو يحجل فى مشيته غير خارج عن الإيقاع ، فاذا أمسكت لأستريح
 أقبل على فقال : يامولاي ، عطشت ، فأغنيه النصب إلى أن أوقفنى على الجادة
 ثم قال لى : سرعائك الله ولا سلبك ما كسأك من هذه النعم ، بكلام عجبى معناه
 هذا الدعاء ، فلهجت بالقافلة والرشيد قد فقدنى ، وقد بث البخت والخيل فى
 البريطلونى ، فسر بى حين رآنى ، فأتيته ، فقصصت عليه الأمر ، فقال : على
 بالأسود ، فما كان إلا هنيهة حتى مثل بين يديه ، فقال له : ويلك !! ما حر
 صدرك ؟ فقال : يامولاي ميمونة ، قال : ومن ميمونة ؟ قال : حبشية ، قال : ومن
 حبشية ؟ قال : بنت بلال يامولاي ، فأمر من يستفهمه ؟ فاذا الأسود عبد لبنى
 جعفر الطيار ، وإذا السوداء التى يهواها لقوم من ولد الحسن بن على ، فأمر
 الرشيد باتباعها له ، فأبى موالها أن يقبلوا لها ثمناً ، ووهبوا للرشيد ، فاشتري
 الأسود وأعتقه ، وزوجه منها ، ووهب له من ماله بالمدينة حديقتين وثلاثمائة دينار
 ودخل ابن السماك على الرشيد وبين يديه حمامة تلتقط حبا ، فقال له : صفها
 وأوجز ، فقال : كأنما تنظر من ياقوتتين ، وتلتقط بدرتين ، وتطأ على عقيقتين ،
 وأنشدونا لبعضهم :

ابن سماك
 يصف الرشيد
 حمامة

هتفت هاتفة آ ذنها إلف بين
 ذات طوق مثل عطف ال نون أقي الطرفين
 وتراها ناظرة نح وك من يا قوتتين
 ترجع الأنفاس من ثة بين كاللؤلؤتين
 وترى مثل البساتي ن لها قادمتين
 ولها لحيان كالصد غين من عرعرتين
 ولها ساقان حمرا وان مثل الوردتين
 نسجت فوق جناحيها لها برنوستين
 وهي طاووسية الا ون بيان المنكبين
 تحت ظل من ظلال ا أليك صافي الكتفين
 فقدت إلغا فناحت من تباريح وبين
 فهي تبكيه بلا دم مع جهود القتلتين
 وهي لا تصبغ عيناها كما تصبغ عين

معن بن زائدة ودخل معن بن زائدة على الرشيد ، وقد كان وجد عليه ، فمشى فقارب
 والرشيد الخطو ، فقال له هرون : كبرت والله يا معن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ،
 قال : وإن فيك على ذلك لبقية ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك
 لجلد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، فرضى عنه وولاه

قال : وعرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة قال :
 ويح هذا !! ما ترك لربه شيئا

وقال الرشيد يوما لمعن بن زائدة : إني قد أعددتك لأمر كبير ، فقال :
 يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعد لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ، ويذا مبسوطة
 بطاعتك ، وسيفا مشحودا على عدوك ، فان شئت فقل ، وقيل : إن هذا الجواب
 من كلام يزيد بن مزيد

وقال الكسائي : دخلت على الرشيد ، فلما قضيت حق التسليم والدعاء وثبت للقيام ، فقال : أقعد ، فلم أزل عنده حتى خف عامة من كان في مجلسه ، ولم يبق إلا خاصته ، فقال لي : يا علي ، ألا تحب أن ترى محمدا وعبد الله ؟ قلت : ما أشوقني إليهما يا أمير المؤمنين ، وأسرنى بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما ، فأمر بإحضارهما ، فلم ألبث أن أقبلا ككوكبي أفق يزنيهما هدوء ووقار ، وقد غضا أبصارهما وقار باخطوئهما ، حتى وقفا على باب المجلس ، فسالما على أيهما بالخلافة ، ودعوا له بأحسن الدعاء ، فأمرهما بالدنو منه ، فصير محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ، ثم أمرني أن أستقرئهما وأسألهما ، ففعلت ، فساألتهما عن شيء إلا أحسنا الجواب فيه والخروج منه ، فسر بذلك الرشيد حتى تبينته فيه ، ثم قال لي : يا علي ، كيف ترى مذهبهما وجوابهما ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

أرى قمرى مجد وفرعى خلافة يزنيهما عرق كريم ومحمد
يا أمير المؤمنين ها فرع زكا أصله ، وطاب مغرسه ، وتمكنت في الثرى عروقه
وعذبت مشاربه ، أبوهما أغر نافذ الأمر ، واسع العلم عظيم الحلم ، يحكمان بحكمه ،
ويستضيئان بنوره ، وينطقان بلسانه ، ويتقبلان في سعاده ، فامتع الله أمير المؤمنين
بهما ، وآنس جميع الأمة ببقائه وبقائهما ؛ فما رأيت أحدا من أولاد الخلفاء وأغصان
هذه الشجرة المباركة أذرب أسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على تأدية
ما حفظا منهما ، ودعوت لهما دعاء كثيرا ، وأمن الرشيد على دعائي ، ثم ضمهما
إليه ، وجمع يده عليهما ، فلم يسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ، ثم
أمرهما بالخروج ، فلما خرجا أقبل على فقال : كأنك بهما وقد حم القضاء ، ونزلت
مقادير السماء ، وبلغ الكتاب أجله ، قد تشئت كلمتهما ، واختلف أمرهما ، وظهر
تعاديهما ، ثم لم يبرح ذلك بهما حتى تسفك الدماء ، وتقتل القتلى ، وتهتك ستور
النساء ، ويتمنى كثير من الأحياء أنهم في عداد الموتى ، قلت : أيكون

الامين
والمأمون بين
يدي الرشيد
والكسائي

ذلك يأمر المؤمنين لأمر رؤى في أصل مولدهما أو لأثر وقع لأمر المؤمنين في مولدهما ؟ فقال : لا والله إلا بأثر واجب حملته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء

قال الأحمر النحوى : بعث إلى الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين ، فلما دخلت قال : يا أحمـر ، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك هبة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك عليه واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ؛ أقرئه القرآن ، وعرفه الآثار ، ورواه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدنه ، وامنعه الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا إليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتم فيها فائدة تقيده إياها من غير أن يخرق بك فتميت ذهنه ، ولا تمن في مساحتته فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والمالينة ، فان أباعها فعليك بالشدّة والغلظة

الأحمر مؤدب
الأمين ووصية
الرشيد له

ويقال : إن العماني الشاعر قام بحضرة الرشيد ، فلم يزل يخرض محمدا ويحضه على تجديد العهد له فلما فرغ من كلامه قال له : أبشريا عماني بولاية العهد له ، فقال : إى والله يا أمير المؤمنين سرور العشب بالغيث ، والمرأة الزور بالولد ، والمريض المدنف بالبرء . لأنه نسيجٌ وحده ، وحامى مجده ، وشبيهٌ جدّه ، قال : فما تقول في عبـد الله ؟ قال : مرعى ولا كالسعدان ، فتبسم الرشيد وقال : قاتله الله ! ما أعرفه بمواضع الرعية ، أما والله إني لأتـعرف في عبد الله حزم المنصور ، ونسك المهدي ، وعز نفس الهادي ، والله لو شاء الله أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها

العماني يصف
الأمين للرشيد

قال الأصمعي : بينما أنا أسير الرشيد ذات ليلة إذ رأيته قد قلق قلقا شديدا فكان يقعد مرة ويضطجع مرة ويبكى ، ثم أنشأ يقول :

الرشيد يعهد
إلى ابنه
بالخلافة

قلد أمور عباد الله ذا ثقة موحد الرأي لانكس ولا يبرم
واترك مقالة أقوام ذوى خطل لا يفهمون إذا ما معشر فهموا

فلما سمعت منه ذلك علمت أنه يريد أمرا عظيما ، ثم قال لمروان الخادم : على
بيحيى ، فإلبث أن أتاه فقال : يا أبا الفضل ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات فى غير وصية ، والاسلام جُذِع ، والايمان جديد ، وكلمة العرب مجتمعة : قد
آمنها الله تعالى بعد الخوف ، وأعزها بعد الذل ، فإلبث أن ارتد عامة العرب على
أبى بكر ، وكان من خبره ما قد علمت ، وإن أبى بكر صير الأمر إلى عمر ؛ فسلمت
الأمّة له ، ورضيت بخلافته ، ثم صيرها عمر شورى ، فكان بعده ما قد بلغك
من الفتن حتى صارت إلى غير أهلها ، وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصديره
إلى من أرضى سيرته ، وأحمد طريقته ، وأثق بحسن سياسته ، وآمن ضعفه ووهنه
وهو عبد الله ، وبنو هاشم مائلون إلى محمد بأهوائهم ، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه ،
والتصرف مع طويته ، والتبذير لما حوته يده ، ومشاركة النساء والاماء فى رأيه ،
وعبد الله المرضى الطريقة ، الأصيل الرأى ، الموثوق به فى الأمر العظيم ، فإن
ملتُ إلى عبد الله أسخطت بنى هاشم ، وإن أفردت محمدا بالأمر لم آمن تخليطه
على الرعية ، فأشر على فى هذا الأمر برأىك مشورة يعم فضلها ونفعها ؛ فانك بمحمد
الله مبارك الرأى لطيف النظر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كل زلة مستقالة ،
وكل رأى يتلافى ، خلا هذا العهد ؛ فان الخطأ فيه غير مأمون ، والزلة فيه لا تستدرك ،
وللنظر فيه مجلس غير هذا ؛ فعلم الرشيد أنه يريد الخلوة ، فأمر نى بالتنحى ، فقامت
وقعدت ناحية بحيث أسمع كلامهما ، فزالا فى مناجاة ومناظرة طويلة حتى مضى
الليل واقترا على أن عقد الأمر لعبد الله بعد محمد

ودخلت أم جعفر على الرشيد فقالت : ما أنصفت ابنك محمدا ، حيث وليته
العراق وأعريته من العدد والقواد ، وصيرت ذلك إلى عبد الله دونه ، فقال لها :
وما أنت وتميز الأعمال وأخبار الرجال ؟ إني وليت ابنك السلم وعبد الله الحرب
وصاحب الحرب أحوج إلى الرجال من المسلم ، ومع هذا فانا نتخوف ابنك على
عبد الله ، ولا نتخوف عبد الله على ابنك إن بويح

الرشيد
وأم جعفر
يتحاوران
فى شأن
الامين

وفي سنة ست وثمانين ومائة خرج الرشيد حاجا ومعه وليا عهده الأمين
والشيد يعلق بيعته لولديه في المأمون ، وكتب الشرطين بينهما وعلقهما في الكعبة

وحكى عن إبراهيم الحجبى أن الكتاب لما رفع ليعلق بالكعبة وقع ،
فقلت في نفسى : قبل أن يرتفع ، إن هذا الأمر سريع انتقاضه قبل تمامه
وحكى عن سعيد بن عامر البصرى قال : حججت في هذه السنة ، وقد
استعظم الناس أمر الشرط والايمان في الكعبة ، فرأيت رجلا من هذيل يقود بعيره
وهو يقول :

وبيعة قد نكثت أيمانها وفتنة قد سمرت نيرانها
فقلت : له ويحك ماتقول !! قال أقول : إن السيوف ستسل ، والفتنة ستقع ،
والتنازع في الملك سيظهر ، قلت : وكيف ترى ذلك ؟ قال : أما ترى البعير واقفا
والرجلان يتنازعا ، والغرابان قد وقعا على الدم والتطخا به ، والله لا يكون آخر
هذا الأمر إلا محاربة وشر

ويروى أن الأمين لما حلف للرشيد بما حلف له به ، وأراد الخروج من الكعبة
رده جعفر بن يحيى وقال له : فان غدرت بأخيك خذلك الله ، حتى فعل ذلك
ثلاثا ، كلها يخاف له ، وبهذا السبب اضطفت أم جعفر على جعفر بن يحيى ؛
فكانت أحد من حرّض الرشيد على أمره ، وبعثته على ما نزل به

وقيد جعفر بن يحيى على الأمين ألا يغدر بأخيه
قال المسعودى : وفي سنة سبع وثمانين ومائة بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية
العهد بعد المأمون ، فاذا أفضت الخلافة إلى المأمون كان أمره إليه : إن شاء أن
يقره أقره ، وإن شاء أن يخلعه خلعه اه

بيعة الرشيد لابنه القاسم بعد المأمون
وفي هذه السنة - وهى سبع وثمانين ومائة - توفى الفضيل بن عياض ،
ويكنى أبا على ، وكان مولده بخراسان ، وقدم الكوفة ، وسمع من المنصور بن
المعتمر وغيره ، ثم تعبد وانتقل إلى مكة ، فأقام بها إلى أن مات

وفاة الفضيل ابن عياض
حدث سفيان بن عيينة قال : دعانا الرشيد ، فدخلنا عليه ، ودخل الفضيل

آخرنا مقنعا رأسه بردائه ، فقال لى : ياسفيان ، أيهم أمير المؤمنين ؟ فقلت : هذا ، وأومات إلى الرشيد ، فقال : أنت يا حسن الوجه الذى أمر هذه الأمة فى يدك وعنتك ؟ لقد تقلدت أمرا عظيما ، فبكى الرشيد ، ثم أتى كل رجل منا ببذرة ، فكل قبائها إلا الفضيل ، فقال له الرشيد : يا أبا على ، إن لم تستحلها فأعطها ذا دين ، وأشبع بها جائعا ، واكس بها عريانا ، فاستغفاه منها ، فلما خرجنا قلت له : يا أبا على ، أخطأت ألا أخذتها وصرقتها فى أبواب البر ، فأخذ بلحيتى ثم قال : يا أبا محمد ، أنت فقيه البلد وتغلط مثل هذا الغلط ؟ لو طابت لأنتك لطابت لى

وقبة موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب
بيغداد مسموما ، لخمس عشرة سنة خلت من ملك الرشيد ، سنة ست وثمانين
ومائة ، وهو ابن أربع وخمسين سنة ، وقد ذكرنا فى رسالة بيان أسماء الأئمة القطعية
من الشيعة : أسماءهم ، وأسماء أمهاتهم ، ومواضع قبورهم ، ومقادير أعمارهم ، وكل عاش
كل واحد منهم مع أبيه ، ومن أدرك أجداده عليهم السلام

ولكلثوم العتابي فى الرشيد من أبيات :

أبيات
لكلثوم العتابي
فى الرشيد
إمام له كف يَضُمُ بنائها
وعين محيط بالبرية طرفها
وأسمع يقظانا يبيت مناجيا
عصا الدين ممنوع من البر عودها
سواء عليه قربها وبعيدها
له فى الحشا مستودعات يكيدها

حدث غوث بن المزرع ، قال : حدثنى خالد ، عن عمرو بن بحر الجاحظ ،
قال كان كلثوم العتابي يضع من قدر أبى نواس ، فقال له راوية أبى نواس يوما :
كيف تضع من قدر أبى نواس وهو الذى يقول :

إذا نحن أُنْثِنَا عَلَيْكَ بصالح
وإن جَرَّتِ الْأَفْظُ مِنْهُ بِمَدْحَةٍ
فَأَنْتَ الَّذِى تُنْثِنِى وَفَوْقَ الَّذِى تُنْثِنِى
لَغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِى نَعْمِى

قال العتابي : هذا سرقة ، قال : ممن ؟ قال : من أبي الهذيل الجمحي حيث

يقول :

وإذا يقال لبعضهم نعم الفتي فابن المغيرة ذلك النعم

عقم النساء فلا يجئن بمثله إن النساء بمثله عقم

قال : لقد أحسن في قوله :

فتمشّت في مفاصلهم كتمشّي البرء في السقم

قال : سرقة أيضا ، قال له : ممن ؟ قال : من سوسة الفقعي حيث يقول :

إذا ما سقيم حلّ عنها وكاءها تصعدّ فيه برؤها وتصوبا

وإن خالطت منه الحشا خلت أنه على سالف الأيام لم يبق موهبا

قال : فقد أحسن في قوله :

وما خلقت إلا لبذل أكفهم وأقدامهم إلا لأعواد منبر

قال : وقد سرقه أيضا ، قال : ممن ؟ قال من مروان بن أبي حفصة حيث يقول :

وما خلقت إلا لبذل أكفهم وألسنهم إلا لتحبير منطق

فيوماً يبارون الرياح سماحةً ويوماً لبذ الخاطب المتشوق

قال : فسكت الراوية ، ولو أتى بشعره كله لقال له سرقة

وحدث أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، قال : كان أبو العتاهية قد أكثر

مسئلة الرشيد في عتبة فوعده بتزويجها ، وأنه يسألها في ذلك ، فإن أجابت جهزها يسأل الرشيد وأعطاه مالا عظيما ، ثم إن الرشيد سنع له شغل استمر به ، فغضب أبو العتاهية أن يزوجه عتبة

عن الوصول إليه ، فدفع إلى مسرور الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها على الرشيد

وهو يتبسم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منهن مكتوبا :

ولقد تنسمت الرياح لحاجتي فاذا لها من راحتني شميم

فقال : أحسن الخبيث ، وإذا على الثانية :

أعلقت نفسي من رجائك ماله عنق يحث إليك بي ورسم

فقال : قد أجاد ، وإذا على الثالثة :

ولربما استأسييت ثم أقول : لا إن الذى ضمن النجاح كريم

فقال : قاتله الله !! ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال : ضمنت لك يا أبا العتاهية وفي غد تقضى حاجتك إن شاء الله ، وبعث إلى عتبة إن لى إليك حاجة فانتظرني الليلة في منزلك ، فأكبرت ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستغفيه ، تخلف أن لا يذكر لها حاجته إلا في منزلها ، فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتى أو تضمنين قضاءها ، قالت : أنا أمتك وأمرك نافذ في ما خلا أمر أبى العتاهية فأنى حلفت لأبيك رضى الله عنه بكل يمين يحلف بها بر وفاجر وبالمشى إلى بيت الله الحرام حافية كما انقضت عنى حجة وجبت على أخرى لا أقصر على الكفارة وكما أفدت شيئا تصدقت به إلا ما أصلى فيه ، وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها ، وغدا عليه أبو العتاهية فقال له الرشيد : والله ما قصرت فى أمرك ، ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لى بذلك ؛ وشرح له الخبر ، قال أبو العتاهية : فلما أخبرنى بذلك مكثت مليا لا أدري أين أنا قائم أو قاعد ، وقلت : الآن يئست منها إذ ردتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحدا بعدك ، فلبس أبو العتاهية الصوف وقال فى ذلك من أبيات :

قطعت منها حبائل الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالى
ووجدت برد اليأس بين جوانحي فغنيت عن حل وعن ترحال
وذكر أنه لما اتسل بالرشيد قول أبى العتاهية :

ألا إن ظلياً للخليفة صادنى ومالى عن طيبي الخليفة من عذر

غضب الرشيد وقال : أسخر منا فعبث ، وأمر بحبسه ، فدفعه إلى تنجيب

صاحب عقوبته ، وكان فظا غليظا ، فقال أبو العتاهية :

يأس
أبى العتاهية
سبب تنسكه

تَنجَاب لَا تَعَجَلْ عَلَيَّ فَلَيْسَ ذَا مَنْ رَأَاهُ

مَا خَلَتْ هَذَا فِي مَخَايِلِ ضَوْءِ بَرْقِ سَمَائِهِ

وَكَانَ مِنْ أَشْعَارِهِ فِي الْجَبَسِ بَعْدَ مَا طَالَ مَكْتَهُ :

إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَةٌ وَسَلَامَةٌ زَادَكَ اللَّهُ غِبْطَةً وَكَرَامَةً

قِيلَ لِي : قَدْ رَضِيتَ عَنِّي فَمَنْ لِي أَنْ أَرَى لِي عَلَى رِضَاكَ عِلَامَةً

فَقَالَ الرَّشِيدُ : اللَّهُ أَبُوه ، لَوْ رَأَيْتَهُ مَا حَسِبْتَهُ ، وَإِنَّمَا سَمَحْتَ نَفْسِي بِحَبْسِهِ لِأَنَّهُ

كَانَ غَائِبًا عَنِّي ، وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ

وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ الَّذِي يَقُولُ :

نَرَاعُ لَذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةَ وَقْتِهِ وَنَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا فَنَلْهُو وَنَلْعَبُ

وَنَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا خَلَقْنَا لَهَا وَنَحْنُ كُنَّا فِيهَا فَهِيَ شَيْءٌ مَحْبُوبٌ

وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ أَيْضًا :

حَتَوْفَهَا رَصَدٌ وَعَيْشُهَا رَنَقٌ وَكِدْهَا نَكْدٌ وَمَلِكُهَا دَوْلٌ

وَقَالَ :

الْمَرْءُ فِي تَأْخِيرِ مَدَّتِهِ كَالثُوبِ يَبْلَى بَعْدَ جَدَّتِهِ

عَجَبًا لِمَنْتَبِهِ يَضِيعُ مَا يَحْتَاجُ فِيهِ لِيَوْمِ رَقْدَتِهِ

وَقَالَ :

لَا تَأْمَنِ الدُّنْيَا عَلَى غَدَرِهَا كَمَا غَدَرَتْ قَبْلَ بَأْمَالِهَا

قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى ذِمِّهَا وَمَا أَرَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكًا

وَقَالَ :

إِنَّمَا أَنْتَ مُسْتَعِيرٌ مِثْلَ مَسْوِيٍّ بَرْدَيْنِ وَالْمَعَارُ يُرَدُّ

كَيْفَ يَهْوِي أَمْرُؤُا لِنَادَاةِ أَيَّامٍ عَلَيْهِ الْإِنْفَاسُ فِيهَا تُعَدُّ

اشعار أبي
العتاهية

وقال :

حياتك أنفاس تعد فكُلما مضى نفس منها تقصت به جزءا

وقال :

ألا ياموت لم أرمنك بدا أتيت بما يخيف ولا تحبى
كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على شبابي

وقال :

نسيت الموت فيما قد نسيت كأنى لم أجد أحدا يموت
أليس الموت غاية كل حى فالى لا أبادر ما يفوت

وقال :

وعظمتك أجدات صُمّت وبكتك ساكنة خفت
وتكلمت عن أعظم تبلى وعن صور سبت
وأرتك قـبرك فى القبر ر وأنت حى لم تمت

وقال :

ومُسَيّد دارا ليسكن ظلها سكن القبور ودَارَهُ لم يسكن

حدث إسحق بن إبراهيم الموصلى قال : بينا أنا ذات ليلة عند الرشيد أغنيه إذ طرب لغنائى ، وقال : لاتبرح ، ولم أزل أغنيه حتى نام ، فأمسكت ، ووضعت العود من حجرى ، وجلست مكافى ، فاذا شاب حسن القدّ عليه مُقَطَّعات خَزَرٍ وهيئة جميلة ، فدخل وسلم وجلس ، فجعلت أعجب من دخوله فى ذلك الوقت إلى ذلك الموضع بغير استئذان ، ثم قلت فى نفسى : عسى بعض ولد الرشيد ممن لا نعرفه ولم نره ، فضرب بيده على العود ، فأخذه ووضع فى حجره وجسّه ، فرأيت أنه جس أحسن خلق الله ، ثم أصلحه إصلاحا ما أدرى ماهو ، ثم ضرب ضربا ، فما سمعت أذننى صوتا أجود منه ، ثم اندفع يفتى :

غنى إسحاق
الرشيد حتى
نام فجاءه
شاب لا يعرفه
فعله صوتا

أَلَا عَلَّائِي قَبْلَ أَنْ نَتَفَرَّقَا وهاتِ اسقِي صِرْفًا شَرَابًا مُرَوَّفاً
فَقَدْ كَادَ ضَوْءُ الصَّبْحِ أَنْ يَفْضَحَ الدُّجَى وكادَ قَمِيصُ اللَّيْلِ أَنْ يَتَمَرَّقَا
ثم وضع العود من حجره ، وقال : يا عاضَّ بظرامه ، إذا غنيت فغنِّ هكذا
ثم خرج ، فقامت على أثره فقلت للعاجب : من القى الذى خرج الساعة ؟ فقال :
مادخل هنا أحد ولا خرج ، فقامت متعجبا ، ورجعت إلى مجلسي ، وانتبه الرشيد
فقال : ما شأنك ؟ فحدثته بالقضية ، فبقى متعجبا ، وقال : لقد صادفت شيطانا ،
ثم قال : أعد على الصوت ، فأعدته ، فطرب طربا شديدا ، وأمر لى بجائزة
وانصرفت .

وحدث إبراهيم الموصلى قال : جمع الرشيد ذات يوم المغنين ، فلم يبق أحد
من الرؤساء إلا حضر ، وكنت فيهم ، وحضر معنا مسكين المدنى ، ويعرف
بأبى صدقة ، وكان يوقع بالقضيب مطبوعا حاذقا طيب العشرة مليح البادرة ،
فاقترح الرشيد وقد عمل فيه النبذ صوتا ، فأمر صاحب الستارة ابن جامع أن
يغنيه ، ففعل ، فلم يطرب عليه ، ثم فعل مثل ذلك بجماعة ممن حضر ، فلم يحرك
منه أحد ، فقال صاحب الستارة لمسكين المدنى : يأمرك أمير المؤمنين إن كنت
تحسن هذا الصوت فغنه ، قال إبراهيم : فاندفع فغناه ، فأمسكنا جميعا متعجبين
من جراءة مثله على الغناء بحضرتنا فى صوت قد قصرنا فيه عن مراد الخليفة ، قال
إبراهيم : فلما فرغ منه سمعت الرشيد يقول : يا مسكين أعده ، فأعاده بقوة ونشاط
فقال : أحسنت وأجملت ، ورفعت الستارة بيننا وبينه ، قال مسكين : يا أمير المؤمنين
إن لهذا الصوت خبرا ، قال : وما هو ؟ قال : كنت عبدا خياطا لبعض آل الزبير
وكان لمولاي على ضريبة أدفع إليه كل يوم درهمن ، فاذا دفعت ضريبتى
تصرفت فى حوائجى ، فخطت يوما قميصا لبعض الطالبين ، فدفعت إلى درهمن
وتغديت وسقاني أقداحا ، فخرجت وأنا جذلان ، فلقيتنى سوداء على رقبتها جرة
وهى تغنى هذا الصوت ، فأذهلنى عن كل مهم ، وأنساني كل حاجة ، فقامت :

غنى المغنون
الرشيد فلم
يطرب إلا
لمسكين المدنى

مسكين يقص
على الرشيد
خبر الصوت
الذى غناه

بصاحب هذا القبر والمنبر إلا ألقيت على هذا الصوت ، فقالت : وحق صاحب
هذا القبر والمنبر لألقيته عليك إلا بدرهمين ، فأخرجت الدرهمين فدفعتهما إليها ،
فأنزلت الجرة عن عاتقها واندفعت ، فما زالت تردده حتى كأنه مكتوب في صدرى
ثم انصرفت إلى مولاي ، فقال لى : هلم خراجك ، فقلت : كان وكان ، فقال :
يا ابن اللخناء ، و بطحنى وضربني وحلق لحيتي ورأسى ، فبت يا أمير المؤمنين
من أسوأ خلق الله حالا ، وأنسيت الصوت مما نالني ، فلما أصبحت غدوت نحو
الموضع الذى لقيتها فيه ، و بقيت متحيرا لا أعرف اسمها ولا منزلها ، إذ نظرت بها
مقبلة ، فأنسيت كل ما نالني وملت إليها ، فقالت : أنسيت الصوت ورب الكعبة ،
فقلت : الأمر كما ذكرت ، وعرفتها ما مر بي من حلق الرأس واللحية ، فقالت :
وحق القبر ومن فيه لافعلت إلا بدرهمين ، فأخرجت جلمى ورهنته على درهمين ،
فدفعتهما إليها ، فأنزلت الجرة عن رأسها واندفعت فمرت فيه ثم قالت : كأنى بك
مكان الأربعة دراهم أربعة آلاف دينار ، ثم انصرفت إلى مولاي وجلا ،
فقال : هلم خراجك ، فلويت لسانى ، فقال : يا ابن اللخناء ألم يكفك ما مر عليك
بالأمس ، فقلت : إني أعرفك أنى اشتريت بخراجى أمس واليوم هذا الصوت ،
واندفعت أغنيه ، فقال لى : ويحك ! معك مثل هذا الصوت ولم تعلمنى ، امرأته
طالق لو كنت قلته أمس لأعتقتك ، فضحك الرشيد وقال : ويلك !! ما أدري
أيما أحسن : حديثك أم غناؤك ؟ وقد أمرت لك بما ذكرته السوداء ، فقبضه
وانصرف ، والشعر

قَفْ بِالْمَنَازِلِ سَاعَةً فَتَأْمَلِ فَلَسَوْفَ أَحْمِلُ لِلْبَلَى فِي مَحَلِّ

وأجرى الرشيد الخيل يوما بالركة ، فلما أرسلت صار إلى مجلسه فى صدر الرشيد وسباق
الميدان حيث توافى إليه الخيل ، فوقف عن فرسه وكان فى أوائلها سوابق من
خيله يقدمها فرسان فى عنان واحد لا يتقدم أحدهما صاحبه ، فتأملها فقال : فرسى
والله ، ثم تأمل الآخر فقال : فرس ابني المأمون ، قال : لجا آيحنكان أمام الخيل
الحيل

وكان فرسه السابق وفرس المأمون ثانية ، فسر بذلك ، ثم جاء الخيل بعد ذلك ، فلما انتضى المجلس وهم بالانصراف قال الأصمعي وكان حاضرا للفضل بن الربيع : يا أبا العباس ، هذا يوم من الأيام فأحب أن توصاني إلى أمير المؤمنين ، وقام الفضل فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا الأصمعي يذكر شيئا من أمر الفرسين يزيد الله به أمير المؤمنين سرورا ، قال : هاته ، فلما دنا قال : ما عندك يا أصمعي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، كنت وابنك اليوم والفرسين كما قالت الخنساء :

جارى أباهُ فأقبلا وهما يتنازعان ملاءة الحضر
وهما كأنهما وقد برزا صقران قد خطا على وكر
برزت صفيحة وجه والده ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يقاربه لولا جلال السن والكبر

حدث إبراهيم بن المهدي قال : استزرت الرشيد بالركة ، فرارني ، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد ، فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب إليه منها جام قريض سمك ، فاستصغر القطع ، وقال : لم صغر طبابخك تقطيع السمك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، هذه أسنة السمك ، قال : فيشبه أن يكون في هذا الجام مائة لسان ، فقال مراقب خادمه : يا أمير المؤمنين ، فيها أكثر من مائة وخمسين ، فاستحافه عن مبلغ ثمن السمك ، فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهم ، فرفع الرشيد يده وحلف أن لا يطعم شيئا دون أن يحضره مراقب ألف درهم ، فلما حضر المال أمر أن يتصدق به ، وقال : أرجو أن يكون كفارة لسرفك في إتفاقك على جام سمك ألف درهم ، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال : أول سائل تراه فادفعه إليه ، قال إبراهيم : وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينارا ، فعمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير إليه ، وفطن الرشيد فقال له : يا غلام ، إذا دفعته إلى سائل فقل له : يقول لك أمير المؤمنين احذر أن تبيعه بأقل من مائتي دينار فانه خير منها ، ففعل الخادم ذلك ، فوالله ما أمكن الخادم أن يخلصه من السائل إلا بمائتي دينار .

إسراف
إبراهيم بن
المهدي

وقال إبراهيم بن المهدي : كنت أنا والرشيدي على ظهر حراقة ، وهو يريد نحو الموصل ، والمدادون يمدون والشرنج بين أيدينا ، فلما فرغنا قال لي الرشيدي : يا إبراهيم ، ما أحسن الأسماء ؟ قلت : اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أحسن الأسماء ، فما الثاني بعده ؟ قلت : اسم هرون اسم أمير المؤمنين ، قال : فما أسمى ؟ قلت : يا إبراهيم ، فزأني وقال : ويليكَ !! إبراهيم خليل الرحمن جل وعز ، قلت : بشؤم هذا الاسم لقي مالتى من نمرود ، قال : وإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : لا جرمَ لما سمى بهذا الاسم لم يعش ، قال : فإبراهيم الامام ، قلت : بحرفة اسمه قتله مروان الجعدي في جراب النورة ، وأزيدك يا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد خلع ، وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن قتل ، ولم أجد أحدا سمى بهذا الاسم إلا رأيته مقتولا أو مضروبا أو مطرودا ، فما انتضى كلامي حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات يهتف بأعلى صوته : يا إبراهيم يا عاض كذا وكذا من أمه مد ، فالتفت إلى الرشيدي فضحك حتى فخص برجله .

قال : وكنت يوما عنده فاذا رسول عبد الله معه أطباق خيزران ، عليها أدب عبد الله بن مناديل ، ومعهما كتاب ، فجعل الرشيدي يقرأ الكتاب ويقول : بره الله ووصله ، صالح وظرفه ثم قال : هذا عبد الله بن صالح ، ثم كشف المنديل فاذا بعضها فوق بعض : في أحدها فستق ، وفي الآخر بندق ، إلى غير ذلك من الفاكة ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما في هذا البر ما يستحق به هذا الدعاء ، إلا أن يكون في الكتاب شيء قد خفي على ، فنبذه إلى فاذا فيه : دخلت يا أمير المؤمنين بستانا لي في داري ، عمرته بنعمتك ، وقد أينعت فواكه ، فأخذت من كل شيء وصيرته في أطباق قضبان ووجهته إلى أمير المؤمنين ليصل إلى من بركة دعائه ما وصل إلى من نوافل بره ، قلت : ولا والله ما في هذا أيضا ما يستحق به هذا ، فقال : يا صبي ، أما ترى كيف كنى بالقضبان عن الخيزران إعظاماً لأننا رحمها الله تعالى ووقف رجل من بني أمية في طريق الرشيدي ومعه كتاب فيه :

يا أمين الله ، إني قائل قول ذي لبٍ وصدقٍ وحسبٍ
لكم الفضل علينا ولنا بكم الفضل على كل العرب
عبد شمس كان يتلو هاشما وهما بعدُ لأُم ولأب
فَصِلِ الأرحام منا ، إنما عبد شمس عم عبد المطلب
فأمر له لكل بيت ألف دينار ، وقال : لو زدتنا لزدناك

رجل عبشمي
يسأل الرشيد
صلته

ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين
قد أصيب في هذه الليلة بولد ، وولده ولد ، فعزَّ وهنَّ ، فلما مثل قال : يا أمير المؤمنين
سرك الله فيما ساءك ، وجعل هذه لهذه ثوابا للصابر ، وجزاء للشاكر

عبد الملك بن
صالح يهيء
الرشيد ويعزيه

ولما اشتدت علته وصار إلى طوس سنة ثلاث وتسعين ومائة هـ ون عليه
الاطباء علته فأرسل إلى طبيب فارسي كان هناك ، فأراه ماءه مع قوارير شتى ، فلما
انتهى إلى قارورته قال : عرفوا صاحب هذا الماء أنه هالك فليوص فإنه لا براء له
من هذه العلة ، فبكى الرشيد وجعل يردد هذين البيتين :

مرض الرشيد

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع محذور أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبرئ مثله فيما مضى

واشتد ضعفه ، وأرجف الناس بموته ، فدعا بحمار أيركبه ، فلما صار عليه
سقطت فخذه فلم يثبت على السرج ، فقال : أنزلوني ، صدق المرجفون ، ثم دعا
بأكفان فاختر منها ما أراد ، وأمر بحفر قبر ، فلما اطلع فيه قال (ما أغنى عني
ماله ، هلك عني سلطانيه) ثم دعا بأخى رافع ، فقال : أزعجتُموني حتى تجشمت
هذه الأسفار مع عاتى وضعفى ، وكان رافع ممن خرج عليه ، قال : لأقتلنك قتلةً
ما قتل مثلها أحد قبلك ، ثم أمر ففصل عضوا عضوا ، واستأمن رافع بعد ذلك
على المأمون ، وقد ذكرنا خبره في غير هذا الكتاب ، ثم دعا من كان بعسكره
من بني هاشم ، فقال : إن كل مخلوق ميت ، وكل جديد بال ، وقد نزل بي ماترون

وأنا أوصيكم بثلاث : الحفظ لأمانتكم ، والنصيحة لأمتكم ، واجتماع كلمتكم ،
وانظروا محمدا وعبد الله فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن بغيه ، وقبحوا له
بغيه ونكته ، وأقطع في ذلك اليوم أموالا وضياعا

قال الرياشي : قال الأصمعي : دخلت على الرشيد وهو ينظر في كتاب
ودموعه تتحدر على خديه ، فطلت قائما حتى سكن ، وحان منه التفاتة ، فقال :
اجلس يا أصمعي ، أرايت ما كان ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أما والله
لو كان لأمر الدنيا ما رأيت هذا ، ورمى بقرطاس ، فاذا فيه شعر لأبي العتاهية
بخط جميل ، وهو :

هل أنت معتبر بمن خليت	منه غداة مضى دساكره
وبمن أذل الموت مصرعه	فتبرأت منه عشائره
وبمن خلت منه أسرته	وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم ؟	صاروا مصيرا أنت صائره
يا مؤثر الدنيا بلذته	والمستعد لمن يفاخره
قل ما بدالك أن تنال من	الدنيا فان الموت آخره

ثم قال الرشيد : كأني والله أخاطبُ بذلك دون الناس ، فلم يلبث بعد ذلك

إلا يسيرا حتى مات

قال المسعودي : قد ذكرنا جملا من أخبار الرشيد ، والله ولي التوفيق

فلنذكر الآن جملا من أخبار البرامكة

فضائل البرامكة

لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جوده رأيه وبأسه وجميع خلاله ؛ لا يحيى في رأيه ، ولا الفضل في جوده ، ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصاحته ، ولا محمد بن يحيى في رأيه وحمته ، ولا موسى بن يحيى في شجاعته ، وفيمن ذكرنا يقول الشاعر :

أولاد يحيى بن خالدٍ وُهمُّ أربعة سيّدٍ ومتبوع

الخير فيهم إذا سألت بهم مُفرّقٌ فيهم ومجموع

ولما أفضت الخلافة إلى الرشيد استوزر البرامكة ، فاحتازوا الأموال دونه ،

الخلاف في سبب نكبتهم حتى كان يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه ، وكان إيقاعه بهم في سنة سبع وثمانين ومائة ، واختلف في سبب ذلك : فقتل احتياز الأموال ، وأنهم

أطلقوا رجلا من آل أبي طالب كان في أيديهم ، وقيل غير ذلك ؛ والله أعلم

ويحكى أنه ورد على الرشيد يوما كتاب صاحب البريد بخراسان ، ويحيى

ابن خالد بين يديه ، يذكر فيه أن الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد واللذات عن

النظر في أمور الرعية ؛ فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى ، وقال له : يا أبت ، اقرأ

هذا الكتاب واكتب إليه كتابا يردعه عن مثل هذا ، فمديده إلى دواة الرشيد

وكتب إلى الفضل على ظهر كتاب الرشيد : حفظك الله يا بني ، وأمتع بك ، قد

انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن

النظر في أمور الرعية ما أنكره ، فعَاوِدُ ما هو أزين بك ، فانه من عاد إلى ما

يزينه لم يعرفه أهل دهره إلا به ، والسلام ، وكتب في أسفله هذه الأبيات :

انصب نهارا في طلاب العلاء واصبر على فقد لقاء الحبيب

حتى إذا الليل بدا مقبلا واستترت فيه وجوه العيوب

فبادر الليل بما تشتهي فانما الليل نهار الأريب

الفضل بن يحيى
يتشاغل بالصيد

كم من قتي تحسبه ناسكا يستقبل الليل بأمر عجيب
ألقى عليه الليل أستاره فبات في لهو وعيش خصيب
ولذة الأحق مكشوفة يسعى بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر إلى ما يكتب، فلما فرغ قال: أبلغت يا أبت، فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهرا إلى أن انصرف عن عمله

قال إسحق: كنت عند الرشيد يوما، وأحضر البرامكة الشراب، وأحضر وصف مجلس من مجالس الرشيد والبرامكة يحيي بن خالد جارية فغنت:

أرقت حتى كأنني أعشق الأرقا وذُبْتُ حتى كأن السقم لي خلَقَا
وفاض دمعى على قلبي فأغرقه يامن رأى غرقا في الماء محترقا

فقال الرشيد: لمن هذا؟ فقيل: لخالد بن يزيد الكاتب، قال خالد: فأحضرت وقيل للجارية: أعيدى، فأعادت، فقال: لمن هذا؟ فقلت: لى يا أمير المؤمنين، فبينما نحن كذلك إذ أقبلت وصيفة معها تفاحة عليها مكتوب بغالية:

سُرُورُكَ أهلك عن موعدى فَصَيَّرْتُ تَفَاحِي تَذَكِيرَه
فأخذ الرشيد تفاحة وكتب عليها بغالية:

تَقَاضَيْتِ وَعَدَى وَلَمْ أُنْسه فَتَفَاحِي هَذِهِ مَعْذِرَه
ثم قال: يا خالد، قل في هذا شيئا، فقال:

تَفَاحَةٌ خَرَجْتَ بِالْدر من فيها أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
بيضاء من حمرة علت بغالية كَأَنَّمَا قُطِفَتْ مِنْ خَدْمِ مُهْدِيهَا

حدث الجاحظ عن أنس بن أبي شيوخ، قال: ركب جعفر بن يحيى ذات يوم وأمر خادما له أن يحمل ألف دينار، وقال: سأجعل طريقى على الأصمعى، فإذا حدثنى فرأيتنى ضحكت فاجعلها بين يديه، ونزل جعفر عند الأصمعى، فجعل

الأصمعى
وسوء نظامه

يحدثه بكل أعجوبة ونادرة تطرب وتضحك ، فلم يضحك ، وخرج من عنده فقال له أنس : رأيت منك عجباً ، أمرت بألف دينار للأصمعي وقد حركك بكل مضحكة وليس من عادتك أن ترد إلى بيت مالك ما قد خرج عنه ، فقال له : ويحك !! إنه قد وصل إليه من أموالنا مائة ألف درهم قبل هذه المرة ، فرأيت في داره خبا مكسورا وعليه دراعة خلق ومقعدا وسخا وكل شيء عنده رثا ، وأنا أرى أن لسان النعمة أنطق من لسانه ، وأن ظهور الصنعة أمدح وأهجي من مدحه وهجائه ، فعلى أي وجه أعطيه إذا كانت الصنعة لم تظهر عنده ولم تنطق النعمة بالشكر عنه

وفي الرشيد وجعفر يقول الشاعر :

أضاف إلى بيعته بيعةً فقام بها جعفر وحدهُ
بنو برمكٍ أسسوا ملكه وشدوا لوارثه عقدهُ

وكان يحيى بن خالد ذا بحث ونظر ، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل ، فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده قد أكثرتم الكلام في الكون والظهور ، والقدم والحدوث ، والاثبات والنفي ، والحركة والسكون ، والماسة والمباينة ، والوجود والعدم ، والجر والطفرة ، والأجسام والأعراض ، والتعديل والتحرير ، والكمية والکیفیه ، والمضاف ، والامامة أنص هي أم اختيار ، وسائر ما نوره من الكلام في الأصول والفروع ، فقولوا الآن في العشق على غير مفاذعة ، وليورد كل واحد منكم ما سنع له فيه ، وخطر بباله

يحيى بن خالد
البرمكي

فقال علي بن هيثم : أيها الوزير ، العشق ثمر المشاكلة ، وهو دليل على تمازج الروحين ، وهو من بحر اللطافة ، ورقة الصنعة ، وصفاء الجوهر ، والزيادة فيه نقصان من الجسد

جلساء يحيى
يتحدثون عن
العشق

وقال أبو مالك الحضرمي وهو خارجي المذهب : أيها الوزير ، العشق نفث
السحر ، وهو أخفى وأحر من الجمر ، ولا يكون إلا بازواج الطبعين ، وامتزاج
الشكاكين ، وله نفوذ في القلب كنفوذ صَيَّب المزن في خلل الرمل ، تنقاد له
العقول ، وتستكين له الآراء

وقال أبو الهذيل وهو مغربي : أيها الوزير ، العشق يختم على النواظر ، ويطمع
على الأفئدة ، مرتقى في الأجساد ، ومسرعة في الأكباد ، وصاحبه منصرف الظنون
متغير الأوهام ، لا يصفو له موجود ، ولا يسلم له موعود ، تسرع إليه النواذب ،
وهو جرعة من تقيع الموت ، وبقية من حياض الشكل ، غير أنه من أريحية
تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في الشئال ، وصاحبه جواد لا يصفو إلى داعية
المنع ، ولا يسبح به نازع العذل

وقال النظام إبراهيم بن يسار المعتزلي : العشق أرق من الشراب ، وأدب
من الشباب ، وهو من طينة عطرة عجنّت في إناء الحلّى ، حلو المجتنى ما اقتصد ،
فاذا أفرط عاد أصلا قاتلا ، وفسادامعضلا ، لا يطعم في إصلاحه ، له سحابة غزيرة
على القلوب ، فتعشب شغفا ، وتثمر كلما ، وصريعه دائم اللوعة ، ضيق المتنفس ،
مشارف الزمن ، طويل الفكر ، إذا جنّه الليل أرق ، وإذا وضعه النهار قلق ،
صومه البلوى ، وإفطاره الشكوى

ثم قال الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ومن يليهم ،
حتى طال الكلام في العشق بألفاظ مختلفة ومعانٍ تتقارب وتتناسب ، وفيما
مر دليل عليه

كلام في
العشق
واختلاف
الناس في
سببه

قال المسعودي : تنازع الناس في ابتداء وقوع الهوى وكيفيته ، وهل ذلك
من نظر وسماع ، واختيار واضطرار ، وماعلة وقوعه بعد أن لم يكن وزواله بعد
كونه ؟ وهل ذلك فعل النفس الناطقة أو الجسم وطباعه ؟

فقال بقراط : هو امتزاج النفسين ، كما لو امتزج الماء بماء مثله عسر تخليصه بحيلة من الاحتيال ، والنفس أطف من الماء ، وأرق مسلكا ، فمن أجل ذلك لا تزيله الليالي ، ولا تخلقه الدهور ، دق عن الأوهام مسلكه ، وخفى عن الأبصار موضعه ، غير أن ابتداء حركته من القلب ، ثم تسير إلى سائر الأعضاء ، فتظهر الرعدة في الأطراف ، والصفرة في الألوان ، واللجاجة في الكلام ، والضعف في الرأي ، حتى ينسب صاحبه إلى النقص

وذهب بعض الأطباء إلى أن العشق طمع يتولد في القلب ، وتجتمع إليه مواد الحكمة ، فإذا قوى زاد بصاحبه الاهتياج واللجاج والفكر والأمانى ويبس الدماغ وذلك أن التمدد في الطمع للدم محرق ، فإذا احترق استحال إلى السوداء ، فإذا قويت جلبت الفكر فتستعلى الحرارة ، وتلتهب الصفراء ثم تستخيل الصفراء سوداء ، وتصير مادة لها ، فتقوى طباع السوداء ، فتختلط الكيموسات ، فينفذ يشتد مابه ، فيموت أو يقتل نفسه ، وربما شق فتخفى روحه أربعا وعشرين ساعة فيظن أنه مات فيصير حيا ، وربما تنفس الصعداء فتخفى روحه في تأمور قلبه ، وينضم القلب ولا ينفرج حتى يموت ، وربما ارتاح وتشوق ونظر إلى من يحب نجاة ، وقد يرى العاشق إذا سمع ذكر من يحب كيف يموت دمه ويحول لونه وقال بعضهم : إن الله خلق كل روح مدورة على هيئة الكرة ، وجزأها أنصافا ، وجعل كل نصف جسدا ، فكل جسد لقي قسيمه ، وهو ذلك النصف من الكرة ، كان بينهما عشق المناسبة القديمة

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة : ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »

وذهب قوم إلى ما تعتقده العرب في ذلك ، ومنه قول جميل في بثينة :
تعلقَ رُوحى رُوحها قبل خلقها ومن قبل ما كُنَّا نطافاً وفي المهد

فزاد كما زدنا فأصبح ناميا وليس وإن متنا بمنتهى العهد
ولكنه باقى على كل حالة وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد
وقال جالينوس : المحبة تقع بين العاقلين لتشا كلهما فى العقل ، ولا تقع بين
الأحمقين وإن كانا شكلين فى الحق ؛ لأن العقل يجرى على ترتيب ، فَمَا يَجْرِيَان
فيه على طريق واحدة ، والأحمق لا يجرى على ترتيب ، ولا يجوز أن يتفق فيه
اثنان ، ولا يختلفان

وقسم بعض العرب الهوى فقال :
ثلاثة أحباب فحبُّ عَلاَقَةٍ وحبُّ تِمَالُاقٍ ، وحب هو القتل
وقال الصوفية ببغداد : إن الله عز وجل إنما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا
أنفسهم بطاعة من يهوونه ؛ ليشق عليهم سخطه ، ويسرهم رضاه ، فيستدلوا بذلك
على قدر طاعة الله ؛ إذ كان لا مثل له ، ولا نظير ، فإذا أوجبوا على أنفسهم
طاعة سواه كان تعالى أخرى أن يتبع رضاه
وللباطنية المتصوفة فى هذا كلام كثير
وقال أفلاطون : ما أدرى ما الهوى ، غير أنه جنون ، والهوى لا محمود
ولا مذموم

وكتب بعض الكتاب إلى أخ له : إني صادفت منك جوهر نفسى ، فأنا
غير محمود على الاتقياء إليك ؛ لأن النفس يتبع بعضها بعضا

وللناس من خلف وسلف من الفلاسفة والفلسكيين والاسلاميين وغيرهم كلام
كثير فى العشق قد أتينا على ذلك فى كتابنا « أخبار الزمان » من الأمم الماضية
والأجيال الحالية ، والممالك الدائرة ، وإنما خرجنا مما كنا فيه آنفا من أخبار
البرامكة عند ذكرنا العشق ، فتغافل بنا الكلام إلى إيراد لمع مما قيل فى ذلك

فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه من أخبارهم ، واتساق أيامهم ، وانتظامها لهم
بالسعود ، ثم انعكاسها إلى النعوس

الرشيد بزوج
جعفر بن
يحيى أخته
العباسة فيكون
سببا لنكبة
البرامكة

ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة أنه لما بلغ جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك
ويحيى بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك ما بلغوا في الملك ، وتناهاوا في
الرياسة ، واستقامت لهم الأمور ، حتى قيل : إن أيامهم عروس وسرور دائم لا
يزول ؛ قال الرشيد لجعفر بن يحيى : ويحك يا جعفر ! ليس في الأرض طاعة
أنا بها آنس ولا إليها أميل وأنا بها أشد استمتعا وأنسا مني برؤيتك ، وإن
للعباسة أختي مني موقعا ليس بدون ذلك ، وقد نظرت في أمرى معكما ، فوجدتني
لا أصبر عنك ولا عنها ، ورأيتني ناقص الحظ والسرور منك يوم أكون معها ،
وكذلك حكى في يوم كوني معك دونها ، وقد رأيت شيئا يجتمع لى به السرور ،
وتتكأف لى به اللذة والأنس ، فقال : وفقك الله يا أمير المؤمنين ، وعزم لك على
الرشدى أمورك كلها ، قال له الرشيد : قد زوجتكها تزويجا تملك به مجالستها والنظر
إليها والاجتماع بها فى مجلس أنا معكما فيه ، فزوجه الرشيد بعد امتناع كان من
جعفر إليه فى ذلك ، وأتى فأشهد له من حضره من خدمه وخاصة مواليه ، وأخذ
الرشيد عليه عهد الله وموآثيقه وغليظ أيمانه أنه لا يخلو بها ، ولا يجلس معها ،
ولا يظله وإياها سقف بيت إلا وأمر المؤمنين الرشيد ثالثهما ، خلف له جعفر على
ذلك ، ورضى به ، وألزمه نفسه ، وكانوا يجتمعون على هذه الحالة التى وصفنا ،
وجعفر فى ذلك صارف بصره عنها ، مزورٌ بوجهه هيبسة لأمر المؤمنين ، ووفاء
بعده وأيمانه وموآثيقه على ما وافقه الرشيد عليه ، وعَلِمَتِ العباسية ، وأضمرت
الاحتياىل عليه ، وكتبت إليه رقعة ، فزال رسومها وتهدها ، وعادت فعاد بمثل
ذلك ، فلما استحكم اليأس عليها قصدت لأمه ، ولم تكن بالخازمة ، فاستألتها
بالهدايا من نفيس الجواهر والألطف ، وما أشبه ذلك من كثرة المال وألطف
الملوك ، حتى إذا ظنت أنها لها فى الطاعة كالأمة ، وفى النصيحة والاشفاق

كالوالدة ، ألتقت إليها طرفا من الأمر الذى تريده ، وأعلمتها ما لها فى ذلك من
 جزيل العاقبة ، وما لها من الفخر والشرف بمصاهرة أمير المؤمنين ، وأوهمتها أن
 هذا الأمر إذا وقع كان به أمان لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبتها ،
 فاستجابت لها أم جعفر ، ووعدتها إعمال الحيلة فى ذلك ، وأنها تلطف لها حتى
 تجمع بينهما ، فأقبلت على جعفر يوما فقالت له : يا بنى ، قد وصفت لى وصيفة فى
 بعض القصور من تربية الملوكة قد بلغت فى الأدب والمعرفة والظرف والخلوة مع
 الجمال الرائع والقدر البارع والخصال المحمودة ما لم ير مثله ، وقد عزمت على
 اشترائها لك ، وقد قرب الأمر بينى وبين مالكةا ، فاستقبل كلامها بالقبول ،
 وعلقت قلبه ، وتطلعت إليها نفسه ، وجعلت تطلعه ، حتى اشتد شوقه ، وقويت
 شهوته ، وهو فى ذلك يلح عليها ، فلما علمت أنه قد عجز عن الصبر واشتد به
 القلق قالت له : أنا مهديتها إليك ليلة كذا وكذا ، وبعثت إلى العباسة
 فأعلمتها بذلك ، فتأهبت وسارت إليها تلك الليلة ، وانصرف جعفر من عند
 الرشيد وقد بقى فى نفسه من الشراب فضلة لما عزم عليه ، فدخل منزله ، وسأل عن
 الجارية فخبّر بمكانها ، فادخلت على فتى سكران لم يكن بصورتها عالما ، ولا على
 خلقها واقفا ، فقام إليها فواقها ، فلما قضى إليها حاجته قالت له : كيف رأيت حيل
 بنات الملوكة ؟ قال : وأى بنات الملوكة تعنين ؟ وهو يرى أنها من بعض بنات الملوكة ؛
 فقالت : أنا مولاتك العباسة بنت المهدي ، فوثب فرعا قد زال عنه سكره وفارقه
 عقله ، فأقبل عليها وقال : لقد بعتنى بالثمن الرخيص ، وحملتني على المركب الوعر ،
 وانظري ما يؤول إليه حالى ، وانصرفت مشتملة منه على حمل ، ثم ولدت غلاما
 فوكلت به خادما من خدمها يقال له رياش وحاضنة تسمى برة ، فلما خافت ظهور
 الخبر وانتشاره وجهت الصبي الخادم والحاضنة إلى مكة وأمرتهما بتر بيته ، وطالت
 مدة جعفر ، وغلب هو وأبوه وإخوته على أمر المملكة ، وكانت زبيدة من
 الرشيد بالمنزلة التى لا يتقدمها أحد من نظرائها ، وكان يحيى بن خالد لا يزال يتفقد

أمر حرم الرشيد ويمنعهم من خدمة الخدم فشكت زبيدة إلى الرشيد فقال ليحيى ابن خالد : يا أبت ، ما بال أم جعفر تشكوك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أمتهم أنا في حرمك وتدير منزلك عندك ؟ فقال : لا والله ، فقال : لا تقبل قولها ، قال الرشيد : فلست أعاولك ، فازداد يحيى لها منعا ، وعليها في ذلك غلظة ، وكان يأمر بقتل أبواب الحرم بالليل ، ويمضى بالمفاتيح إلى منزله ، فبلغ ذلك من أم جعفر كل مبلغ ، فدخلت ذات يوم على الرشيد فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما يحمل يحيى على ما لا نراك تفعل من منعه إياي من خدمي ووضعه إياي في غير موضعي ؟ فقال لها الرشيد : يحيى عندي غير متهم في حرمي ، فقالت : إن كان كذلك لتحفظ ابنه مما ارتكبه ، فقال : وماذا ؟ فخبرته وقصت عليه قصة العباسة مع جعفر ؛ فسقط في يده ، وقال لها : هل لك على ذلك من دليل وشاهد ؟ قالت : وأى دليل أدل من الولد ؟ قالت : وقد كان ههنا ، فلما خافت ظهور أمره وجهته إلى مكة ، فقال لها : فيعلم هذا أحد غيرك ؟ قالت : ما في قصرك جارية إلا وقد علمت به ؛ فأمسك على ذلك ، وطوى عليه كشحا ، وأظهر أنه يريد الحج ، فخرج هو وجعفر ابن يحيى ، وكتبت العباسة إلى الخادم والحاضنة أن يخرجها بالصبي إلى اليمن ، فلما صار الرشيد إلى مكة وكل من يثق به بالفحص والبحث عن أمره ، فوجد الأمر صحيحا ، فلما قضى حجه ورجع أضمر في البرامكة على إزالة نعمهم ، فأقام ببغداد مديدة ثم خرج إلى الأنبار ، فلما كان في اليوم الذي عزم فيه على قتل جعفر دعا بالسندی بن شاهك ، فأمره بالمضي إلى مدينة السلام والتوكيل بدور البرامكة ودور كتابهم وقراباتهم ، وأن يجعل ذلك سرا من حيث لا يكلم أحدا حتى يصل إلى بغداد ثم يفضي بذلك لمن يثق به من أهله وأعوانه ، فامثل السندی ذلك وقعد الرشيد وجعفر عنده في موضع يعرف في الأنبار بالقمر ، فأقاما يومها بأحسن هيئة وأطيب عيش ، فلما انصرف جعفر من عنده خرج الرشيد حتى ركب مشيعا له ثم رجع ، فمضى جعفر إلى منزله وفيه فصاة الشراب ، ودعا بأبي بكار الأعمى

الايقاع
بالبرامكة

الطنبورى وابن أبى نجیح كاتبه ، ومدت ستارة ، وجلس جواریه خلفها يضربن
ويغنين وابن بكار يغنيه :

ما تريد الناس منا ما تنام الناس عنا
إنما همهم أن يظهروا ما قد دَفَنَّا

وأمر الرشيد من ساعته ياسرا خادمه المعروف بوخلة فقال له : إني أندبك
لأمر لم أر محمدا ولا القاسم له أهلا ولا موضعا ، ورأيتك به مستقلانا هضا ، فحقق
ظنى ، واحذر أن تخالفنى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أمرتني أن أدخل السيف في
بطنى وأخرجه من ظهري بين يديك لفعلت ، فمر بأمرك فإني والله مسرع ، فقال :
ألست تعرف جعفر بن يحيى البرمكي ، قال : يا أمير المؤمنين ، وهل أعرف سواه
أو ينكر مثل جعفر ؟ قال : ألم تر تشييعي إياه عند خروجه ، قال : بلى ، قال :
فامض الساعة إليه فأتني برأسه على أى حالة تجده عليها ، فأرتج على ياسر الكلام
وأخذته رعدة ، ووقف لا يحير جوابا ، فقال : يا ياسر ، ألم أتقدم إليك بترك
الخلاف على ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن الخطب أجل من ذلك ، والأمر
الذى ندبني إليه أمير المؤمنين وددت لو أتى كنت مت قبل أن يجرى على يدي
منه شيء ، فقال : دع عنك هذا ، وامض لما قد أمرتك ، فمضى ياسر حتى دخل
على جعفر وهو على حال لهوه ، فقال له : إن أمير المؤمنين قد أمرني فيك بكيت
وكيت ، فقال جعفر : إن أمير المؤمنين يمازحني بأصناف من المزاح فأحسب أن
أن هذا جنس منه ، فقال : والله ما افتقدت من عقله شيئا ولا ظننته شرب خمر
في يومه مع ما رأيت من عبارته ، قال له : فإن لى عليك حقوقا لم تجد لها مكافأة
وقتا من الأوقات إلا هذا الوقت ، قال : تجدني إلى ذلك سريعا إلا فيما خالف
أمير المؤمنين ، قال : فارجع إليه فأعلمه أنك قد نفذت ما أمرك به ، فإن أصبح
نادما كان حياتي على يديك جارية ، وكانت لك عندي نعمة بمجددة ، وإن
أصبح على مثل هذا الرأي نفذت ما أمرت به في غد ، قال : ليس إلى ذلك

الرشيد يأمر
بقتل جعفر
ابن يحيى

سبيل ، قال : فأصير معك إلى مضرب أمير المؤمنين حتى أقف بحيث أسمع كلامه ومراجعتيه إليك ، فإذا أبديت عذرا ولم يقنع إلا بمصيرك إليه برأسى خرجت فأخذت رأسى من قرب ، قال له : أما هذا فنعم ، فمضيا جميعا إلى مضرب الرشيد فدخل إليه ياسر فقال : قد أخذت رأسه يا أمير المؤمنين ، وها هو ذا بالخضرة ، فقال له : ائتني به وإلا والله قتلتك قبله ، فخرج فقال : أسمعت الكلام ؟ قال : فشأنك وما أمرت به ، فأخرج جعفر من كه منديلا صغيرا فعصب به عينيه ومد رقبته فضر بها وأدخل رأسه إلى الرشيد ، فلما رأى الرأس بين يديه أقبل عليه وجعل يذكره بذنوبه ، ثم قال : يا ياسر ، ائتني بفلان وفلان ، فلما أتى بهم قال لهم : اضربوا عنق ياسر ، فاني لا أقدر أنظر إلى قاتل جعفر .

وقال الأصمعي : وَجَّهَ إلى الرشيد في تلك الليلة ، فلما أدخلت إليه قال : يا أصمعي ، قد قلت شعرا فاسمعه ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فأشد لو أن جعفر هاب أسباب الردى لَنَجَا بِمُجْتَه طِمْرٍ ملجم ولكان من حذر المتنون بحيث لا يسمو إليه به الغراب القشعم لكنه لما تقرب وقته لم يدفع الحدثن عنه منجم قال الأصمعي : ورجعت إلى منزلي فلم أصر إليه حتى تحدث الناس بقتل جعفر ، وأصيب على باب قصر علي بن عيسى بن ماهان بخراسان في صبيحة الليلة التي قتل فيها جعفر وأوقع بالبرامكة مكتوب بقلم جليل

إن المساكين بنو برمك صُبْتُ عليهم غيرُ الدهر

إن لنا في أمرهم عبرة فليعتبر ساكن ذا القصر

قال المسعودي : وكان مدة دولة البرامكة وسلاطنتهم وأيامهم النضرة الحسنة من استخلاف هرون الرشيد إلى أن قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما ، وقد رثتهم الشعراء ، فمن ذلك قول علي بن أبي معاذ : -

على بن أبي معاذ
يرثي البرامكة

يا أيها المغترُّ بالدَّهرِ والدَّهرُ ذوُ صرفٍ وذوُ غدرٍ
لأتأمنَ الدَّهرَ وصوْلاته وكن من الدَّهرِ على حذرٍ
إن كنت ذا جَهْلٍ بتصرُّفه فانظر إلى المصْلوبِ بالجسرِ
فإن فيه عِبْرَةً فاعتبر إذا الحجا والعقل والفكرِ
وخذ من الدُّنيا صفا عيشها واجر مع الدَّهرِ كما يجري
كان وزير القائم المرتضى وذا الحجا والفضل والذكرِ
وكانت الدُّنيا بأقطارها إليه في البروفى البحرِ
يُسَيِّدُ الملك بآرائه وكان فيه نافذ الأمرِ
فبينما جعفر في ملكه عشية الجمعة بالقمرِ
يطير في الدُّنيا بأجناحه بأهل طول الجلد والعمرِ
إذ عثر الدَّهرُ به عثرةً ياويلنا من عثرة الدَّهرِ
وزلت النعل به زلة كانت له قاصمة الظهرِ
فغودر البأس في ليلة السه بت قتيلًا مطلع الفجرِ
وأصبح الفضل بن يحيى وقد أحيط بالشيخ وما يدرى
وجيء بالشيخ وأولاده يحيى معاً في الغل والأسرِ
والبرمكيين وأتباعهم من كان في الآفاق والمصرِ
كأنما كانوا على موعد كموعِد الناس إلى الحشرِ
وأصبحوا للناس أخطوثة سبَّحان ذى السلطان والأمرِ

وقال : -

أَلَا نَ أُرْحَنَا واستراحت ركبنا وأمسك من يجدى ومن كان يجتدى^(١)

(١) « ألان » يريد الآن ، ومثله قول الشاعر :

وقد كنت تخفى حب سمرام حقبة فبج لان منها بالذى أنت بائع

فقل للمطايا : قد أمنت من السرى وطىّ الفيافى قد قدّا بعد فدقد

ودونك سيفاً برمكياً مهنداً أصيب بسيف هاشمى مهنداً
وقال فيهم سلم الخاسر :

مسلم الخاسر
يرثيهم

خوت أنجم الجدوى وشكت يد النوى وغازت بحار الجود بعد البرامك

هوت أنجم كانت لأبناء برمك بها يعرف الهادى طويل المسالك
وقال فيهم صالح الأعرابى :

صالح الأعرابى
يرثيهم

لقد خان هذا الدهر أبناء برمك وأى ملوك لم تخنها دهورها

ألم يك يحى والى الأرض كلها فأضحى كمن وارته منها قبورها
وقال فيهم أبو حرة الأعرابى ، وقيل أبو نواس :

أبو حرة
الأعرابى
يرثيهم

مارمى الدهر آل برمك لما أن رمى ملكهم بأمر بديع
إن دهرًا لم يرعَ حقاً ليحى غير راع حقاً لال الربيع
وقال :

يا بنى برمك وأهالكم ولأيامكم المقتبلة
وقال أشجع فيهم :

أشجع يرثيهم

ولكى عن الدنيا بنو برمك فلو توالى الناس مازادا

كأنما أيامهم كلها كانت لأهل الأرض أعيادا
وقال منصور اليمنى :

منصور اليمنى
يرثيهم

أبدت بنى برمك لدينا تبكى عليهم بكل واد

كانت بهم برهة عروسا فأضحت الأرض فى حداد
وقال دعبل :

دعبل يرثيهم

ألم ترصرف الدهر فى آل برمك وفى ابن نهيك والقرون التى تخلو

وقال أشجع فيهم أيضا :

أشجع أيضا

قد سار دهر بيني برمك ولم يدع فيهم لنا قيسا
كانوا أولى الخير وهم أهله فارتفع الخير عن الدنيا

وقال الفضل بن يحيى وهو وأبوه في السجن :

الفضل بن يحيى
وأبوه في
السجن

إلى الله فيما نابنا نرفع الشكوى ففي يده كشفُ المضرة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلا نحن في الأموات فيها ولا الأحياء
إذا جاءنا السجن يوما لحاجة عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا
وكان الرشيد كثيرا ما ينشد بعد نكبة البرامكة :

إن سهامنا إذا وقعت لتقدما تعلو بها رتبة
وإذا بدت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

عبادة أم جعفر
ابن يحيى البرمكي

وقال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي : دخلت على والدتي يوم نحر ، فوجدتها
وعندها برزّة متكلمة ، فقالت لي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، قالت : هذه عبادة
أم جعفر بن يحيى ، فأقبلت عليها بوجهي أحدثها وأعظمها ، ثم قلت لها : يا أماه
ما أعجب ما رأيت ؟ فقالت : يا بني ، لقد أتى على عيد مثل هذا وأنا على رأسي
أربعائة وصيفة ، وإني أعدابني عاقا ، ولقد أتى على هذا العيد وما أتمنى سوى
جلد شاتين أفترش أحدهما وألتحف الآخر ، قال : فدفعت إليها خمسمائة درهم ،
فكادت تموت فرحابها ، ولم تزل تختلف إلينا حتى فرق الموت بيننا

نصيحة بعض
اعمام الرشيد
ليحيى البرمكي

وحكى عن بعض عمومة الرشيد أنه صار إلى يحيى عند تغير الرشيد له قبل
الايقاع بهم ، فقال له : إن أمير المؤمنين قد أحب جمع الأموال ، وقد كثر ولده
عليك وعلى أصحابك ، فلو نظرت إلى ضياعهم وأموالهم فجعلتها لأمر المؤمنين
وتقربت بها رجوت أن يكون لك السلامة ، وأن يرجع لك أمير المؤمنين ، فقال

له يحيى: والله لأن تزول النعمة عنى أحب إلى من أن أزيها عن قوم كنت سببها إليهم

وذكر الخليل بن المهيم - وكان قد وكله الرشيد بيحيى والفضل فى الحبس - قال: أتانى مسرور الخادم ومعه جماعة من الخدم، ومع خادم منهم مندبل ملفوف فسبق إلى نفسى أن الرشيد قد تعطف عليهم، فوجه إليهم بلطف، فقال لى مسرور: أخرج الفضل بن يحيى، فلما مثل بين يديه قال: إن أمير المؤمنين يقول لك: إني قد أمرتك أن تصدقنى عن أموالكم فرعمت أنك قد فعلت، وقد صح عندى أنك أبقيت لك أموالا، وقد أمرت مسرورا إن لم تطلعه عليها أن يضربك مائتى سوط، فقال له الفضل: فعلت والله يا أبا هاشم، فقال له مسرور: يا أبا العباس أرى لك أن لا تؤثر مالك على مهجتك، فإني لا آمن إن أتقذ ما أمرت به فيك أن آتى على نفسك، فرفع الفضل رأسه إلى السماء وقال له: يا أبا هاشم، ما كذبت بأمر المؤمنين، ولو كانت الدنيا لى وخيرت بين الخروج منها وبين أن أقرع مقرعة لاخترت الخروج منها، وأمير المؤمنين يعلم وأنت تعلم أنا كنا نصون أعراضنا بأموالنا، وكيف صرنا اليوم نصون أموالنا منكم بأنفسنا، فإن كنت أمرت بشيء فامض له، فأمر بالمندبل فنفض، فسقط منه أسواط بأثمارها فضرب مائتى سوط، وتولى ضربه أولئك الخدم، فضر به أشد الضرب الذى يكون بغير معرفة، فكادوا يأتون على نفسه، فخفنا عليه الموت، فقال الخليل ابن المهيم لوكيله المعروف بابن يحيى: إن هنا رجلا قد كان فى الحبس وهو بصير بالعلاج لمثل هذا أو شبهه، فسر إليه واسأله أن يعالجه، قال: فأنهيت إليه ذلك، فقال: لعلك تريد أن تعالج الفضل بن يحيى، فقد بلغنى ما صنع به، فقلت: إياه أريد، قال: فامض بنا إليه حتى أعالجه، فلما رآه قال: أحسبه ضربه خمسين سوطا، قال: إنه ضرب مائتى سوط، قال: ما أظن إلا أن هذا أثر خمسين سوطا، ولكن يحتاج أن ينام على بارية وأدوس صدره ساعة، فأخذ بيده فجذبه

الرشيد يأمر
بضرب يحيى
مائتى سوط
لاخفائه أمواله
عنه

حتى أقامه وقد خرج الفضل ، ثم جاء به فألقاه على البارية وجعل يدوس صدره ،
ثم جذبه حتى أقامه على البارية ، فتعلق بها من لحم ظهره شيء كثير ، ثم جعل
يختلف إليه ويعالجه إلى أن نظر يوما إليه فخر ساجدا ، قفلت : مالك ، فقال :
يا أبا يحيى ، قد برىء أبو العباس ، ادن منى حتى ترى ، قال : فدنوت منه فأراني
في ظهره لحما نابتا ، ثم قال : آنفظ قولى هذا أثر خمسين سوطا ؟ قلت : نعم ،
قال : والله لو ضربت ألف سوط ما كان أثرها بأشد من ذلك الأثر ، وإنما قلت
ذلك لكي تقوى نفسه فيعيننى على علاجه ، فلما خرج الرجل قال لى الفضل :
يا أبى يحيى ، قد احتجبت عشرة آلاف درهم ، فسر إلى المعروف بالسنانى وأعلمه
حاجتى إليها ، قال : فأتيته بالرسالة ، فأمر بحملها إليه ، فقال : يا أبا يحيى ، أحب
أن تمضى بها إلى هذا الرجل ، وتعتذر إليه ، وتسأله قبول ما وجهت به ، قال :
فمضيت إليه فوجدته قاعدا على حصير وطنبور له معلق ودساتيج فيها نبذ وأداة
رثة ، فقال : ما حاجتك يا أبا يحيى ، فأقبلت أعتذر عن الفضل ، وأذكر ضيق
الأمر عليه ، وأعلمه بما وجه به إليه ، فامتعض من ذلك حتى أفرغنى ، وقال :
عشرة آلاف درهم ، فجهدت كل الجهد أن يقبلها ، فأبى ؛ فصرت إلى الفضل ،
فأعلمته ، فقال لى : استقلها والله ، ثم قال لى الفضل : أحب أن تعود إلى السنانى
ثانية وتعلمه أنى احتجبت إلى عشرة آلاف درهم أخرى ، فاذا دفعها إليك فسر
بالكل إلى الرجل ، قال : فقبضت من السنانى عشرة آلاف أخرى ورجعت
إلى الرجل ومعى المال ، وعرفته الخبر ، فأبى أن يقبل شيئا منه ، فقال : أنا أعالج
فتى من الأبناء بعدا اذهب عنى فوالله لو كانت عشرون ألف دينار ما قبلتها ،
فرجعت إلى الفضل وأخبرته الخبر ، فقال لى : يا أبا يحيى ، حدثنى بأحسن ما
رأيت أو بلغك من أفعالنا ، قال : فجعلت أحدثه ، فقال : دع عنك هذا فوالله
إن ما فعله هذا الرجل أحسن من كل ما فعلناه فى أيامنا كلها

وقتل جعفر بن يحيى وهو ابن خمس وأربعين سنة ، ومات يحيى بالرقعة في سنة تسع وثمانين ومائة على ما قدمنا

قال المسعودى : وللبرامكة أخبار حسان وسير ، وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا في ذكر أخبار ملوك الروم بعد ظهور الاسلام ، وما كان بينه وبين يعفور ، فيما تقدم من هذا الكتاب ، وللبرامكة أخبار حسان ، وما كان منهم من الافضال المعروف واصطناع المكارم ، وغير ذلك من عجائب أخبارهم وسيرهم وما مدحتهم الشعراء به ، ومرائهم ، وقد أتينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وإنما نورد في هذا الكتاب لمعا من الأخبار لم يتقدم لها إيراد في غيره من كتبنا ، وكذلك ذكر بدء أخبارهم قبل ظهور الاسلام وكونهم على بيت النوبهار ، وهو بيت النار ببلخ المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب ، وعلة تسمية برمك ، وخبر برمك الأكبر مع ملوك الترك ، وخبرهم بعد ظهور الاسلام ، وما كان منهم في أيام بنى أمية كهشام بن عبد الملك وغيره ، وما كان منهم في أيام المنصور ، واكتفينا بما ذكرناه في هذا الكتاب من التلويحات من أخبارهم واللع من آثارهم

ذكر خلافة محمد الأمين

وبويع محمد بن هرون في اليوم الذي مات فيه هرون الرشيد ، وهو يوم مجمل تاريخه السبت لأربع ليال خاون من جمادى الأول ، بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وتقدم ببيعته رجاء الخادم ، وكان القيم ببيعته الفضل بن الربيع ، وكان محمد يكنى بأبي موسى ، وأمه زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر ؛ وكان مولده بالرصافة ، وقتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما ، ودفنت جثته ببغداد ، وحمل رأسه إلى خراسان ، وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ، وكان أصغر من المأمون بستة أشهر ، وكانت أيامه من خلعه إلى مقتله سنة ونصفا وثلاثة عشر يوما حبس فيها يومين

ونذكر جملا من أخباره وسيره ، ولما كان في أيامه

قبض الرشيد والمأمون بمرو ، وبعث صالح بن الرشيد رجاء الخادم مولى محمد الأمين إلى محمد فأتاه بالخبر في اثني عشر يوما إلى مدينة السلام يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة

وذكر العتبي وغيره أن زبيدة رأت في المنام ليلة عقلت بمحمد كأن ثلاث نسوة دخان عليها وهى بمجلس ، فقعدهن عن يمينها وواحدة عن يسارها ، فدنن إحداهن فجعلت يدها على بطن أم جعفر ثم قالت : ملك عظيم البذل ، ثقیل الحمل ، نكد الأمر ، ثم فعلت الثانية كما فعلت الأولى وقالت : ملك ناقص الجذ ، مفلول الحد ، مذكوق الود ؛ تجور أحكامه ، وتخونه أيامه ، ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت : قصاف عظيم الايلاف ، كثير الخلاف ، قليل الانصاف ، قالت : فاستيقظت وأنا فرعة ، فلما كان في الليلة التي وضعت فيها

رويا زبيدة
حين حملها
بالأمين

محمدًا دخلن على وأنا نائمة كما كن دخلن، فتعدن عند رأسي، ونظرن في وجهي، ثم قالت إحداهن: شجرة نضرة، وريحانة حسنة، وروضة زاهرة، ثم قالت الثانية: عين غدقة قليل لبثها، سريع فناؤها، عجل ذهابها، وقالت الثالثة: عدو لنفسه، ضعيف في بطشه، سريع إلى غشه، مزال عن عرشه، فاستيقظت وأنا فزعًا بذلك، وأخبرت بذلك بعض قهارمتي، فقالت: بعض ما يطرق النائم، وعبث من عبث التوابع، فلما تم فضاله أخذت مرقدي ومحمد أمامي في مهده إذ بهن قد وقفن على رأسي وأقبلن على ولدي محمد، فقالت إحداهن: ملك جبار، متلاف مهذار، بعيد الآثار، سريع العثار، ثم قالت الثانية: ناطق مخصوم، ومحارب مهزوم، وراغب محروم، وشقي مهموم، وقالت الثالثة: احفروا قبره، ثم شقوا لحده، وقدموا أكفانه، وأعدوا جهازه، فان موته خير من حياته، قالت: فاستيقظت وأنا مضطربة وجلة، وسألت مفسري الأحلام والمنجمين، فكل يخبرني بسعاده وحياته طول عمره؛ وقلبي يأبى ذلك، ثم زجرت نفسي وقلت: وهل يدفع القدر أو يقدر أحد أن يدفع عن أحبائه الأجل

ومات أبو بكر بن عياش الكوفي وهو ابن ثمان وتسعين سنة، بعد موت الرشيد بثمانى عشر ليلة.

ولما هم محمد بخلع المأمون شاور عبد الله بن حازم، فقال له: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول الخلفاء نكث عهده، وتقض ميثاقه، واستخف بيمينه، فقال: اسكت الله أبوك، فعبد الملك بن صالح كان أفضل منك رأيا حيث يقول: لا يجتمع لخلان في أجمة، وجمع القواد وشاورهم، فاتبعوه في مراده إلى أن بلغ إلى هرثمة بن حازم فقال: يا أمير المؤمنين، لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك، ولا تجرى القواد على الخلع فيخلعوك، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك، فان الغادر مخذول، والناكث مغلول. ودخل على بن عيسى بن ماهان فتبسم محمد وقال: لكن شيخ هذه الدعوة،

تفكيره في
الغدر بأخيه
ومشاورته
القواد

وباب هذه الدولة ، لا يخالف إمامه ، ولا يوهن طاعته ، ثم رفعه إلى موضع مارفعه إليه فيما مضى ، وكان على بن عيسى أول من أجاب إلى خلع المأمون ، فسيره في جيش عظيم نحو المأمون ، فلما قرب من الرى قيل له : إن طاهر بن الحسين مقيم بها ، وقد كان يظن أن طاهرا لا يثبت له ، فقال : ما طاهر إلا شوكة من أغصاني ، وشرارة من ناري ، وما مثل طاهر يؤمر على جيش ، وما بينه وبين الأمين إلا أن تقع عينه على سوادكم ، فإن السخال لا تقوى على نطاح الكباش ، والثعالب لا تقدر على لقاء الأسد ، فقال له ابنه : ابعث طلّاع ، وارثد موضعا لعسكرك ، فقال : ليس طاهر يستعمله بالمكايد والتحفظ ، إن حال طاهر يؤدي إلى أمرين : إما أن يتحصن بالرى فيثب به أهلها ويكفونا مؤنته ، أو يخليها ويدبر راجعا ، لو قد قربت حيوانا منه ، فقال له ابنه : إن الشرارة ربما صارت ضرا كما ، فقال : إن طاهرا ليس قرنا في هذا الموضع ، وإنما تحترس الرجال من أقرانها ، وسار على ابن عيسى وبث عساكره من الرى وتبين ما عليه طاهر من الجدد ، وأهبة الحرب ، وضم الأطراف ؛ فعدل إلى رستاق من رساتيق الرى متياسرا عن الطريق ، فنزل وانبسطت عساكره ، وأقبل طاهر في نحو من أربعة آلاف فارس ، فأشرف على عساكره على بن عيسى وتبين كثرتها وعدة ما فيها فعلم أن لا طاقة له بذلك الجيش ؛ فقال لخواصه ومن معه : نجعلها خارجية ، وكردس خيله كراديس ، وصمد في نحو القلب في سبعمائة من الخوارزمية وغيرهم من فرسان خراسان ، وخرج إليه من القلب العباس بن الليث مولى العهد ، وكان فارسا ؛ فقصده طاهر وضم يديه على سيفه فآتى عليه ، وكان على على برذون كمت أرجل وتمالأ على رأسه الرجال ، وتنازعوا في خاتمه ورأسه ، فذبحه رجل يعرف بطاهر بن الراجي ، وقبض آخر على خصلة من شعر لحيته ، وآخر على خاتمه ، وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بيديه جميعا للعباس بن الليث ، وبذلك سمى طاهر ذا اليمينين لجمعه يديه على السيف .

الحرب بين
الفرقيين

وذكر أحمد بن هشام - وكان من وجوه القواد - قال : جئت إلى مضرب طاهر وقد توهم أنى قتلت في المعركة ومعى رأس على ، فقال : البشرى ؛ هذه خصلة من رأس على مع غلامى فى الخلالة ، فطرحه قدامه ، ثم أتى بجثته وقد شدت يده ورجلاه كما يفعل بالدواب إذا ماتت ، فأمر به طاهر فألقى فى بئر وكتب إلى ذى الرياستين فكان فى الكتاب : أطال الله بقاءك ، وكبت أعداك ، كتابى إليك ورأس على بن عيسى بين يدى وخاتمته فى أصبعى ، والحمد لله رب العالمين ، فسر المأمون بذلك ، وسلم عليه فى ذلك الوقت بالخلافة

وقد كانت أم جعفر لاتعلق من الرشيد ، فشاور بعض مجالسيه من الحكماء وشكا ذلك إليه فأشار عليه بأن يغيرها ، فان إبراهيم الخليل عليه السلام كانت عنده سارة فلم تكن تعلق منه ، فلما وهبت له هاجر عقلت منه باسما عيل ؛ فغارت سارة عند ذلك ، فعلفت باسحق ، فاشترى الرشيد أم المأمون فاستخلاها فعلقت بالمأمون ، فغارت أم جعفر عند ذلك فعلفت بمحمد

أم المأمون

الخلاف فى
الذبيح من
أبناء إبراهيم
الخليل

وقد قدمنا التنازع فى ذلك - أعنى قصص إبراهيم وإسماعيل وإسحق عليهم السلام ، وقول من ذهب إلى أن إسحق هو المأمور بذبحه ، ومن قال بل إسماعيل ، وما ذكر كل فريق منهم ، وقد تناظر فى ذلك السلف والخلف ؛ فمن ذلك ماجرى بين عبد الله بن عباس وبين مولاه عكرمة ، وقد قال عكرمة : من المأمور بذبحه ؟ فقال : إسماعيل ، واحتج بقول الله عز وجل (ومن وراء إسحق يعقوب) ألا ترى أنه بشر إبراهيم بولادة إسحق فكيف يأمره بذبحه ، فقال له عكرمة : أنا أوأخذك أن الذبيح إسحق من القرآن ، واحتج بقول الله عز وجل (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما آتاهم على أبيك من قبل إبراهيم وإسحق) فنعمته على إبراهيم أن نجاه النار ، ونعمته على إسحق أن فداه بالذبح ، وكانت وفاة عكرمة مولى ابن العباس سنة خمس ومائة ويكنى أبا عبدالله ، مات فى اليوم الذى مات فيه كثير عزة ، فقال الناس :

وفاة عكرمة
وكثير عزة

مات عظيم الفقهاء وكبير الشعراء ، وفيها كانت وفاة الشعبي
وحدث إبراهيم بن المهدي قال : بعث إلى الأمين ، وهو محاصر ، فصرّت
إليه ، فإذا هو جالس في طارمة خشبها من عود وصندل عشرة في عشرة ، وإذا
سليمان بن أبي جعفر المنصور معه في الطارمة ، وهي قبة كان اتخذ لها فراشاً مبطناً
بأنواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الأحمر وغير ذلك من أنواع الأبريسم ،
فسلمت فإذا قدماه قدح بلور مخروز فيه شراب ينفذ مقداره خمسة أرطال ، وبين
يدي سليمان قدح مثله فخلست بازاء سليمان ، فأتيته بقدح كالأول والثاني ، قال :
فقال : إنما بعثت إليكما لما بلغني قدوم طاهر بن الحسين إلى النهر وان ، وما قد
صنع في أمرنا من المكروه ، وقابلنا به من الاساءة ، فدعوتكما لأفرح بكما
وبجديشكما ، فأقبلنا نحدثه ونؤنسه حتى سلا عما كان يجده وفرح ، ودعا تجارية
من خواص جواريه تسمى ضعفا ، قال : فتطيرت من اسمها ، ونحن على تلك الحال ،
فقال لها : غدينا ، فوضعت العود في حجرها وغنت :

كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَكْثَرَ جَرَمًا مِنْكَ ضُرَّجَ بِالْدمِ
فتطير من قولها ، ثم قال لها : اسكتي قبحك الله ، ثم عاد إلى ما كان عليه
من الغم والاقطاب ، فأقبلنا نحدثه ونبسطه ، إلى أن سلا وضحك ، ثم أقبل
عليها وقال : هات ما عندك ، فغنت :

هُمُ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرِي مَرَّازِبُهُ
فأسكتها وزأرها ، وعاد إلى الحالة الأولى ، فسليناه حتى عاد إلى الضحك ،
فأقبل عليها الثالثة فقال : غني ، فغنت

كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُوجِ إِلَى الصَّفَا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا صرّوف اللّيل إلى والجُدود العوائر

وقيل : بل إنها غنت

أما ورب السُّكُونِ والحَرَكِ إن النايَا كثيرةُ الشَّرَكِ

فقال لها : قومي عني فعل الله بك وصنع بك ، فقامت ففترت بالقدح الذي كان بين يديه فكسرتة ، فانهرق الشراب ، وكانت ليلة قمرء ، ونحن على شاطئ دجلة في قصره المعروف بالخلد ، فسمعنا قائلاً يقول (قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) قال ابن المهدي : فقامت وقد وثب ، فسمعت منشدا من ناحية القصر ينشد هذين البيتين :

لا تعجبين من العجب قد جاء ما يقضى العجب

قد جاء أمر فادح فيه لذي عجب عجب

قال : فما قمنا معه بعدها إلى أن قتل

وفاة فطم أم ولد الأمين مولعا بأم ولده فطم ، وهي أم موسى الذي كان سماه الناطق بالحق ، وأراد خلع المأمون والعقد له من بعده ، فهلك أم موسى فطم ، فجزع عليها جزعا شديدا ، فلما اتصل الخبر بأم جعفر زبيدة قالت : احمولني إلى أمير المؤمنين ؛ فحملت إليه ، فاستقبلها وقال : ياسيدي ، ماتت فطم ، فقالت :

نفسى فداؤك لا يذهب بك اللَهْفُ فني بقائك مما قد مضى خَلَفُ

عوضت موسى فهانت كل مرزئة ما بعد موسى على مفقودة أسفُ

وذكر إبراهيم بن المهدي قال : استأذنت على الأمين يوما ، وقد اشتد الحصار عليه من كل وجه ، فأبوا أن يأذنوا لي بالدخول عليه ، إلى أن كثرت ودخلت ، فاذا هو قد تطلع إلى دجلة بالشباك ، وكان في وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق إلى الماء في دجلة ، وفي المخترق شباك حديد ، فسلمت عليه وهو مقبل على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا إلى تفتيش الماء ، وهو كالواله ، فقال لي وقد ثنيت بالسلام وكررت : لا تؤذوني فمُرَّطِي قد ذهبت في البركة إلى دجلة ،

الأمين في آخر أيامه

والمقرطة سمكة كانت قد صيدت له وهى صغيرة فقرَّطها حلتيتان من ذهب فيهما حبتادر ، قال : فخرجت وأنا مؤيس من فلاحه ، وقلت : لو ارتدع من وقت لكان هذا الوقت

وكان محمد قى نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال ، إلا أنه كان عاجز صفات الأمين الرأى ، ضعيف التدبير ، غير مفكر فى أمره

وحكى أنه اصطبح يوما ، وقد كان خرج أصحاب اللبايد والحراب على مثل من البغال ، وهم الذين كانوا يصطادون السباع ، إلى سبع كان بلغهم خبره بناحية شجاعة الأمين كوثى والقصر ، فاحتالوا فى السبع إلى أن أتوا به فى قفص من خشب على جمل بختى ، فحط بباب القصر وأدخل ، فمثل فى صحن القصر والأمين مصطبح ، فقال : خلوا عنه وشيلوا باب القفص ، فقتل له : يا أمير المؤمنين ، إنه سبع هائل أسود وحش ، فقال : خلوا عنه ، فشالوا باب القفص ، فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور ، فزأر وضرب بذنبه إلى الأرض ، فتهارب الناس وغلقت الأبواب فى وجهه ، وبقي الأمين وحده جالسا موضعه غير مكترث بالأسد فقصدته الأسد حتى دنا منه ، فضرب الأمين بيده إلى مرققة أرمنية ، فامتنع منه بها ومد السبع يده إليه ، فجذبها الأمين وقبض على أصل أذنيه ، وغرزه ثم هزه ودفع به إلى خلف ، فوقع السبع ميتا على مؤخره ، وتبادر الناس الأمين فاذا أصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها ، فأتى بمجبر فرد عظام أصابعه إلى مواضعها وجلس كأنه لم يعمل شيئا ، فشقوا بطن الأسد فاذا مرارته انشقت عن كبده

وحكى أن المنصور جلس ذات يوم ودخل إليه بنو هاشم من أهله ، فقال كان بنو هاشم لهم وهو مستبشر : أما علمتم أن محمدا المهدي ولد البارحة له ولد ذكر وقد سميناه يعلمون فساد موسى ، فلما سمع القوم ذلك وجعوا وكأنا قفى فى وجوههم الرماد ، ولم يحيروا جوابا ، فنظر إليهم المنصور فقال لهم : هذا موضع دعاء وتهنئة ، وأراكم قد سكتم ، ثم

استرجع فقال : كآني بكم لما أخبركم بتسميتي إياه موسى اغتمتم به ، لأن المولود المسمى بموسى بن محمد هو الذي على رأسه تختلف الكلمة ، وتذهب الخزائن ، ويضطرب الملك ، ويقتل أبوه ، وهو الخلويع من الخلافة ؛ ليس هو ذاك ولا هذا زمانه ، والله إن جد هذا المولود - يعنى هرون الرشيد - لم يولد بعد ؛ قال : فدعوا له وهنوه وهنوا المهدي ، وكان هذا موسى الهادي أخا الرشيد

وكان العهد الذي كتبه الرشيد بين الأمين والمأمون وأودعه الكعبة أن الغادر منهما خارج من الأمر : أيهما غدر بصاحبه ، والخلافة للمقدور به وذكر ياسر أنه لما أحيط بمحمد دخلت أم جعفر باكية ، فقال لها : مه إنه ليس بجزع النساء وهلعن ، عقدت التيجان والخلافة سياسة لاتسعها صدور المراضع وراءك وراءك

ويقال : إن محمدا قصف عند طاهر ، فبينما طاهر في بستانه إذ ورد كتاب من محمد بخطه ، فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ، أعلم أنه ما قام لنا مذ قمنا قائم بحقنا وكان جزاؤه إلا السيف ، فانظر لنفسك أودع ، قال : فلم يزل والله يتبين موقع الكتاب من طاهر ، فلما رجع إلى خراسان أخرجه إلى خاصته ، وقال لهم : والله ما هذا كتاب مضعوف ولكنه كتاب مخذول

ولم يكن فيمن سلف من الخلفاء إلى وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين ليس في الخلفاء
أحد أبوه وأمه وثلاثمائة - من أبوه وأمه من بنى هاشم ، إلا على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، من بنى هاشم
إلا عليا
والأمين
وفي محمد بن زبيدة يقول أبو الهذيل :

ملك أبوه وأمه من نَبَعَةٍ منها سراج الأمة الوهاجُ
شربت بمكة من دُرَى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مِزَاجُ

وفي سنة سبع وتسعين ومائة كان ابتداءه بالغدر بالمأمون

موت
عبد الملك
ابن صالح

وفي سنة سبع وتسعين ومائة مات بالرقعة عبد الملك بن صالح بن علي في أيام
الأمين ، وكان عبد الملك أفصح ولد العباس في عصره ، يقال : إن الرشيد لما
اجتاز ببلاد منبج من أرض الشام نظر إلى قصر مشيد ، وبستان معتم بالأشجار ،
كثير الثمار ، فقال : لمن هذا القصر ؟ قال : لك ولي بك يا أمير المؤمنين ، قال :
فكيف بناء القصر ؟ قال : دون منازلك وفوق منازل الناس ، قال : فكيف
مدينتك ؟ قال : عذبة الماء ، باردة الهواء ، صلبة الموطأ ، قليلة الأدواء ، قال : كيف
ليها ؟ قال : سحر كله ؛ وقال له : يا أبا عبد الرحمن ، ما أحسن بلادكم !! قال :
فكيف لا تكون كذلك وهي تربة حمراء ، وسنبلة صفراء ، وشجرة خضراء ،
فيا في فيح ، وجبال وصييح ، بين قيصوم وشيخ ؛ فالتفت الرشيد إلى الفضل بن
الربيع فقال : ضرب السياط أهون على من هذا الكلام

ولما سمى محمد ابنه الناطق بالحق وأخذ له العهد على الناس الفضل بن الربيع وزفر ، الأمين يأخذ
وموسى يومئذ لا ينطق بأمر ، ولا يعرف حسنا ، ولا يعقل قبيحا ، ولا يخلو من
الحاجة إلى من يخدمه في ليله ونهاره ويقظته وقيامه وقعوده ، وأحضنه على بن
عيسى بن ماهان ، قال في ذلك رجل أعمى من أهل بغداد يعرف بعلي بن أبي طالب :

أضاع الخلافة غشُّ الوزير	وفعل الإمام ورأى المشير
وما ذاك إلا طريقا غرور	وشرُّ المسالك طرُقُ الغرور
فعال الخليفة أعجوبة	وأعجب منه فعال الوزير
وأعجب من ذا وذا أننا	نباع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يحسن مسح أنفه	ولم يخل من متنه حجرٌ ظير
وما ذاك إلا بباغ وغاوٍ	يريدان نقضَ الكتاب النير
وهذان لولا انقلاب الزما	ن في العير هذان أم في النفير
ولكنها فتن كالجبال	ترفع فيها بصنع الحفير

هزيمة جيوش
الأمين وأثرها
ولما قتل طاهر بن الحسين على بن عيسى بن ماهان سار فنزل حلوان ، وذلك
على خمسة أيام من مدينة السلام ، فتمعجب الناس من أمره ، وإدبار أصحاب
الأمين وهزيمتهم في كل حال ، وأيقنوا بقتله وظهور المأمون ، وأسقط في يدي
الفضل بن الربيع وأصحابه ، فقال الشاعر :

عجبت لعشر يرجون نجحا لأمر ما تم به الأمور
وكيف يتم ما عقدوا وراموا وأس بنائهم منه الفجور
أهاب إلى الضلال بهم غوى وشيطان مواعده غرور
يصيب بهم ويلعب كل لعب كما لعبت بشاربها الخور
وكادوا الحق والمأمون غدراً وليس بمفلح أبدا غرور
هو العدل النجيب البر فينا تضمن حبه منا الصدور
وعاقبة الأمور له يقيناً به شهد الشريعة والزبور
فيملك أربعين لها وفاء يتم به الأهلة والشهور
فكيدوا أجمعين بكل كيد وكيدكم له فيه السرور

وباغ محمدا فجمع قواده عند ما ظهر من أمر طاهر ، وشاورهم ، وقال :
أحضروا لي غناءكم كما أحضرت خراسان لعبد الله غناءها ، وكانت كما قال
أعشى ربيعة :

ثم ما هابوا ولكن قدّموا كبش غارات إذا لاقى نطح
أما والله لقد حدثت بحديث الأمم السالفة ، وقرأت كتب حروبها ، وقصص
من أقام دولها ، فما رأيت في حديثهم حديثا لرجل منهم وأبي كهذا الرجل في
إقدامه وسياسته ، وقد قصدني واجترأ على ، وتلى الهامة العظيمة من الجند وجمع
القواد وساسة الحروب ، فهاتوا ما عندكم ، فقالوا : يبقئ الله أمير المؤمنين ويكفيه ،
كما كفى الخلفاء قبله بغى من بغى عليهم

ولما انهزم جيش محمد بين يدي طاهرو لم يقيم له قائمة منهم قال سليمان بن أبي جعفر : لعن الله الغدار ، ماذا جلب على الأمة بغيره وسوء رأيه ، وأبعد الله نسبه من أهل الفضل ، ما أسرع ما انتصر الله للمؤمن بكبش المشرق ، وفي ذلك يقول الشاعر :

تَبَّاً لَنَدَى الْأَيَّامِ وَالْمِزْنَدِقِ مَاذَا دَعَاهُ إِلَى الْعَظِيمِ الْمُوثِقِ
وَالْغَدْرِ بِالْبِرِّ الزَّكِيِّ أَخِي التَّقَى وَالسَّائِسِ الْمَأْمُونِ غَيْرِ الْأُخْرَقِ
زَيْنِ الْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ وَالنَهْيِ أَهْلُ السَّاحَةِ وَالنَدَى الْمُتَدَفِّقِ
إِنْ تَغْدَرُوا جَهْلًا بَوَارِثَ أَحْمَدَ وَوَصَى كُلَّ مَسَدَّدٍ وَمَوْفِقِ
فَاللَّهُ لِلْمَأْمُونِ خَيْرَ مَوَازِرَ وَالْمَاجِدِ الْقِمَقَامِ كَبِشَ الْمَشْرِقِ

ولما أحيط بمحمد من الجانب الشرق والغربي ، وكان هرثمة بن أعين نازلاً مما يلي النهر وان بالقرب من باب خراسان وثلاثة أبواب ، وظاهر من الجانب الغربي مما يلي الناصرية وباب الحول والكناس ، جمع قواده فقال : الحمد لله الذي يضع من يشاء بقدرته ويرفع ، والحمد لله الذي يعطي بقدرته من يشاء ويمنع ، والحمد لله الذي يقبض ويبسط وإليه المصير ، أحده على نوائب الزمان ، وخذلان الأعوان ، وتشتت الحال ، وكسوف البال ، وصلى الله على رسوله وآله وسلم ، وقال : إني لأفارقكم بقلب موجع ، ونفس حزينة ، وحسرة عظيمة ، إني محتال لنفسي ، فأسأل الله أن يلطف بي بمعونته ، ثم كتب إلى طاهر : أما بعد ، فانك تنصحت فنصحت ، وحاربت فنصرت ، وقد يغلب الغالب ، ويخذل المفلح ، وقد رأيت الصلاح في معاونة أخى ، والخروج إليه من هذا السلطان ، إذ كان أولى به وأحق ، فأعطى الأمان على نفسه وولدى وأمى وجدتي وحاشيتي وأنصارى وإخوانى أخرج إليه وهذا الأمر إلى أخى ، فان رأى الوفاء لي بأمانك وإلا كان أولى وأحق ، قال : فلما قرأ طاهر الكتاب قال : الآن ضيق خناق ، وهيبض جناحه ، وانهزم فساقه ، لا والذي نفسى بيده حتى يضع يده في يدي وينزل على

آخر خطبة
الأمين

كتاب من
الأمين إلى
طاهر

حكى ، فعند ذلك كتب إلى هرثمة يسأله النزول على حكم أمانه
وقد كان المخلوع جهاز جماعة من رجاله من الأبناء وغيرهم ممن استأمن إليه
لدفع المأمونية عنده ، فمالوا نحو هرثمة ، وكان طاهر يمد هرثمة بالرجال ، ولم يلق
هرثمة مع ذلك كثير كيد ، فلما مال من ذكرنا إلى حرب هرثمة وعلى الجيش بشر
وبشر الازدمان ، وانفض الجمع ، وكان طاهر قد نزل في البستان المعروف بباب
الكباش بالطاهري ، ففي ذلك يقول بعض العيارين من أهل بغداد ومن أهل
السجون :

لنا من طاهر يوم عظيم الشأن والخطب
علينا فيه بالأنجا د عن هرثمة الكلب
رمنا لأبى الطيب يوم صادق الكرب
أناه كل كرار ولص كان ذا تقب
وعريان على جنبه ه آثار من الضرب
إذا ما حل من شرق أتينا من الغرب

وضاق الأمر بمحمد الأمين ففرق في قواده المحدثين دون غيرهم خمسمائة ألف
فرقهم وقارورة غالية ، ولم يعط قدماء أصحابه شيئا ، فأنت طاهرا عيونه وجواسيسه
على بعض قواده بذلك ، فراسلهم وكاتبهم ، ووعدهم ومنهم ، وأغرى الأصاغر بالقادة ، حتى غضبوا
لذلك ، وسعوا على الأمين ، وقال بعضهم :

قل لأمين الناس في نفسه ما شئت الجند سوى الغالية
وطاهر ، نفسى فدى طاهر ، برسله والعدة الكافية
أضحى زمام الملك في كفه مقابلا للفئة الباغيه
قد جاءك الليث بسيدانه مستكلبا في أسد ضاريه
فاهرب فلا مهرب من مثله حقا إلى النار أو الهاوية

فرقهم وقارورة غالية فتألم
الباقون

و يقتل طاهر من الناصرية فنزل بباب الأنبار ، وحاصر أهل بغداد ، وغادى القتال وراوحه ، حتى تواكل الفريقان ، وخربت الديار ، وغفت الآثار ، وغلت الأسعار ، وذلك فى سنة ست وتسعين ومائة ، وقاتل الأخ أخاه ، والابن أباه ، هؤلاء محمدية وهؤلاء مأمونية ، وهدمت المنازل ، وأحرقت الديار ، وانتهبت الأموال ، فقال الأعمى فى ذلك :

تقطعت الأرحام بين العشائر	وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم	لما اجترموه من ركوب الكبائر
فلا نحن أظهرنا من الذنب توبة	ولا نحن أصلحنا فساد السرائر
ولم نستمع من واعظ ومذكر	فينجع فينا وعظ ناه وأمر
فابك على الاسلام لما تقطعت	رجاه ، ورَجَى خيرها كل كافر
فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم	فمن بين مقهور عزيز وقاهر
وصار رئيس القوم يحمل نفسه	وصار رئيسا فيهم كل شاطر
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة	ولا يستطيع البر دفعا لفاجر
تراهم كأمثال الذئب رأت دما	فأمنته لا تأوى على زجر زاجر
وأصبح فساق القبائل بينهم	تسل على أقرانها بالخناجر
فانك لقتلى من صديق ومن أخ	كريم ، ومن جار شفيق مجاور
ووالدة تبكي بحزن على أبنها	فبيكى لها من رحمة كل طائر
وذات حليل أصبحت وهى أيم	وتبكي عليه بالدموع البوادر
تقول له : قد كنت عزا وناصرا	فغيب عنى اليوم عزى وناصرى
وابك لإحراق وهدم منازل	وقتل وإيهاب اللهى والذخائر
وإبراز ربّات الخدور حواسرا	خرجن بلا سُخْرِ ولا بمآزر
تراها حيارى ليس تعرف مذهبا	نوافر أمثال الظباء النوافر
كان لم تكن بغداد أحسن منظرا	وملأى رآته عين لاه وناظر

بلى، هكذا كانت فأذهبُ حُسْنَهَا
 وحل بهم ما حل بالناس قبلهم
 أبغداد، يادار الملوك ومُجْتَبَى
 وياجنة الدنيا ويا مطلب الغني
 أيدى لنا: أين الذين عهدتهم
 وأين ملوك في المواكب تغتدى
 وأين القضاة الحاكون برأيهم
 أو القائلون الناطقون بحكمة
 وأين مراح الملوك عهدتها
 ترش بماء المسك والورد أرضها
 وروح الندامى فيه كل عشية
 ولهوقيان تستجيب لنغمها
 فما ملوك العز من آل هاشم
 يروحون في سلطانهم وكانهم
 يجادل عما نالهم كبراًؤهم
 فأقسم لو أن الملوك تناصروا
 وبدد منها الشمل حكم المقادر
 فأضحوا أحاديثاً لبادٍ وحاضر
 صروف المنايا مستقر المناير
 ومستنبط الأموال عند الضرائر
 يحلون في رَوْضٍ من العيش زاهر
 تُشَبِّهُ حسناً بالنجوم الزواهر
 لورد أمور مشكلات الأوامر
 ورصف كلام من خطيب وسائر
 مزخرفة فيها صنوف الجواهر
 يفوح بها من بعد ريح الجمار
 إلى كل قَيَّاض كريم العناصر
 إذ هولباًها حنين المزامر
 وأشياهم فيها اكتفوا بالمقادر
 يروحون في سلطان بعض العشار
 فنالهم بالكره أيدي الأصاغر
 لذلت لها خوفاً رقاب الجبابر

وبعث هزيمة بن أعين بن زهير بن المسيب الضبي من الجانب الشرقي،
 فنزل الماطر مما يلي كلواذا، وغشى ما في السفن من أموال التجار الواردة من
 البصرة وواسط، ونصب على بغداد المنجنقات، ونزل في رقة كلواذا والجزيرة
 فتأذى الناس به وصمد نحوه خلق من العيارين وأهل السجون، وكانوا يقاتلون
 عراة في أوساطهم السامين والميازر، وقد اتخذوا لراءوسهم دواخل من الخوص
 وسموها الخوذ، ودرقا من الخوص والبوارى قد قرنت وحشيت بالخصى والرمل

على كل عشرة عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد أمير ، ولكل ذى مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده ، فالعريف له أناس مركبهم غير ما ذكرنا من المقاتلة ، وكذلك النقيب والقائد والأمير ، وناس عراة قد جعل أعناقهم الجلاجل والصوف الأحمر والأصفر ، ومقاود قد اتخذت ، ولجم من مكاس ومذاب ، فيأتى العريف وقد أركب واحدا وقدامه عشرة من المقاتلة على رؤوسهم خوذودرق البوارى ، ويأتى النقيب والقائد والأمير كذلك ، فتقف النظارة ينظرون إلى حربهم مع أصحاب الخيول المعدة والجواشن والدروع والتجافيف والرماح والدرق التبتية ؛ فهؤلاء عرّاة ، وهؤلاء على ما ذكرنا ، فكانت للعراة على زهير ، وأتاه المدد من هرثمة ، فانهزمت العراة ، ورمت بهم خيولهم ، وتحاصروا جميعا ، وأخذهم السيف ، فقتل منهم خلق ، وقتل من النظارة خلق ، فقال فى ذلك بعضهم ، وذكر روى زهير بالمنجنيق :

لا تقرب المنجنيق والحجرا وقد رأيت القتييل إذ قبرا
باكر كيلا يفوته خلل ولا قتييل وخلف الخبرا
يا صاحب المنجنيق ما بطلت كفائك لم تبقيما ولم تذرا
كان دراه سوى الذى أمرا هيهات أن يغلب الهوى القدرا

فلما ضاق الأمر بالأمين فى أرزاق الجند ضرب آتية الذهب والفضة سرا ، وأعطى رجاله ، وتميز إلى طاهر أهل الاباضيات مما يلى باب الأنبار وباب حرب وباب قطر بل ؛ فصارت الحرب فى وسط الجانب الغربى ، وعملت المنجنيقات بين الفريقين ، وكثر الحرق والهدم ببغداد والكرخ وغيره من الجانبين ، حتى درست محاسنها ، واشتد الأمر ، وتنقل الناس من موضع إلى موضع ، وعم الخوف ، فقال الشاعر :

اشتداد أمر
الحرب

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ألم تكوفى زماناً قرّة العين
 ألم يكن فيك قوم كان قريهم وكان مسكنهم زينا من الزين
 صاح الزمان بهم بالبين فاقترضوا ماذا لقيت بهم من لوعة البين
 أستودع الله قوما ماذا كرتهم إلا تحدر ماء الدمع من عيني
 كانوا فقرهم دهر وصدّعهم والبين يصدع ما بين الفريقين
 ولم تزل الحرب بين الفريقين أربعة عشر شهرا ، وضاعت بغداد
 بأهلها ، وتعطلت المساجد وتركّت الصلاة ، ونزل بها ما لم ينزل بها قط
 مثله ، مذبناها المنصور ، وقد كان لأهل بغداد في أيام حرب المستعين والمعتز
 حرب نحو هذا من حروب العيارين ويسير إلى الحرب في خمسين ألف
 عراة ، ولم ينزل بأهل بغداد شر من هذا الحرب حرب المأمون والمخلوع ، وقد
 استعظم أهل بغداد ما نزل بهم في هذا الوقت في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من
 خروج أبي إسحق المتقي عنهم ، وما كان قبل الوقت من اليزيديين وبورون التركي ،
 وما دفعوا إليه من الوحشة بخروج أبي محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان الملقب بناصر
 الدولة وأخيه على بن عبد الله عليهم ، لبعد العهد مما حل بالمنازل بها ، وطول
 السنين ، وغيبة ذلك عنهم وبعدهم ، وتقدم مثل أولئك العيارين الذين كانوا في
 ذلك العصر ، واشتد الأمر بين المأمونية والعراة وغيرهم من أصحاب المخلوع ،
 وحصر محمد في قصره من الجانب الغربي ، فكان بينهم في بعض الأيام مواجهة
 تقافى فيها خلق كثير من الفريقين ، فقال في ذلك حسين الخليع :

أمين الله ثق بالله تصيب النعم والنصره
 كل الأمر إلى الله كلاك الله ذو القدره
 رأيت الحرب أحيانا علينا ولنا مرّة

وكانت وقعة أخرى عظيمة بشارع دار الرقيق هلك فيها خلق كثير ، وكثر

القتل في الطرق والشوارع ، ينادى هذا بالمؤمن والآخر بالمخلوع ، ويقتل بعضهم بعضا ، وانتهب الدار ، فكان الفوز لمن نجا بنفسه من رجل وامرأة بما يسلم معه إلى عسكر طاهر فيأمن على نفسه ، وفي ذلك يقول الشاعر :

بكّت عيني على بغداد لما	فقدت غضاضة العيش الأنيق
تبدّلنا هموما من سرور	ومن سعة تبدّلنا بضيق
أصابتنا من الحساد عين	فأفنت أهلها بالمنجنيق
فقوم أحرقوا بالنار قسراً	ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادى : يا صحابي	وقائلة تنادى : يا شقيق
وحوراء المدامع ذات دل	مضمخة المجاسد بالخلق
تنادى بالشفيق فلا شفيق	وقد فقد الشفيق مع الرفيق
وقوم أخرجوا من ظل دنيا	متاعهم يباع بكل سوق
ومغترب بعيد الدار ملقى	بلا رأس بقارعة الطريق
بوسط من قتالهم جميعا	فما يدرون من أى الفريق
فلا ولد يقيم على أبيه	وقد هرب الصديق عن الصديق
ومهما أنس من شيء تولى	فانى ذاكر دار الرقيق

وسأل قائد من قواد خراسان طاهرا أن يجعل له الحرب في يومها له فيه ، ففعل طاهر له ذلك ، فخرج القائد وقد حترمه وقال : ما يبلغ من كيد هؤلاء ولا سلاح معهم مع ذوى البأس والنجدة والسلاح والعدة ؟ فبصر به بعض العراة وقد راماه مدة طويلة حتى فنيت سهام القائد ، وظن أن العريان فنيت حجارته ، فرماه بحجر بقيت في المخلاة ، وقد حمل عليه القائد ، فما أخطأ عينه ، وثناء بحجر آخر فكاد يصرع القائد عن فرسه ، ووقعت البيضة عن رأسه ، ففكر راجعا وهو

يقول : يا أبا طاهر ، ليس هؤلاء بناس ، هؤلاء شياطين ، ففي ذلك يقول
أبو يعقوب الخزيمي :

الكرخ أسواقه معطلة يستن عيارها وعابرها
خرجت الحرب بين أسوقهم أسود غيل علت قساورها

وقال على الأعمى :

خرَّجتْ هذه الحروب رجالا لا لقحطان ، لا ، ولا لنزار
معشر في جواشن الحصر يعدو ن إلى الحرب كالليوث الضواري
ليس يدرون ما القرار إذا ما الـ أ بطل عاروا من القنا للفرار
واحد منهم يشد على أـ فَيَنْ عُرْيَانَ ما له من إزار
ويقول الفتى إذا طعن الطم نة : خذها من الفتى العيار
وتوالت الحرب ، وطاهر في قوة وإقبال ، وأصحاب المخلوع في نقص
وإدبار ، وأصحاب طاهر يهدمون ويأخذون بعض الدور ، وينهبون المتاع ، فقال
رجل من الحمديّة :

لنا كل يوم ثلثة لا نسدها يزيدون فيما يطلبون وننقص
إذا هدموا داراً أخذنا سقوفها ونحن لأخرى مثلها نتربص
يثيرون بالطبل النقيص وإن بدا لهم وجه صيد من قريب تقنصوا
وقد أفسدوا شرق البلاد وغربها علينا فما ندرى إلى أين نشخص
إذا حضروا قالوا بما يبصرونه وإن لم يروا شيئا قبيحا تحرصوا
وقد رخصت قراؤنا في قتالهم وما قتل المقتول إلا المرخص

ولما نظر طاهر إلى صبر أصحاب المخلوع على هذه الحال الصعبة قطع عنهم
مواد الأقوات وغيرها من البصرة وواسط وغيرها من الطرق ، فكان الخبز في
حد المأمونية عشرين رطلا بدرهم ، وفي حد الحمديّة رطل بدرهم ، وضاق النفوس ،

انقطاع الميرة
عن جند
الامين

وأسوا من الفرج ، واشتد الجوع ، وسر من سار إلى حيز طاهر ، وأسف من بقى معركة بين الفريقين مع الخلو ، وتقدم طاهر في سائر أصحابه من مواضع كثيرة ، وقصد باب الكباش ؛ فاشتد القتال ، وتبادرت الرموس ، وعمل السيف والنار ، وصبر الفريقان ، وكان القتل في أصحاب طاهر ، وفي من العراة خلق ، وكان ذلك في يوم الأحد ، ففي ذلك يقول الأعمى :

وقعة يوم الأحد	كانت حديث الأبد
كم جسد أبصرته	ملقني وكم من جسد
وناظر كانت له	منية بالرصد
أناه سهم عائر	فشق جوف الكبد
وأخر ملتهب	مثل التهاب الأسد
وقائل : قد قتلوا	ألفا ولما يزد
وقائل : أكثر بل	ما لهم من عدد
قلت لمطعون وفيه	ه طعنة لم تشد
من أنت يا ويلك يا	مسكين من محمد
فقال لا من نسب	دان ولا من بلد
ولا أنا للغى قا	تلت ولا للرشد
ولا لشيء عاجل	يصير منه في يدى

ولما ضاق بمحمد الحال واشتد الحصار أمراء قاندا من قواده يقال له ذريح أن يتبع أصحاب الأموال والودائع والذخائر من أهل الملة وغيرهم ، وقرن معه آخر يعرف بالهرش ، فكانا يهجان على الناس ، ويأخذان بالظنة ، فاجتبي بذلك الاموال لضيق حالهم السبب أموالا كثيرة ، فهرب الناس بعة الحج ، وفر الأغنياء من ذريح والهرش ، ففي ذلك يقول على الأعمى :

أظهروا الحج وما يبغيونه بل من الهرش يريدون الهرب
كم أناس أصبحوا في غبطة ركض الليل عليهم بالعطب
من شعر له طويل .

ولما سمع البلاء أهل السمر اجتمع التجار بالكرخ على مكاتبة طاهر أنهم
ممنوعون منه ومن الخروج إليه ، ومغلوب على أموالمهم ، وأن العراة والباعة هم
الآفة ، فقال بعضهم : إن كاتبتهم طاهرا لم تأمنوا صولة الخلويع بذلك ، فدعوه فأن
الله مهلكهم ، وقال قائلهم :

دعوا أهل الطريق فعن قريب تنالهم مخالب المصور
فتهتك حجب أكباد شداد وشيكا ما تصير إلى القبور
فان الله مهلكهم جميعا لأسباب التمرد والفجور

وئارت العراة ذات يوم في نحو مائة ألف بالرماح والقصب والطرادات القراطيس
على رؤوسها ، وتفخخوا في القصب وقرون البقر ، وغيرهم من الحمديّة ، وزحفوا من
مواضع كثيرة نحو المأمونية ، فبعث إليهم طاهر بعدة قواد وأمرأ من وجوه كثيرة
واشتد الجلاّد ، وكثر القتل وكانت للعراة على المأمونية إلى الظهر ، وكان يوم
الاثنين ، ثم ئارت المأمونية على العراة من أصحاب محمد ، ففرق منهم وقتل
وأحرق نحو عشرة آلاف ، ففي ذلك يقول الأعشى :

بالأمير الطاهر بن الحسين صبحونا صبيحة الاثنين
جمعوا جمعهم فثار إليهم كل صلب القناة والساعدين
يا قتيل العراة ملقى على الش ط تطاه الخيول في الجانبين
ما الذي كان في يديك إذا ما ص طاح الناس أية الخلتين
أو زيرا من قائد ؟ بل بعيد أنت من ذين موضع الفرقدين

کم بصیر غدا بعینین کی یند نظر ما حالهم فراح بعین
واشدت الأمر بمحمد الخلوغ ، فباع ما فی خزائنه سرا ، وفرق ذلك أرزافا
فیمن معه ، ولم یبق معه ما یعطیهم عند مطالبتهم إیاه ، وضیق علیه طاهر ،
وكان نازلا بباب الأنبار فی بستان هنالك ، فقال محمد : وددت أن الله قتل
الفریقین جمیعا ، فما منهم إلا عدو : من معی ، ومن علی ، أما هؤلاء فیریدون
مالی ، وأما أولئك فیریدون نفسی ، وقال :

تفرقوا أو دَعُونی یامعشر الأعوان
فكلکم ذو وجوه كثيرة الألوان
وما أرى غیر إفك وتُرَّهاتِ الأمانی
ولست أملك شیئا فسائلوا إخوانی
فالویل فیما دهاى من نازل البستان

یعنی طاهر بن الحسین

ولما اشتد الأمر علیه ونزل هرمة بن أعین بالجانب الشرقی وطاهر بالجانب
الغربی ، وبقى محمد فی مدینة أبی جعفر ؛ شاور من حضر من خواصه فی النجاة
بنفسه ، فكل أدلی برأى وأشار بوجه ، فقال قائل منهم : تکتاب ابن الحسین
وتحلف له أنك مفوض أمرک إلیه لعله أن یجیبک إلی ما ترید منه ، فقال :
ثکلتک أملك ، لقد أخطأت الرأى فی طلبی المشورة منك ، أما رأیت آثار رجل
لا یؤول إلی عذر ، وهل كان المأمون لو اجتهد لنفسه وتولى الأمر برأیه بالغا عشر
ما بلغه له طاهر ؟ ولقد دسست وفحصت عن رأیه فما رأیته یطلب تأئیل المکارم
وبعد الصیت والوفاء ، فكیف أطمع فی استدلاله بالأموال ؟ وفی غدره والاعتماد
فی عقله ، ولو قد أجاب إلی طاعتی وانصرف إلی ، ثم ناصبنی جمیع التریک والدیل

ما اهتممت بمناصبتهم ، ولكنك كما قال أبو الأسود الدؤلى فى الأزرد عند إجارتها
زياد ابن أبيه :

فلما رآهم يطلبون وزيره وساروا إليه بعد طول تمار
أتى الأزرد إذ خاف الذى لا بقالها عليه ، وكان الرأى رأى زياد
فقالوا له : أهلا وسهلا ومرحبا أصبت فكاشف من أردت وعاد
فأصبح لا يخشى من الناس كلهم عدوا ، ولو مالوا بقوة عاد

والله لوددت أنه أجاب إلى ذلك فأبجته خزائنى ، وفوضت إليه ملكى ،
ورضيت بالمعاش تحت يديه ، ولا أظننى مفلته ، ولو كانت [لى] ألف نفس ، فقال
السندى : صدقت يا أمير المؤمنين ، ولو أنك أبوه الحسين بن مصعب ما استقال ،
فقال محمد : وكيف لنا بالخلاص إلى هرثمة ولات حين مناص ؟ وراسل هرثمة ،
ومال إلى جنبته ، فوعده هرثمة بكل ما أحب ، وأنه يمنعه ممن يريد قتله ، وبلغ
ذلك طاهرا فاشتد عليه ، وزاد غيظه وحنقه ، ووعده هرثمة أن يأتيه فى حراقة
إلى مشرعة باب خراسان فيصير به إلى عسكره ومن أحب ، فلما هم محمد بالخروج
فى تلك الليلة - وهى ليلة الخميس لخمس ليال بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين
ومائة - دخل إليه السعاليك من أصحابه ، وهم فتيان الأبناء والجند ، فقالوا له :
يا أمير المؤمنين ، ليس معك من ينصحك ، ونحن سبعة آلاف رجل مقاتلة ، وفى
إصطبلك سبعة آلاف فرس ، وتفتح بعض أبواب المدينة ، وتخرج فى هذه الليلة ،
فما يقدم علينا أحد إلى أن نصير إلى بلد الجزيرة وديار ربيعة ، فنجى الأموال ،
ونجمع الرجال ، ونتوسط الشام ، وندخل بنصر ، ويكثر الجيوش والمال ، وتعود
الدولة مقبلة جديدة ، فقال : هذا والله الرأى ، فعزم على ذلك ، وهم به ، وجنح
إليه ، وكان لطاهر فى جوف دار الأمين غلمان وخدم من خاصة الأمين يبعثون
إليه بالأخبار ساعة فساعة ، فخرج الخبر إلى طاهر من وقته ، فخاف طاهر ، وعلم

أنه رأى إن فعله ، فبعث إلى سليمان بن أبي جعفر وإلى ابن نهيك والسندی بن شاهك - وكانوا مع الأمين - إن لم تزيلوه عن هذا الرأي لأخربن ضياعكم ، وأزيل نعمكم ، وأتلف نفوسكم ، فدخلوا على الأمين في ليلتهم فأزالوه عن ذلك الرأي ، وأتاه هرثمة في الحراقة إلى باب خراسان ، ودعا الأمين بفرس يقال له الزهيري أغر محجل أدهم محذوف ، ودعا الأمين بابنيه موسى وعبد الله فعاتقهما وشمهما وبكى ، وقال : الله خليفتي عليكم ، فلست أدرى ألتقي معكما بعدها أولا ، وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود وقدامه شمعة ، حتى أتى باب خراسان إلى المشرعة والحراقة قائمة ، فنزل ودخل الحراقة ، فقبل هرثمة بين عينيه ، وقد كان طاهر نعى إليه خروجه فبعث بالرجال من الهروية وغيرهم والملاحين في الزوارق وعلى الشط فدفعت الحراقة ، ولم يكن مع هرثمة عدة من رجاله ، فأتى أصحاب طاهر عراة ففاصوا تحت الحراقة فانقلبت بمن فيها ، فلم يكن لهرثمة شاغل إلا بحشاشة نفسه ، فتعلق بزورق وصعد إليه من الماء ، ومضى إلى عسكره إلى الجانب الشرقي ، وشق محمد ثيابه عن نفسه وسبح فوق نحو العراة إلى عسكر قرين الديراني غلام طاهر ، فأخذه بعض السواس حين شتم منه رائحة المسك والطيب ، فاستأذن فيه طاهرا فأتاه الإذن في الطريق ، وقد حمل إلى طاهر ، فقتل في الطريق وهو يصيح إن الله وإنا إليه راجعون ، أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخو المأمون ، والسيوف تأخذه حتى برد ، وأخذوا رأسه ، وكانت ليلة الأحد لخمس بقين من الحرم سنة ثمان وتسعين ومائة

متل الأمين

وذكر أحمد بن سلام ، وقد كان مع الأمين في الحراقة حين أصيب ، فسبح فقبض عليه بعض أصحاب طاهر ، وأراد قتله ، فأرغبه في عشرة آلاف درهم ، وأنه يحملها إليه في صبيحة تلك الليلة ، قال : فأدخلت بيتا مظاما ، فبينما أنا كذلك إذ دخل على رجل عريان عليه سراويل وعمامة متلما بها ، وعلى كتفه خرقة ،

فجعلوه معي ، وتقدموا إلى من في حفظنا ، فلما استقر في البيت حَسَرَ العمامة عن وجهه فاذا هو محمد فاستعبرت واسترجعت فيما بيني وبين نفسي ، وجعل ينظر إلى ثم قال : أيهم أنت ؟ قلت : أنا مولاك ياسيدي ، فقال : وأي الموالى أنت ؟ قلت : أحمد بن سلام ، قال : وأعرفك بغير هذا ، كنت تأتيني بالرقعة ؟ قلت : نعم ، ثم قال : يا أحمد ، قلت : لبيك ياسيدي ، قال : ادن مني وضمني إليك فاني أجد وحشة شديدة ، قال : فضمته إلى فاذا قلبه يخفق خفقانا شديدا ، ثم قال : أخبرني عن أخى المأمون أحي هو ؟ قلت له : فهذا القتال عمن إذن ، قال : قبحهم الله !! ثم قال : ذكروا أنه مات ، قلت : قبح الله وزرارك فهم أوردوك هذا المورد ، فقال لي : يا أحمد ، ليس هذا موضع عتاب فلا تقل في وزرائي إلا خيرا فما لهم ذنب ، ولست بأول من طلب أمرا فلم يقدر عليه ، قلت : البس إزارك هذا وارم بهذه الخرقة التي عليك ، فقال : يا أحمد ، من كان حاله مثل حالي فهذه له كثير ، ثم قال لي : يا أحمد ، ما أشك أنهم سيحملوني إلى أخى أقرى أخى قاتلي ؟ قلت : كلا ، إن الرحم ستعطفه عليك ، فقال لي : هيات !! الملك عقيم لا رحم له ، فقلت له : إن أمان هرثمة أمان أخيك ، قال : فلقنته الاستغفار وذكر الله ، فبينما نحن كذلك إذ فتح باب البيت فدخل علينا رجل عليه سلاح فاطلع في وجه محمد مستتبنا له ، فلما أثبتته معرفةً خرج وأغلق الباب ، وإذا هو محمد الطاهري ، قال : فعلمت أن الرجل مقتول ، وقد كان بقي على من صلاتي الوتر ، فغفت أن أقتل معه ولم أوتر ، فقممت لأوتر ، فقال لي : يا أحمد ، لا تبعد مني وصلِّ بقربي ، فاني أجد وحشة شديدة ، فدنوت منه ، فقل ما لبثنا حتى سمعنا حركة الخيل ودق باب الدار ، ففتح الباب فاذا قوم من المعجم بأيديهم السيوف مُصلِّتة ، فلما أحس بهم محمد قام قائما ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون

ذهبت والله نفسى فى سبيل الله ، أمّا من حيلة ؟ أما من مغيث ؟ وجاؤا حتى قاموا على باب البيت الذى نحن فيه ، وجعل بعضهم يقول : تقدم ، ويدفع بعضهم بعضا ، فأخذ محمد بيده وسادةً وجعل يقول : أنا ابن عم رسول الله ، أنا ابن هرون الرشيد ، أنا أخو المأمون ، الله الله فى دمي ، فدخل عليه رجل منهم مولى لطاهر ، فضربه ضربة فى مقدم رأسه ، وضرب محمد وجهه بالسادة التى كانت فى يده ، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده ، فصاح بالفارسية : قتلنى الرجل ، فدخل منهم جماعة فنخسه أحدهم بسيفه فى خاصرته ، وكبّوه فذبجوه من قفاه ، وأخذوا رأسه ومضوا به إلى طاهر .

وقد قيل فى كيفية قتله غير هذا ، وقد أتينا على التنازع فى ذلك فى الكتاب الأوسط .

وأتى بخادمه كوثر فنصب على باب من أبواب بغداد يعرف بباب الحديد نحو قطر بل فى الجانب الغربى إلى الظهر ، ودفنت جثته فى بعض تلك البساتين . ولما وضع رأس الأمين بين يدى طاهر قال (اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير) وحمل الرأس إلى خراسان إلى المأمون فى منديل والقطن عليه والأطلية ، فاسترجع المأمون وبكى واشتد تأسفه عليه ، فقال له الفضل بن سهل : الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة ، فإن محمدا كان يتمنى أن يراك بحيث رأيته ، فأمر المأمون بنصب الرأس فى صحن الدار على خشبة ، وأعطى الجند ، وأمر كل من قبض رزقه أن يلعنه ، فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس ، فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له : العن هذا الرأس ، فقال : لعن الله هذا ولعن والديه ، وأدخلهم فى كذا وكذا من أمهاتهم ، فقيل له : لعنت أمير المؤمنين ،

رأس الأمين
أمام المأمون
بخراسان

وذلك بحيث يسمعه المأمون منه وتغافل ، وأمر بحط الرأس وترك ذلك المخلوع
وطيب الرأس وجعله في سفظ وردّه إلى العراق مع جثته ، ورحم الله أهل بغداد
وخلصهم مما كانوا فيه من الحصار والجزع والقتل ، ورثاه الشعراء ، وقالت زبيدة
أم جعفر :

أودى بألفين من لم يترك الناسا	فأمنح فؤادك عن مقتولك الباسا	زبيدة ترضى
لما رأيت المنايا قد قصّدت له	أصبى منه سواد القلب والراسا	ولدها الامين
فبت متكئا أرعى النجوم له	إخال سنته في الليل قرطاسا	
والموت كان به ، والهزم قارنه	حتى سقاه اتى أودى بها الكاسا	
رزنته حين باهيت الرجال به	وقد بنيت به للدهر آساسا	
فليس من مات مردوداً لنا أبدا	حتى يرد علينا قبله ناسا	

ورثته زوجته لبابة ابنة على بن المهدي ، ولم يكن دخل بها ، فقالت :	لبابة زوجة
أبكىك لالنعيم والأنس	الامين ترضيه
أبكي على سيد فجعت به	
يا مالكا بالعراق مطرعا	
خانتة أشرطه مع الحرس	

ولما قتل محمد دخل إلى زبيدة بعض خدمها فقال : ما يجلساء ، وقد قتل
أمير المؤمنين محمد ؟ ! فقالت : ويلك ! ! وما أصنع ؟ فقال : تخرجين فتطلبين
بثأره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان ، فقالت : أخساً لا أم لك ، ما للنساء
وطلب الثار ومنازلة الأبطال ، ثم أمرت بثيابها فسودّت ، ولبست مسحا من
شعر ، ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إلى المأمون :

لخير إمام قام من خير عنصُر	وأفضل راقٍ فوق أعواد منبر	زبيدة أم
ووارث علم الأولين وفخرهم	وللملك المأمون من أم جعفر	الامين بعد
كتبت وعيني تستهل دموعها	إليك ابن عمي مع جفوني ومحجري	مقتله

أصبت بأذى الناس منك قرابة ومن زال عن كبدي فقل تصبرى
 أتى طاهر ، لا طهر الله طاهرا ، وما طاهر فى فعله بمطهر
 فأبرزنى مكشوفة الوجه حاسرا وأنهب أموالى وأخرب أدورى
 يعز على هرون ما قد لقيته وما نالى من ناقص الخلق أعور
 فان كان ما أسدى لأمر امرته صبرتُ لأمر من قدير مقدر
 فلما قرأ المأمون شعرها بكى ثم قال : اللهم إنى أقول كما قال أمير المؤمنين
 على بن أبى طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان « والله ما أمرت ولا رضيت »
 اللهم جلل قلب طاهر حزنا .
 قال المسعودى : وللمخلوع أخبار وسير غير ما ذكرنا قد أتينا عليها فى كتابنا
 فى « أخبار الزمان » وفى الكتاب الأوسط ، والله سبحانه ولى التوفيق .



ذكر خلافة المأمون

و بويع المأمون عبد الله بن هرون ، وكنيته أبو جعفر ، وأمه باذغيسية ،
 واسمها مارجل ، وقيل : كنيته أبو العباس ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة وشهرين ،
 وتوفي بالبليدون على عين العشيرة ، وهى عين يخرج منها النهر المعروف بالبليدون
 وقيل : إن اسمها بالرومية أيضا رقة ، وحمل إلى طرسوس فدفن بها على يسار
 المسجد ، سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وهو ابن تسع وأربعين سنة ، فكانت خلافته
 إحدى وعشرين سنة ، منها أربعة عشر شهرا كان يحارب أخاه محمد بن زبيدة
 على ما ذكرنا ، وقيل : سنتان وخمسة أشهر ، وكان أهل خراسان فى تلك الحروب
 يسمون عليه بالخلافة ، ويدعى له على المنابر فى الأمصار والحرمين والسكر
 والسهل والجبل مما حواه طاهرو غلب عليه ، ويسلم على محمد بالخلافة من كان ببغداد
 خاصة لا غيرها

ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولعل مما كان فى أيامه

وغلب على المأمون الفضل بن سهل ، حتى ضايقه فى جارية أراد شراءها ، فقتله
 وادعى قوم أن المأمون دس عليه من قتله ، ثم سلم عليه الوزراء بعد ذلك : منهم
 وزراء المأمون أحمد بن خالد الأحول ، وعمرو بن مسعدة ، وأبو عباد ؛ وكل هؤلاء سلم عليهم
 برسم الوزارة ، ومات عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين ، فعرض لاله ،
 ولم يعرض لمال وزير غيره ، وغلب على المأمون آخر الفضل بن مروان ومحمد
 ابن يزداد .

وفى خلافته قبض على بن موسى الرضا مسموما بطوس ، ودفن هنالك
 وهجا المأمون إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة عمه ، وكان المأمون

الفضل بن
 سهل وبقية

موت على الرضا

ابراهيم بن
المهدى
والمأمون

يظهر التشيع ، وابن شكلة التسنن ، فقال المأمون :

إذا المرَّجى سَرَكَ أن تراه يموت لحينه من قبل موته
فجدد عنده ذكرى على وصل على النبي وآل بيته
فأجابه إبراهيم رادا عليه :

إذا الشيعة جمجم في مقال فسرك أن يروح بذات نفسه
فصل على النبي وصاحبيه وزيريه وجاريه برمسه

ولابراهيم بن المهدي مع المأمون أخبار حسان ، هي موجودة في كتاب
الأخبار لابراهيم بن المهدي

أبودلف العجلي
والمأمون

ودخل أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي على المأمون فقال له : يا قاسم ،
ما أحسن أبياتك في صفة الحرب ولذاذك بها وزهدك في المغنيات ؟ قال :
يا أمير المؤمنين ، أى أبيات هي ؟ قال : قولك :

لسل السيوف وشق الصفوف ونقض التراب وضرب القلل
قال : ثم ماذا يا قاسم ؟ قال :

ولبس العجاجة والخافقات تريك المنايا بروس القلل
وقد كشفت عن سناها هناك كأن عليهم شروق الطفل
خروس نطوق إذا استنطقت جهول يطيش على من جهل
إذا خطبت أخذت مهرها وزير السعافظ بين القلل
ألد وأشهى من المسمعات وشرب المدامة في يوم طل
أنا ابن الحام ، وترب الصفاح ، وترب المنون ، وترب الأجل

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذه لذتي مع أعدائك ، وقوتي مع أوليائك ،
ويدي معك ، ولئن استلذ مستلذ شيئا من يد المعاورة ملت إلى المقادمة والحاربة
قال : يا قاسم ، إذا كان هذا النمط من الأشعار شأنك واللذة لذتك فماذا تركت

للسنان مما خلفت وأظهرت له من قليل ما سترت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وأى أشعاري ؟ قال : حيث تقول :

أيها الراقِد المورق عيني ثم هنيئاً لك الرقاد اللذيذ
علم الله أن قلابي مما قد جنت وجنتك فيه وقيذ

قال : يا أمير المؤمنين ، سهرة بعد سهرة غلبت ، وذلك متقدم ، وهذا ظن متأخر ، قال : يا قاسم ، ما أحسن ما قال صاحب هذين البيتين :

أذم لك الأيام في ذات بيننا وما لليالي في الذي بيننا عذر
إذا لم يكن بين المحبين زورة سوى ذكرشيء قد مضى درس الفكر
فقال أبو دلف : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين !! هذا السيد الهاشمي والملك العباسي ، قال : وكيف أدتك الفطنة ، ولم تداخلك الظنة ، حتى تحققت أنى صاحبهما ، ولم يداخلك الشك فيهما ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما الشعر بساط صوف ، فمن خلط الشعر بنقى الصوف ظهر رونقه عند التصنيف ، ونار ضوئه عند التأليف

وكان المأمون يقول : يغتفر كل شيء إلا القدح في الملك ، وإفشاء السر ، والتعريض للحرم

وقال المأمون : أخر الحرب ما استطعت ، فإن لم تجد منها بدا فاجعلها في آخر النهار

وذكر أنه من كلام أنوشروان
وكان المأمون يقول : أعيت الحيلة في الأمر إذا أقبل أن يدبر ، وإذا أدبر أن يقبل

ولما تأنى الملك للمأمون قال : هذا جسيم لو لا أنه عديم ، وهذا مُلك لو لا أنه بعده هلك ، وهذا سرور لو لا أنه غرور ، وهذا يوم لو كان يوثق بما بعده وكان المأمون يقول : البشر منظر موق ، وخلق مشرق ، وزارع للقلوب ،

بعض حكم
المأمون

ومحل مألف ، وفضل منتشر ، وثناء بسط ، وتحف الأحرار ، وذرع رحيب ،
وأول الحسنات ، وذريعة إلى الجاه ، وأحمد للشيم ، وباب لرضا العامة ، ومفتاح
لحبة القلوب

وكان المأمون يقول : سادة الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأنبياء
وإن الرزق الواسع لمن لا يسمع منه بمنزلة طعام على هراب النحل : لو كان طريقا
ما سلكته ، ولو كان قميصا ما لبسته

وحضر المأمون إماما كلبعض أهل بيته ، فسأله من حضر أن يخطب ،
فقال : الحمد لله ، الحمد لله ، والصلاة على المصطفى رسول الله ، وخير ما عمل به
كتاب الله ، قال الله تعالى (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم
وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) ولو لم يكن في
المناكحة آية محكمة ولا سنة متبعة إلا ما جعل الله وذلك من تأليف البعيد
والقريب لسارع إليه الموفق المصيب ، وبادر إليه العاقل النجيب ، وفلان من
قد عرفتموه في نسب لم تجبوا خطب إليكم فتاتكم فلانة ، وبذل من الصداق
كذا وكذا ، فشفعوا شافعنا ، وأنكحوا خاطبنا ، وقولوا خير أحمدوا عليه وتوَجَّروا ،
وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

وذكر ثمامة بن أشرس قال : كنا يوما عند المأمون ، فدخل يحيى بن أكرم
وكان قد ثقل عليه موضعي منه ، فتذاكرنا شيئا من الفقه ، فقال يحيى في مسألة
دارت : هذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وجابر ، قلت :
أخطؤا كلهم ، وأغفلوا وجه الدلالة ، فاستعظم مني ذلك وأكبره ، وقال :
يا أمير المؤمنين ، إن هذا يخطئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ،
فقال المأمون : سبحان الله !! أكذا يا ثمامة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا
لا يبالي ما قال ولا ما شنع به ، ثم أقبلت عليه فقلت : ألسنت تزعم أن الحق في
واحد عند الله عز وجل ؟ قال : نعم ، قلت : فزعمت أن تسعة أخطؤا وأصاب

المأمون يحضر
إملاك بعض
أهل بيته
وخطبته

يحيى بن أكرم
وثمامة بن
أشرس في
حضرته المأمون

العاشر، وقلت أنا أخطأ العاشر، فما أنكرت؟ قال: فنظر المأمون إلى وتبسم، وقال: لم يعلم أبو محمد أنك تجيب هذا الجواب، قال يحيى: وكيف ذلك؟ قلت: ألسنت تقول: إن الحق في واحد؟ قال: بلى، قلت: فهل يخلى الله عز وجل هذا الحق من قائل يقول به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، قلت: أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد أخطأ عندك الحق؟ قال: نعم، قلت: وقد دخلت فيما عبت وقلت بما أنكرت وبه شنت، وأنا أوضح دلالة منك؛ لأنى خطأتهم في الظاهر وكل مصيب عند الله الحق، وإنما خطأتهم عند الخلاف وأدنتى الدلالة إلى قول بعضهم؛ فخطأت من خالفنى، وأنت خطأت من خالفك في الظاهر وعند الله عز وجل

وفد الكوفة
والمأمون

وقدم وفد الكوفة إلى بغداد، فوقفوا المأمون فأعرض عنهم، فقال شيخ منهم: يا أمير المؤمنين، يدك أحق يد بتقبيل لعلوها في المكارم، وبعدها من المآثم، وأنت يوسفى العفو في قلة التثريب، من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك، وطريد خوفك، وذليل دولتك، فقال: يا عمرو، نعم الخطيب خطيبهم اقض حوائجهم

المأمون
والزنادقة
المانوية

وذكر ثمامة بن أشرس قال: بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب إلى قول مائى، ويقول بالنور والظلمة، من أهل البصرة، فأمر بحملهم إليه بعد أن سموا واحدا واحدا، فلما جمعو نظر إليهم طفيلي فقال: ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع، فدخل في وسطهم، ومضى معهم، ولا يعلم بشأنهم، حتى صار بهم الموكلون إلى السفينة، فقال الطفيلي: نزهة لاشك فيها، فدخل معهم السفينة، فما كان بأسرع من أن جىء بالقيود، فقيد القوم والطفيلي معهم، فقال الطفيلي: بلغ من تطفيلي إلى القيود، ثم أقبل على الشيوخ فقال: فديتكم أيش أنتم؟ قالوا: وأيش أنت؟ ومن أنت من إخواننا؟ قال: والله ما أدري غير أنى رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم من منزلى فلقيتكم فرأيت منظرا جميلا وعوارض حسنة وبزة ونعمة،

فقلت : شيوخ وكهول وشباب جمعوا لوليمة ، فدخلت في وسطكم ، وحاذيت بعضكم
كافي في جملة أحدكم ، فصرتم إلى هذا الزورق ، فرأيتنه قد فرش بهذا الفرش ومهد
رأيت سفرا مملوءة وجربا وسلالا ، فقلت : نزهة يمشون إليها إلى بعض القصور
والبساتين ، إن هذا اليوم مبارك ، فابتهجت سرورا ، إذ جاء هذا الموكل بكم
فقيدكم وقيدنى معكم ، فورد على ما قد أزال عقلى ، فأخبرونى ما الخبر ، فضحكوا
منه وتبسموا وفرحوا به وسروا ، ثم قالوا : الآن قد حصلت في الاحصاء ، وأوثقت
في الحديد ، وأما نحن فثانية غمز بنا إلى المأمون ، وسندخل إليه ، ويسألنا عن
أحوالنا ، ويستكشفنا عن مذهبنا ، ويدعوننا إلى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا
بضروب من الخن : منها إظهار صورة مانى لنا ، ويأمرنا أن نتفل عليها ونتبرأ
منها ، ويأمرنا بذبح طائر ماء ، وهو الدراج ، فمن أجابه إلى ذلك نجبا ، ومن تخلف عنه
قتل ، فاذا دعيت وامتحنت فأخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ما تؤدبك الدلالة
إلى القول به ، وأنت زعمت أنك طفيلى ، والطفيلى يكون معه مداخلات وأخبار ،
فاقطع سفرنا هذا إلى مدينة بغداد بشىء من الحديث وأيام الناس ، فلما وصلوا إلى
بغداد وأدخلوا على المأمون جعل يدعو باسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه ، فيخبره
بالاسلام ، فيمتحنه ويدعوه إلى البراءة من مانى ويظهر له صورته ويأمره أن يتفل
عليها والبراءة منها ، وغير ذلك ، فيأبون ، فيمرهم على السيف ، حتى بلغ إلى الطفيلى
بعد فراغه من العشرة ، وقد استوعبوا عدة القوم ، فقال المأمون للموكلين : من هذا ؟
قالوا : والله ما ندرى ، غير أننا وجدناه مع القوم فحننا به ، فقال له المأمون : ما خبرك ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، امرأتى طالق إن كنت أعرف من أقوالهم شيئا وإنما أنا
رجل طفيلى ، وقص عليه خبره من أوله إلى آخره ، فضحك المأمون ، ثم أظهر
له الصورة ، فلعنها وتبرأ منها ، وقال : أعطونيها حتى أسلح عليها ، والله ما أدرى
ما مانى : أيهوديا كان أم مسلما ، فقال المأمون : يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته
بنفسه ، وكان إبراهيم بن المهدي قائما بين يدى المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ، هب

لى ذنبه وأحدثك بحديث عجيب فى التطفيل عن نفسى ، قال : قل يا إبراهيم
 قال : يا أمير المؤمنين ، خرجت يوماً فررت فى سكك بغداد متطرفاً ، حتى
 انتهيت إل موضع ، فشممت رائحة أباير من جناح فى دار عالية ، وقدور قد فاح
 وتكرها ، فتاقت نفسى إليها ، فوقفت على خياط فقلت : لمن هذه الدار ؟ فقال :
 لرجل من التجار من البزازين ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان ، فرفعت
 طرفى إلى الجناح ، فاذا فيه شباك فنظرت إلى كف قد خرج من الشباك والمعصم
 ما رأيت أحسن منهما قط ، فشغلنى يا أمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن
 رائحة القدور ، فبقيت باهتا قد ذهل عقلى ، ثم قلت للخياط : هو ممن يشرب
 النبيذ ؟ قال : نعم وأحسب أن عنده اليوم دعوة ، ولاينادم إلا تجاراً مثله ، فأنا
 كذلك إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب ، فقال لى الخياط :
 هذان منادماه ، قلت : ما اسماهما وما كناهما ؟ فقال : فلان وفلان ، فحركت دابتي
 حتى دخلت بينهما ، وقلت : جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله ،
 وسائرتهما حتى انتهينا إلى الباب ، فقدمانى ، فدخلت ودخلا ، فلما رآنى صاحب
 المنزل لم يشك إلا أنى منهما بسبيل ، فرحب وأجلسنى فى أجل موضع ، فجئ
 يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف ، وأتينا بتلك الألوان فكان طعامها أطيب
 من رائحتها ، فقلت فى نفسى : هذه الألوان قد أكلتها ، وبقي الكف والمعصم ،
 ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا ؛ ثم صرنا إلى مجلس المنادمة ، فاذا أنبل مجلس وأجل
 فرش ، وجعل صاحب المجلس يلطف بى ويقبل على بالحديث ، والرجلان
 لا يشكان أنه منى بسبيل ، وإنما كان ذلك الفعل منه بى لما ظن أنى منهما بسبيل ،
 حتى إذا شربنا أقداحاً خرجت علينا جارية تتفنى كأنها غصن بانٍ ، فسلمت
 غير خجلة ، وهيئت لها وسادة وأتى يعود فوضع فى حجرها ، فحسته فتبينت
 الحذق فى جسها ، ثم اندفعت تغنى :

تَوَهَّهَا طَرْفِي فَأَلَمَ خَدَّهَا فصار مكان الوهم من نظري أثر
وصافحها كفي فَأَلَمَ كَفَّهَا فمن لمس كفي في أناملها عقر
ومرت بقلبي خاطراً فبحرحتها ولم أر شيئاً قط يجرحه الفكر
فهيبت والله يا أمير المؤمنين على بلابلي ، وطربت لحسن غنائها وحذقها ، ثم
انددت تغني :

أشرت إليها هل علمت مودتي فردَّتْ بطرف العين إنني على العهد
فحدثت عن الإظهار عمداً لسرها وحادثت عن الإظهار أيضاً على عمد
فصحت السلاح ، وجاءني من الطرب ما لا أملك معه النفس ولا الصبر ،
وانددت تغني :

أليس عجباً أن يَتَّضَمَّنِي وإياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكو الهوى بحفونها وترجع أحشاء على النار تضرم
إشارة أفواه وغمز حواجب وتكسير أجفان وكف يسلم
فحسبتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء وإصابتها معنى
الشعر ، وأنها لم تخرج من الفن الذي ابتدأته ، فقلت : بقي عليك يا جارية شيء ؛
فغضبت وضربت بعودها الأرض ؛ ثم قالت : متى كنتم تحضرون مجالسكم
البغضاء ، فندمت على ما كان مني ، ورأيت القوم قد تغيروا ، فقلت : أليس ثم
عود ؟ قالوا : بلى ياسيدنا ، فأتيت بعود ، فأصلحت من شأنه ما أردت وانددت أغني :
ما للمنازل لا يُجِبِّنَ حزيناً أصممن أم بعدَ المدى فبَلَكِينَا
راحوا العشية رَوْحَةً مذكورة إن متن متن وإن حين حيننا
فما استتممته جيداً حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلي تقبلها ، وهي
تقول : المعذرة والله لك ياسيدي ؛ فما سمعت من يغني هذا الصوت مثلك ، وقام
مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها ، وطرب القوم ، واستجثوا الشرب
فشربوا بالطاسة ، ثم انددت أغني :

أبا لله هل تمسين لا تذكريني وقد سحمت عيناي من ذكرك الدما
إلى الله أشكو بخلها وسماحي لها عسل منى وتبذل علما
فردى مصاب القلب أنت قتلتها ولا تتركه ذاهل العقل مغرما
إلى الله أشكو أنها أجنبية وأنى لها بالود ما عشت مكرما

فجاء من طرب القوم يا أمير المؤمنين ما خشيت أن يخرجوا من عقولهم ،
فأمسكت ساعة ، حتى إذا هدا القوم اندفعت أغنى الثالثة :

هذا محبك مطوى على كمده صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته ممابه ويد أخرى على كبده
يامن رأى كلفا مستهترا أسفا كانت منيته في عينه ويده

فجعلت الجارية يا أمير المؤمنين تصيح السلاح ، هذا والله الغناء يامولاي ،
وسكر القوم ، وخرجوا من عقولهم ، وكان صاحب المنزل جيد الشراب ونديما
دونه ، فأمر غلماناه مع غلمانهم يحفظهم وصرفهم إلى منازلهم ، وخلوت معه فشربنا
أقداحا ، ثم قال : ياسيدي ، ذهب والله ما خلا من أيامي باطلا ، إذ كنت لأعرفك
فمن أنت يامولاي ؟ ولم يزل يلح على حتى أخبرته ، فقبل رأسي وقال : ياسيدي
وإني أعجب أن يكون هذا الأدب إلا لملك ، وإذا أنا منذ اليوم مع الخلافة ولا
أعلم ، وسألني عن قصتي وكيف حملت نفسي على ما فعلته ، فأخبرته خبر الطعام
والكف والمعصم ، فقال : يا فلانة ، لجارية له ، قولي لفلانة تنزل ، فجعل ينزل
إلى جواريه واحدة واحدة ، فأنظر إلى كفها وأقول : ليس هي ، حتى قال : والله
ما بقي غير أمي وأختي ، ولأنزلهما إليك ، فمحببت من كرمه وسعة صدره فقلت
له : جعلت فداك ، ابدأ بالأخت قبل الأم ، فعسى أن تكون صاحبتى ، فقال :
صدقت ، ففعل ، فلما رأيت كفها ومعصمها قلت : هي هي ، جعلت فداك ، فأمر
غلماناه من فوره فصاروا إلى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فأحضروا ، وجيء

ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ، ثم قال : هذه أختي فلانة ، وأنا أشهدكم أني قد زوجتها من سيدى إبراهيم بن الهدى ، وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم ، فرضيت وقبلت النكاح ، ودفعت إليها البدرة الواحدة ، وفرقت الأخرى على المشايخ ، وقلت لهم : اعذروا فهذا الذى حضر فى الوقت ، فقبضوها وانصرفوا ، ثم قال : يا سيدى أهد لك بعض البيوت تنام مع أهلك ، فأحشمني والله يا أمير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : بل أحضر عمارية وأحملها إلى منزلى ، فقال : افعل ما شئت ، فأحضرت عمارية وحملتها إلى منزلى ، فوحدك يا أمير المؤمنين لقد حمل إلى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دورى

فتعجب المأمون من كرم ذلك الرجل ، وأطلق الطفيلى ، وأجازه بجائزة حسنة ، وأمر إبراهيم باحضار ذلك الرجل فصار بعدد من خواص المأمون وأهل مودته ، ولم يزل معه على أفضل الأحوال السارة فى المنادمة وغيرها .

وذكر المبرد وثعلب قالوا : كان كلثوم العتابى واقفا بباب المأمون ، فجاء يحيى ابن أكرم ، فقال له العتابى : إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكانى ، قال : لست بحاجب ، قال : قد علمت ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معون ، قال : سلكت بى غير طريقى ، قال : إن الله قد ألحقك بحاجه ونعمة منه ، فهما مقيان عليك بالزيادة إن شكرت ، وبالتقتير إن كفرت ، وأنا لك اليوم خير منك لنفسك ، أدعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك ، ولكل حى ركة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين ، فدخل يحيى فأخبر المأمون بالخبر ، فأدخل إليه العتابى ، وفى المجلس إسحق بن إبراهيم الموصلى ، فأمره بالجلوس ، وأقبل يسأله عن أحواله وأنه فيحبيه بلسان ناطق ، فاستظرفه المأمون ، وأخذ فى مداعبته ، فظن الشيخ أنه قد استخف به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الإيناس قبل الإيساس ، فاشتبه عليه قوله ، فنظر إلى إسحق ، ثم قال : نعم الف دينار ، فأتى بها فوضعت بين يدى العتابى ، ثم دعا إلى المغاوضة وأغرى المأمون إسحق بالعبث به ، فأقبل إسحق

يعارضه في كل باب يذكره ويزيد عليه ، فعجب منه وهو لا يعلم أنه إسحق ،
ثم قال : أياذن أمير المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ؟ فقال العتابي :
من أنت وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس واسمى كل بصل ، فقال له العتابي :
أما النسبة فقد عرفت ، وأما الاسم فننكر ، وما كل بصل من الأسماء ؟ فقال له
إسحق : ما أقل إنصافك ، وما كلثوم ؟ والبصل أطيب من الثوم ، قال العتابي :
قاتلك الله ، ما أملحك !! ما رأيت كالرجل حلاوة ، أياذن أمير المؤمنين في
صلته بما وصلني به فقد والله غلبني ؟ فقال له المأمون : بل ذلك موفر عليك ونأمر له
بمثله ، فانصرف إسحق إلى منزله وناداه ببقية يومه .

العتابي

وكان العتابي من أرض جند قنسرين والعواصم ، وسكن الرقة من ديار
مضر ، وكان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام
وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة
وبراعة الكتابة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة القريحة على ما لم يكن كثير
من الناس في عصر مثله .

وذكر أنه قال : كاتب الرجل لسانه ، وحاجبه وجهه ، وجليسه كله ، ونظم
في ذلك شعرا فقال :

لسان الفتى كاتبه ووجه الفتى حاجبه

وندمانه كله وكل له واجبه

وذكر عنه أنه قال : إذا وليت عملا فانظر من كاتبك ، فانما يعرف مقدارك
من بعد عنك بكاتبك ، واستعقل حاجبك ، فانما يقضى عليك الوفود قبل الوصول
إليك بحاجبك ، واستكرم واستطرب جليستك ونديمك ، فانما يؤذن للرجل
بمن معه .

وقد فاخر كاتب نديما فقال الكاتب : أنا معونة وأنت مؤنة ، وأنا للجد

وأنت للهزل ، وأنا للشدة وأنت للذة ، وأنا للحرب وأنت للسلم ، فقال النديم :
أنا للنعمة وأنت للنعمة ، وأنا للحظوة وأنت للمهنة ، وتقوم وأجلس ، وتحتشم وأنا
مؤنس ، تدأب لحاجتى وتشقى بما فيه سعادتى ، وأنا شريك وأنت معين ، وأنا
نائم وأنت قرين ، وإنا سميت نديما للتدم على مفارقتى .

وللعتابى أخبار حسان ، وتصنيفات ملاح ، فى ذكرها خروج عما إليه قصدنا
ونحوه يممنا ، وإنا ذكرنا عنه هذه الفصول لتغلغل الكلام بنا إليها وتشعبه نحوها
وحكى الجوهري عن العتبى ، عن عياش الزيدى ، قال : رفع رجل قصة
إلى المأمون ، وسأله أن يأذن له فى الدخول عليه ، والاستماع منه ، فأذن له ،
فدخل فسلم ، فقال له المأمون : تكلم بحاجتك ، قال : أخبر أمير المؤمنين أن
مصائب الدهر وأعاجيب الأيام قصدتنى فأخذت منى ما كانت الدنيا أعطتنى . فلم
تبق لى ضيعة إلا خربت ، ولا نهر إلا أبدى ، ولا منزل إلا تهدم ، ولا مال إلا
ذهب ، وقد أصبحت لأملك سبدا ولا لبدا ، وعلى دين كثير ، ولى عيال أطفال
وصبية صغار ، وأنا شيخ كبير قد قعدت بى المطالب وكبرت عنى المكاسب . و بى
حاجة إلى نظر أمير المؤمنين وعطفه ، قال : فبينما هو فى الكلام إذ شرط . فقال :
وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ، ولا والله ما ظهر منى قط إلا فى
موضعه ، فقال المأمون جلسائه : ما رأيت قط أقوى قلبا ولا أربط جأشا ولا
أشد نفسا من هذا الرجل ، ثم أمر له بخمسين ألف درهم .

قال أبو العتاهية : وجه إلى المأمون يوما ، فصرت إليه ، فألقيته مطرقا
متفكرا مغموما ، فأحجمت ، فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال : يا إسماعيل ، شان
النفس المال وحب الاستطراف والأنس بالوحدة كما تأنس بالإلف ، قلت : أجل
يا أمير المؤمنين ، ولى من هذا بيت شعر ، قال : وما هو ؟ قلت :

لا يصلح النفس إذ كانت مطرفة إلا التنقل من حال إلى حال

قال : أحسنت زدنى ، فقلت : لا أقدر على ذلك ، وآسته ببقية يومه ، وأمر لى

عمال فانصرف .

شيخ ضعيف
يطالب رفد
المأمون

أبو العتاهية
والمأمون

ويحكى أن المأمون أمر بعض خواصه من خدمه أن يخرج فلا يرى أحدا في الطريق إلا أتى به كائنا من كان من رفيع أو خسيس ، فأتاه برجل من العامة ؛ فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيى بن أكرم ومحمد بن عمر الرومى ، وقد طبخ كل واحد منهم قدرا ، فقال محمد بن إبراهيم الطاهرى : هؤلاء من خواص أمير المؤمنين فأجبههم عما يسألون ، فقال المأمون : إلى أين خرجت في هذا الوقت وقد بقى عليك من الليل ثلاث ساعات ؟ فقال : غرنى القمر ، وسمعت تكبيرا فلم أشك أنه أذان ، فقال له المأمون : اجلس ، فجلس ، فقال له المأمون : قد طبخ كل واحد منا قدراً هوذا يقدم إليك من كل واحد منها قدراً ، فأخبر عن فضائلها وما ترى من طيبها ، فقال : هاتوا ، فقدمت في طبق كبير كلها موضوعة عليه لا يميز بينها ، ولكل واحدة ممن طبخها علامة ، فبدأ فذاق قدرا طبخها المأمون فقال : زه ، وأكل منها ثلاث لقمات ، وقال : أما هذه فكأنها مسكة وطباخها حكيم نظيف ظريف مليح ، ثم ذاق قدر المعتصم ، فقال : هذه والله فكأنها والأولى من يد واحدة خرجتا ، وبحكمة طبختا ، ثم ذاق قدر عمر الرومى فقال : وهذه قدر طباخ ابن طباخ جاد ما أحكمه ، ثم ذاق قدر يحيى بن أكرم فأعرض بوجهه ، وقال : شه ؛ هذه والله جعل طباخها فيها مكان بصلها خرا ، فضحك القوم وذهب بهم الضحك ، وقعد يحادثهم ويطايهم ويتلى ، وطابوا معه ، فلما برق الفجر قال له المأمون : لا يخرجن منك ما كنا فيه ، وعلم أنه علم بهم ، فوصله بأربعة آلاف دينار ، وقسط له على أصحاب القدر ، وقال : إياك أن تعود إلى الخروج في مثل هذا الوقت مرة أخرى ، فقال : لا أعدمكم الله الطيبخ ولا أعدمى الخروج ، فسألوه عن تجارته وعرفوا منزله ، وجعل في خدمة المأمون وخدمة الجميع وصار في جملتهم

المأمون يحدث عن أجوبة أعيانه

وحدث أبو عباد الكاتب وكان خاصا بالمأمون قال : قال لى المأمون : ما أعينى إلا جواب ثلاثة أنفس : صرت إلى أم ذى الرياستين أعزىها عنه فقلت :

لا تأسَى عليه ولا تحزنى لفقدته ، فإن الله قد أخلف عليك منى ولدا يقوم لك مقامه ، فمهما كنت تنبسطين إليه فيه فلا تنقبضين عنى منه ، فبكيت ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك ، وأتيت برجل قد تنبأ فقلت له : من أنت ؟ قال : موسى بن عمران عليه السلام ؛ فقلت : ويحك !! إن موسى بن عمران عليه السلام كانت له آيات ودلالات بان بها أمره : ألقى عصاه فابتلعت كيد السحرة ، ومنها إخراج يده من جيبه وهى بيضاء ، وجعلت أعدد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة ، وقلت له : لو أتيتنى بشيء واحد من علاماته أو آية من آياته كنت أول من آمن بك وإلا قتلتك ، فقال : صدقت ، إلا أنى أتيت بهذه العلامات لما قال فرعون أنا ربكم الأعلى ، فإن قلت أنت كذلك أتيتك من العلامات بمثل ما أتيته به ، والثالثة أن أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا كنت أحمد مذهبه وأرتضى سيرته ، فوجهت إليهم إني أعلم سيرة هذا الرجل وأنا عازم على القعود لكم فى غداة غد ، فاخترأوا رجلا يتولى المناظرة عنكم ، فأنا أعلم بكثرة كلامكم ، فقالوا : ما فينا من نرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين ، إلا رجل أطروش ، فإن صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك ، فوعدهم الصبر عليه ، وحضروا من الغد فأمرت بالرجال فدخلوا والأطروش ، فلما مثل بين يدى أمرته بالجلوس ، ثم قلت له : ما تشكو من عاملكم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هو شر عامل فى الأرض : أما فى أول سنة ولينا فانا بعنا أثائنا وعقارنا ، وفى السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا ، وفى السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بأمر المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطول علينا بالأمر بصرفه عنا ، فقلت له : كذبت لا أمان لك ، بل هو رجل أحمدت سيرته ومذهبه وارتضيت دينه وطريقته ، واختبرته لكم لمعرفتى بكثرة سخطكم على عمالك ، قال : يا أمير المؤمنين ، صدقت وكذبت أنا ؛ ولكن هذا العامل الذى ارتضيت دينه وأمانته وعدله وإنصافه كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد حتى

يشملهم من إنصافه وعدله مثل الذى شملنا ؟ فقلت له : قم فى غير حفظ الله ، فقد عزلته عنكم

كان المأمون
ينظر الفقهاء
أنصف مناظرة

وكان يحيى بن أكرم يقول : كان المأمون يجلس للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات أدخلوا حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعوا أخفافكم ، ثم أحضرت الموائد ، وقيل لهم : أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ، ومن خُفَّ ضيق فلينزعه ، ومن ثقات عليه قانسوته فليضعها ، فإذا فرغوا أتوا بالحماير فبخروا وطيبوا ، ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه ، وينظرهم أحسن مناظرة ، وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين ، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس ، ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون ، قال : فانه يوما لجالس إذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ويطلب الدخول للمناظرة ، فقلت : إنه بعض الصوفية ، فأردت بأن أشير أن لا يؤذن له ، فبدأ المأمون فقال : ائذن له ، فدخل عليه رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله فى يده ، فوقف على طرف البساط فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقال المأمون : وعليك السلام ، فقال : أتأذن فى الدنو منك ؟ قال : ادن ، فدنا ، ثم قال : اجلس ، فجلس ، ثم قال : أتأذن فى كلامك ؟ فقال : تسكلم بما تعلم أن الله فيه رضا ، قال : أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته أباجماع من المسلمين عليك ورضا منك أم بالمغالبة لهم بالقوة عليهم بسلطانك ؟ قال : لم أجلسه أباجماع منهم ولا بمغالبة لهم ، إنما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمد بن المسلمون إما على رضا وإما على كره فعقد لى ولا آخر معى ولاية هذا الأمر بعده فى أعناق من حضره من المسلمين ، فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البعيد لى ولا آخر معى فأعطوا ذلك إما طائعين وإما كارهين ، فمضى الذى عقد له معى على هذا السبيل التى مضى عليها ، فلما صار إلى علمت أنى أحتاج إلى اجتماع كلمة

بعض الخوارج
ينظر المأمون
فى ولايته

المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الرضا ثم نظرت فرأيت أنى متى تخليت
عن المسلمين اضطرب حبل الاسلام ، وانتقضت أطرافه ، وغلب الهرج والفتنة ،
ووقع التنازع ، فتمطلت أحكام الله سبحانه وتعالى ، ولم يحج أحد بيته ، ولم يجاهد
في سبيله ، ولم يكن له سلطان يجمعهم ويسوسهم ، وانقطعت السبل ، ولم يؤخذ
لمظلوم من ظالم ، فقامت بهذا الأمر حياة للمسلمين ، ومجاهدا لعدوهم ، وضابطا
لسبلهم ، وآخذا على أيديهم ، إلى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم عليه
على الرضا به فأسلم الأمر إليه وأكون كرجل من المسلمين ، وأنت أيها الرجل
رسولى إلى جماعة المسلمين فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به خرجت إليه من
هذا الأمر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، وقام ، فأمر المأمون على بن صالح
بأن ينفذ في طلبه من يعرف مقصده ، ففعل ذلك ثم رجع وقال : وجهت يا أمير المؤمنين
إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا فقالوا له : لقيت الرجل ؟ فقال : نعم ، قالوا : فما
قال لك ؟ قال : ما قال لى إلا خيرا ذكر أنه ناظر في أمور المسلمين إلى أن تأمن
سبلهم ويقوم بالحج والجهاد في سبيل الله ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يعطل
الأحكام ، فإذا رضى المسلمون برجل سلم الأمر إليه وخرج إليه منه ، قالوا : ما ترى
بهذا بأسا ، وافترقوا ، فأقبل المأمون على يحيى فقال : كفيينا مؤنة هؤلاء
بأيسر الخطب ، فقلت : الحمد لله الذى أهلك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد
في القول

قال المسعودى : وكان يحيى قد ولى قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه
وبين المأمون : فرفع إلى المأمون أنه أفسد أولادهم بكثرة لواطه ؛ فقال المأمون :
لو طعنوا عليه في أحكامه قبل ذلك منهم ، قالوا : يا أمير المؤمنين ، قد ظهرت منه
الفواحش وارتكاب الكبائر ، واستفاض ذلك عنه ، وهو القاتل يا أمير المؤمنين
في صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم في أوصافهم ، فقال المأمون : وما الذى قال ؟
فدفعت إليه القصة فيها جل مما رمى به وحكى عنه في هذا المعنى ، وهو قوله :-

يحيى بن أكرم
قضى البصرة

أربعة تفتن الحافظهم فعين من يعشقهم ساهره
فواحد دنياه في وجهه منافق ليست له آخره
وآخر دنياه مقبوحه من خلفه آخره وأفره
وثالث قد حاز كليهما قد جمع الدنيا مع الآخرة
ورابع قد ضاع ما بينهما ليست له دنيا ولا آخره

فأنكر المأمون ذلك في الوقت واستعظمه ، وقال : أيكم سمع هذا منه ؟
قالوا : هذا مستغاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين ، فأمر باخراجهم عنه ، وعزل
يحيى عنهم

وفي يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبي نعيم :
يأليت يحيى لم يلبه أكنمه ولم تطأ أرض العراق قدّمه
ألوط قاضٍ في العراق نعلمه أي دواة لم يلقها قلمه
وأى شعب لم يلجه أرقمه

وضرب الدهر ضرباته فاتصل يحيى بالمأمون وناداه ورخص له في أمور
كثيرة ، فقال له يوما : يا أبا محمد من الذى يقول :

قاضٍ يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من باس
قال : ذلك ابن أبي نعيم يا أمير المؤمنين ، وهو القائل :

أميرنا يرتشى وحاكنا يلوط والرأس شر ماراس
قاضٍ يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من باس
مأحسب الجور ينقضى وعلى أمة وال من آل عباس

فأطرق المأمون خجلا ساعة ثم رفع رأسه وقال : يننى ابن أبي نعيم إلى السند
وكان يحيى إذا ركب مع المأمون في سفر ركب معه بمنطقة وقياء وسيف بمعاليق

وساسية ، وإذا كان الشتاء ركب في أقبية الخبز وقلانس السمر والسروج
المكشوفة ، وبلغ من إذاعته ومجاهرته باللواط أن المأمون أمره أن يفرض لنفسه
فرضا يركبون بركوبه ويتصرفون في أموره ، ففرض أربع مائة غلام مردا اختارهم
حسان الوجوه ، فافتضح بهم ، وقال في ذلك راشد بن إسحق يذكر ما كان من
أمر يحيى في الفرض :

خليلي انظرا متعجبين	لأظرف منظر مقلته عيني
لفرض ليس يقبل فيه إلا	أسيل الخلد حلو المقلتين
وإلا كل أشقر أكتفى	قليل نبات شعر العارضين
يقدم دون موقف صاحبيه	بقدر جماله وبقبح ذين
يقودهم إلى الهيجاء قاضٍ	شديد الطعن بالرمح الرديني
إذا شهد الوغى منهم شجاع	تجدل للعجين ولليدين
يقودهم على علم وحلم	ليوم سلامة لا يوم حين
وصار الشيخ منحنيا عليه	بمصرعه يجوز الركبتين
يفادهم إلى الأذقان صرعى	وكلهم جريح الخصيتين

وفيه يقول راشد أيضا :

وكنا نرجى أن نرى العدل ظاهرا فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضى قضاة المسلمين يلوط
وكان يحيى بن أكرم بن عمر بن أبي رباح من أهل خراسان من مدينة مرو ،
وكان رجلا من بني تميم ، وسخط عليه المأمون في سنة خمس عشرة ومائتين ، وذلك
بمصر ، وبعث به إلى العراق مغضوبا عليه ، وله مصنفات في الفقه وفي فروع
وأصوله ، وكتاب أورده على العراقيين سماه بكتاب التنبيه ، وبينه وبين أبي
سليمان أحمد بن أبي دواد بن علي مناظرات كثيرة

وفاة الامام
الشافعي

وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي ، في رجب ليلة الجمعة ، وذلك سنة أربع ومائتين ، ودفن صبيحة الليلة ، وهو ابن أربع وخمسين سنة ، وصلى عليه السري بن الحكم أمير مصر يومئذ ، كذلك ذكر عكرمة بن محمد بن بشر عن الربيع بن سليمان المؤذن وذكر أيضا محمد بن سفيان بن سعيد المؤذن وغيرهما عن الربيع بن سليمان مثل ذلك ، ودفن الشافعي بمصر نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم ، وبين قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير ، وكذلك عند رجليه ، وعلى العالي الذي عند رأسه حفر قد كتب فيه في ذلك الحجر هذا قبر محمد بن إدريس الشافعي أمين الله ، وما ذكرنا فمشهور بمصر ، والشافعي يتفق نسبه مع بني هاشم وبني أمية في عبد مناف ، لأنه من ولد المطلب بن عبد مناف ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « نحن وبنو المطلب كهاتين » وأشار بأصبعيه مضمومتين ، وقد كانت قریش حاصرت بني المطلب مع بني هاشم في الشعب وحدثني فقير بن مسكين عن المزني بهذا ، وكان فقير يحدث عن المزني ، وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة أسوان بصعيد مصر ، قال : قال المزني : دخلت على الشافعي غداة وفاته ، فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلا ، ولاخواني مفارقا ، وبكأس المنية شاربا ، ولا أدري إلى الجنة تصير روحي فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ، وأنشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي جعلت الرجاء مني لغفوك سلما

تعاظمتني ذنبي فلما قرنته بغفوك ربي كان عفوك أعظما

وفي هذه السنة التي مات فيها الشافعي - وهي سنة أربع ومائتين - مات

وفاة أبي داود أبو داود سليمان بن داود الطيالسي ، وهو ابن إحدى وتسعين سنة ، وفيها مات الطيالسي وهشام الكلبى هشام بن محمد الكلبى

وادعى رجل النبوة بالبصرة أيام المأمون ؛ فحمل إليه موثقاً بالحديد ، فمثل بين يديه ، فقال : أنت نبي مرسل ؟ قال : أما الساعة فأنا موثق ، قال : ويحك !! من غرك ؟ قال : أبهذا تخاطب الأنبياء ؟ أما والله لو لا أنى موثق لأمرت جبريل أن يدمدمها عليكم ؟ قال له المأمون : والموثق لا يجاب له دعوة ؟ قال : الأنبياء خاصة إذا قيدت لا يرتفع دعاؤها ، فضحك المأمون ، وقال : من قيدك ؟ قال : هذا الذى بين يديك ، قال : فنحن نطلقك وتأمر جبريل أن يدمدمها فإن أطاعك آمنا بك وصدقناك ، فقال : صدق الله إذ يقول (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) إن شئت فافعل ، فأمر بإطلاقه ، فلما وجد راحة العافية قال : يا جبريل ، ومد بها صوته ، ابعثوا من شئتكم فليس بينى وبينكم الآن خير غيرى يملك الأموال وأنا لا شئ معى ما يذهب لكم إلا السجان ، فأمر بإطلاقه والاحسان إليه

وحدث ثمامة بن أشرس قال : شهدت مجلساً للمأمون وقد أتى برجل ادعى للمأمون ورجل أنه إبراهيم الخليل ، فقال له المأمون : ما سمعت بأجراً على الله من هذا ، قلت : ادعى أنه إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى كلامه ، قال : شأنك وإياه ، قلت : يا هذا ، إن إبراهيم عليه السلام كانت له براهين ، قال : وما براهينه ؟ قلت : أضربت له النار وألقى فيها فكانت عليه برداً وسلاماً ، فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك برداً وسلاماً كما كانت عليه آمناً بك وصدقناك ، قال : هات ما هو ألين على من هذا ، قلت : فبراهين موسى عليه السلام ، قال : وما هى ؟ قلت : ألقى العصا فإذا هى حية تسعى تلقف ما يأفكون ، وضرب بها البحر فانفلق وبياض يده من غير سوء ، قال : هذا أصعب ، ولكن هات ما هو ألين من هذا ، قلت : فبراهين عيسى عليه السلام ، قال : وما براهينه ؟ قلت : إحياء الموتى ، فقطع الكلام فى براهين عيسى وقال : جئت بالطامة الكبرى ، دعنى من براهين هذا ، قلت : فلا بد من براهين ، قال : ما معى من هذا شئ ، قلت : لجبريل : إنكم توجهوننى إلى شياطين فأعطونى حجة أذهب بها وإلا لم أذهب ،

فغضب جبريل عليه السلام على وقال : جئت بالشر من ساعة ، اذهب أولا فانظر
ما يقول لك القوم ؛ فضحك المأمون وقال : هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة
وفي سنة ثمان وتسعين ومائة خلع المأمون أخاه القاسم ابن الرشيد من
ولاية العهد

وفي سنة تسع وتسعين ومائة خرج أبو السرايا السري بن منصور الشيباني
بالعراق ، واشتد أمره ، ومعه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن
ابن علي بن أبي طالب ، وهو ابن طباطبا ، ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن
داود بن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله ، ووثب بالبصرة علي بن محمد بن
جعفر بن علي بن الحسين عليهم السلام ، وزيد بن موسى بن جعفر ، فقبلوا
على البصرة

وفي هذه السنة مات ابن طباطبا الذي كان يدعو إليه أبو السرايا ، وهو
محمد بن إبراهيم المقدم ذكره

وظهر في هذه السنة باليمن - وهي سنة تسع وتسعين ومائة - إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد ، وظهر في أيام المأمون بمكة ونواحي الحجاز محمد بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله ، وذلك في سنة مائتين ، ودعا لنفسه ، وإليه دعت السطوية من فرق الشيعة وقالت بامامته ، وقد افرقوا فرقا فمنهم من غلا ، ومنهم من قصر ، وسلك طريق الامامية ، وقد ذكرنا في كتاب «المقاتلات في أصول الديانات» وفي كتاب «أخبار الزمان» من الأمم الماضية والأجيال الحالية والممالك الدائرة ، في الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بني العباس ومن ظهر في أيامهم من الطالبين ، وقيل : إن محمد بن جعفر دعا في بدء أمره وعنفوان شبابه إلى محمد بن إبراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا ، فلما مات ابن طباطبا ، وهو محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ، دعا لنفسه ، وتسمى بأمر المؤمنين ، غير محمد بن جعفر ، وكان يسمى بالديباجة لحسنه وبهائه ، وما كان عليه من البهاء والكمال

وكان له بمكة ونواحيها قصص حمل فيها إلى المأمون بخراسان ، والمأمون يومئذ
يمرو فأمنه المأمون وحمله معه إلى جرجان ، ومات محمد بن جعفر فدفن بها ، وقد أتينا
على كيفية وفاته وما كان من أمره وغيره من آل أبي طالب في كتابنا « حدائق
الأذهان » في أخبار آل أبي طالب ومقاتلهم في بقاع الأرض .

وظهر في أيام المأمون أيضا بالمدينة الحسن بن الحسين بن علي بن علي بن
الحسين بن علي وهو المعروف بابن الأفطس ، وقيل : إنه دعا في بدء أمره إلى ابن
طباطبا ، فلما مات ابن طباطبا دعا إلى نفسه والقول بامامته وسار إلى مكة فأتى
الناس وهم بمنى ، وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمي ، فهرب داود ،
ومضى الناس إلى عرفة ، ودفعوا إلى مزدلفة بغير إنسان عليهم من ولد العباس ،
وقد كان ابن الأفطس وافى الموقف بالليل ، ثم صار إلى المزدلفة والناس بغير إمام
فصلى بالناس ، ثم مضى إلى منى ، فنحر ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من
الكسوة إلا القباطى البيض فقط .

وفى سنة مائتين ظهر حماد المعروف بالكبدعوس بن السرايا ، فأتى به الحسن
ابن سهل ، فقتله وصلبه على الجسر ببغداد ، وقد أتينا في كتابنا في « أخبار الزمان »
على خبر أبي السرايا وخروجه وما كان منه في خروجه وقلته عبدوس بن أبي خالد
ومن كان معه من قواد الأبناء واستباحة عسكره .

قال المسعودى : وفى سنة مائتين بعث المأمون برعاء بن أبي الضحاك وياسر
الخادم إلى علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن الرضا لإشخاصه ،
فحمل إليه مكرما ، وفيها أمر المأمون بإحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم
وصغيرهم وكبيرهم ، فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا .

ووصل إلى المأمون علي بن موسى الرضا وهو بمدينة مرو فأنزله المأمون أحسن
إنزال ، وأمر المأمون بجمع خواص الأولياء ، وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس
وولد علي رضى الله عنهم فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن
علي بن موسى الرضا وبيعة
المأمون له
بالخلافة

موسى الرضا ، فباع له بولاية العهد ، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم ، وزوج محمد بن على بن موسى الرضا بابنته أم الفضل ، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام ، ونمى ذلك إلى من بالعراق من ولد العباس ، فأعظموه إذ علموا أن في ذلك خروج الأمر عنهم ، وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر المأمون ، واجتمع من بمدينة السلام من ولد العباس على خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة فبيع له يوم الخميس لحس خلون من الحرم سنة اثنتين ومائتين ، وقيل : إن ذلك في سنة ثلاث ومائتين .

بنو العباس
يغضبون
فيخلعون
المأمون

وفي سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل في حمام غيلة ، وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان ، وذلك في دار المأمون ، في مسيره إلى العراق . وقبض على بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله وأكثر منه ، وقيل : إنه كان مسموما ، وذلك في صفر سنة ثلاث ومائتين ، وصلى عليه المأمون ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، وقيل : سبع وأربعين سنة وستة أشهر ، وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة ، وكان المأمون زوج ابنته أم حبيبة لعل ابن موسى الرضا ؛ فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن على بن موسى والأخرى تحت أبيه على بن موسى .

مقتل الفضل
ابن سهل
وفاة على بن
موسى الرضا

واضطربت بغداد في أيام إبراهيم بن المهدي ، وثار الرويضية ، وسموا أنفسهم المطوعية ، وهم رؤساء العامة والتوابع ، ولما قرب المأمون من مدينة السلام صلى إبراهيم بن المهدي بالناس في يوم النحر واختفى في يوم الثاني من النحر ، وذلك في سنة ثلاث ومائتين ، فخلعه أهل بغداد ، وكان دخول المأمون بغداد سنة أربع ومائتين ، ولباسه الخضرة ، ثم غير ذلك ، وعاد إلى لباس السواد ، وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة إليه .

شأن إبراهيم
ابن المهدي

وفي سنة إحدى ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها ، وفيها كان خروج بابك الخرمي ببلاد اليردين في أصحاب جاويزدان بن

شهرك ، وقد قدمنا ذكرنا بلاد بابك ، وهى الـيدين وأذر بيـجان والران والـبليقان
فـيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل الفتح والباب والأبواب ونهر الراس
وجريانه نحو بلاد الـيدين

وبث المأمون عيونه فى طلب إبراهيم بن المهدي وقد علم باختفائه فيها ،
فـظفر به لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع ومائتين ، فى
زى امرأة ، ومعه امرأتان ، أخذه حارس بن أسود فى الدرب المعروف بالطويل
ببغداد ، فأدخل إلى المأمون فقال : هيه يا إبراهيم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ولى
الثار محكم فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الزمان واستولى عليه
الاغترار بما مدَّ له من أسباب البقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك
الله فوق كل ذى عفو ، كما جعل كل ذى ذنب دونى ؛ فان تعاقب فبحقك ،
وإن تعف فبفضلك ، قال : بل العفو يا إبراهيم ، فكبر ثم خر ساجدا ، فأمر
المأمون فصيرت التى كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال التى أخذ عليها ، ثم
أمر به فصير فى دار الحرس أيا ما ينظر الناس إليه ، ثم حول إلى أحمد بن خالد ،
ثم رضى عنه من بعد أن كان وكل به ، فقال إبراهيم فى ذلك من كلمة له :

إن الذى قسم المسكارم حازها من صلب آدم للامام السابع
جمع القلوب عليك جامع أهلها وجرى ودادك كل خير جامع
فبذلت أعظم ما يقوم بحمله وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عنم لم يكن عن مثله عفو ، ولم يشفع إليك بشافع

وانحدر المأمون إلى قم الصالح فى شعبان سنة تسع ومائتين ، وأملك بخديجة زواج المأمون
ابنة الحسن بن سهل التى تسمى بوران ، ونثر الحسن فى ذلك من الأموال ما لم
ينثره ولم يفعله ملك قط فى جاهلية ولا فى إسلام ، وذلك أنه نثر على الهاشميين
والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار وصفات
دواب وغير ذلك ، فكانت البندقة إذا وقعت فى يد الرجل فتحها فقرأ ما فيها

فيجد على قدر إقباله وسعوده فيها فيمضى إلى الوكيل الذي نصب لذلك فيقول له ضيعة يقال لها فلانة الفلانية من طسوج كذا من رستاق كذا وجارية يقال لها فلانة الفلانية ودابة صفتها كذا ، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر ، وأتفق على المأمون وقواده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده على المسكاريين والحمالين والملاحين وكل من ضمنه العسكر من تابع ومتبوع مرتزق وغيره ، فلم يكن أحد من الناس يشتري شيئاً في عسكر المأمون مما يطعم ولا مما تعتلفه البهائم ، فلما أراد المأمون أن يصعد في دجلة إلى مدينة السلام قال للحسن : حوائجك يا أبا محمد ، قال : نعم يا أمير المؤمنين أسألك أن تحفظ على مكاني من قلبك ، فإنه لا يتهيأ لي حفظه إلا بت ، وأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور الأهواز إليه سنة ، فقالت في ذلك الشعراء فأكثر ، وأظنبت الخطباء في ذلك وتكلمت ، فما استظرف مما قيل في ذلك من الشعر قول محمد بن حازم الباهلي :

بارك الله للحسن ولبوران في الختن

يا ابن هرون قد ظفرت ولكن بينت من

فلما نمي هذا الشعر إلى المأمون قال : والله ما ندرى خيراً أراد أم شراً ودخل إبراهيم بن المهدي يوماً على المأمون بعد مدة من الظفر به فقال : إن هذين يحملا نني على قتلك ، يعني المعتصم أخاه والعباس بن المأمون ، فقال : ما أشارا عليك إلا بما يشار به على مثلك ، ولكن تدع ما تخاف لما ترجو ، وأنشد :

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي

نبوت منها وما كافيتها بيد هما الحياتان من موت ومن عدم

البروطاً منك العذر عندك لي فيما أتيت ولم تعدل ولم تلم

وقام عذرك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم

ولابراهيم أخبار حسان ، وأشعار ملاح ، وما كان من أمره في حال اختفائه في سويقة غالب ببغداد وتنقله من موضع إلى موضع بها ، وخبره في الليلة التي قبض عليه فيها ، قد أتينا على جميعها فيما سمينا من كتبنا التي كتابنا هذا تال لها وقد صنف يوسف بن إبراهيم الكاتب صاحب إبراهيم بن المهدي كتباً منها كتابه في أخبار المتطبيين مع الملوك في المآكل والمشرب والملابس وغير ذلك وكتابه المعروف بكتاب إبراهيم بن المهدي في أنواع الأخبار ، وغير ذلك من كتبه

ومن أحسن ما اختير من أخبار إبراهيم في حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين ، وهو أن المأمون لما دخل بغداد على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من بثه العيون طلباً لابراهيم بن المهدي وجعل لمن دل عليه جملاً خطيراً من المال ، قال إبراهيم : فخرجت في يوم صائف في وقت الظهر لا أدري أين أتوجه ، فصرت إلى زقاق ولا منفذ له ، فرأيت أسود على باب دار ، فصرت إليه وقلت له : أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار ؟ فقال : نعم ، وفتح بابه ، فدخلت إلى بيت فيه حصير نظيف ووسادة جلد نظيفة ، ثم تركني وأغلق الباب في وجهي ومضى ، فتوجهته قد سمع الجمالة في وأنه خرج ليدل على ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل ومعه طبق عليه كل ما يحتاج إليه من خبز ولحم وقدر جديد وآلها وجرة نظيفة وكيزان نظاف ، كل ذلك جديد ، وقال لي : جعلني الله فداك إني حجام ، وإني أعلم أنك تتقذر ما أتولاه ، فشأنك بما لم تقع عليه يدي ، وكانت بي حاجة شديدة إلى الطعام ، فقممت فطبخت لنفسي قدراً ما أذكر أنني أكلت أطيب منها ، ثم قال لي بعد ذلك : هل لك في النبيذ ؟ فقلت : ما أكره ذلك ففعل مثل فعله في الطعام وأتاني بكل شيء نظيف لم يمس شيئاً منه يد ثم قال لي بعد ذلك : أتأذن لي جعلني الله فداك أن أقعد ناحية منك فأني بنبيذ فأشرب منه سروراً بك ؟ قال : فقلت : افعل ذلك ، فلما شرب ثلاثاً دخل خزانة له وأخرج

منها عودا وقال : ياسيدى ، ليس من قدرى أن أسألك أن تغنى ، ولكن قد وجبت عليك حرمتى ، فإن رأيت أن تشرف عبدك بأن تغنيه ، قال : فقلت : وكيف توهمت على أنى أحسن الغناء ؟ فقال متعجبا : ياسبحان الله !! أنت أشهر من أن لا أعرفك ، أنت إبراهيم بن المهدي الذي جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف درهم ، قال : فلما قال لي ذلك تناولت العود ، فلما هممت بالغناء قال : ياسيدى أتجعل ما تغنيه ما أقترحه عليك ؟ قلت : هات ، فاقترح ثلاثة أصوات أتقدم فيها كل من غنى ، قلت : هبك عرفتنى ، هذه الأصوات من أين لك ؟ قال : أنا أخدم إبراهيم بن إسحق الموصلى ، وكثيرا ما كنت أسمعه يذكر الحسين وما يجيدونه ، ولم أتوهم أنى أسمع ذلك منك فى منزلى ، فغنيته وأنست به واستظرفته ، فلما كان الليل خرجت من عنده ، وقد كنت حملت معى خريطة فيها دنانير ، فقلت له : خذها فاصرفها فى بعض مؤنتك ، ولك عندنا مزيد إن شاء الله تعالى ، فقال : ما أعجب هذا !! والله عزمت على أنى أعرض عليك جملة عندي ، وأسألك أن تتفضل بقبولها ، ثم أجلتلك عن ذلك ، فامتنع من قبول شئ ومضى حتى دلتنى على الموضع الذى احتجت إليه وانصرف ، وكان آخر العهد به

موت يزيد بن هارون بواسط
وفى سنة ست ومائتين - وذلك فى خلافة المأمون - مات يزيد بن هارون ابن زاذان الواسطى ، وله تسع وثمانون سنة ، وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة وهو مولى بنى سليم ، وكان أبوه يخدم فى مطبخ زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف ، وهذا عمدة أهل الحديث فى علمهم ، وعظيم من عظامهم ، وكانت وفاته بواسط العراق

موت جماعة من العظماء
وفى مات جرير بن خزيمة بن حازم ، وشيبة بن سوار المدنى ، والحجاج بن محمد الأعور الفقيه ، وعبد الله بن نافع الصانع المدنى مولى لبنى مخزوم ، ووهب

ابن جرير ، ومؤمل بن إسماعيل ، وروح بن عباد ، وفيها مات الهيثم بن عدي
وكان يغمز عليه نسبه ، وله يقول القائل :

إِذَا نَسَبْتَ عَدِيًّا فِي بَنِي ثَعْلٍ فقدم الدال قبل العين في النسب

وفي سنة تسع ومائتين مات الواقدي ، وهو محمد بن عمر بن واقد مولى لبني موت الواقدي
هاشم ، وهو صاحب السير والمغازي ، وقد ضعف في الحديث ، وذكر ابن أبي
الأزهر قال : حدثني أبو سهل الداري ، عن حدثه ، عن الواقدي قال : كان لي
صديقان أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة ، فالتني ضيقة شديدة ، وحضر
العيد ، فقالت امرأتي : أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا
هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم ؛ لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم
وأصلحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو احتلت بشيء تصرفه
في كسوتهم ، قال : فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة على لما حضر ،
فوجه إلى كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف درهم ، فما استقر قراري إذ كتب إلى
الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي ، فوجهت إليه الكيس بحاله ،
وخرجت إلى المسجد فأقت فيه ليلى مستحييا من امرأتي ، فلما دخلت عليها
استحسننت ما كان مني ولم تعنفني عليه ، فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي
ومعه الكيس كهيئته ، فقال لي : أصدقني عما فعلته فيما وجهت إليك ، فعرفته
الخبر على جهته ، فقال : إنك وجهت إلى وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به
إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه بكيسي بخاتمي ، قال : فتواسينا
الألف أثلاثا ، ثم إنا أخرجنا إلى المرأة قبل ذلك مائة درهم ، ونمي الخبر إلى
المأمون فدعاني فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار : لكل واحد ألفا
دينار ، وللمرأة ألف دينار ، وقبض الواقدي وهو ابن سبع وسبعين سنة

وفيها كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي
بيغداد ، وصلى عليه المأمون ، وقد أثينا على خبره فيما سلف من كتبنا .
موت يحيى
ابن الحسين
العلوي

موت أزهر
السمان وصلته
بالمنصور

وفيهما مات أزهر السمان ، وكان صديقا لأبي جعفر المنصور في أيام بني أمية ، وكانا قد سافرا جميعا وسمعا الحديث ، وكان المنصور يألفه ، ويأنس إليه ، ويكبر عنده ، فلما أفضت الخلافة إليه أشخص إليه من البصرة فسأله المنصور عن زوجته وبناته ، وكان يعرفهن بأسمائهن ، وأظهر بره وإكرامه ، ووصله بأربعة آلاف درهم ، وأمره أن لا يقدم إليه مستميحا ؛ فلما كان بعد حول صار إليه ، فقال له : ألم أمرك أن لا تصير إلى مستميحا ، فقال له : ماصرت إليك إلا مسلما ومجددا بك عهدا ، قال : ما أرى الأمر كما ذكرت ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، وأمره أن لا يصير إليه مسلما ولا مستميحا ، فلما كان بعد سنة صار إليه ، فقال : إني لم أقدم عليك للأمرين اللذين نهيتني عنهما ، وإنما بلغني أن علة عرضت لأمر المؤمنين فأتيته عائدا ، فقال : ما أظنك أتيت إلا مستوصلا ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ؛ فلما كان بعد الحول ألح عليه بناته وزوجته ، وقلن له : أمير المؤمنين صديقك فارجع إليه ، فقال : ويحك !! ماذا أقول له وقد قلت له أتيتك مستميحا ومسلما وعائدا ؟ ماذا أقول في هذه المرة وبهم أحتج ؟ فأبوا على الشيخ إلا الإلحاح ؛ فخرج فأتى المنصور وقال : لم آتكم مسترفدا ، ولا زائرا ، ولا عائدا ، وإنما جئت لسماع حديث كنا سمعناه جميعا في بلد كذا من فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسم من أسماء الله تعالى من سأل الله به لم يرده ولم يخيب دعوته ، فقال له المنصور : لا ترده ، إفاني قد جربته فليس هو بمستجاب ، وذلك أني مذجتني أسأل الله به أن لا يردك لي وها أنت ترجع لا تنفك من قولك مسلما أو عائدا أو زائرا ، ووصله بأربعة آلاف درهم ، وقال له : قد أعيتني فيك الحيلة فصر إلى متى شئت

مقتل

ابن عائشة

وفي سنة تسع ومائتين ركب المأمون إلى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة ، وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب ، واسمه إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب ابن إبراهيم الإمام أخى أبي العباس والمنصور ، وقتل معه محمد بن إبراهيم

الافريقى وغيره ، وابن عائشة هذا أول عباسى صلب فى الاسلام ، وتمثل المأمون حين قتله بقول الشاعر :

إذا النار فى أحجارها مستكنة متى ما يهيجها قادح تتصَّرم

المأمون
والعباس
العلوى

وكان رجل من ولد العباس بن العباس العلوى ، بمدينة السلام ، وكان المعتصم يشناه لحال كانت بينهما ، فمكن فى نفس المأمون أنه شائى لدولته ، ماقت لأيامه ، فلما كان فى تلك الليلة لحق العباس المأمون على الجسر فقال له المأمون : ما زلت تنتظرها حتى وقعت ، فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، ولكنى ذكرت قول الله عز وجل (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) فحسن موقع ذلك منه ولم يزل يسايره حتى بلغ المطبق ، فلما قتل ابن عائشة قال : يا ذن أمير المؤمنين فى الكلام ؟ قال : تكلم ، قال : الله الله فى الدماء ، فإن الملك إذا ضرى بها لم يصبر عنها ، ولم يبق على أحد ، قال : لو سمعت هذا الكلام منك قبل أن أركب ماركبت ولا سفكت دما ، وأمر له بثمائة ألف درهم

وقد أتينا على خبر ابن عائشة هذا وما أراد من الايقاع بالمأمون ، وما كان من أمره فى كتابنا فى « أخبار الزمان »

وفى سنة إحدى عشرة ومائتين مات أبو عبيدة العمرى معمر بن المشى ، وكان يرى رأى الخوارج ، وبلغ نحواً من مائة سنة ، ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلى ، حتى أكترى لها من يحملها ، ولم يكن يسلم عليه شريف ولا وضعيع إلا تكلم فيه ، وله مصنفات حسان فى أيام العرب وغيرها : منها كتاب المثالب ، يذكر فيه العرب وفسادها ، ويرميهم بما يسيء الناس ذكره ، ولا يحسن وصفه ، وكان أبو نواس كثير العبث به ، وكان أبو عبيدة يقعد فى مسجد البصرة إلى سارية من سواريه ، فكتب أبو نواس عليها فى غيبته :

موت أبو عبيدة

صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى لُوطٍ وَشِيعَتِهِ أَبَا عُبَيْدَةَ قُلْ بِاللَّهِ آمِينَ
فَلَمَّا جَاءَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى تِلْكَ السَّارِيَةِ رَأَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : هَذَا فَعَلَ الْمَاجِنُ
الْلُوطُ أَبِي نُوَاسٍ ، حَكَوْهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ صَلَاةٌ عَلَى نَبِيٍّ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - وَهِيَ سَنَةٌ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ - مَاتَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ
إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ مَتَنَسْكَاً لَابِساً لِلصُّوفِ ، وَكَانَ لَهُ مَعَ الرَّشِيدِ أَخْبَارٌ : مِنْ ذَلِكَ
مَا قَدَّمْنَا ذَكَرَهُ فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ، وَمِنْهَا أَنَّ الرَّشِيدَ أَمَرَ ذَاتَ يَوْمٍ
بِحَمَلِهِ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَكْلِمَ فِي طَرِيقِهِ ، وَلَا يَعْلَمُ مَا يَرَادُ مِنْهُ ، فَلَمَّا صَارَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ
كَتَبَ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ : إِنَّمَا يَرَادُ قَتْلُكَ ، فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

موت
أبي العتاهية

وَلَعَلَّ مَا تَخْشَاهُ لَيْسَ بِكَائِنٍ وَلَعَلَّ مَا تَرْجُوهُ سَوْفَ يَكُونُ
وَلَعَلِّي مَا هَوَّنْتَ لَيْسَ بِهِيْنٍ وَلَعَلَّ مَا شَدَّدْتَ سَوْفَ يَهْوَنُ
وَحَجَّجَ فِي بَعْضِ الْحَجَجِ مَعَ الرَّشِيدِ ، فَزَلَّ الرَّشِيدُ يَوْمًا عَنْ رَاحِلَتِهِ ؛ وَمَشَى
سَاعَةً ، ثُمَّ أَعْيَا ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَنْ تَسْتَنْدِيَ إِلَى هَذَا الْمِيلِ ؟ فَلَمَّا قَعَدَ
الرَّشِيدُ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ، حَرَكْنَا ، فَقَالَ :

أَلَا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا دَعِ الدُّنْيَا لِشَانِئِكَا

وَمَا تَصْنَعُ بِالْدُّنْيَا وَظَلَّ الْمِيلَ يَكْفِيكَا

وَلَأَبِي الْعَتَاهِيَةِ أَخْبَارٌ وَأَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ قَدْ قَدَّمْنَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ كِتَابِنَا
جَمْعًا مِمَّا اخْتِيرَ مِنْ شِعْرِهِ وَمَا انْتَخَبَ مِنْ قَوَافِيهِ ، وَكَذَلِكَ قَدَّمْنَا مِنْ ذَلِكَ لِمَا
فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فِي أَخْبَارِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَمِمَّا اسْتَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

أَحَدٌ قَالَ لِي وَلَمْ يَدْرُ مَا بِي : أَحَبُّ الْغَدَاةِ عُتْبَةُ حَقًّا

فَتَنَفَسْتُ ثُمَّ قُلْتُ : نَعَمْ حُبُّ الْجَرَى فِي الْعُرُوقِ عَرَقًا فَمَرَقًا

لَيْتَنِي مِتُّ فَاسْتَرَحْتُ ؛ فَاْنِي أَبْدَا مَا حَيَّيْتُ مِنْهَا مُلْقًى

لَا أَرَانِي أَبْقَى وَمَنْ يَلْقَى مَا لَا قِيَّتْ مِنْ لَوْعَةِ الْجَوَى لَيْسَ يَبْقَى

فاحتسب محبتى وقل: رحمة الله على صاحب لنا مات عشقا
أنا عبد لها وإن كنت لا أرزق منها والحمد لله عتقا
ومما استحسن من شعره أيضا قوله :

يا عتب مالى ولك ياليتنى لم أرك
ملككتنى فانتهى ما شئت أن تنتهى
أبيت ليلى ساهرا أرعى نجوم الفلك
مفرشا جمر الغضى ملتخفا بألحسك

ومن قوافيه الغريبة وأشعاره المستحسنة قوله :

أخلاقى بى شجوى وليس بكم شجوى وكل امرئ من شجوى صاحبه خلوى
رأيت الهوى جمر الغضى غير أنه على جمره فى صدر صاحبه خلوى
أذاب الهوى جسمى وعظمى وقوتى فلم يبق إلا الروح والبدن النضوى
وما من حبيب نال ممن يحبه هوى صادقا إلا يداخله زهوى
وإنى لنائى الطرف من غير خلتي ومالى سواها من حديث ولا هوى
لها دون إخوانى وأهل مودتى من الود منى فضلة ولها العفو

ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله :

يا لهف نفسى على الذى اجتنبت بأى جرم ترونها عتبت
تبارك الله بشئ ما صنعت بى فى هواها وبئس ما ارتكبت
أتيتها زائرا فما انحرفت على إذ جئتها وما احتسبت
كم من ديون والله يعلمها لنا عليها لم تقض إذ وجبت
ما وهبت لى من فضلها عدة إلا استردت جميع ما وهبت
فاى خير وأى منفعة لذات دكّ طريق ما حلبت
الله بينى وبين ظالمتى طلبت منها وصالها فأبت

ماذا عليها لو أنها بعثت منها رسولا إلى أو كتبت
رغبت في وصلها وقد زهدت عتبة في وصلنا وما رغبت
وكان أبو العتاهية قبيح الوجه ، مليح الحركات ، حلوا الانشاد ، شديد الطرب
ومن مليح شعره قوله :

من لم يذق لصبابة طعما فلقد أحطت بطعمها علما
إني منحت مودتي سكنا فرأيت أنه قد عدها جرما
يا عتب ما أبقيت من جسدي لحما ولا أبقيت لي عظاما
يا عتب ما أنا من صنيعك بي أعمى ولكن الهوى أعمى
إن الذي لم يدر ما كلني ليري على وجهي به وسما
وله أشعار خرج فيها عن العروض مثل قوله :

هم القاضى بيت يطرب قال القاضى لما عوتب
مافى الدنيا إلا مذنب هذا عذر القاضى واقاب

وزنه فعلى أربع مرات ، وقد قال قوم : إن العرب لم تقل على وزن هذا
شعرا ، ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين

زيادة
العروضيين على
الخليل بن أحمد
قال المسعودى : وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد في العروض :
من ذلك المديد ، وهو ثلاثة أعاريض وستة ضروب عند الخليل ، وفيه عروض
رابع وضربان محدثان : فالضرب الأول من العروض الرابعة المحدثه قول الشاعر :

من لعين لا تنام دمعها سحَّ سجام
والضرب الثانى من العروض الرابعة المحدثه قول الشاعر :
يا بكر لا تنوا ليس هذا حين ونا

وغير ذلك مما ذكرناه وتكلموا فيه ، وذكروا في هذا المعنى من الزيادات

مما قد أتينا على وصفه وقدمنا من ذكره في كتابنا في « أخبار الزمان »
وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ الكاتب الأنباري عن
الخليل بن أحمد عن تقايد العرب إلى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن
أوضاع الجدل ، كان ذلك له لازما ، ولما أورده كاسرا ، وللناشي أشعار كثيرة
حسان : منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة
يذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل ، وأشعار كثيرة ومصنفات واسعة
في أنواع من العلوم ، فما جوري فيه قوله حين سار من العراق إلى مصر ، وبها
كانت وفاته ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره :

ياديّار الأحباب هل من مجيب عنك يشفي غليل نائي المزار
ما أجابت ولكن الصمت منها فيه للسائلين طول اعتبار
إن تكن أوحشت فبعد أنيس أو خلت منهم فبعد قرار
قد لهونا بها زمانا وحيننا ووصلنا الأسحار بالأسحار
واغتبقتنا على صبوح وهو وحنين النايات والأوتار
بين ورد ونرجس وخزامى وبنفس وسوسن وبهار
وأقاح وكل صنف من النو والشهيّ الجَنَى والجُنَّار
فرمتنا الأيام أحسن ما ك لنا على حين غفلة واغترار
فاقرقنا من بعد طول اجتماع ونأينا بعد اقتراب الديار

وفي سنة اثنى عشرة ومائتين نادى منادى المأمون : برئت الذمة من أحد
من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وتكلم في أشياء من التلاوة أنها مخلوقة ، وغير ذلك ، وتنازع الناس
في السبب الذي من أجله أمر بالدعاء في أمر معاوية : فقيل في ذلك أقاويل :
منها أن بعض سُمّاره حدث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي ، وقد

أبو العباس
الناشي

المأمون يعلن
سب معاوية
ويأمر به

ذكر هذا الخبر ابن بكار في كتابه في الأخبار المعروفة بالموفقيات التي صنفها الموفق وهو ابن الزبير ، قال : سمعت المدائني يقول : قال مطرف بن المعيرة بن شعبة : وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية ، فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إلى فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ، فرأيت مغتما ، فانتظرت ساعة ، وظننت أنه لشيء حدث فينا أوفى عملنا ، فقلت له : مالي أراك مغتما منذ الليلة ؟ قال : يابني ، إني جئت من عند أخبت الناس ، قلت له : وما ذاك ؟ قال : قلت له وقد خلوت به : إنك قد بلغت منا يأمر المؤمنين ، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا فأنك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، فقال لي : هيهات هيهات !! ملك أخوتيم فعدل وفعل مافعل ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره ، إلا أن يقول قائل : أبو بكر ، ثم ملك أخو عدى فاجتهد وشمّر عشر سنين ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره ، إلا أن يقول قائل : عمر ، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه ، فعمل ماعمل وعمل به ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به ، وإن أخا هاشم يُصرّخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمدا رسول الله ، فأى عمل يبقى مع هذا لأمر لك والله ألا دفنا دفنا ، وإن المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على أن أمر بالنداء على حسب ما وصفنا ، وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلغنه على المنابر ؛ فأعظم الناس ذلك وأكبروه ، واضطربت العامة ، فأشير عليه بترك ذلك ، فأعرض عما كان هم به

وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عاصم النبيل ، وهو الضحاك بن مخلد بن سنان الشيباني ، وذلك في سنة اثنتي عشرة ومائتين وفيها مات محمد بن يوسف الفارابي ، وفي سنة خمس عشرة ومائتين - وذلك في خلافة المأمون - مات هودبة بن خليفة بن عبد الله بن أبي بكر ، ويكنى بأبي الأشهب ، ببغداد ، وهو ابن سبعين سنة ، ودفن بباب البردان في الجانب الشرقي ، وفيها مات محمد بن عبد الله بن المثنى

موت جماعة
من العلماء

ابن عبدالله بن أنس بن مالك الأنصارى ، وفيها مات إسحق بن الطباع ،
بأذنة من الثغر الشامي ، ومعاوية بن عمرو ويكنى بأبي عمرو ، وقبض ابن عقبة
ويكنى بأبي عامر من بني عامر بن صعصعة
وفي سنة سبع عشرة ومائتين دخل المأمون مصر ، وقتل بها عبدوس ، وكان
قد تغلب عليها

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المأمون أرض الروم ، وقد كان شرع في
بناء الطوالة مدينة من مدنها على فم الدرب مما يلي طرسوس ، وعمد إلى سائر
حصون الروم ، ودعاهم إلى الاسلام ، وخيرهم بين الاسلام والجزية والسيوف ، وذل
النصرانية ؛ فأجابه خلق من الروم إلى الجزية

قال المسعودي : وأخبرنا القاضي أبو محمد عبدالله بن أحمد بن زيد الدمشقي
بدمشق ، قال : لما توجه المأمون غازيا ، ونزل البديدون ؛ جاءه رسول ملك الروم
فقال له : إن الملك يخبرك بين أن يرد عليك نفقتك التي أفقتها في طريقك من
بلدك إلى هذا الموضع ، وبين أن يخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم بغير
فداء ولا درهم ولا دينار ، وبين أن يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية
ويرده كما كان ، وترجع عن غزائك ، فقام المأمون ودخل خيمة فصلى ركعتين
واستخار الله عز وجل وخرج ، فقال للرسول : قل له : أما قولك ترد على نفقتي
فإنى سمعت الله تعالى يقول في كتابنا حاكيا عن بلقيس (وإني مرسلت إليهم بهدية
فناظرة بهم يرجع المرسلون ، فلما جاء سليمان قال : أتمدونني بمال فما أتاني الله خير
مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) وأما قولك إنك تخرج كل أسير من المسلمين
في بلد الروم فما في يدك إلا أحد رجلين : إما رجل طلب الله عز وجل والدار
الآخرة فقد صار إلى ما أراد ، وإما رجل يطلب الدنيا فلا فك الله أسره ، وأما
قولك إنك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم ، فلو أنى قلعت أقصى حجر
في بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عثرت عثرة في حال أسرها ، فقالت : وامحمداه

غزو المأمون
بلاد الروم

وإمحمده ، عد إلى صاحبك فليس بينى وبينه إلا السيف ، يا غلام اضرب الطبل ؛
فرحل فلم يثن عن غزاته حتى فتح خمسة عشر حصنا ، وانصرف من غزاته ،
فنزّل على عين البديدون المعروفة بالقشيرة على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب ،
فأقام هنالك حتى ترجع رسله من الحصون فوقف على العين ومنع الماء فأعجبه برد
مائها وصفائوه وبياضه وطيب موضع وكثرة الخضرة ، فأمر بقطع خشب
طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر ، وجعل فوقه كالأزج من الخشب وورق
الشجر ، وجلس تحت الكنيسة التي قد عقدت له والماء تحته ، وطرح في الماء
درهم صحيح فقرأ كتابته وهو في قرار الماء لصفاء الماء ، ولم يقدر أحد يدخل يده
في الماء من شدة برده ، فبينما هو كذلك إذ لاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة
فضة ، فجعل لمن يخرجها سيفاً ؛ فبدر بعض الفراشين فأخذها وصعد ، فلما صارت
على حرف العين أو على الخشب الذي عليه المأمون اضطربت وأفلتت من يد
الفراش ف وقعت في الماء كالحجر فنضح من الماء على صدر المأمون ونحره وترقوته
فبليت ثوبه ، ثم انحدر الفراش ثانية فأخذها ووضعها بين يدي المأمون في منديل
تضطرب ، فقال المأمون : تقلى الساعة ؛ ثم أخذته رعدة من ساعته ، فلم يقدر
يتحرك من مكانه ، فغطى باللحف والدواويج وهو يرتعد كالسعة ويصيح
البرد البرد ، ثم حول إلى المغرب ودثر وأوقد النيران حوله ، وهو يصيح البرد
البرد ، ثم أتى بالسمكة وقد فرغ من قلبها فلم يقدر على الذوق منها ، وشغله ما هو
فيه عن تناول شيء منها ، ولما اشتد به الأمر سأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه
في ذلك الوقت عن المأمون وهو في سكرات الموت ، وما الذي يدل عليه علم
الطب من أمره ، وهل يمكن برؤه وشفائه ؟ فتقدم ابن ماسويه فأخذ إحدى
يديه وبختيشوع الأخرى وأخذ الحصة من كلتا يديه فوجدوا نبضه خارجاً عن
الاعتدال منذراً بالفناء والانحلال ، والتزقت أيديهما ببشرته لعرق كان يظهر

أول مرض
المأمون

منه من سائر جسده كالزيت أو كلعاب بعض الأفاعى ، فأخبر المعتصم بذلك ، فسألها عن ذلك ، فأنكر ما معرفته وأنهما لم يجدها فى شىء من الكتب ، وأنه دال على انحلال الجسد ، وأفاق المأمون من غشيته ، وفتح عينيه من رقدته ، فأمر باحضار أناس من الروم ، فسألهم عن اسم الموضع والعين ، فأحضر له عدة من الأسارى والأدلة ، وقيل لهم : فسروا هذا الاسم التفسير ، فقبل له : تفسيره مد رجليك ، فلما سمعها اضطرب من هذا القول وتطير به ، وقال : سلوهم ما اسم الموضع بالعربية ، فقالوا : الرقة ، وكان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالموضع المعروف بالركة ، وكان المأمون كثيرا ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فرقا من الموت ، فلما سمع هذا من الروم علم أنه الموضع الذى وعد فيه فيما تقدم من مولده ، وأن فيه وفاته ، وقيل : إن اسم البديدون تفسيره مد رجليك ، والله أعلم بكيفية ذلك ، فأحضر المعتصم الأطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه ، فلما ثقل قال : أخرجونى أشرف على عسكرى ، وأنظر إلى رجالى ، وأتبين ملكى ، وذلك فى الليل ، فأخرج فأشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد أوقد من النيران ، فقال : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ، ثم رد إلى مرقده ، وأجلس المعتصم رجلا يشهده لما ثقل ، ورفع الرجل صوته ليقولها فقال له ابن ماسويه : لا تصح فوالله ما يفرق بين ربه وبين ما فى فى هذا الوقت ، ففتح عينيه من ساعته ، وبهما من العظم والكبر والاحمرار ما لم ير مثله قط ، وأقبل يحاول البطش بيديه بابن ماسويه ، ورام مخاطبته ، فعجز عن ذلك ، فرمى بطرفه نحو السماء ، وقد امتلأت عيناه دموعا فانطلق لسانه من ساعته ، وقال : يا من لا يموت ارحم من يموت ، وقضى من ساعته ، وذلك فى يوم الخميس ثلاث موت المأمون عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وحمل إلى طرسوس فدفن بها ، على حسب ما قدمنا فى أول هذا الكتاب

قال المسعودي : وللمأمون أخبار حسان ومعان وسير ومجالسات وأشعار
وأخلاق جميلة ، قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن ذكرها
وفي المأمون يقول أبو سعيد الخزومي :

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون شيئا وملكه المأمون
خلفوه بعرضتي طرسوس مثل ما خلّفوا أباه بطوس
وكان المأمون كثيرا ما ينشد هذه الأبيات :

ومن لا يزل غرضاً للمنوّ ن يتركه ذات يوم عميدا
فإنّ هنّ أخطأه مرة فيوشك مخطئها أن يعودا
فبيننا يحيد ويخطئنه قصدن فأعجلنه أن يحيدا



قد تم - بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه - مراجعة الجزء الثالث
من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجوهر » تصنيف العلامة
الرحالة أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، أحد أعلام
القرن الرابع الهجري ، ويليه الجزء الرابع مفتتحاً بذكر خلافة
المعتصم ، نسأل الله أن يعين على إكماله بمنه وفضله .

فهرست الموضوعات

الواردة في الجزء الثالث من كتاب

مَرْوَرُكَ (الذهب)
 ومعا دن الجوهرة

لأبي الحسن علي بن الحسين السعودي

المتوفى في عام ٢٤٦ من الهجرة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣	ذكر أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	١١	مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم ير الحسين
٣	مجل تاريخه: ولايته، ومدته، وبيعته لابنه، ووفاته؛ ورثاء الأخطل له	١٢	ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضى الله عنهم
٤	ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه، ومن قتل معه من آل بيته وشيعته	١٣	ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره، ونوادر من أفعاله
٤	دعوة أهل الكوفة الحسين إلى الخروج إليهم	١٣	انقطع يزيد بعد ولايته عن الخروج ثلاثة أيام ثم خرج في الرابع وخطب الناس
٤	الحسين يرسل إلى أهل الكوفة مسلم بن عقيل بن أبي طالب	١٣	تهنئة عصام بن أبي صيفى ليزيد، وهو أول من جمع التعزية والتهنئة
٤	ابن عباس يأتي الحسين فيسأله عما عزم عليه من الخروج إلى أهل الكوفة	١٤	تهنئة عبد الله بن مازن ليزيد
٥	نصيحة ابن عباس الحسين ألا يخرج وعدم قبول الحسين إياها	١٤	تهنئة عبد الله بن همام ليزيد
٥	أبو بكر بن الحارث بن هشام ينصح الحسين بعدم الخروج	١٥	عبد الملك بن مروان يستقطع يزيد أرضا بالحجاز فيقطعه إياها
٦	يزيد بن معاوية يبلغه خبر خروج الحسين فيولى الكوفة عبيد الله بن زياد ويأمره بالسرعة إليها، فإذا بلغها ظنه الناس الحسين فيقبلون عليه حتى لا يعرفوه حصبوه بالحجارة	١٥	جلس يزيد وابن زياد يشربان
٨	مقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهاني بن عروة وصلب جثة مسلم	١٥	ظهرت الملاحى بمكة والمدينة في عهد يزيد بن معاوية
١٠	خروج الحسين ومعرفة بمقتل مسلم ابن عقيل وهو بالقادسية	١٦	بنت عقيل بن أبي طالب ترضى الحسين ومن قتل معه من آل البيت
١٠	مقتل الحسين بكر بلاء	١٦	أبو الأسود الدؤلى يقول كلمة في فعل ابن زياد بالحسين ومن معه
١٠	رأس الحسين يرسل به إلى يزيد ابن معاوية	١٦	خروج أهل المدينة على يزيد وطردهم لعامله عليهم ولسائر بني أمية
١٠	قتلى آل أبي طالب	١٧	وقعة الحرة
		١٧	القتلى من بني هاشم وسائر الجيش
		١٨	شأن علي بن الحسين السجاد ومسلم ابن عقبة
		١٨	شأن علي بن عبد الله بن العباس

ص	الموضوع	ض	الموضوع
١٩	سير مسلم بن عقبة إلى مكة ؛ وموته	٢٥	السيد الحميري كان كيسانيا أيضا
	في الطريق إليها	٢٦	ابن الزبير وعبد الله بن العباس
١٩	الحصين بن نمير يرمى الكعبة بالمجانيق	٢٧	ابن الزبير ومحمد بن الحنفية
	وبالنار	٢٧	ابن الزبير وعبد الله بن العباس أيضا
١٩	بعض مثالب يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	٢٩	الحصين بن نمير يهادن ابن الزبير حين يعلم بموت يزيد بن معاوية وكان الحصين على حرب ابن الزبير
٢٠	ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم ، والمختار ، وعبد الله بن الزبير ، ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان في أيامهم	٢٩	بناء ابن الزبير للكعبة ، وهدم الحجاج لها في عهد عبد الملك بن مروان
٢٠	مجل تاريخ معاوية بن يزيد بن معاوية	٣٠	تمكن الأمر لابن الزبير في أكثر الاطراف
٢٠	معاوية بن يزيد أبي أن يعهد بالخلافة إلى أحد	٣٠	عبيد الله بن زياد أمير البصرة يعلم الناس بموت يزيد ومعاوية ويخبرهم أن الأمر شوري لم ينصب له إمام
٢٠	وفاة معاوية بن يزيد ، وصلاة الوليد ابن عتبة عليه ، وموته أثناء الصلاة	٣١	أهل الكوفة يخلعون نبي أمية ويعلمون أن الأمر لأهل الحجاز
٢١	أهل العراق يبايعون عبد الله بن الزبير	٣١	مروان بن الحكم يهيم بأن يبايع عبد الله بن الزبير فيمنعه عبيد الله بن زياد
٢٢	عبد الله بن الزبير يظهر الزهد والعبادة ؛ ويطمع في الخلافة		
٢٣	عبد الله بن الزبير يقتل أخاه عمرو ابن الزبير ، وكان قد ذهب لحربه على رأس جيش بعث به إلى المدينة لحرب عبد الله في مكة	٣٢	البيعة لمروان بن الحكم بالاردن
٢٣	ابن الزبير يحبس الحسن بن محمد بن الحنفية في سجن غارم فيهرب منه	٣٢	مروان يعهد بالأمر من بعده لحالد ابن يزيد ثم لعمر بن سعيد الأشدق
٢٣	إيذاء عبد الله بن الزبير لبني هاشم الشيعة الكيسانية ورأيهم في الإمامة	٣٢	شروط أهل الشام على مروان بن الحكم
٢٤	كثير عزة كان شيعيا كيسانيا	٣٣	مسير مروان لقتال الضحاك بن قيس الفهري عامل عبد الله بن الزبير
٢٥		٣٣	شأن زفر بن الحارث العامري السكلاي ؛ وكان في جند الضحاك

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٤	مقتل النعمان بن بشير وكان والى حمص ممثلاً للضحاك وابن الزبير	٤٨	خروج مصعب بن الزبير بعد استتباب الأمر له ولاخيه في العراق ؛ إلى الشام لقتال عبد الملك بن مروان
٣٤	مسير مروان بن الحكم إلى مصر	٤٩	خروج عبد الملك يريد العراق لقتال مصعب
٣٤	بيعة مروان لابنائه	٤٩	التقاء الجيش بمسكن على شاطئ دجلة
٣٥	موت مروان بن الحكم	٥٠	أول خيانة جيش مصعب ابن الزبير ومقتل ابن الاشر ، ثم حرقه
٣٥	أولاد مروان بن الحكم	٥١	مقتل عيسى بن مصعب بن الزبير
٣٦	أولاد يزيد بن معاوية	٥١	محمد بن مروان يأخذ الأمان من عبد الملك لمصعب بن الزبير
٣٦	ذكر أيام عبد الملك بن مروان	٥١	مقتل مصعب بن الزبير
٣٦	مجل تاريخه	٥٢	شأن مسلم بن عمرو الباهلي ، وكان في جيش مصعب ، وهو من صنائع معاوية
٣٧	ذكر جل من أفعاله وسيره ولمع ما كان في أيامه ونوادر من أخباره	٥٢	بعض ما قيل من الشعر في مقتل مصعب
٣٧	وصية عبد الملك للشعبى حين أراد أن يتخذ نديماً	٥٣	المكان الذى جىء فيه برأس الحسين هو الذى جىء فيه برأس عبيد الله ابن زياد ، ثم جىء فيه برأس مصعب ابن الزبير
٣٧	سأل عبد الملك الشعبى عن مهاب الرياح فلم يعرفها فذكرها له	٥٣	بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فأمر بهدم المجلس
٣٧	ثورة للشيعه بالكوفة	٥٣	بيعة الكوفة لعبد الملك بن مروان
٤١	وفاة الحارث الاعور صاحب أمير المؤمنين على بن أبى طالب	٥٣	بشر بن مروان وروح بن زبناع الجذامى
٤١	مقتل عبيد الله بن زياد	٥٥	خطبة عبد الله بن الزبير وقد نعى إليه أخوه مصعب بن الزبير
٤٢	مثل من رباطة جأش عبد الملك بن مروان	٥٥	الحجاج يحاصر مكة
٤٣	قتال مصعب بن الزبير للمختار بن عبيد بخروراء		
٤٥	وفاة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب		
٤٥	جواب عبد الله بن عباس لمن سأله عما منع علياً أن يبعثه مكان أبى موسى		
٤٥	ولد عبد الله بن العباس		
٤٦	مقتل عمرو بن سعيد بن العاص		
	الاشدق ؛ وسبيه		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٥٦	أسماء بنت أبي بكر الصديق تشجع ابنها عبد الله بن الزبير وتحرضه	٦٢	كتب عبد الملك إلى الحجاج كتابا فلم يفهم مراده فسأل قتيبة فأعلمه
٥٧	موت عبد الله بن الزبير وصلبه	٦٣	خطبة عبد الملك وقد سخط أهل المدينة عطاءهم
٥٨	موت جابر بن عبد الله الأنصاري بالمدينة	٦٤	جفا عبد الملك روح ، زنباع الجذامي فاحتال حتى أرضاه
٥٨	قدم جابر أيام معاوية بن أبي سفيان عليه فأغضبه	٦٦	جفا سليمان بن المنصور عبد الملك بن مهمل الهمداني فاحتال حتى أرضاه
٥٩	موت محمد بن الحنفية ، وموضع قبره وأولاده	٦٧	ذكر طرف من أخبار الحجاج وخطبه ، وما كان منه في بعض أفعاله
٥٩	محمد بن الحنفية يطلب إلى عبد الملك ابن مروان أن يكف الحجاج عنه فيفعل	٦٧	زواج يوسف أبي الحجاج بالقارعة أمه وكانت زوجا للحارث بن كدة
٥٩	الشعبي رسول عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم	٦٧	تولية عبد الملك الحجاج أمره اق
٦٠	ذكر عبد الملك بن مروان لمعاوية ابن أبي سفيان فوصفه	٦٨	خطبة الحجاج أول ما ولى العراق
٦٠	طلب رجل إلى عبد الملك أن يخلو به فشرط عليه شروطا ، فاستأذن في الانصراف	٧١	مقتل عمير بن ضابي البرجمي
٦٠	بلغ عبد الملك بن مروان أن عاملا من عماله قبل هدية فعزله	٧٢	الحجاج يولى ابن الأشعث سجستان فيخرج عليه
٦١	غضبت زوجة عبد الملك بن مروان عائكة بنت يزيد بن معاوية ، على عبد الملك ، فاحتال له عمرو بن بلال الأسدي حتى أرضاها ، فأجزل عطاءه	٧٣	وقعة دير الجاجم ، ومقتل ابن الأشعث ، وخطبة الحجاج بالكوفة بعد ذلك
٦٢	استوصف عبد الملك الحجاج بن يوسف القتنة ، فوصفها له	٧٤	عبد الملك يكتب إلى الحجاج يوبخه على قسوته
٦٢	خطبة عبد الملك بعد أن بلغه خلع ابن الأشعث	٧٥	جواب الحجاج على كتاب عبد الملك أرق الحجاج ليلة فطلب محدثا فاختار شيخا اسمه سيرة بن الجعد
		٧٧	كان محدث الحجاج خارجيا من أصحاب قطري بن الفجاءة ، فهرب من الحجاج لاحقا بقطري
		٧٨	الحوارج ، وبيان ما اتفق عليه فرقمهم ، وما اختلفوا فيه

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٧٩	اشارة الى حروب الحجاج مع شبيب الخارجي	٨٩	الكوفة وقد سمع بولاية الحجاج عليهم
٨٠	غزاة الخارجية	٩٠	الغضبان يفسر للحجاج كتابا جاءه من عبد الملك ، وبين له شر الرجال والنساء وخير الفريقين
٨٠	مقتل شبيب الخارجي	٩١	أشراف أهل الكوفة والبصرة بين يدى عبد الملك يتنازعون في أفضل البلدين ، فيسأل عبد الملك الحجاج عنهما فيجيبه بما فيه تفضيل الكوفة
٨٠	مقتل ابن القرية وكان مع ابن الاشعث	٩١	الحجاج يصف زوال الدنيا
٨١	الحجاج ولى الاخيلية	٩١	بشر بن مالك الجرشي رسول المهلب بن أبي صفرة الى الحجاج بعد مقتل ابن عبد ربه بن الصعتر بكرمان
٨١	لى الاخيلية على قبر توبة بن الخير	٩١	جرير بن عطية بن الخطمي الشاعر والحجاج وهند امرأة الحجاج
٨١	رأى العرب في الصدى والتطير	٩٣	الحجاج وأعشى همدان
٨٢	بسر بن أرطاة يغلب على اليمن في عهد على بن أبي طالب ، ويقتل ابنين لعبيد الله بن العباس ، وخطبة على في ذلك	٩٤	الحجاج وأسير من بني عامر كان من فرسان درالجمجم مع ابن الاشعث
٨٢	الحجاج يسأل عن النعمة	٩٥	الحجاج وأسيران أحدهما من ثقيف والآخر من السكون
٨٣	مرض الحجاج فأشاع أهل الكوفة أنه مات ، فلما استقبل خطبهم	٩٦	ذكر أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان
٨٣	شدة الحجاج في قيادة الشعب الى طاعة الخليفة	٩٦	مجل تاريخه
٨٤	الحجاج وعبد الله بن هانيء	٩٦	ذكر لمع من أخباره وسيره ، وما كان من الحجاج في أيامه
٨٥	الحجاج والشعب	٩٦	أولاد الوليد
٨٥	أراد الحجاج الحج فاستعمل على العراق ابنه محمدا ، وخطب الناس	٩٦	بناء مسجد دمشق والمسجد النبوي
٨٦	استعمل الحجاج عبيد الله بن أبي المخارق على الفلوجة ، فاستشار عبيد الله جميل بن صهيب فيما يصنع فأشار عليه	٩٦	لوح حجرى يوجد بمكان مسجد دمشق مكتوب في عهد سليمان بن داود
٨٦	كلمة للحجاج على المنبر		
٨٧	الغضبان بن القبعثرى والحجاج بن يوسف الثقفي		
٨٨	خطبة الغضبان بن القبعثرى في أهل		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٩٧	الحجاج يزور الوليد بن عبد الملك	١٠٧	الحارث بن عبد المطلب بين يدي معاوية بن أبي سفيان
٩٨	الحجاج وأم البنين بنت عبد العزيز زوج الوليد	١٠٨	كتاب من عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يغلظه فيه أمر الخوارج مع قطرى
٩٩	وفاة زين العابدين علي بن الحسين	١٠٨	ليلي الاخيلية عند الحجاج تسترفده الحجاج يولى ان عمه لصبيان ، وهو أعراني أمي
٩٩	مرض عبد الملك بن مروان ، ونصيحته لولده ، ووفاته	١٠٩	إبراهيم التيمي في حبس الحجاج واسط
١٠٠	خطبة الوليد بن عبد الملك بعد موت أبيه	١١٠	الحجاج يسأل ابن القرية عن النساء فيجيبه
١٠٠	موت عبيد الله بن العباس	١١١	ذكر أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان
١٠٠	كرم عبيد الله بن العباس	١١١	بجمل تاريخه
١٠١	أرسل معاوية بن أبي سفيان إلى عبيد الله بن عباس خمسة آلاف درهم ففرقها	١١١	ذكر لمع من أخباره وسيره
١٠١	عبيد الله بن العباس وبسرب أرطاة قاتل ولديه قثم وعبد الرحمن عند معاوية	١١١	أول خطبة خطبها سليمان بن عبد الملك
١٠٢	موت عبيد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي	١١٢	خالد القسرى عامل مكة ، وتفريقه في الطواف بين الرجال والنساء
١٠٢	مقتل سعيد بن جبير	١١٢	كان سليمان بن عبد الملك أ كولا شرها
١٠٣	موت الحجاج ، وعلته التي مات بها	١١٢	الرشيدي يهدى الأصمعي جبة من جباب سليمان بن عبد الملك في أ كمامها آثار الدهن
١٠٣	بين الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان	١١٣	مثل من شراة سليمان بن عبد الملك
١٠٤	نصيحة عبد الملك لأولاده ، وتكريره عليهم أمرها	١١٣	سليمان وجارية من جواريه وقد لبس وتمطر وأعجب بنفسه
١٠٤	عبد الملك يهدم بيعة للنصارى	١١٤	سليمان ويزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ، ووفاء يزيد للحجاج
١٠٥	بجمل مآسى الحجاج		
١٠٥	موت عبد الله بن جعفر وحديث جوده		
١٠٦	عمرو بن العاص وعبد الله بن		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١١٤	سأل سليمان أبا حازم الأعرج عن سر كراهية الناس للموت فأجاب	١٢١	وفد عمر إلى ملك الروم ، وثناء ملك الروم على عمر
١١٥	نصيحة أعرابي لسليمان في شأن بطانته	١٢٢	وصية أبي حازم المدني الأعرج لعمر ابن عبد العزيز
١١٦	ذكر معاوية بن أبي سفيان في مجلس سليمان بن عبد الملك فوصفه سليمان	١٢٣	توقيع عمر إلى بعض عماله وقد كثرت الشكوى منه
١١٦	سليمان يرسل إلى خالد القسري عامله على العراق في شأن رجل من قريش ألابسيء إليه ، فيسيئه خالد فيوجه سليمان إليه من يضربه مائة سوط	١٢٣	حال عمر قبل الخلافة وبعدها
١١٧	سليمان وعمر بن عبد العزيز	١٢٣	وقوف عمر على المقبرة وبكاؤه بكاء شديدا
١١٧	خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان	١٢٣	نصيحة مطرف إلى عمر
١١٧	خالد القسري يستعطف سليمان بن عبد الملك وقد غضب عليه	١٢٣	عمر وعبد من عبيده قد جنى جناية فهم أن يعاقبه
١١٧	سليمان يمدح الصمت	١٢٣	عمر ووفد الحجاز وقد تقدمهم إلى الكلام غلام صغير
١١٨	بعض ما قيل من الشعر بعد وفاة سليمان	١٢٣	عمر وقاضي الحجاز الذي هام بحارية مغنية وحلف أن عمر لو سمعها لهام بها
١١٩	ذكر خلافة عمر بن العزيز	١٢٤	عمر ووقى من بني أمية هام بحارية مغنية
١١٩	مروان بن الحكم	١٢٥	عمر وحجابه مع الخوارج وقد جاءوه يطلبون منه البراءة من أسلافه من بني أمية ليتولوه ، وغلبته عليهم
١١٩	مجل تاريخه	١٢٨	شعر لمصقلة بن عتبة الشيباني الخارجي في بعض أمراء الخوارج
١١٩	ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده	١٢٩	ذكر بعض علماء الخوارج ، وبعض شأنهم
١١٩	السبب في تولية عمر الخلافة	١٣٠	رثاء الفرزدق لعمر بن عبد العزيز
١٢٠	ورع عمر ونسكه وزهده	١٣١	ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم
١٢٠	عمر وسالم السدي	١٣١	مجل تاريخه
١٢٠	عمر وطاوس	١٣١	ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان في أيامه
١٢٠	أول خطبة خطبها عمر بعد ولايته		
١٢١	كتاب لعمر إلى عامله على المدينة في شأن أولاد علي بن أبي طالب		
١٢١	خطبة لعمر		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٣١	حب يزيد لسلامة القس	١٣٨	ومحمد بن سيرين
١٣١	لهو يزيد ومجونه	١٣٨	أبناء سيرين
١٣٣	جملة من عهد عمر بن عبد العزيز	١٣٨	موت الحكم بن عتبة الكندي ،
	ليزيد بن عبد الملك		وعطاء بن أبي رباح
١٣٣	ماتت حبة إحدى محظيات يزيد فلم	١٣٨	موت أبي بكر محمد بن شهاب الزهري
	يدفنها حتى جفت ولامه الناس	١٣٩	ذكر أيام هشام بن عبد الملك بن
١٣٣	جزع يزيد على حبة حتى مات		مروان بن محمد
١٣٤	عاب أبو حمزة الخارجي بني أمية	١٣٩	محمل تاريخه
	بسبب أعمال يزيد بن عبد الملك	١٣٩	ذكر لمع من أخباره وسيره
١٣٤	يزيد بن المهلب في سجن عمر بن	١٣٩	بعض أعمال هشام ، وفظاظته وغلظته
	عبد العزيز ، وهربه في أيام يزيد بن	١٣٩	كان هشام بن عبد الملك بخيلا فيخل
	عبد الملك ، وخروجه إلى الكوفة		الناس في عهده
	مناقضا ،	١٣٩	في عهده استشهد زيد بن علي بن
١٣٥	بعث يزيد بن عبد الملك جيشا وأمره		الحسين
	أن يستأصل آل المهلب	١٤٠	زيد بن علي وهشام بن عبد الملك
١٣٦	ابن هيرة يتولى عملا ليزيد بن عبد الملك	١٤٠	خروج زيد بالكوفة ، والحرب
	فيستشير العلماء فينصحونه فيجزئهم		بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي ،
١٣٦	كان هشام بن عبد الملك ينتقص أخاه		ولهمزام أصحاب زيد
	يزيد فكتب اليه زيد كتابا وأجابه هشام	١٤١	نبش الامويون قبر زيد وأخرجوه
١٣٧	موت عطاء بن يسار مولى ميمونة		ثم صلبوه عريانا
	أم المؤمنين	١٤١	لما صارت الخلافة الى بني العباس
١٣٧	موت مجاهد بن جبير مولى قيس بن		نبشوا قبور الامويين
	السائب المخزومي	١٤٢	احراق جثة زيد بن علي بن الحسين
١٣٧	موت جابر بن زيد ، ويزيد الاصم	١٤٢	فرق الزيدية من الشيعة
	ويحيى بن وثاب ، وأبى بردة الاشعري	١٤٣	هشام بن عبد الملك يعرض جيشه
	ووهب بن منبه ، وطاوس ،		فيمر به رجل يركب فرسا نفورا
	وعبد الله بن جبير ، وسليمان بن		فينتقصه
	يسار	١٤٣	هشام يحرص الأبرش الكلبي أن
١٣٨	موت القاسم بن محمد بن أبي بكر ،		يمازح احدي وصائفه
	والحسن بن أبي الحسن البصري ،	١٤٣	يخل هشام ، وأمثله منه

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٤٤	سواس بنى أمية ثلاثة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام	١٥٢	الحسين بن علي
١٤٥	ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك ابن مروان	١٥٢	ذكر أيام يزيد و إبراهيم ابني الوليد ابن عبد الملك بن مروان
١٤٥	عجل تاريخه	١٥٢	عجل تاريخهما
١٤٥	ذكر ملح من أخباره وسيره	١٥٢	ذكر ملح مما كان في أيامهما
١٤٥	خروج يحيى بن زيد بن علي ومقتله	١٥٢	كان يزيد بن الوليد يرى رأى المعتزلة وبيان الأصول الخمسة التي هي أصول الاعتزال
١٤٦	لهو الوليد بن يزيد وجهه للغناء والطرب	١٥٤	الامامة واختلاف أهل النحل فيها وفي من يستحقها
١٤٧	سأل الوليد شراعة عن الحرفوصفها له فاتخذ نديما	١٥٧	خروج يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد باتفاق مع المعتزلة
١٤٧	بعض شعر الوليد في الشراب والمجون	١٥٧	يزيد بن الوليد أول خليفة أمه أم ولد
١٤٨	الوليد وابن عائشة المغنى	١٥٧	ظهور مروان بن محمد بن مروان مبدأ ظهور الدعوة إلى العباسيين
١٤٨	ورث الوليد الطرب عن أبيه يزيد ابن عبد الملك	١٥٩	أهم أسباب ضعف بني أمية وزوال ملكهم
١٤٩	الوليد يمزق المصحف وقد استفتح به ويرميه بالنشاب	١٥٩	ذكر السبب في العصبية بين النزارية والهامية
١٤٩	الوليد ينكر الوحي	١٥٩	الكيت بن زيد الأسدي بعرض على الفرزدق شعره فيأمره بإذاعته
١٤٩	الوليد أخو الحجاج بن يوسف الثقفي لأمه	١٦٠	عبد الله بن الحسن بن علي يسمع هاشميات الكيت فيثيب عليها بضیعة قيمتها أربعة آلاف دينار فيردها الكيت
١٤٩	خصائص الحجر المعروف باليشب	١٦١	عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يجمع من بني هاشم مالا كثيرا ويعطيه الكيت
١٥٠	كان يزيد بن عبد الملك يريد أن يعهد إلى ابنه الوليد من بعده ولكنه استصغره فعهد إلى أخيه هشام ثم إلى ابنه الوليد	١٦١	الكيت يفضل النزارية على القحطانية
١٥٠	كان الوليد مغرى بالخيول		
١٥٠	أجرى الوليد الخيل وما ففخر بسبق فرسه		
١٥١	اجتمع عند الوليد ألف فرس قارح		
١٥٢	وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٦٢	دعبل بن علي الخزاعي يرد على الكميث ويفضل القحطانية على النزارية	١٧١	لام بعض خلعان مروان إياه على ترك التمتع بلذائذ الدنيا فذكر له اشتغاله بالحروب
١٦٣	العصية تجتاح بني أمية	١٧١	نصر بن سيار يستمد يزيد بن عمرو
١٦٣	ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان		ابن هيرة عامل العراق لمروان
١٦٣	ابن الحكم ؛ وهو الملقب بالجعدي	١٧٢	خوارج اليمن وعلى رأسهم أبو حمزة المختار بن عوف الازدي يدعون لطالب الحق
١٦٥	ذكر مقدار المدة من الزمان ؛ وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام	١٧٢	مروان يجهز جيشا لقتالهم بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي
١٦٧	ذكر الدولة العباسية ؛ ولمع من أخبار مروان الجعدي ومقتله ، وجوامع من حروبه وسيره	١٧٣	موت نصر بن سيار
١٦٧	رأى الراوندية في الامامة	١٧٣	وقع لمروان كتاب من أبي مسلم كتب به إلى إبراهيم الامام
١٦٧	الجاحظ يؤلف كتابا ينصر فيه رأى الراوندية في الامامة ، وهو غير مذهبه	١٧٤	حبس إبراهيم الامام وشيعته ومقتلهم
١٦٨	للجاحظ كتاب آخر سماه كتاب العثمانية يحتج فيه ضد خلافة علي بن أبي طالب	١٧٥	حرب مروان مع شيعة العباسيين بالزاب
١٦٨	وله كتاب آخر سماه كتاب أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان	١٧٥	صنيع أهل الموصل وحران مع مروان بعد أن رأوا تدهور حاله
١٦٨	ألف الشيعة نقضا لكتب الجاحظ في الامامة	١٧٦	مقتل مروان في بوسير في صعيد مصر
١٦٩	مذهب متأخرى الراوندية في الامامة	١٧٦	آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يتداولها الخلفاء
١٦٩	أمر أبي مسلم الخراساني ودعوته لآل العباس ، والاختلاف في شأنه	١٧٧	بنات مروان بين يدي صالح بن علي
١٧٠	كتاب من نصر بن سيار إلى مروان الجعدي يحذره أمر أبي مسلم ومن معه	١٧٨	شأن عبد الحميد بن يحيى الكاتب
١٧٠	حروب مروان الجعدي مع الخوارج وخبره مع الضحاك بن قيس الحروري	١٧٨	استشار مروان بن محمد لإسماعيل ابن عبد الله القشيري وقد رأى أمره مدبرا ففشه
		١٨١	ذكر خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح
		١٨١	بجمل تاريخه

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٨١	ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه	١٨٩	عندهم وزعموا أن بنى مروان كانوا يعلمون ذلك ويعلمون اسماء الخلفاء وأحوالهم
١٨١	وصية إبراهيم الامام حين علم أن لا نجاة له إلى أبي العباس السفاح	١٨٩	أم سلمة زوجة أبي العباس السفاح تغلب عليه ويقوى سلطانها عنده
١٨٢	مسير أبي العباس وأهل بيته إلى الكوفة	١٩٠	خالد بن صفوان ينصح السفاح أن يتزوج أو يتسرى ليخلص من تغلب أم سلمة
١٨٣	نزل أبو العباس السفاح الكوفة سرا	١٩١	كلام خالد بن صفوان يبلغ أم سلمة فتكيد له
١٨٣	أبو سلمة يحاول أن يوجه الدعوة إلى إمارة العلويين فيكتب بذلك إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فيأبى ، ويكتب إلى عبد الله بن الحسن فيقبل	١٩٢	كان أبو العباس السفاح يحب مسامرة الرجال ويحضر أصحابه عليها
١٨٤	شأن جعفر وعبد الله بن الحسن ، والحوار بينهما في شأن كتابي أنى سلمة	١٩٣	السفاح وأبو بحيلة الشاعر ، وكان قد مدح مسلمة بن عبد الملك
١٨٤	إعلان البيعة لأبي العباس السفاح	١٩٣	كان أبو العباس السفاح أسمع الناس حين يحضر طعامه
١٨٥	خطبة أبي العباس بعد البيعة، وخطبة داود بن علي	١٩٣	كان لا يقبل شهادة صديقين تعاديا وإن اصطلحا بعد ذلك
١٨٥	نافع بن عبد الملك قاتل مروان بن محمد يجلس على فراشه ويهين كبرى بناته فيبلغ ذلك أبا العباس السفاح فيوبخه وبأمره بالتقرب إلى الله بصلاة وصيام	١٩٤	بعض خصال أمى العباس السفاح
١٨٦	رأس مروان بن محمد عند أبي العباس السفاح ، وصنيعه حينذاك ، ومقاتلته	١٩٥	حسن الاستماع الى حديث الملوك ، وبعض حوادث في أزمنة مختلفة
١٨٧	وفاء أبي هبيرة لمروان بن محمد أمام السفاح ، وتقدير السفاح له من أجل ذلك	١٩٨	بعض آداب الحديث ، وبعض ماورد في ذلك من الشعر
١٨٨	كان العباسيون يعتقدون أن انتقال الخلافة إليهم كائن بمقتضى كتاب	١٩٩	أول من استوزر في دولة العباسيين
		١٩٩	أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وكيد أمى مسلم الخراساني له
		٢٠٠	الرقاشي يحدث السفاح حديث الجارية العامرية التي ذكرت لرجل هجاء عامرا ، شعرا في هجاء قبائل العرب عامة ، وهو حديث تمتع طويل

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٠٩	ذكر خلافة أبي جعفر المنصور	٢١٨	مقتل أبي مسلم يقتله
٢٠٩	مجل تاريخه	٢٢٠	خطبة المنصور بعد قتله أبا مسلم
٢٠٩	ذكر مجل من أخباره ولع مما كان في أيامه	٢٢٠	اضطراب خراسان لمقتل أبي مسلم
٢٠٩	رؤيا أم المنصور عند حملها به	٢٢٠	الخرمية، والباطنية، وبعض فرقها
٢٠٩	أبو جعفر المنصور وشاعر اعمى كان يمدح بنى مروان أيام خلافتهم	٢٢١	ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية
٢١١	تذاكر المنصور واهل بيته في شأن بني أمية واسباب زوال ملكهم عنهم وحديث عبد الله بن مروان مع ملك الثوبة الذي امره بالرحيل عن بلاده حين علم انه من بنى أمية	٢٢٢	أدارة المغرب ومنشؤهم، وتفرق العلويين في البلاد
٢١٢	وفاة محمد بن جعفر بن محمد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب وزراء المنصور	٢٢٣	كلام للمنصور في شأن العلويين
٢١٢	وزراء المنصور	٢٢٤	المنصور والمسيب بن زهرة الضبي
٢١٣	المنصور وقائد من قواد هشام بن عبد الملك وقد حضر بين يديه واخذ يترحم على هشام	٢٢٤	قبض على كثير من العلويين وحبسوا حتى ماتوا في السجن
٢١٣	المنصور ومع بن زائدة	٢٢٧	الربيع يطلب الى المنصور أن يحب الفضل ابنه
٢١٤	المنصور ينعي الى نفسه وهو جالس في طاق خراسان من ميناء، وترفع اليه شكاة في سهم يقذف به عنده	٢٢٨	عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة والمنصور وابنه المهدي
٢١٥	المنصور والشيخ الهمداني المظلوم	٢٢٩	وفاة عمرو بن عبيد
٢١٦	كان المنصور يستشير في كل أموره حتى مدحه إبراهيم بن هرمة أنه لا يستشير	٢٢٩	وفاة هشام بن عروة، وأبي حنيفة النعمان، والأوزاعي، وأبي عمرو بن العلاء
٢١٦	خروج عبد الله بن علي وخلافه على المنصور وما كان بينهما من الحروب	٢٣٠	مقتل عبد الله بن علي عم المنصور
٢١٧	أبو مسلم الخراساني يزعم الخروج على المنصور، فيحتال المنصور له حتى	٢٣٠	حديث للمنصور مع جلسائه في شأن الذين خرجوا على الأئمة وقتلوا
		٢٣١	أهمات حوادث حياة المنصور حديث في شهر ذي الحجة
		٢٣٢	وفاة المنصور
		٢٣٢	حزم المنصور، وتركته
		٢٣٢	أعمام المنصور وأولاده

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٣٣	ذكر خلافة محمد المهدي بن عبد الله	٢٤٦	ذكر خلافة موسى الهادي
٢٣٣	ابن علي بن عبد الله بن العباس	٢٤٦	مجل تاريخه
٢٣٣	مجل تاريخه	٢٤٦	أخلاقه
٢٣٤	المهدي وشريك القاضي	٢٤٦	رباطة جأش الهادي، وشأنه مع رجل
٢٣٤	المهدي وصاحب المبقلة الذي أطعمه	٢٤٧	خارجي أراد أن يقتله
٢٣٤	البقل والكراث	٢٤٧	منزلة عيسى بن دأب عند الهادي
٢٣٤	المهدي والأعرابي الذي سقاه النبيذ	٢٤٧	رجل من آل المهلب و غلام له سندی
٢٣٦	وزراء المهدي	٢٤٧	كان قد رباه فهو امرأته
٢٣٦	كرم المهدي	٢٤٧	وزراء المهدي
٢٣٧	مزينه امرأة مروان بن محمد، وشأنها	٢٤٨	خروج الحسين بن علي بن الحسن
٢٣٨	مع الخيزران وزينب بنت سليمان بن علي	٢٤٩	بن الحسن بن علي بن أبي طالب
٢٣٨	عبد الله بن عمرو بن عتبة يعزى	٢٤٩	علي الهادي
٢٣٩	المهدي في المنصور	٢٤٩	الخيزران تدل الهادي قضاء حوائج
٢٤٠	تشبيب أبي العتاهية بخارية الخيزران	٢٥٠	الرعية ، فاذا كثرت ذلك منها منعها
٢٤٠	أبو العتاهية يهدي الى المهدي في	٢٥٠	التدخل
٢٤٠	يوم نيروز ثوبا ممسكا كتب عليه بيتين	٢٥٠	أرق الهادي ليلة فتذكر فعل بني
٢٤٠	ضمنهما رجاء أن يهبه عتبة ، فيهم	٢٥٠	أمية بالهاشميين فارسل الى ابن دأب
٢٤٠	المهدي أن يفعل ، فترجوه عتبة ألا	٢٥٠	في جوف الليل
٢٤٠	يفعل	٢٥٠	حديث بين ابن دأب والهادي
٢٤٠	كان أبو العتاهية حلو الالفاظ سهل	٢٥٠	عن مصر والبصرة والكوفة
٢٤٠	الشعر حاضر البديهة	٢٥٠	والفاضلة بينها
٢٤١	ريطة بنت السفاح تبعث عتبة بخارية	٢٥٣	المناظرة بين البصرة والكوفة
٢٤١	الخيزران في شراء رقيق فيعتال عليها	٢٥٥	حاول الهادي أن يخلع أخاه الرشيد
٢٤٢	أبو العتاهية حتى يقبل يدها	٢٥٥	فمنعه يحيى بن خالد البرمكي
٢٤٢	الشرقي بن القطامي يحدث المهدي	٢٥٤	وفاة الهادي
٢٤٤	حديث الغريين		
٢٤٤	المهدي ومروان بن أبي حفصة		
٢٤٤	المهدي وسفيان الثوري		
٢٤٥	رؤيا المهدي قبل وفاته بعشرة أيام		
٢٤٥	وفاة زفر بن الهذيل صاحب أبي		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	بأنه كاذبا	٢٥٥	الهادي يعنف أخاه هرون الرشيد
٢٦٢	يمين الله الذي يعاقب من حلف به كاذبا بغير إهمال		على أن نفسه تحدته بالخلافة
٢٦٢	يحيى بن عبد الله بن الحسن العلوي	٢٥٥	رؤيا المهدي لولديه الهادي والرشيد
٢٦٢	محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله العلوي	٢٥٥	المهدي يهب ولده الهادي سيف عمرو
	آخر حجة حجها الرشيد		ابن معد يكرب الصمصامة وشعر
٢٦٣	وفاة الكسائي النحوي ، ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، ويحيى بن خالد البرمكي		ابن يامين في ذلك
٢٦٣	سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي العباسي	٢٥٧	ذكر خلافة هرون الرشيد
٢٦٤	احتجاج عبد الملك بن صالح للعتق جبريل بن مختيشوع الطبيب	٢٥٧	مجل تاريخه
٢٦٥	رؤيا الرشيد بشأن موسى بن جعفر وكان في محبيه ، وإطلاق سراحه بعدها	٢٥٧	ذكر جمل من أخباره وسيره
٢٦٦	إبراهيم بن المهدي والعبد الذي كان مولعا بخرارية من جوارى العلويين ، وتزويج الرشيد العبد إياها	٢٥٧	وزارة يحيى بن خالد
٢٦٧	ابن السماك يصف للرشيد حمامة ، وينشده شعرا في وصف حمامة	٢٥٧	موت ريطة بنت السفاح والخيزران أم الرشيد ، ومحمد بن سليمان
٢٦٨	معن بن زائدة والرشيد	٢٥٨	محمد بن سليمان وسوار القاضي وشأنها مع مجنون يعرف برأس النعجة
٢٦٩	الامين والمأمون بين يدي الرشيد وقد أمر الكسائي بامتحنائها	٢٥٨	محمد بن سليمان يبنى بيتا فيصفه له عبد الصمد شبيب بن شبة
٢٧٠	الاحمر النحوي مؤدب الامين ، ووصية الرشيد له حين دفع إليه الامين	٢٥٨	وفاة الليث بن سعد المصري
٢٧٠	العاني الشاعر يصف الامين للرشيد	٢٥٩	وفاة شريك بن عبد الله بن سنان النخعي
٢٧٠	الشيد يعهد إلى ولديه الامين والمأمون بالخلافة	٢٥٩	وفاة مالك بن أنس إمام أهل المدينة
		٢٥٩	وفاة حماد بن زيد
		٢٦٠	وفاة ابن المبارك
		٢٦٠	وفاة أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة
		٢٦٠	هدية أم جعفر إلى أبي يوسف
		٢٦٠	موسى بن عبد الله بن الحسن العلوي
			وقد حاول رجل من أثناء عبد الله بن الزيران يوقع به عند الفضل بن الربيع
		٢٦١	عبد الله بن مصعب يموت - قيب خلفه

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٧١	الرشد وأم جعفر (زبدة)	٢٨٢	واستعلاج الرشد له
٢٧٢	يتحاوران في شأن الامين والمأمون	٢٨٢	رجل عبثى من بنى أمية يسأل
٢٧٢	الرشد يعلق بيعته لولديه في جوف الكعبة	٢٨٢	الرشد في شعر له
٢٧٢	توكيد جعفر بن يحيى على الامين	٢٨٢	عبد الملك بن صالح يهنئ الرشد
	ألا يغدر بأخيه المأمون		ويعزيه
٢٧٢	بيعة الرشد لابنه القاسم بعد المأمون	٢٨٢	مرض الرشد
٢٧٢	وفاة الفضيل بن عياض	٢٨٣	موت الرشد
٢٧٣	وفاة موسى بن جعفر العلوى	٢٨٤	جمل من أخبار البرامكة
٢٧٣	آيات لكلثوم العتاني في مدح الرشد	٢٨٤	فضائل البرامكة
٢٧٣	كلثوم العتاني يضع من قدر أبى	٢٨٤	الخلاف في سبب نكبتهم
	نواس ويعدد سرقاته الشعرية	٢٨٤	الفضل بن يحيى يتشاغل بالصيد
٢٧٤	أبو العتاهية يسأل الرشد أن يزوجه		فيكلف الرشد يحيى بن خالد أن
	عتبة ، فيذهب الرشد اليها فلا تقبل		يكتب له ليردعه عن مثل هذا ، فيكتب
	وتستحلف الرشد أن يرحمها منه	٢٨٥	وصف مجلس من مجالس البرامكة
٢٧٥	يأس ابي العتاهية من عتبة كان سببا		والرشد
	لتنسكه وعبادته	٢٨٥	سوء نظام الاصمعي وعدم قيامه
٢٧٦	مختار من أشعار أبي العتاهية		بشكر نعم الله عليه
٢٧٧	غنى إسحاق الموصلى الرشد ليلة	٢٨٦	يحيى بن خالد البرمكى ، وكان من
	حتى نام ، وفيما هو جالس جاءه		أهل النظر والبحث
	شاب لا يعرفه فعلمه صوتا	٢٨٦	جلساء يحيى بن خالد يتحدثون
٢٧٨	غنى المغنون الرشد يوما فلم يطرب		عن العشق وأسبابه
	إلا لمسكين المدنى	٢٨٧	بحث في العشق واختلاف اهل النظر
٢٧٨	مسكين المدنى يقص على الرشد خبر		في أسبابه
	الصوت الذى غناه له فأطربه	٢٩٠	الرشد يزوج جعفر بن يحيى أخته
٢٧٩	الرشد وسباق الخيل		العباسة فيكون ذلك سببا لنكبة البرامكة
٢٨٠	إسراف إبراهيم بن المهدي ، وعتب	٢٩٢	الايقاع بالبرامكة
	الرشد عليه ، وعقابه له	٢٩٣	الرشد يأمر بقتل جعفر بن يحيى
٢٨١	الرشد يسأل إبراهيم بن المهدي عن		البرمكى
	أحسن الاسماء وأسمجها	٢٩٥	على بن معاذ الشاعر يرثى البرامكة
٢٨١	أدب عبد الله بن صالح وظرفه ،	٢٩٦	سلم الخاسر يرثى البرامكة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٩٦	صالح الاعرابي يرثيهم	٣٠٥	وكثير عزة الشاعر ، والشعبي
٢٩٦	أبو حرة الاعرابي يرثيهم	٣٠٥	جلس الامين يوما مع ابراهيم بن
٢٩٦	اشجع يرثيهم		المهدي وسليمان بن أبي جعفر ، ثم
٢٩٦	منصور اليمنى يرثيهم		دعا جارية له تغنيه فتطير مما غنته به
٢٩٦	دعبل يرثيهم		فطردها
٢٩٧	أشجع يرثيهم ايضا	٣٠٦	وفاة فطم أم ولد الامين وجزعه
٢٩٧	الفضل بن يحيى وابوه في السجن		عليها وتعزية زبيدة إياه
٢٩٧	عبادة أم جعفر بن يحيى البرمكي ،	٣٠٦	الامين في آخر أيامه
	وحالها بعد زوال عز البرامكة	٣٠٧	صفات الامين
٢٩٧	نصيحة بعض أعمام الرشيد ليحيى	٣٠٧	شجاعة الامين ، ومثل منها
	البرمكي وقد خاف الايقاع بالبرامكة	٣٠٧	كان بنو هاشم يعلمون فساد دولتهم
٢٩٨	الرشيد يأمر بضرب يحيى مائتي سوط		بمقتضى كتاب يقرأونه
	لاخفائه امواله عنه ، وما حدث ليحيى	٣٠٨	العهد الذي علقه الرشيد في الكعبة
	بسبب ذلك		بولاية الامين والمأمون
٣٠١	ذكر خلافة محمد الامين	٣٠٨	أم جعفر زبيدة وجزعها حين رأت
٣٠١	مجل تاريخه		أنه قد أحيط بولدها الامين
٣٠١	جل من أخباره وسيره ، ولع بما	٣٠٨	ليس في الخلفاء من أمه وأبوه من
	كان في أيامه		بنى هشام إلا على بن أبي طالب
٣٠١	رؤيا زبيدة حين حملت بالامين ،		والامين بن هرون الرشيد
	ورؤياها حين ولدت	٣٠٩	موت عبد الملك بن صالح
٣٠٢	الامين يفكر في الغدر بأخيه	٣٠٩	الامين يأخذ البيعة لابنه موسى الملقب
	ويشاور في ذلك قواده وبعض		بالناطق بالحق ، وشعر قيل في ذلك
	خلصانه	٣١٠	هزيمة جيوش الامين وأثرها
٣٠٣	الحرب بين فريقي الامين والمأمون	٣١١	آخر خطبة للامين
٣٠٤	كانت أم جعفر لاتحمل فلما تسرى	٣١٢	كتاب من الامين إلى طاهر بن
	الرشيد بأمر المأمون ولدت		الحسين
٣٠٤	الخلاف في الذئب من أبناء ابراهيم	٣١٢	فرق الامين على المحدثين من قواده
	الجليل		خصمائه ألف درهم وقارورة غالية
٣٠٤	وفاة عكرمة مولى ابن عباس ،		فتألم الباقون

ض	الموضوع	ص	الموضوع
٣١٣	طاهر يحاصر أهل بغداد فيلقون من ذلك جهدا عظيما ، وما قيل في ذلك من الشعر	٣٢٨	الفضل بن سهل ، وبقية وزراء المأمون
٣١٥	اشتداد أمر الحرب ، وما قيل في ذلك من الشعر	٣٢٨	موت علي بن موسى الرضا العلوي بطوس
٣١٨	انقطاع الميرة عن جند الامين	٣٢٨	إبراهيم بن المهدي (ابن شكاة) والمأمون يتهاجيان على التشيع والتسنن
٣١٩	معركة بين الفريقين ، وما قيل فيها من الشعر	٣٢٩	أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي والمأمون يستنشد من شعره
٣١٩	انتهب أصحاب الامين الاموال لضيق حالهم	٣٣٠	بعض حكم المأمون
٣٢٠	أراد تجار بغداد أن يكتبوا لطاهر ابن الحسين ، ثم امتنعوا خوفا من جند الامين	٣٣١	المأمون يحضر إملاك بعض أهل بيته ، وخطبته في شأن ذلك
٣٢٠	معركة أخرى بين الفريقين ، وما قيل فيها من الشعر	٣٣١	يعجب بن أكتم وثمالة بن أشرس في حضرة المأمون وحديث لهما في أن الحق واحد أو متعدد بتعدد أهل النظر
٣٢٣	مقتل الامين	٣٣٢	وفد الكوفة بين يدي المأمون
٣٢٥	رأس الامين بين يدي أخيه المأمون بخراسان بعد أن وضع بين يدي طاهر بن الحسين ببغداد	٣٣٢	المأمون والزنادقة من المانوية ، وحديث طفيلي دس نفسه بينهم
٣٢٦	أم جعفر زبيدة أم الامين ترى ولدها بعد مقتله	٣٣٤	إبراهيم بن المهدي يسأل المأمون أن يعفو عن الطفيلي ويحذثه عن نفسه أنه تطفل يوما ، واتخاذ المأمون الرجل الذي تطفل ابراهيم عليه نديما
٣٢٦	لبابة زوج الامين ترضيه	٣٣٧	العتابي ويحيى بن أكتم على باب المأمون
٣٢٦	زبيدة أم الامين وقد رغب إليها بعض خدامها أن تطالب بثأره بعد مقتله	٣٣٧	إسحق الموصلي والعتابي ، وقد أغرى المأمون إسحاق على العبث بالعتابي
٣٢٨	ذكر خلافة المأمون	٣٣٨	ترجمة للعتابي ، وذكر غتارات من كلامه
٣٢٨	مجل تاريخه	٣٣٩	شيخ ضعيف يطلب وفد المأمون
٣٢٨	ذكر جل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٣٩	أبو العتاهية والمأمون	٣٥٣	إبراهيم بن المهدي وحجام يؤويه في عصر أيام احتفائه من المأمون
٣٤٠	المأمون وبعض خواصه يتلوهون	٣٥٤	موت يزيد بن هرون بواسط
٣٤٠	المأمون يحدث عن ثلاثة أجوبة أعيته	٣٥٤	موت جماعة من العلماء : جرير بن خزيمة ، وشيبة بن سوار ، والحجاج ابن محمد الاور ، وعبد الله بن نافع ووهب بن جرير ، ومؤمل بن اسماعيل ، وروح بن عباد ، والهيثم ابن عدي
٣٤٢	بعض الخوارج يناظر المأمون في خلافته على الناس	٣٥٥	موت الواقدي : محمد بن عمر بن واقد ، وحدث له في الاثبات مع صديقين من أصدقائه
٣٤٣	يحيى بن أكنم قاضي البصرة (ترجمة)	٣٥٥	موت يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين
٣٤٦	وفاة الامام الشافعي محمد بن إدريس	٣٥٦	موت أزهر السنان ، وصلته بأبي جعفر المنصور ، وكثرة تردده على المنصور
٣٤٦	وفاة أبي داود الطيالسي وهشام بن محمد الكلبي	٣٥٦	مقتل ابن عائشة إبراهيم بن محمد ابن عبد الوهاب العباسي
٣٤٧	المأمون يؤتي بين يديه برجل موثق يدعى النبوء (مناظرة)	٣٥٧	المأمون ورجل من ولد العباس بن علي بن أبي طالب
٣٤٧	المأمون ورجل ادعى بين يديه أنه إبراهيم الخليل (مناظرة)	٣٥٧	موت أبي عبيدة معمر بن المثنى النحوي
٣٤٨	الخوارج على المأمون من العلويين وغيرهم	٣٥٨	موت أبي العتاهية وبعض المختار من شعره
٣٤٩	علي بن موسى الرضا ، وبيعة المأمون له بالخلافة من بعده ،	٣٦٠	زيادة علماء العروض على ما ذكره الخليل بن أحمد من أوزان الشعر العربي
٣٥٠	بنو العباس يغضبون لمبايعة المأمون على بن موسى ؛ فيقررون خلع المأمون	٣٦١	أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ الكاتب
٣٥٠	مقتل الفضل بن سهل	٣٦١	المأمون يعلن سب معاوية بن ابي سفيان ويأمر به ، ثم يدوله فيتركه
٣٥٠	وفاة علي بن موسى الرضا		
٣٥٠	شأن إبراهيم بن المهدي		
٣٥٠	خروج بالك الخرمي		
٣٥١	زواج المأمون بيوران بنت الحسن ابن سهل ، ومقدار ما أنفق الحسن في لك		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٦٢	موت جماعة من العلماء : محمد بن يوسف الفارابي ، وهوذة بن خليفة	٣٦٤	ملك الروم أن يرده عن بلاده بشتى المغريات
	ومحمد بن عبد الله بن المثنى ، واسحاق	٣٦٥	أول من ض المأمون
	ابن الطباع ، ومعاوية بن عمرو	٣٦٥	موت المأمون وما قيل فيه
٣٦٣	غزو المأمون بلاد الروم ، ومحاولة	٣٦٦	آيات كان المأمون كثيراً ما ينشدها

تمت الفهرست والمحمد لله تعالى أولاً وآخراً ، وصلاته وسلامه
على نبيه وآله وصحبه

مرکز الوثائق والبحوث



30018000012010

المكتبة



